الدار العربية للعلوم ـ ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

دان براون

مؤلف رواية «شيفرة دافنتشي»

«تشويق بسرعة الصواريخ. رواية مدهشة»

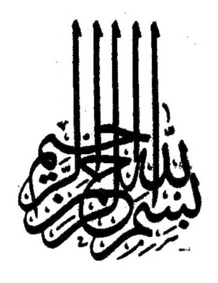
حقيقة الخديعة

DECEPTION POINT

رواية

حقيقة الخديعة

Deception Point



هذا الكتاب هو عمل خيالي. الأسماء، الشخصيات، الأماكن، والأحداث كلها من خيال الكاتب أو أنها استعملت بشكل خيالي. إن أي تشـــابه حقيقي مع الأحداث أو الأماكن أو الأشخاص، سواء أكانوا على قيـــد الحياة أم أمواتاً، هو من محض الصدفة.

يضم هذا الكتاب ترجمة الأصل الإنكليزي

Deception Point

حقوق الترجمة العربية مرخص بها قانونياً من الناشر

Pocket Books, a division of Simon & Schuster, Inc.

بمقتضى الاتفاق الخطي الموقع بينه وبين الدار العربية للعلوم

حقيقة الخديعة

Deception Point

تأليف

دان براون

ترجمة

فايزة غسان المنجد

مراجعة النص

د. محمد فداء ممدوح الهاشمي



ISBN 9953-29-907-2

الطبعة الأولى

1426 هـ - 2005 م



الدار العربية للعلوم
Arab Scientific Publishers
عين التينة، شارع ساقية الجنزير، بناية الريم
هاتف: 860138 - 785108 - 785107 (1-961)
فاكس: 786230 (1-961) ص.ب: 5574-13 - بيروت - لبنان
البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb
الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb

الترجمة: مركز التعريب والبرمجة، بيروت - هاتف 811373 (9611)
التنضيد وفرز الألوان: أبجد غرافيكس، بيروت - هاتف 785107 (9611)
الطباعة: مطابع الدار العربية للعلوم، بيروت - هاتف 786233 (9611)

ملاحظة للمؤلف

دلتا فورس ومكتب الاستطلاع القومي ومؤسسة الفضاء الرائدة هي منظمات حقيقية. كافة التقنيات الموصوفة في هذه الرواية موجودة فعلاً.



إذا تم إثبات هذا الاكتشاف، فإنه سيكون بالتأكيد واحداً من أكثر الاكتشافات العلمية إذهالاً في كوننا. إن تضميناته بعيدة المنال وملهمة للخشية بقدر ما يمكن تخيله. بالرغم من أنه يعد بالإجابة على بعض من أسئلتنا القديمة، فإنه يطرح أيضاً أسئلة أخرى أكثر أساسية.

الرئيس بيل كلينتون في مؤتمر صحفي
بعد اكتشاف يعرف بـ ALH84001
في 7 آب/أغسطس، 1996

المقدمة

الموت، في هذا المكان المهجور، يمكن أن يحدث بأشكال لا تحصى. عالم الجيولوجيا شارلز بروفي كان قد شهد الروعة الهمجية لهذا المكان لسنوات، ومع ذلك لم يستطع تجهيز شيء لقدرٍ غير طبيعي على وشك أن يصيبه.

عندما كانت كلاب الأسكيمو الأربعة تسحب مزلجة معدات التحسس الجيولوجي عبر التندرة، أبطأت فجأة وهي تنظر إلى الأعلى.

"ما الأمر أيتها الفتيات؟" سأل بروفي وهو يخطو بعيداً عن المزلجة.

خلف غيوم العاصفة المتجمعة، ظهرت حوامة نقل ثنائية الشفرات معانقة بشكل منخفض قمة المنحدر ببراعة عسكرية.

هذا غريب، فكر بذلك، لم يرَ حوامات على الإطلاق في الشمال البعيد. حطت الطائرة على بعد خمسين ياردة، مرسلة رذاذاً لاذعاً من الجليد. نبحت كلابه بادياً عليها القلق.

عندما انزلقت أبواب الطائرة منفتحةً، هبط منها رجلان يرتديان بِزّات بيضاء كاملة ويتسلحان ببنادق، وتحركا باتجاه بروفي باستعجال.

"دكتور بروفي؟" صاح أحدهم.

كان الدكتور مرتبكاً: "كيف عرفتم اسمي؟ من أنتم؟".

"أخرِج جهاز الإرسال، من فضلك".

"عفواً؟".

"افعل ذلك وحسب".

بارتباك، سحب بروفي جهاز الإرسال من سترته.

"نريد منك إرسال هذا البلاغ الطارئ. أخفض تردد جهاز الإرسال إلى مئة كيلوهيرتز".

مئة كيلوهيرتز؟ شعر بروفي بالضياع الكامل. لا يستطيع أحد تلقي هذه الرسالة بمثل هذا التردد المنخفض. "هل وقع حادث؟".

وجّه الرجل الثاني بندقيته إلى رأس بروفي: "ليس هناك وقت لأشرح لك. افعل ذلك وحسب".

مرتجفاً، عدّل بروفي تردد الإرسال.

سلمه الرجل الأول ورقة ملاحظة كُتب عليها بعض الأسطر، "أرسل هذه الرسالة، الآن!".

نظر بروفي إلى الورقة. "لا أفهم. هذه المعلومات غير صحيحة. أنا لم –".

ضغط الرجل ببندقيته على صدغه.

كان صوت بروفي مرتعشاً وهو يرسل الرسالة الغريبة.

"جيد"، قال الرجل الأول: "الآن، اصعد أنت وكلابك إلى الطائرة".

تحت تهديد البندقية، وضع بروفي كلابه المعارضة وصعد عبر سلم للحمولة، وبعدها حلقت الطائرة متجهة نحو الغرب.

"من أنتم بحق الجحيم!؟" سأل بروفي وهو يتصبب عرقاً داخل سترته. وما هو معنى هذه الرسالة!؟

لم يجب الرجلان بأي كلمة.

عندما زاد ارتفاع الطائرة، اندفعت الرياح عبر الباب المفتوح. وكانت كلاب بروفي التي لا تزال مربوطة إلى مزلجة الحمولة تئن.

"على الأقل أغلق الباب"، طلب بروفي: "ألا يمكنك أن ترى أن كلابي خائفة!".

لا جواب من الرجلين.

عند وصول الطائرة إلى ارتفاع أربعة آلاف قدم، انحرفت بشدة فوق سلسلة من الصدوع والحفر الجليدية العميقة. فجأة نهض الرجلان، ومن دون أية كلمة، أمسكا بمزلجة المعدات الثقيلة ودفعاها خارج الباب المفتوح. وشاهد بروفي بذعر كلابه تندفع عبثاً بسبب الثقل الضخم. وخلال لحظة، اختفت الحيوانات، وسُحبت وهي تنبح خارج الطائرة.

كان بروفي جاثماً يصرخ عندما أمسك به الرجلان. سحباه إلى الباب. فاقداً الحس بسبب الخوف، لوّح بروفي بقبضتيه محاولاً إعاقة الأيدي القوية التي تدفعه إلى الخارج.

كل ذلك من دون فائدة. فما هي سوى لحظات، حتى أخذ يهوي إلى الأسفل باتجاه مهواة بين جبلين.

1

إنه مطعم تولوز، المجاور لمجلس الشيوخ الأميركي، والذي يفتخر بتقديم قائمة لأسماء مهينة عمداً لشرائح لحم البقر وأطباق لحم العجل، الأمر الذي يجعل منها بقعة ساخنة هزلية لمتعة أعلى السلطات في واشنطن على موائد الإفطار. وفي صباح هذا اليوم، كان مطعم تولوز مزدحماً، تتصاعد منه أصوات قرقعة الأواني الفضية، وآلات صنع القهوة السوداء، ومحادثات الخليوي.

عند دخول المرأة إلى المطعم، كان كبير النادلين يختلس رشفة من شرابه الصباحي المفضل "مريم الدامية"[1]. التفت إليها بابتسامة متمرّسة.

"صباح الخير، هل لي بإسداء خدمة؟".

كانت تلك المرأة فاتنة الجمال، في منتصف الثلاثينيات من العمر، ترتدي بنطالاً مثنياً رمادي اللون، مصنوعاً من النسيج الصوفي الناعم، وتنتعل حذاءً تقليدياً بدون كعب، وقميصاً عاجياً من ماركة "لورا آشلي". كانت وقفتها مستقيمة مع ذقن مرفوعة قليلاً – لم يكن هذا دليلاً على عجرفتها وإنما مشيراً إلى قوتها فحسب. كان شعر هذه المرأة بنياً فاتحاً، مصففاً على أحدث تسريحات واشنطن – تسريحة منسقة الأخبار – حيث خصل الشعر كثيفة ملتفة عند الأسفل قرب كتفيها... كانت طويلة بما يكفي كي تكون جذابة، ولكن قصيرة بما يكفي لتذكر الآخرين بأنها ربما أكثر ذكاءً منهم.

قالت المرأة بصوت متواضع: "لقد تأخرت قليلاً... أنا مدعوة لتناول الإفطار مع السيناتور سيكستون".

أحس كبير النادلين بقشعريرة غير متوقعة... السيناتور سيدجويك سيكستون؟! كان السيناتور دائم الحضور إلى هذا المطعم، وهو حالياً أحد أشهر رجال البلد. ففي الأسبوع الماضي، وبعد أن انتصر بشكل ساحق في جميع دورات الانتخابات الأولية الاثنتي عشرة للحزب الجمهوري في يوم الثلاثاء الخارق[2]، ضمن السيناتور عملياً تسمية حزبه لرئاسة الولايات المتحدة. واعتقد العديد بأن فرصة السيناتور كبيرة جداً بانتزاعه البيت الأبيض من الرئيس المحاط بالمشاكل بحلول فصل الخريف. ومؤخراً، انتشرت صور سيكستون في

---

1 الكوكتيل المصنوع من الخمور وعصير الطماطم بالإضافة إلى التوابل.

2 يوم الانتخابات الأولية لاختيار مرشحي رؤساء الأحزاب.

جميع المجلات القومية، كما انتشر شعار حملته في أنحاء أميركا كلها: "لنوقف الإنفاق ونبدأ الإصلاح".

أجابها كبير النادلين: "إن السيناتور سيكستون جالس أمام مائدته، ولكن من أنت؟!".

قاطعته قائلةً: "راشيل سيكستون، ابنته".

شعر بغبائه على الفور! إن الشبه بينهما واضح فعلاً. فعيونها براقتان كعيونه، وقامتها مصقولة كقامته – تلك الميزات الملمعة لطبقة النبلاء. ومن الواضح أن جمال طلعة السيناتور الكلاسيكية أصابت أجياله اللاحقة، على الرغم من أن راشيل سيكستون أضافت شيئاً من الفضيلة والتواضع إلى تلك النعم، الأمر الذي كان بمقدور السيناتور تعلمه.

"يسرنا أن نستضيفك عندنا، آنسة سيكستون".

عندما قام كبير النادلين بإيصال ابنة السيناتور إلى مائدة أبيها مروراً بمنطقة تناول الطعام، كان مُحرَجاً بانتقادات عيون الرجال الهجومية التي تلاحقها. بعض الرجال التزم الصمت والآخر لم يقدر على ذلك. إذ إن قلة من النساء كنّ يرتدن مطعم تولوز وحتى الأقل منهنّ كنّ يشبهن راشيل سيكستون.

همس أحدهم: "جسدٌ جميل، ولكن سيكستون قد وجد لنفسه زوجة جديدة من قبل!".

"إنها ابنته أيها الأبله!" أجابه آخر.

ضحك الرجل بهدوء: "بحسب معرفتي لسيكستون فإنه لن يتورع عن اشتهائها جنسياً على أية حال".

عند وصول راشيل إلى مائدة أبيها، كان السيناتور يتحدث على الخليوي بصوت مرتفع عن أحد انتصاراته المؤخرة. نظر سريعاً إلى راشيل بما يكفي لينقر على ساعته الكارتيير مذكراً إياها بوصولها متأخرة.

اشتقت لك أيضاً، قالت لنفسها.

كان اسم والدها الأول "توماس"، على الرغم من اختياره اسمه الأوسط منذ زمن بعيد. اعتقدت راشيل أن والدها يحب تكرار الحرف الأول في اسمه الكامل، وذلك ليصبح "سيناتور سيدجويك سيكستون". وكان السيناتور ذا شعر رمادي لامع، فصيح اللسان، رجلاً متحضراً قد بورك بتلك النظرة المخادعة

للشخص الذي يلعب دور الطبيب في المسلسلات الميلودرامية، الأمر الذي كان متلائماً مع مواهبه على تغيير شخصيته.

أنهى والدها محادثته ووقف ليقبل خدها: "راشيل".

"مرحباً يا والدي". لم تقبله بدورها.

"تبدين متعبة".

ها قد بدأنا... قالت لنفسها... "وصلتني رسالتك، ما الأمر؟".

"ألا يحق لي أن أدعو ابنتي لتناول الإفطار معاً؟".

اكتشفت راشيل منذ زمن بعيد أنه من النادر لوالدها أن يطلب صحبتها من دون وجود دافع خفي وراء ذلك.

ارتشف سيكستون قليلاً من القهوة. "إذاً، كيف تجري الأمور معكِ؟".

"مشغولة... أرى أن حملتك الانتخابية تجري بشكل رائع".

"دعي حديث العمل جانباً"، انحنى سيكستون نحو المائدة وقال هامساً: "كيف حال ذلك الفتى الذي أوقعتك معه؟".

تنهدت راشيل وهي تكافح الرغبة بالنظر إلى ساعتها. "في الواقع، لم يكن لديّ الوقت الكافي لأتصل به، وأتمنى أن تتوقف عن محاولة –".

"يجب عليك أن تجدي وقتاً لمناقشة الأشياء المهمة، راشيل، فمن دون الحب ليس هناك معنى لأي شيء آخر".

حضر إلى ذهن راشيل العديد من الأجوبة البارعة رداً على كلام والدها، ولكنها فضلت الصمت، إذ إن ذلك لم يكن صعباً حينما يتعلق الأمر بوالدها لأنه الأكبر. "أردت أن تقابلني يا والدي وقلت إنه أمر مهم".

"نعم إنه كذلك". كانت عينا والدها تتأملها بتمعن.

شعرت راشيل بأن جزءاً من وسائلها الدفاعية قد تلاشى أمام تحديقات أبيها لها، ثم لعنت قوة هذا الرجل. كانت عينا السيناتور هبة إلهية – اعتقدت راشيل أنها ستمكنه من الفوز بالبيت الأبيض. ففي لحظة، يمكن لهاتين العينين أن تدمعا بشكل غزير، وبعد لحظات، تتوقفان عن البكاء وتفتحان نافذة لروح مليئة بالعواطف، وتمدان جسراً من الثقة للجميع. "الأمر دائماً يتعلق بالثقة". هذا ما كان والدها يقوله دائماً. لقد خسر السيناتور ثقة راشيل منذ أعوام خلت، ولكنه كان يكسب بسرعة ثقة الدولة.

"لديّ عرض لك!" قال السيناتور سيكستون.

"دعني أحزر"، أجابته راشيل محاولة استعادة السيطرة على موقعها. "إنه أحد الرجال المشهورين المُطلّق يبحث عن زوجة صغيرة؟".

"لا تخدعي نفسك يا حبيبتي، فأنت لم تعودي صغيرة".

أحست راشيل بشعور الانكماش المألوف الذي كان غالباً ما يصاحب لقاءاتها مع والدها.

قال: "أريد أن أرمي لك بقارب نجاة".

"لم أكن على علم بأنني أغرق!".

"أنت لا تغرقين، بل إنه الرئيس. يجب عليك النجاة بنفسك قبل فوات الأوان".

"ألم نتحدث عن هذا من قبل؟".

"فكري بمستقبلك، يا راشيل، يمكنك أن تأتي للعمل معي".

"أتمنى أن هذا لم يكن هو سبب دعوتك لي على الفطور".

محاولة السيناتور تهدئة نفسه فشلت ببطء: "راشيل، ألا ترين أن عملك لصالح الرئيس يؤثر سلباً عليّ... وعلى حملتي أيضاً؟!".

تنهدت. كانت قد تحدثت هي ووالدها عن هذا من قبل: "يا والدي إني لا أعمل عند الرئيس، حتى أنني لم أقابله. حباً بالله يا أبي، أنا أعمل في فيرفاكس!".

"إن السياسة هي إدراك الأمور يا راشيل، فالظاهر أنك تعملين عند الرئيس".

تنهدت راشيل محاولةً الحفاظ على هدوئها: "عملت بجهد كبير للحصول على هذا العمل، ولن أتخلى عنه الآن!".

ضاقت عيناه قائلاً: "أتعلمين؟ أحياناً موقفك الأناني فعلاً –".

برز مراسل صحفي فجأةً بجانب المائدة قائلاً: "السيناتور سيكستون؟".

أصبحت تصرفات سيكستون أقل عدوانية فوراً. همهمت راشيل بسخرية وتناولت كعكة محلاّة من السلة الموجودة على الطاولة.

قال الصحفي: "أنا رالف سنيدين، مبعوث (واشنطن بوست)، هل لي أن أطرح عليك بعض الأسئلة؟".

ابتسم السيناتور وهو يمسح فمه بمنديل قائلاً: "إنه لمن دواعي سروري، رالف، ولكن من فضلك أن تسرع بعض الشيء، فلا أريد لقهوتي أن تبرد".

ضحك الصحفي في حينها: "بالطبع، سيدي"، ثم أخرج مسجلته الصحفية وأدارها. "حضرة السيناتور، إن دعايات حملتك على التلفاز تدعو إلى سن قانون يضمن رواتب متساوية للنساء في العمل... بالإضافة إلى تخفيض الضرائب المفروضة على العائلات الناشئة حديثاً. فهل تتفضل بالتعليق على الأسباب الكامنة وراء ذلك؟".

"بالتأكيد، فأنا ببساطة معجب كثيراً بالنساء القويات والعائلات القوية أيضاً".

كادت راشيل تغص بقطعة الكعك التي تتناولها.

تابع الصحفي: "وبالنسبة لموضوع العائلات، فأنت تتكلم كثيراً عن التعليم، وقد اقترحت تخفيضات كبيرة في الميزانية أثارت الجدل، محاولاً بذلك توفير المزيد من الأموال لتُصرف على مدارس أمتنا".

"باعتقادي، الأطفال هم مستقبلنا".

لم تصدق راشيل أن والدها قد انخفض بمستواه ليقتبس الكلام من الأغاني الشعبية.

قال الصحفي: "وفي النهاية، سيدي، لقد حققت فوزاً كبيراً في صناديق الاقتراع خلال الأسابيع القليلة الماضية. يتوجب على الرئيس أن يشعر بالقلق حيال ذلك. فهل هناك من تعليقات حول نجاحك مؤخراً؟".

"أظن أن الفضل كله يعود إلى الثقة. بدأ الأميركيون يرون أنه لا يمكن الوثوق برئيسهم الحالي ليصدر القرارات الحازمة التي تتعلق بشؤون أمتنا. فالمصاريف الحكومية – غير المُسيطر عليها – تجعل بلدنا يغرق أكثر بالديون كل يوم، كما بدأ الأميركيون يدركون أنه حان الوقت لإيقاف الإنفاق وبدء الإصلاح".

وكإجراء معيق لكلام والدها المعسول، علا صوت البيجر في حقيبة راشيل. من الطبيعي، أن يكون هذا الصوت الإلكتروني الخشن مقاطعةً غير مرغوب فيها لحديث والدها، ولكن في تلك اللحظة بالذات، بدا صوته كلحن موسيقي تقريباً.

توهج وجه السيناتور غضباً لمقاطعة حديثه.

تناولت راشيل البيجر من الحقيبة على الفور، وضغطت سلسلة من خمسة أزرار لتضبط بها تلك الآلة، مثبتتةً أنها هي الشخص الذي يحمل البيجر.

توقف الرنين، وبدأت الشاشة الضوئية بالوميض. إنهـا سـتتلقى رسـالة نصية آمنة بعد خمس عشرة ثانية.

ابتسم سنيدين للسيناتور قائلاً: "من الواضح أن ابنتك امرأة مشغولة، وإنه لأمر مفرح أن نراكما لا تزالان تجدان الوقت المناسب في جـدول أعمالكمـا يسمح لكما بتناول الطعام معاً".

"كما قلت من قبل، الأولوية للعائلة في كل الأمور".

هزّ سنيدين رأسه موافقاً، ثم حدق به بجدية أكثر: "هل يمكنني أن أسـألك يا سيدي عن كيفية تمكنكما من حل الخلافات التي تدور بينك وبين ابنتك فيمـا يتعلق بمصالحكما؟".

"خلافات؟!" رفع السيناتور رأسه بنظرة بريئة من الارتباك: "أي نوع من الخلافات تقصد؟".

حدقت راشيل بوالدها مستاءةً من فعله، فهي علمت تماماً مـا قصـده الصحفي بسؤاله، ثم لعنت الصحفيين، ذلك أن نصفهم مسجل علـى قـوائم رواتب السياسيين. إن سؤال المراسل هو ما يدعوه الصحفيين بـــ "ثمـرة الكريبفروت" – أي هو سؤال يفترض به أن يبدو كاستفسار قاسٍ، ولكنه في الواقع لمصلحة السيناتور – إنه بمثابة رمية خفيفة لكرة التنس مـن قبـل الصحفي، استطاع والدها التقاطها ورميها بقوة خـارج الحديقـة مشـيحاً الغموض عن أمور متعددة.

"حسناً سيدي..." قال الصحفي وهو يسعل، متظاهراً بارتباكه من السؤال السابق: "الخلاف هو أن ابنتك تعمل لصالح خصمك".

انفجر السيناتور ضاحكاً، مبدداً السؤال على الفور...

"رالف، أولاً، أنا والرئيس لسنا خصمين. إننا ببساطة مواطنـان يملكـان آراء مختلفة عن كيفية إدارة بلدنا الذي نحب".

ابتهج الصحفي، قائلاً ملاحظته الصحفية المختصرة: "وثانياً؟".

"ثانياً، إن ابنتي ليست موظفة من قبل الرئيس وإنما هي تعمل في المجال الاستخباراتي، فهي تقوم بجمع التقارير الاستخباراتية ثم إرسالها إلـى البيـت الأبيض. إنه عمل منخفض المستوى بعض الشيء". صمت قليلاً ثم نظر إلـى راشيل: "في الواقع، يا عزيزتي، أنا متأكد أنك لم تقابلي الـرئيس حتـى الآن، أليس كذلك؟".

حدقت راشيل بعيون غاضبة.

علا رنين البيجر محولاً بذلك نظرة راشيل إلى الرسالة القادمة على شاشة الجهاز:

-RPRT DIRNRO STAT-

قامت راشيل بحل شيفرة الاختصارات فوراً ثم قطبت وجهها. فلم تكن الرسالة متوقعة ولا بد أنها أخبار سيئة. ولكن على الأقل، أصبح لديها الآن سبب للمغادرة.

"أيها السادة، إنه ليحزنني أن أغادر، ولكن يتوجب عليّ ذلك، فلقد تأخرت عن العمل".

أجاب الصحفي بسرعة: "آنسة سيكستون، قبل أن تذهبي كنت أتساءل عن إمكانية تعليقك على الإشاعات القائلة بأنك طلبت هذا الاجتماع على الفطور لتناقشي مسألة ترك عملك الحالي للعمل في حملة والدك؟".

شعرت راشيل وكأن كوباً من القهوة الساخنة قد أُلقي على وجهها. جعلها هذا السؤال عرضة للخطر، فنظرت إلى والدها وأدركت من خلال ابتسامته المتكلفة بأن هذا السؤال معدٌ من قبل. أرادت عندها أن تصعد على الطاولة وتطعنه بشوكة الطعام.

دفع الصحفي بمسجلته أمام وجهها قائلاً: "آنسة سيكستون؟".

استعدت راشيل لمشاجرة ذلك الصحفي: "رالف أو أياً كنت، افهم هذا على الفور: ليس لديّ أية نية لترك وظيفتي والعمل مع السيناتور سيكستون، وإذا قمت بنشر أي شيء يخالف ذلك، فإنك ستندم كثيراً إذ إنك ستحتاج إلى أداة خاصة لإخراج مسجلتك من مؤخرتك".

اتسعت عينا الصحفي، وأوقف التسجيل مخبئاً ضحكته ثم قال: "شكراً لكما". واختفى بعدها.

ندمت راشيل فوراً على غضبها، ذلك أنها ورثت ذلك المزاج عن والدها، وكرهته لذلك. هدوءاً يا راشيل، هدوءاً، هذا ما قالته لنفسها.

نظر إليها والدها غاضباً مستنكراً ما قالته: "يجب عليك أن تتعلمي كيفية الحفاظ على اتزانك جيداً".

بدأت راشيل بجمع أشيائها: "لقد انتهى هذا اللقاء!".

كان من الواضح أن السيناتور قد سئم من وجودها على أية حال. تناول الخليوي لإجراء اتصال. "وداعاً حبيبتي، عرجي على مكتبي في أحد

الأيام القادمة وألقي عليّ التحية، وتزوجي حباً بالله! فقد بلغت الثالثة والثلاثين".

أجابته غاضبة: "إنني في الرابعة والثلاثين، لقد أرسلت لي سكرتيرتك بطاقة تهنئة بعيد ميلادي".

أجابها راثياً لحالها: "الرابعة والثلاثين. يا لك من عذراء كبيرة في السن، أتعلمين؟ عندما بلغت أنا الرابعة والثلاثين، كنت قد –".

"تزوجتَ أمي وبدأت بمعاشرة جارتنا؟!" علا صوت راشيل أعلى مما كانت قد أرادت، وذلك في وقت غير مناسب حيث سيطر الهدوء حينها على المطعم، فنظر إليها جميع من حولها.

لمعت عينا السيناتور ناظراً إليها ببرودة وكأنهما قطعتا زجاج متجمد تنصبّان عليها: "انتبهي لنفسك أيتها الشابة الصغيرة".

بل انتبه أنت لنفسك أيها السيناتور، هذا ما قالته لنفسها وهي تتجه نحو الباب.

2

جلس الرجال الثلاثة بصمت داخل خيمتهم الحرارية[3] المضادة للعواصف. وفي الخارج، كانت الرياح الثلجية تضرب ذلك الملجأ بقوة، مهددة بانتزاعه من حباله. لم يهتم أحدهم لذلك، فقد شهد كل واحد منهم مواقف أكثر تهديداً.

أصبحت خيمتهم المتوضعة في منطقة منخفضة بعيدة عن مرمى النظر، ناصعة البياض. كانت أجهزة الاتصال معهم ومعدات نقلهم وأسلحتهم هي الأكثر تطوراً على الإطلاق. وقد أُطلق على رئيس مجموعتهم اسم مشفر هو دلتا واحد. وهو رجل قوي البنية، وذو عينين كئيبتين تشبهان طبوغرافية المنطقة التي وُضع فيها.

أطلقت الميقاتية (المُوقِّتة المُسَجِّلة) العسكرية المثبتة على معصم دلتا واحد صوتاً حاداً. تزامن ذلك الصوت بتناغم مثالي مع الأصوات المنطلقة من ميقاتيتي الرجلين الآخرين.

كان قد مضى ثلاثون دقيقة أخرى.

حان الوقت. مرة ثانية.

---

3 الخيمة الحرارية: خيمة مجهزة بتقنية عالية لنشر الحرارة فيها.

وبشكل انعكاسي، غادر دلتا واحد زميليه، وخرج تحت جنح الظلام والرياح العاصفة. قام بمسح الأفق المضاء بنور القمر بمنظاره الثنائي العينين ذي الأشعة تحت الحمراء. وكعادته، ركز نظره على البناء الواقع على بعد ألف متر - ذلك الصرح الضخم غير المتوقع وجوده في تلك الأرض القاحلة. كان قد قضى هو وفريقه عشرة أيام حتى الآن في مراقبة ذلك البناء منذ أن تم إنشاؤه. لم يكن لدلتا واحد أدنى شك بأن المعلومات التي في داخله من شأنها أن تغير العالم. كانت قد زُهقت الأرواح سابقاً من أجل حمايته.

في تلك اللحظة، بدا كل شيء هادئاً خارج المبنى.

لكن المعيار الحقيقي، هو ما يجري في الداخل.

عاد دلتا واحد إلى الخيمة ثانيةً وأخبر الجنديين المرافقين: حان وَقت الجولة".

أومأ الرجلان بالإيجاب، وقام الرجل الأطول بينهما بفتح حاسبه المحمول وتشغيله. جالساً أمام الشاشة، قام دلتا اثنان بوضع يده على مقبض التحكم الميكانيكي ثم دفعه بهزة قصيرة. وعلى بعد ألف متر، تلقى ربوط المراقبة المخبأ داخل المبنى هذه الإشارة - وهو جهاز بحجم البعوضة - ثم تحرك على الفور.

3

كانت راشيل سيكستون لا تزال تغلي بغيظها وهي تقود سيارتها البيضاء الإنتيجرا على طريق ليسبيرغ. انتصبت أشجار القيقب العارية على سفوح كنيسة فولز تحت سماء آذار/مارس الصافية، ولكن لم يستطع ذلك المنظر الخلاب أن يهدئ من غضبها إلا قليلاً. ذلك أن ارتفاع أصوات والدها مؤخراً في صناديق الاقتراع يوجب أن يمنحه القليل من فضيلة الثقة بالنفس، ولكن بدا أن هذا لم يؤثر إلا بارتفاع شعوره بأهمية نفسه.

كان لحيلة هذا الرجل تأثير مؤلم مضاعف، فقد شاء القدر أن يكون والدها هو القريب الوحيد الذي بقي لها. توفيت والدتها منذ ثلاث سنوات، وكان لذلك أثر مؤلم لا تزال ندبه العاطفية تخدش قلبها. أما عزاؤها الوحيد فهو معرفتها بأن الموت - وبشفقة ساخرة - كان قد حرر والدتها من الحياة اليائسة التي عاشتها أثناء زواجها البائس مع السيناتور.

علا رنين البيجر مرة ثانية، معيداً بأفكار راشيل إلى الطريق أمامها. تلقت الرسالة نفسها:

-RPRT DIRNRO STAT-

أعلمي مدير (إن آر أو) بحضورك على الفور. تنهدت، أنا قادمة... كفى حباً بالله!

وبغموض متزايد، قادت راشيل سيارتها إلى المخرج المعتاد منعطفة بها إلى طريق جانبي خاص، إلى أن وصلت إلى حاجز يقع عند حجرة المراقبة المدججة بالأسلحة. هذا هو طريق ليسبيرغ ذو الرقم 14225، وهو أحد أكثر العناوين سرية في البلاد.

وبينما تفحص الحارس سيارتها بحثاً عن وجود أي أداة تجسس، حدقت راشيل بذلك البناء الضخم البعيد. إنه المجمع الذي يغطي بعظمة مليون قدم مربع على مساحة ثمانية وستين أكراً[4]، محاطاً بالغابات خارج واشنطن في فيرفاكس، فيرجينيا. واجهة المبنى الأمامية مدعمة بزجاج سمح بالرؤية من جانب واحد، وهو بدوره عكس حشداً من أطباق الأقمار الاصطناعية والهوائيات وحاملات الرادار في الأراضي المجاورة، الأمر الذي أدى إلى مضاعفة أعدادها الهائلة أصلاً.

وبعد دقيقتين، أوقفت راشيل سيارتها وعبرت الأراضي المنسقة لتصل إلى المدخل الرئيسي حيث توجد اللافتة الغرانيتية المنقوش عليها:

مكتب الاستطلاع القومي (إن آر أو)

حدق الجنديان المسلحان اللذان يحرسان الباب الدّوار المضاد للرصاص براشيل وهي تمر بينهما. أحست بالشعور نفسه الذي يراودها كلما اجتازت هذه الأبواب... أنها تدخل معدة عملاق نائم.

وفي الردهة المسردبة أحست راشيل بالأصداء الخافتة للمحادثات المكتومة في كل مكان حولها، وكأن الكلمات كانت تتسلل من المكاتب فوقها. انتصبت هناك لوحة فسيفسائية آجرية ضخمة معلنة توجيهات الـ (إن آر أو):

---

4 الأكر: مقياس للمساحة يساوي 4840 ياردة مربعة أو نحو أربعة آلاف متر مربع.

هدفنا جعل معلومات الولايات المتحدة عن العالم
في المقام الأعلى خلال الحرب وأثناء السلم

امتلأت الجدران هنا بالصور الضخمة - إطلاق الصواريخ، تعميد ولادة غواصات جديدة، تنصيب أجهزة الاعتراض التجسسية - إنجازات هائلة لا يمكن الاحتفال بها إلا ضمن هذا المكان.

والآن، كما هو الأمر دائماً، شعرت راشيل أن مشاكل العالم خارج هذا المبنى تتلاشى وراءها. كيف لا، وهي تدخل عالم الظلال. ذلك العالم الذي تعصف فيه المشاكل كالقطارات الثقيلة، ثم تصدر الحلول بأقل من همسة.

عند اقترابها من نقطة المراقبة الأخيرة، أخذت تفكر بالمشكلة التي جعلت البيجر يرن مرتين خلال الثلاثين دقيقة الأخيرة.

"صباح الخير، آنسة سيكستون". قال الحارس مبتسماً وهي تقترب من مدخل الباب الفولاذي.

ابتسمت راشيل بدورها وهي تأخذ ماسحة قطنية صغيرة منه.

"أتعلمين ما يتوجب عليك فعله". قال لها.

أخذت راشيل ماسحة القطن المختومة بعناية وأزالت عنها الغطاء البلاستيكي ثم وضعتها في فمها وكأنها تضع ميزان الحرارة. احتفظت بها تحت لسانها مدة ثانيتين ثم انحنت إلى الأمام تاركة للحارس مهمة إزالتها. وضع الحارس ماسحة القطن المرطّبة على شريحة زجاجية انزلقت ضمن آلة تتوضع بجانبه. استغرقت الآلة أربع ثوانٍ لتتثبت تسلسل الدنا[5] في لعاب راشيل، ثم ومضت الشاشة عارضة صورة راشيل والترخيص بدخولها أمنياً.

غمزها الحارس قائلاً: "يبدو أنك لا تزالين أنت". ثم سحب الماسحة من الآلة وأسقطها في فتحة حيث تم إحراقها على الفور. "استمتعي بالدخول". ضغط أحد الأزرار ففتحت الأبواب الفولاذية الضخمة.

وفي طريقها عبر متاهة الممرات المزدحمة، كانت راشيل مندهشة من شعورها بالرهبة من التأثيرات الضخمة لهذا الفحص رغم أنه مضى على عملها هنا ست سنوات. ذلك أن الوكالة تحتوي على ست وحدات عسكرية أميركية أخرى، فيها أكثر من عشرة آلاف موظف، وبالتالي فإن تكاليف هذا

---

5 الدنا: الحمض النووي الريبي منزوع الأكسجين (DNA).

الفحص تفوق عشرة بليون دولار سنوياً.

أنشأ مكتب الاستطلاع بسرية تامة وحافظ على مؤسسات مذهلة لتصنيع أحدث تقنيات التجسس: أجهزة اعتراض إلكترونية عالمية المجال، أقمار صناعية تجسسية، رقاقات تقوية إشارة صامتة تزرع في معدات الاتصال. حتى إنه أنشأ شبكة استطلاع بحرية عالمية تعرف باسم (الساحر الكلاسيكي) وهي شبكة سرية تتألف من 1456 سماعة مائية مثبتة في أسفل البحار حول العالم، قادرة على مراقبة تحركات السفن في أي مكان من الكرة الأرضية.

هذه التقنيات لم تساعد الولايات المتحدة في كسب صراعاتها العسكرية فحسب، بل إنها تزود بتيارات مستمرة من المعلومات في زمن السلم ترسل لوكالات مثل: وكالة الاستخبارات المركزية، وكالة الأمن القومي، وزارة الدفاع، حيث تساعدها بالقضاء على الإرهاب وتحديد أماكن الجرائم المرتكبة ضد البيئة، كما تعطي صانعي السياسة المعلومات اللازمة لاتخاذ القرارات في عدد كبير من المواضيع.

تعمل راشيل هنا بمثابة 'مختصرة للبيانات'. إن اختصار البيانات يتطلب تحليل التقارير المعقدة وتحويل جوهرها إلى تقارير مختصرة موجزة في صفحة واحدة. أثبتت راشيل أن قدراتها ومهاراتها في العمل طبيعية... فكرت راشيل: كل هذه السنوات التي قضيتها في إزالة المصاعب مع حماقات والدي.

تتزعم راشيل الآن أهم منصب في دائرة اختصار المعلومات في (إن آر أو) – الوسيط الاستخباراتي للبيت الأبيض. كانت مسؤولة عن قراءة التقارير الاستخباراتية اليومية، ثم تقرير أي منها يتعلق بالرئيس ومن ثم اختصارها لتصبح صفحة واحدة من المعلومات يتم إرسالها إلى مستشار الأمن القومي للرئيس. وبلغة ذلك المكتب، فإن عملها عبارة عن 'تصنيع المنتج النهائي وخدمة الزبون'.

وعلى الرغم من صعوبة هذا العمل وتطلبه لأوقات طويلة، إلا أن راشيل تعتبره وسام شرف لها، فهو طريقة تحقق فيها استقلالها عن والدها. وقد عرض السيناتور سيكستون مرات لا حصر لها على راشيل أن يدعمها إذا وافقت على التخلي عن ذلك المنصب، ولكنها لم ترغب بأن تصبح تحت رحمة رجل مثله اقتصادياً. فقد كانت والدتها من قبل شاهدة على ما يمكن أن يحدث عندما يسيطر رجل مثله على الأمر.

انطلق رنين بيجر راشيل محدثاً صدىً في الصالة الرخامية.

مرة ثانية؟ لم تجهد نفسها برؤية الرسالة.

وتساءلت ماذا يحدث بحق الجحيم؟! دخلت راشيل إلى المصعد ثم تجاوزت طابق مكتبها إلى أن وصلت مباشرة إلى الأعلى.

4

أن تصف مدير مكتب الاستطلاع بالرجل العادي هو أمر خاطئ بحد ذاته. إن مدير (إن آر أو) وليام بيكرينغ، شخص صغير القامة، شاحب اللون، ذو وجه يصعب على المرء تذكره، أصلع الرأس مع عينين عسليتين تشبهان بركتين ضحلتين على الرغم من اطلاعهما على أعمق أسرار البلاد. ومع ذلك، فإن هذا الرجل سما على جميع من عمل معه. فقد كانت شخصيته الهادئة وفلسفته البسيطة أسطورتين في مكتب الاستطلاع. كان يلقب بـ "المزلزل"، وذلك لأنه يعمل بصمت، بالإضافة لارتدائه البزّات السوداء البسيطة دائماً. وبسياسة ذكية وكونه قدوة للكفاءة، تمكن "المزلزل" من إدارة عالمه بوضوح منقطع النظير. فقد كان شعاره: "ابحث عن الحقيقة! تصرّف وفقاً لها".

عند وصولها إلى مكتب المدير، كان يتحدث عبر الهاتف. لطالما كانت راشيل منبهرة بمظهره: إن وليام بيكرينغ لا يبدو كشخص يمتلك سلطة تخوله إيقاظ الرئيس أية ساعة شاء.

أنهى بيكرينغ محادثته وأشار إليها أن تدخل. "تفضلي بالجلوس، أيتها العميلة سيكستون". كان لصوته عفويةٌ واضحة.

جلست راشيل "شكراً لك، سيدي".

وعلى الرغم من استياء معظم الناس من تصرفات وليام بيكرينغ الصريحة جداً، كانت راشيل معجبة به دائماً. كان هو النظرية المعاكسة تماماً لوالدها... متواضع جسدياً، ممكن أن يكون أي شيء إلا محباً للسلطة، يقوم بواجبه بوطنية بعيدة عن الأنانية، محاولاً جهده الابتعاد عن الأضواء التي طالما أحبها والدها.

نزع بيكرينغ نظارته وحدق بها. "أيتها العميلة سيكستون، لقد اتصل بي الرئيس منذ حوالى نصف ساعة في إشارة مباشرة إليك".

تحركت في مقعدها، فلقد عُرف عن بيكرينغ وضوحه. يا لها من

افتتاحيةً، قالت لنفسها. "آمل ألا يكون السبب هو خطأ في أحد تقاريري المختصرة".

"على العكس تماماً. لقد قال إن البيت الأبيض معجب بعملك كثيراً".

تنهدت راشيل بصمت: "إذاً ما الذي يريده؟".

"مقابلة معك، شخصياً، وعلى الفور".

تفاقم ارتباكها: "مقابلة شخصية؟! حول ماذا؟".

"يا له من سؤال رائع، ما كان ليخبرني أبداً".

شعرت راشيل الآن بالضياع، فإن إخفاء أية معلومة عن مدير مكتب الاستطلاع هو بمثابة إخفاء أسرار الحكومة البابوية عن البابا. فالأضحوكة المنتشرة في المجتمع الاستخباراتي تقول إنه إذا لم يعلم وليام بيكرينغ عن أمر ما، فإنه لن يحدث.

نهض بيكرينغ ووقف قرب النافذة. "لقد طلب مني الاتصال بك على الفور، وإرسالك للقاء معه".

"الآن؟!".

"لقد أرسل وسيلة لنقلك، وهي تنتظرك خارجاً".

قطبت راشيل وجهها. إن طلب الرئيس بحد ذاته لم يكن يخيفها، ولكنها نظرة القلق التي بدت على وجه بيكرينغ. "من الوضوح أن لديك تحفظات حول ذلك".

"بالتأكيد، لديّ ذلك!" أبدى بيكرينغ ومضة نادرة من المشاعر. "من الواضح أن اختيار الرئيس هذا التوقيت لمقابلتك يدل على عدم الخبرة في ظاهره، فأنت ابنة الرجل الذي يتحداه حالياً في صناديق الاقتراع، وهو يطلب مقابلة خاصة معك؟ أرى أن هذا غير ملائم على الإطلاق، وإن والدك سيوافق على ذلك دون شك".

علمت راشيل بأن بيكرينغ على حق – ولكنها لا تهتم البتة لما سيفكر به والدها. "ألا تثق بدوافع الرئيس؟!".

"إن القَسَم الذي أديته يتطلب مني العمل على تقديم دعم استخباراتي لإدارة البيت الأبيض الحالية، وليس الحكم على سياستهم".

أدركت راشيل... إنها إجابة بيكرينغ النموذجية. كان وليام بيكرينغ واضحاً في نظرته عن السياسيين، فهم مسؤولون مؤقتون عبروا بسرعة لوح

الشطرنج الذي يتألف لاعبوه من رجال مثل بيكرينغ ذاته – سياسيين محنكين مضت عليهم فترة كافية ليتمكنوا من فهم اللعبة من منظور صحيح. كان بيكرينغ يقول مراراً إن فترتي حكم كاملتين في البيت الأبيض لم تكونا كافيتين له لفهم التعقيدات الحقيقية على مسرح الأحداث السياسية العالمية.

"ربما كان طلباً بريئاً"، قالت راشيل وهي تأمل بأن يتعالى الرئيس عن القيام بمثل هذه الأعمال الرخيصة في حملته. "ربما يحتاج إلى اختصار بعض المعلومات الحساسة".

"لا أريد التقليل من شأنك، أيتها العميلة سيكستون، ولكن البيت الأبيض يستطيع الوصول إلى أشخاص ذوي خبرة عالية بالاختصار عند حاجتهم لذلك. وإذا كان أمراً يتعلق بالشؤون الداخلية للبيت الأبيض، فيتوجب على الرئيس أن يكون أكثر عقلانية من الاتصال بك. وإذا لم يكن كذلك، عندها يتوجب عليه أن يكون أكثر عقلانية من أن يطلب شخصاً كفوءاً من مكتب الاستطلاع، ثم يرفض إخباري بما يريده".

لطالما أشار بيكرينغ إلى موظفيه بالأشخاص الأكفياء. وهي طريقة في الحديث يجدها الكثيرون باردة بشكل مربك.

"إن والدك يحقق تقدماً سياسياً هائلاً"، قال بيكرينغ: "الكثير منه، ويجب على البيت الأبيض أن يكون قلقاً حيال ذلك"، قال متنهداً: "إن السياسة عمل يائس، وعندما يطلب الرئيس اجتماعاً سرياً مع ابنة معارضه، أعتقد أن ما يدور في عقله يتجاوز موضوع الاختصارات الاستخباراتية".

شعرت راشيل برعشة خفيفة. فقد كانت أحاسيس بيكرينغ تميل بشكل لا يصدق لأن تكون صحيحة. "وهل تخشى أن يكون البيت الأبيض يائساً لحد يقحمني فيه المعمعة السياسية؟".

صمت بيكرينغ للحظة ثم قال: "إنك لا تكتمين مشاعرك تجاه والدك، ولديّ شك بأن طاقم حملة الرئيس الانتخابية قد لاحظ الخلاف بينكما، ويخطر ببالي أنهم يريدون استخدامك ضده بطريقة ما".

"أين أوقع على هذا؟" قالت راشيل نصف مازحة.

لم يتأثر بيكرينغ بكلامها ثم حدق إليها مقطباً جبينه: "كلمة تحذير أيتها العميلة سيكستون... إذا شعرت أن علاقتك الشخصية مع والدك ستؤثر على محاكمتك في التعامل مع الرئيس، فأنا أنصحك بشدة أن ترفضي طلبه لمقابلتك".

"أرفضه؟!" ضحكت راشيل بينها وبين نفسها بقلق، "أنا بالطبع لا أستطيع رفض مقابلة الرئيس".

"لا"، قال المدير، "ولكن أنا أستطيع!"

لعلعت كلماته قليلاً، مذكراً راشيل بالسبب الآخر الـذي سُـمي بيكرينـغ لأجله بالمزلزل. فعلى الرغم من كونه صغير القامة، إلا أن وليـام بيكرينـغ بإمكانه أن يسبب زلزالاً سياسياً إذا قاومه أحد.

"إن مخاوفي هنا بسيطة"، قال بيكرينغ، "فأنا مسؤول عن حماية الأشخاص الذين يعملون لصالحي، وأنا لا أقبل أن يتورط أحدهم بشكل غـامض بحيـث يستخدم كرهينة في لعبة سياسية".

"ماذا تقترح عليّ فعله؟".

تنهد بيكرينغ: "أنا أقترح أن تقابلي الرئيس، وألا تلتزمـي بـأي شـيء. وعندما يخبرك الرئيس ما الذي يدور في رأسه بحق الجحيم، اتصلي بي. فـإذا شعرت بأنه يلعب لعبة سياسية عنيفة معك، ثقي بأنني سأخرجك منها بسـرعة قبل أن يعلم ذلك الرجل ما الذي أصابه".

"شكراً جزيلاً، سيدي". أحست راشيل بجو من الحماية من قبل المـدير، ذلك الشعور الذي طالما اشتاقت لأن تشعر به من والدها. "أخبرتني أن الرئيس قد أرسل سيارة؟".

"ليس تماماً". قطب بيكرينغ وجه مشيراً إلى خارج النافذة.

ذهبت غير واثقة إلى النافذة وحدقت خارجاً في الاتجاه الذي يشير إليـه إصبع بيكرينغ الممدود.

هناك على العشب، شاهدت مروحية من طراز (إم إتش 60 جي بيفهاوك) قطساء النهاية. إنها إحدى أسرع الطائرات العمودية التي صُنعت حتـى الآن، وكانت مزينة بشعار البيت الأبيض. وقف الطيار بقربها متفحصاً ساعته.

عادت راشيل إلى بيكرينغ غير مصدقة: "لقد أرسل البيت الأبيض طائرة (بيفهاوك) لتقلني خمسة عشر ميلاً إلى واشنطن دي سي؟".

"يبدو أن الرئيس يريد أن يجعلك إما متأثرة أو خائفة". نظر إليها بيكرينغ: أنا أقترح عليك ألا تكوني إحداهما".

أومأت، أنها تشعر بالاثنين معاً.

وبعد أربع دقائق، خرجت راشيل سيكسـتون مـن مكتـب الاسـتطلاع

وصعدت إلى المروحية. وقبل أن تتثبت نفسها، كانت الطائرة تحلق في الهواء عبر غابات فيرجينيا. حدقت راشيل إلى ضباب الأشجار من تحتها، وشعرت بتسارع نبضات قلبها. لقد كان لنبضها أن يزداد أكثر من ذلك لو علمت أن هذه الطائرة لن تصل أبداً إلى البيت الأبيض.

5

أبلت الرياح الباردة القماش الذي صُنعت منه الخيمة الحرارية، لكن دلتا واحد لم يلاحظ ذلك تقريباً. فقد كان هو ودلتا ثلاثة يركزان نظريهما على زميلهما الذي يُدير مقبض التحكم بيده ببراعةِ الجراحين. وكانت الشاشة التي أمامهم تعرض نقلاً مباشراً بالفيديو من كاميرا صغيرة مثبتة على الرّبوط الصغير.

إنه أداة المراقبة الأحدث تقنيةً، فكر دلتا واحد، وهو مذهول في كل مرة يقومون بتشغيله. فمؤخراً، في عالم ميكانيك الآلات الصغيرة، يبدو أن الواقع يسبق الخيال.

كانت الأجهزة الميكانيكية الإلكترونية المصغرة – الربوط الصغير[6] – هي الأداة الأكثر حداثة في أجهزة المراقبة العالية التقنية – كانت تدعى 'تقنية الذبابة على الحائط'.

حرفياً.

وعلى الرغم من أن الربوط المصغر والمزود بتقنية التحكم عن بعد، يبدو خيالاً علمياً، ولكنه في الواقع انتشر منذ التسعينيات من القرن الماضي. وقد قامت مجلة "ديسكفري" بنشر قصة في أيار/مايو عام 1997 تتحدث فيها عن الربوط الصغير ميرزةً شكليه: "الطائر" و"السابح". النمط السابح – هو عبارة عن غواصات بالغة في الصغر بحجم ذرة الملح – يمكن أن يحقن داخل مجرى الدم عند الإنسان، كما في فيلم "رحلة بحرية مذهلة". وهي الآن تستخدم من قبل المؤسسات الطبية المتطورة لمساعدة الأطباء في التجوال عبر الشرايين الدموية عن طريق التحكم عن بعد، ومشاهدة نقل حي بالفيديو داخل الأوردة، وتحديد مواضع الانسدادات الشريانية دون استخدام أي مبضع للجراحة.

وعلى عكس المتوقع، فإن تصنيع ربوط صغير طائر كان مهمة أكثر

---

6 الربوط الصغير: microbot.

بساطة. ذلك أن تقنية علم الديناميكيات الهوائي سمحت بجعل أي آلة قادرةً على الطيران، وقد أصبح ذلك متوفراً منذ إنشاء كيتي هوك[7]، وكل ما تبقَى كان عملية تصغيرها فقط. إن أول ربوط طائر، والمصمم من قبل ناسا كمعدات اكتشافية من دون طيار لمهمات المريخ المستقبلية، كان بطول عدة إنشات. ولكن حالياً، إن التطورات في علم التقنيات المصغرة، والمواد الخفيفة الماصة للطاقة وعلم ميكانيك الآلات الصغيرة، كل ذلك، جعل من الربوط الطائر الصغير حقيقةً واقعة.

إن الاكتشاف الحقيقي المهم قد صدر من قبل العلم الجديد: المحاكيات الحيوية – تقليد الطبيعة الأم. فاليعسوب المصغر، كما اكتُشف فيما بعد، كان النموذج الأولي لهذه الربوطات الصغيرة الطائرة الفعّالة والسريعة. أما الطراز الذي يستخدمه دلتا اثنان فهو (بي إتش 2) الذي يبلغ طوله سنتيمتراً واحداً فقط – بحجم البعوضة – يستخدم زوجاً ثنائياً من الأجنحة الشفافة المفصلية المصنوعة من أوراق السيليكون، مما يعطيها حركة مذهلة وفعّالية عالية في الهواء.

كما أن آلية إعادة شحن الربوط الصغير هي بحد ذاتها اكتشاف آخر. فالنماذج الأولى من الربوط الصغير كانت تقوم بشحن خلايا الطاقة فيها من خلال التحويم مباشرة تحت مصدر ضوئي مشع، وهذا لم يكن مثالياً لمهمات التجسس أو في حال استخدامه في المناطق المظلمة. ولكن النماذج الحديثة، قد أصبح بإمكانها أن تعيد شحن نفسها ببساطة من خلال الوقوف على بعد عدة إنشات من حقل مغناطيسي. وهذا أمر يبعث على الطمأنينة، ففي المجتمع الحديث، تتوافر الحقول المغناطيسية في كل مكان بشكل منظم – مخارج الطاقة الكهربائية، وشاشات الكمبيوتر، والمحركات الإلكترونية، ومكبرات الصوت، وأجهزة الخليوي – وبدا أنه لم يتعرض أحدها لأي نقص في الطاقة. وحالما يتم إدخال الربوط الصغير بنجاح في موقع معين، فإنه يستطيع القيام بالإرسال الصوتي والمرئي بوضوح تام. وهكذا، فإن ربوط (بي إتش 2) المستعمل من قبل دلتا فورس مضى عليه أكثر من أسبوع وهو يبث دون أي مشكلة تُذكر.

الآن، وكحشرة تحوم داخل مبنى ضخم متكهف، كان ذلك الربوط الصغير المحمول في الهواء معلقاً بسكون في الأجواء الهادئة للغرفة المركزية الضخمة. وبمنظر تحليقي إلى الفراغ أسفله، حوّم الربوط بصمت فوق رؤوس

---

7 كيتي هوك: مؤسسة تعنى بشؤون الطيران.

الأشخاص غير المُشتبهين - تقنيين، علماء، اختصاصيين في مجالات لا تحصى من العلوم. وخلال طيران (بي إتش 2)، وقعت عين دلتا واحد على وجهين مألوفين كانا منشغلين بمحادثة ما... يبدو أنهما يتحدثان عن موضوع معين. طلب من دلتا اثنين أن يقترب بالربوط ويصغي لحديثهم.

أدار دلتا اثنان مقبض التحكم، ثم قام بتشغيل الحساسات الصوتية للربوط، ووجه مضخم الصوت ذا القطع المكافئ، وبعدها أخفض الربوط حتى أصبح على بعد عشرة أقدام عن رؤوس العلماء. كان الإرسال ضعيفاً بعض الشيء لكنه كان مفهوماً.

"لا أستطيع التصديق حتى الآن". قال أحد العلماء. إن الإثارة التي ظهرت في صوته لم تنخفض بعد ثماني وأربعين ساعة من دخوله إلى هنا.

كان من الواضح أن الرجل الذي يتحدث معه يشاركه هذا الحماس. هل خطر على ذهنك أنك ستشهد شيئاً مثل هذا خلال حياتك؟".

على الإطلاق". أجابه العالم الآخر بابتسامة عريضة. "إن هذا كله حلم رائع.

استمع دلتا واحد إلى ما يكفيه، فكل شيء في الداخل يجري كما هو متوقع. أدار دلتا اثنان الربوط الصغير بعيداً عن المحادثة وطار به عائداً إلى مخبأه، ثم أوقفه دون أن يكشفه أحد بالقرب من أسطوانة مولد إلكتروني. بدأت خلايا الطاقة في (بي إتش 2) فوراً بإعادة الشحن استعداداً للمهمة القادمة.

6

تاهت افكار راشيل عند رؤيتها مشهد طلوع الشمس العجيب، وذلك عندما كانت البيفهاوك تنقلها مخترقة سماء الصباح، ولم يتسنّ لها أن تدرك أنهم متجهون تماماً في الاتجاه الخاطئ إلا بعد أن مرت المروحية عبر خليج شيسبيك. وعندها تحول الارتباك الذي شعرت به في البداية إلى خوف مروع حالاً.

"هاي!" صرخت راشيل بوجه الملاح. "ماذا تفعل؟" كان صوتها مسموعاً بصعوبة بالغة فوق صوت المراوح. "يفترض بك أن تحلق بي إلى البيت الأبيض!".

هزّ الطيار رأسه: "أنا متأسف يا سيدتي، إن الرئيس ليس في البيت الأبيض هذا الصباح".

حاولت أن تتذكر ما إذا كان بيكرينغ قد أشار بشكل محدد إلى البيت الأبيض، أم أنها افترضت ذلك ببساطة من نفسها. "إذاً أين الرئيس؟".

"ستلتقين معه في مكان آخر".

"تباً، أين هو ذلك المكان الآخر؟".

"ليس بعيداً عن هنا".

"ليس هذا ما سألت!".

"على بعد ستة عشر ميلاً".

عبست راشيل في وجهه، لا بد أنه من رجال السياسة. "هل بإمكانك مراوغة الرصاص كمراوغتك للأسئلة؟".

لم يجبها الطيار.

استغرقت الطائرة أقل من سبع دقائق لتعبر خليج شيسبيك. وعندما ظهرت اليابسة مرة أخرى، توجه الطيار شمالاً، وحام حول جزيرة ضيقة، حيث رأت راشيل سلسلة من المدرجات وأبنية تبدو أنها عسكرية. عندها انحدر الطيار باتجاهها، فعرفت ما هو المكان. لقد كانت منصات إطلاق الصواريخ الستة وأبراج الصواريخ الضخمة دليلاً جيداً لها، ولم يكن ذلك كافياً، فقد طُبع على سطح أحد الأبنية كلمتان كبيرتان: "جزيرة والوبس".

إن جزيرة والوبس هي إحدى أقدم مواقع الإطلاق التابعة لناسا، ولا تزال تستعمل حتى اليوم لإطلاق الأقمار الصناعية ولاختبار الطائرات... إن والوبس هي قاعدة ناسا البعيدة عن الأضواء.

فكرت راشيل هل يعقل أن يكون الرئيس في جزيرة والوبس؟! إن هذا غير معقول!

قام الطيار بتنسيق مساره مع سلسلة من ثلاثة مدرجات ممتدة على طول الجزيرة الضيقة. بدا أنهم متوجهون إلى النهاية البعيدة للمدرج المركزي.

بدأ الطيار يبطئ: "سوف تلتقين بالرئيس في مكتبه".

التفتت راشيل، متسائلة إذا كان هذا الرجل يمزح: "رئيس الولايات المتحدة الأميركية يملك مكتباً على جزيرة والوبس؟".

نظر إليها الطيار بجدية: "إن رئيس الولايات المتحدة يمتلك مكتباً في اي مكان يريده يا سيدتي!".

أشار إلى نهاية المدرج، وهناك رأت راشيل شيئاً ضخماً يبرق من بعيد،

وكاد قلبها يتوقف. فحتى على بعد ثلاثمئة ياردة، استطاعت أن تميز جسم الطائرة الزرقاء الفاتحة اللون طراز (747 مُعدل).

سألتقي به على متن.... .

نعم يا سيدتي، إنه منزله بعيداً عن موطنه".

حدقت راشيل بتلك الطائرة الضخمة. كان التصميم العسكري السري لهذه الطائرة المَهيبة هو (في سي 25 أي) على الرغم من أن العالم بأسره يدعوه باسم آخر: طائرة رئيس الولايات المتحدة الأميركية... إير فورس ون.

"يبدو أنك ستلتقين به في الطائرة الجديدة هذا الصباح". قال الطيار مشيراً إلى الأرقام المكتوبة على جُنيّح نهاية الطائرة. هزّت راشيل رأسها مشدوهةً... إن القليل من الأميركيين يعلمون أنه في الواقع يوجد طائرتان خاصتان تحت خدمة رئيس الولايات المتحدة – زوج متماثل من الطائرة طراز (747 – 200 – بي إس) معدلة بشكل خاص، إحداهما تملك على ذيلها الرقم 28000 والثانية 29000. ولكليهما سرعة انطلاق مثالية تعادل 600 ميل في الساعة، وقد تمّ تعديلهما للتمكن من تعبئة الوقود جواً، مما يعطيهما مدىً غير محدود للطيران.

عندما استقرت البيفهاوك على المدرج بجوار طائرة الرئيس، أدركت راشيل عندها سبب الإشارة إلى طائرة الرئيس بأنها: "ميزة القصر الرئاسي المحمول"، فتلك الطائرة ذات منظر مثير للخوف.

كان من عادة الرئيس عندما يسافر إلى البلدان الأخرى ليجتمع بأصحاب السلطة، أن يطلب غالباً – من أجل أغراض أمنية – الاجتماع على متن طائرته في المدرج. وعلى الرغم من أن بعض الدوافع كانت أمنية، إلا أن هدفه الآخر هو بالتأكيد كسب المفاوضات من خلال إثارة الرعب. فإن زيارة تلك الطائرة الرئاسية كانت مثيرة للخوف أكثر من أي رحلة إلى البيت الأبيض.

وعلى جسم الطائرة كُتبت مجموعة من الحروف بارتفاع ستة أقدام (1.8 متر) معلنة بفخر: "الولايات المتحدة الأميركية". وذات مرة، اتهمت مستشارةٌ بريطانية الرئيسَ الأميركي نيكسون بأنه قد "لوح بعضوه أمام وجهها"، وذلك عندما طلب منها الانضمام إليه على متن طائرة الرئاسة الرسمية. وبعدها، أطلق الطاقم على سبيل الدعابة اسم "العضو الذكري الكبير" على الطائرة.

"آنسة سيكستون؟" فجأة ظهر ضابط سري، يرتدي سترة فضفاضة، خارج الطائرة وفتح لها الباب. "إن الرئيس بانتظارك".

خرجت راشيل من الطائرة وحدقت إلى السلم المنحدر من جسد الطائرة. باتجاه الفالوس[8] الطائر، قالت لنفسها: سمعت ذات مرة أن مساحة "مكتب رئيس الولايات المتحدة" في الطائرة تبلغ أربعة آلاف قدم مربعة، ويتضمن أربعة أجنحة للنوم خاصة ومستقلة، وفيها أسرّة تكفي لستة وعشرين شخصاً، بالإضافة إلى مطبخين مزودين بإمكانية تقديم الطعام لخمسين شخصاً.

شعرت راشيل وهي تصعد السلم بأن الضابط السري على مقربة كبيرة منها، يستعجلها بالصعود إلى الأعلى. وهناك، كان باب الحجرة مفتوحاً كجرح صغير في جنب حوت فضي ضخم. تحركت باتجاه المدخل المظلم، وأحست بأن ثقتها بنفسها بدأت تتناقص.

هوني عليك يا راشيل، إنها مجرد طائرة.

وعلى منبسط السلم، أمسك الضابط بذراعها وأرشدها إلى معبر ضيق بشكل مفاجئ ثم توجها نحو اليمين وسارا لمسافة قصيرة إلى أن وصلا حجرة فسيحة مُترفة عرفتها راشيل على الفور من خلال لوحاتها.

انتظري هنا، قال الضابط ثم اختفى.

وقفت راشيل وحيدة في القاعة الأمامية الشهيرة ذات الجدران الخشبية على متن الطائرة. هذه الغرفة التي تستخدم من أجل الاجتماعات، وترفيه أصحاب السلطة، والتي يبدو أنها تستخدم أيضاً من أجل إثارة الرعب عند المسافرين على متنها لأول مرة. كانت الغرفة تمتد على عرض الطائرة كلها، وكذلك السجادة السميكة البنية التي غطت أرضها. كان أثاثها رائعاً - كراسٍ مصنوعة من الجلد الفاخر التفت حول طاولة الاجتماعات المصنوعة من خشب القيقب المنقوش بعلامات تشبه عين الطائر، وأضواء أرضية نحاسية لامعة بجانب أريكة أوروبية الصنع، وأوانٍ زجاجية ذات كريستال مثبت يدوياً موضوعة على طاولة للشراب خشبية بنية محمرة اللون.

ويفترض أن مصممي البوينغ قد أنشأوا هذه القاعة بدقة، وذلك ليعطوا المسافرين "الشعور بالأناقة ممزوجاً بالهدوء". ولكن، الشعور بالهدوء كان آخر شيء تشعر به راشيل سيكستون في هذه اللحظة. إن الشيء الوحيد الذي تستطيع التفكير به هو عدد رؤساء العالم الذين جلسوا في هذه الغرفة وأصدروا قرارات أعطت العالم شكله.

---

8 الفالوس: رمزٌ أو صورة للقضيب أو آلة الرَّجل.

كان كل شيء في هذه الغرفة يتحدث بالقوة، ابتداءً من الرائحة الخفيفة لتبغ الغليون. وصولاً إلى الشعار الرئاسي المنتشر في كل مكان. فقد كانت صورة النسر الحامل للأسهم وأغصان الزيتون مطرزة على الوسادات الصغيرة، ومنقوشة على إناء الثلج، حتى إنها كانت مطبوعة على الصحون الواقية الفلينية الموضوعة على طاولة الشرب. التقطت راشيل أحدها وبدأت تتفحصه.

"أتسرقين تذكاراً؟" سألها صوت عميق من خلفها.

مذعورة، التفتت راشيل. فسقط الصحن على الأرض. انحنت محرجة لتلتقطه، وبينما هي تمسكه استدارت لترى رئيس الولايات المتحدة يحدق بها بابتسامة مضحكة.

"أنا لست ملكاً، آنسة سيكستون. ليس هناك حاجة للركوع"

7

كان السيناتور سيدجويك سيكستون يتمتع بعزلته في سيارته الليموزين الطويلة من طراز (لينكولن)، تعبر ازدحام واشنطن الصباحي باتجاه مكتبه. إلى جانبه مساعدته الشخصية، غابرييل آش، البالغة من العمر أربعة وعشرين عاماً، تقرأ له جدوله اليومي. لم يكن يستمع لها تقريباً.

أحب واشنطن، فكر بذلك، معجباً بمظهر مساعدته الرائع، وهي ترتدي كنزتها الكشميرية. السلطة هي المثير الأعظم للشهوة... فهي تحضر نساءً مثل هذه إلى واشنطن بأعداد هائلة.

كانت غابرييل طالبة في إحدى جامعات نيويورك العريقة، وتحلم بأن تصبح سيناتوراً في أحد الأيام... فكر سيكستون، ستنجح بذلك. فقد كانت مذهلة الجمال وحادة كالسوط. وفوق كل ذلك، فهي تفهم قواعد اللعبة.

كانت غابرييل آش سوداء اللون، ولكن سمرتها المصفرة تميل إلى الحمرة أكثر. ذلك النوع من الأشخاص المُريحين الذين عرف سيكستون بأنه يمكنهم الحصول على دعم البيض الطيبي القلوب دون أن يشعروا بأنهم يفرطون بشيء من ممتلكاتهم. يصف سيكستون غابرييل لأصدقائه المقربين بأنها تشبه جمال (هالي بيري)، كما تمتلك طموح (هيلاري كلينتون) وعقلها، على الرغم من أنه في بعض الأحيان يعتبر هذا إنقاصاً من قدرها.

لقد أثبتت غابرييل كفاءتها العالية خلال حملة السيناتور منذ أن تمت ترقيتها لتصبح مساعدته الشخصية في الحملة قبل ثلاثة أشهر. وفوق كل هذا، فهي تعمل دون أجر، ذلك أن ما يعوضها عن عملها مدة ست عشرة ساعة يومياً أنها تتعلم القتال في ميادين الحياة بصحبة سياسي محنك.

وبالطبع، حدث سيكستون نفسه راضياً، لقد أقنعتها أن تقوم بأكثر من مجرد العمل. فبعد قيامه بترقية غابرييل، دعاها سيكستون مساءً 'للقاء يدل على تطور علاقتهما' في مكتبه الخاص. وكما هو متوقع، وصلت مساعدته الشابة مصعوقة بنجوميته ومتلهفة لإسعاده. وبصبر بطيء، اكتسبه سيكستون عبر العقود، ألقى سيكستون سحره... معززاً بذلك ثقة غابرييل، ونازعاً بكل حرص ما يكبتها، وعارضاً إغراءه المسيطر، وأخيراً، قام بإغوائها جنسياً هناك في مكتبه.

لم يكن لدى سيكستون أدنى شك في أن ذلك اللقاء هو واحد من أكثر التجارب الجنسية إرضاءً بالنسبة لامرأة شابة، ومع ذلك فقد بدت غابرييل، في صبيحة اليوم الثاني، نادمةً على حماقتها. وقد عرضت تقديم استقالتها محرجة من ذلك، ولكن سيكستون رفضها. استمرت غابرييل، ولكن منذ ذلك الحين أصبح هدفها واضحاً جداً، وبالتالي تحولت العلاقة بينهما إلى علاقة تخص العمل فحسب.

كانت شفتا غابرييل المبوزتان لا تزالان تتحركان "... لا أريد إخماد حماسك للذهاب إلى المناظرة في قناة (سي إن إن) بعد ظهر هذا اليوم. فإننا لا نعلم حتى الآن من سيرسل البيت الأبيض لمناظرتك. لا بد أن تمعن النظر في هذه الملاحظات التي كتبتها". ثم سلمته مصنفاً.

أخذ المصنف مستمتعاً برائحة عطرها الممزوجة مع رائحة المقاعد الجلدية الفاخرة.

"إنك لا تصغي إليّ". قالت غابرييل.

"أنا بالطبع أستمع إليكِ" قال مبتسماً. "لا تهتمي لأمر تلك المناظرة، ففي أسوأ الحالات سيعاملني البيت الأبيض بازدراء ويرسل إليّ أحد متدربي الحملات المتدني المستوى، وفي أحسنها سيرسل شخصاً آخر عظيم الشأن فألتهمه على الغداء".

قطبت غابرييل: "حسناً لقد أرفقت مع هذا المصنف قائمة بالمواضيع

العدائية التي يمكن أن تُطرح عليك".

"إنها الاشتباهات المعتادة من دون شك".

"أحد هذه الاشتباهات الجديدة... أنك قد تواجه ردة فعل عدائيّة وقوية من مجتمع اللواطيين، بسبب تعليقاتك الليلة الماضية في برنامج (لاري كينغ)".

هزّ سيكستون كتفيه وهو لا يستمع إليها تقريباً: "حسناً إنها مسألة الزواج من الجنس نفسه".

نظرت إليه غابرييل مستنكرة: "لقد أدنت ذلك بشدة".

الزواج من الجنس نفسه، فكر سيكستون باشمئزاز، لو كان الأمر بيدي لما كان لأولئك أي حق بالتصويت حتى. "حسناً سأطوي هذه الصفحة".

"جيد، لقد حققت تغييراً في مثل هذه المواضيع الحامية مؤخراً. ولكن لا تتفاخر بنفسك كثيراً، فيمكن أن تتقلب الجماهير ضدك بلحظة. إنك تربح الآن، ولديك ما يدفعك إلى الأمام، فانتهز ذلك. ليس هناك حاجة لأن تُبعد الكرة عن الملعب اليوم... أبقها في اللعب".

"هل هناك أية أخبار من البيت الأبيض؟"

بدت غابرييل محتارة بشكل مفرح: "تابع صمته، لقد أصبح الأمر رسمياً... إن خصمك قد أضحى 'الرجل الخفي'".

إن سيكستون يستطيع بصعوبة بالغة تصديق حظه الجيد في الآونة الأخيرة. فلأشهر خلت، كان الرئيس يعمل بجد من أجل حملته، وفجأة منذ حوالى أسبوع، أغلق على نفسه في مكتبه الرئاسي، ولم يره أو يسمع عنه أحد منذ ذلك الوقت. فبدا الأمر وكأن الرئيس ببساطة لم يستطع مواجهة ازدياد عدد المصوتين لصالح سيكستون.

مررت غابرييل يدها على شعرها الأملس الأسود: "لقد سمعت أن طاقم الحملة الانتخابية في البيت الأبيض مرتبك مثلنا تماماً. فلم يقدم الرئيس أية توضيحات لسبب اختفائه، والجميع هناك مهتاج لذلك".

سأل سيكستون: "هل هناك أية تفسيرات؟".

حدقت غابرييل فيه عبر نظارتها الخاصة بالمثقفين: "كما توضح لي، لديّ بعض المعلومات المثيرة التي وصلتني هذا الصباح من عميل لي في البيت الأبيض".

لاحظ سيكستون النظرة في عينيها، لقد استطاعت غابرييل آش أن تحصل

على معلومات داخلية مرة ثانية. تساءل سيكستون فيما إذا كانت غابرييل تقوم بإرضاء أحد مساعدي الرئيس جنسياً مقابل حصولها على معلومات سرية عن الحملة. لم يبال سيكستون لذلك... طالما أن المعلومات لا تزال تصل إليه.

قالت مساعدته خافضة صوتها: "تقول الإشاعات إن تصرفات الرئيس الغريبة بدأت منذ الأسبوع الماضي وذلك بعد التقرير الخاص الطارئ من مدير ناسا". وعلى ما يبدو أن الرئيس خرج من اللقاء مرتبكاً، وفوراً أنهى جدول أعماله وظل على اتصال مفتوح بناسا منذ ذلك الحين".

وبالتأكيد أعجب سيكستون بما سمعه: "أتعتقدين أن ناسا قدمت المزيد من الأخبار السيئة؟".

"يبدو أن هذا تفسير منطقي"، قالت متفائلة، "على الرغم من أن ذلك يجب أن يكون مهماً بشكل كاف ليجعل الرئيس يتخلى عن كل شيء".

فكر سيكستون بذلك. فقد كان واضحاً أن كل ما يجري في ناسا لا بد أن يكون أخباراً سيئة، وإلا لأظهره الرئيس ضدي. كان سيكستون مؤخراً يُقارع الرئيس بقوة لقيامه بتمويل ناسا. فبسبب سلسلة المهمات الأخيرة المخفقة لوكالة الفضاء، والميزانية الضخمة التي تخطت حدودها، اكتسبت ناسا الشرف الملطخ بأن تصبح المثال النموذجي غير الرسمي لسيكستون ضد مصاريف الحكومة الكبيرة وعجزها. وباعتراف من قبل الجميع، كانت مهاجمة ناسا – أحد أعظم الرموز التي تفتخر بها الولايات المتحدة – طريقة غير مطروقة من قبل السياسيين في سبيل كسب الأصوات، ولكن سيكستون امتلك سلاحاً قل ما يمتلكه غيره – غابرييل آش... وحدسها الذي لا يخطئ.

لقد لفتت هذه الشابة الذكية انتباه سيكستون منذ عدة أشهر عندما كانت تعمل كمنسقة في مكتب سيكستون لحملة واشنطن. ورداً على نتائج سيكستون السيئة في الانتخابات الأولية، وخطاباته التي تتحدث عن المصاريف الزائدة للحكومة التي لم تلقَ أية انتباه، كتبت غابرييل آش ملاحظة له تقترح فيها وجهة نظر جديدة ومختلفة جذرياً لحملته الانتخابية. أخبرت السيناتور أنه يجب عليه مهاجمة تجاوزات ناسا الهائلة للميزانية، والمأزق المالية المستمرة كمثال رئيسي عن الإنفاقات الزائدة والطائشة للرئيس هيرني.

"إن ناسا تكلف الأميركيين ثروة طائلة"، هذا ما كتبته غابرييل، وتضمن ذلك قائمة من الإحصائيات المالية والخسرانات والإنفاذات المالية التي قدمت.

ليس لدى المصوتين أية فكرة عن هذا الموضوع، وسيكونون مذعورين عند السماع به. أعتقد أنه يتوجب عليك أن تجعل من ناسا مسألة سياسية".

همهم سيكستون ساخراً من سذاجتها: "حسناً، وبينما أنا أقوم بذلك، أستتكر القيام بغناء النشيد الوطني في ملاعب البيسبول".

خلال الأسابيع التي تلتها، تابعت غابرييل تقديم المعلومات عن ناسا إلى مكتب السيناتور. وكلما قرأ سيكستون المزيد، ازداد إدراكه أن هذه الفتاة محقة. فحتى بالقياس مع معايير الحكومة، كانت ناسا حفرة بالعة للأموال بشكل مذهل، فهي مكلفة كثيراً وغير فعالة. وفي السنوات الأخيرة، أثبتت أنها غير مؤهلة للعمل على الإطلاق.

وفي عصر أحد الأيام حينما كان سيكستون في لقاء مباشر على الهواء يتحدث عن التعليم، هاجمه المضيف بسؤال عن المصدر الذي سيحضر منه سيكستون الأموال التي يعد فيها بإصلاح المدارس الحكومية. ورداً على ذلك قرر سيكستون أن يختبر رأي غابرييل عن ناسا، فأجابه بقليل من المزاح: "حسناً، ربما سأقوم بتخفيض برنامج الفضاء إلى النصف. لقد وجدت أنه إذا كان بإمكان ناسا أن تنفق خمسة عشر بليوناً سنوياً في الفضاء، عندها يتوجب عليّ أن أكون قادراً على إنفاق سبعة بلايين ونصف على الأطفال هنا على الأرض".

هناك في غرفة البث، كادت أنفاس مدير حملة سيكستون تتوقف لسماع هذه الملاحظة الطائشة، فإذا أخذنا جميع الحملات بعين الاعتبار نجد أن إحداها لم تجرؤ على انتقاد ناسا. وعلى الفور، علا رنين أحد خطوط الهاتف في محطة الراديو. انكمش مديرو حملة سيكستون خوفاً... لا بد أنهم من أنصار الفضاء وقد اجتمعوا لقتلنا.

وفجأة، حدث شيء لم يكن متوقعاً.

"أتقول خمسة عشر بليوناً سنوياً؟" قال المتصل الأول وقد بدا عليه الشعور بالصدمة. "وبعد أن نال علامة ب، هل تقول إن درس الرياضيات الذي يُعطى لولدي مزدحم جداً بسبب عدم وجود المال اللازم للمدرسين، وناسا تنفق خمسة عشر بليون دولار سنوياً من أجل التقاط صور لغبار الفضاء؟".

"حسناً... إن هذا صحيح". قالها سيكستون بحذر.

"يا له من سخف! أيمتلك الرئيس سلطة كافية تجعله يقوم بشيء حيال ذلك؟".

"بالتأكيد"، أجاب سيكستون مستعيداً ثقته بنفسه: "يستطيع الرئيس رفض أية ميزانية تطلبها أية وكالة إذا رأى أنها تتطلب الكثير".

"إذاً، لك صوتي حضرة السيناتور سيكستون، خمسة عشر بليوناً لأبحاث الفضاء ولا يتوفر لأطفالنا المدرسون. يا له من أمر فظيع! حظاً موفقاً سيدي، أتمنى لك النجاح حتى النهاية".

متصل آخر جاء على الخط: "حضرة السيناتور، لقد قرأت للتو أن ميزانية محطة الفضاء العالمية التابعة لناسا زائدة كثيراً، ويفكر الرئيس في تمويلها سريعاً للمحافظة على استمرار هذا المشروع. هل هذا صحيح؟".

أجاب السيناتور بلهفة: "صحيح!" ثم بدأ يوضح أن محطة الفضاء هي في الأصل مشروع مشترك تضمن اثني عشر بلداً يتقاسمون تكلفته. ولكن بعد البدء بالبناء، أخذت ميزانية المحطة تزداد بشكلٍ هائل خارجٍ عن السيطرة، لذلك انسحب العديد من البلدان باشمئزاز. وبدلاً عن إيقاف المشروع، قرر الرئيس أن يتحمل هو جميع النفقات. "وقد ارتفعت كلفة هذا المشروع التي خصصت له" أعلن سيكستون: "من ثمانية بلايين دولار مخصصة أصلاً إلى رقم مذهل بلغ مئة بليون دولار!".

بدا على المتصل الغضب الشديد: "لماذا بحق الجحيم لا ينهي الرئيس هذا العمل؟".

تمنى سيكستون أن يقبّل ذلك الفتى، "يا له من سؤال رائع! لسوء الحظ، إن ثلث احتياجات البناء قد أصبحت في المدار، وقد أنفق الرئيس أموال ضرائبكم لوضعها هناك. لذا فإن التوقف عن دعمها سيكون اعترافاً من قبله بأنه قد أضاع عدة بلايين من الدولارات التي هي أصلاً نقودكم".

تواصلت المكالمات ولأول مرة بدا أن الأميركيين قد أدركوا أن فكرة ناسا هي خيار لهم – وليست أحد الثوابت القومية.

وعندما انتهى اللقاء، باستثناء القلة من المتعصبين الذين يدعون إلى مقدمات مؤثرة حول حاجة الإنسان الأبدية للمعرفة، كان الإجماع العام: إن حملة سيكستون قد تعثرت بالكأس المقدسة التي استطاعت عبرها الفوز بالناخبين – مثير جديد للمشاعر – قضية جدلية غير مطروقة من قبل سحرت أعصاب الناخبين.

وفي الأسابيع التالية، هزم سيكستون خصومه في خمسة انتخابات

عصبية، وأعلن غابرييل آش كمساعدته الشخصية الجديدة في الحملة، وذلك تقديراً منه على جهودها في تقديم معلومات تتعلق بناسا. وبتلميحة من يده جعل سيكستون من تلك الشابة الأميركية من أصل أفريقي نجمة سياسية لامعة، وبذلك قضى فوراً على سجله المتعلق بتعصبه الجنسي والعرقي.

الآن، بينما هما جالسان في سيارته الليموزين، أدرك سيكستون أهمية غابرييل ثانية، عندما قدمت له معلومات جديدة حول الاجتماع السري الذي تم بين مدير ناسا والرئيس، والذي يشير بالتأكيد إلى حدوث مشكلة جديدة - ربما انسحاب جديد لبلد آخر من تمويل محطة الفضاء.

وبينما تعبر سيارة الليموزين النصب التذكاري لواشنطن، لم يستطع السيناتور سيكستون أن يتحاشى الشعور بأنه مبارك من القدر.

8

على الرغم من وصوله إلى المكتب السياسي لأعظم سلطة في العالم، فإن الرئيس زكاري هيرني كان متوسط الطول، مع بنية نحيلة وأكتاف ضيقة. وجهه يغطيه النمش، مع نظارة ثنائية البؤرة، وشعر خفيف أسود اللون. إن بنية هذا الرجل المتواضعة تتناقض بشكل تام مع الحب الكبير الذي حصل عليه من أولئك الذين عرفوه. وقد قيل إنك لو قابلت الرئيس زاك مرة، فإنك ستمشي إلى نهاية الأرض من أجله.

"سعيد لأنك استطعت القيام بها". قال الرئيس هيرني وهو يمد يده لمصافحة يد راشيل. لقد كانت مصافحته دافئة وصادقة.

قاومت راشيل البحة في حنجرتها: "بـ... الطبع، حضرة الرئيس. إنه شرف لي أن ألتقي بك".

قدم الرئيس لها ابتسامة مريحة لأعصابها. وبذلك عرفت راشيل مصدر أسطورة هيرني في حسن المعاشرة. إن الرزانة الهادئة التي يمتلكها هذا الشخص أكسبته محبة رسامي الشخصيات الكرتونية السياسية، لأنهم مهما حاولوا تحريف رسم شخصيته إلا أنهم لا يستطيعون إغفال دفئه العفوي وابتسامته الودودة. وقد عكست عيناه الإخلاص والوقار في جميع الأوقات.

"لو سمحت أن تتبعيني"، قال بصوت مبتهج. "فلديّ كوب من القهوة مدون اسمك عليه".

"شكراً لك، سيدي".

ضغط الرئيس على الهاتف الداخلي وطلب إحضار بعض القهوة إلى مكتبه.

وبينما راشيل تتبع الرئيس عبر الطائرة، لم تستطع إلا أن تلاحظ أنه يبدو سعيداً جداً ومطمئناً كثيراً، وكأنه لم يكن في أدنى مستوى في صناديق الاقتراع. كان يرتدي ثياباً غير رسمية – بنطال جينز أزرق وقميصاً قطنياً وحذاء للمشي من ماركة (ل. ل. بين).

أرادت راشيل محادثته: "أتقوم... بنزهة سيراً على الأقدام، حضرة الرئيس".

"أبداً، على الإطلاق، ولكن مرشدي حملتي قرروا أن هذا يجب أن يكون مظهري الجديد، ما رأيك؟".

تمنت راشيل من أجل كرامته ألا يكون جاداً: "إنه حقاً... رجولي كثيراً، سيدي".

كان وجه هيرني خالياً كلياً من التعابير: "جيد، فنحن نعتقد أن هذا سيجعلنا نستعيد أصوات بعض النساء التي كسبها والدك". وبعد لحظة، انفجر الرئيس بضحكة عريضة: "آنسة سيكستون، لقد كانت هذه مزحة. أعتقد أن كلينا يعلم أنني سأحتاج إلى أكثر من قميص قطني وبنطال جينز أزرق للفوز بهذه الانتخابات".

لقد طردت صراحة الرئيس ومزاجه الجيد بسرعة شعورَ التوتر الذي أحست به راشيل لوجودها هناك. فلقد عوض الرئيس عن النقص في بنية جسده العضلية بالكثير في ألفته السياسية. إن الدبلوماسية تتعلق بمهارات الناس وقد أعطي زاك هيرني هذه الهبة.

تبعت راشيل الرئيس في توجهه إلى نهاية الطائرة. وكلما مضيا إلى الداخل أكثر، قلّ شبهها بالطائرة – مداخل منحنية وجدران ورقية، بالإضافة إلى غرفة تمارين مزودة بأجهزة رياضية من ماركة (ستير ماستر) وأجهزة لياقة جسدية. وعلى غير المعتاد، بدت الطائرة من الداخل وكأنها صحراء مقفرة.

"أتسافر وحدك، سيدي الرئيس؟".

هزّ رأسه: "في الواقع، قد حططت للتو".

تفاجأت راشيل، حطّ من أين؟ لم تتضمن تقاريرها السرية هذا الأسبوع

أية معلومات عن مشروعات لسفر الرئيس. يبدو أنه كان يستخدم جزيرة والويين للسفر بهدوء.

"لقد ترجل الطاقم من الطائرة للتو قبل وصولك"، قال الرئيس: "وأنا متوجه إلى البيت الأبيض قريباً لملاقاتهم، ولكن أردت الاجتماع بك هنا بدلاً من مكتبي".

"محاولة منك لإخافتي؟".

"على العكس، محاولاً احترامك. إن البيت الأبيض يحتوي على كل شيء ما عدا الخصوصية. وإن أخبار اجتماعنا سوف تجعلك في وضع محرج مع والدك".

"أقدر لك هذا، سيدي".

"يبدو أنك تتدبرين القيام بتوازن دقيق على نحو رائع، ولا أرى حاجة لأن أُطيل عليك ذلك".

تذكرت راشيل على الفور لقاء الفطور مع والدها وشكّت في أنه يُعتبر رائعاً. على أية حال، كان زاك هيرني يقوم بأكثر من اللازم ليشعرها بلطفه، وبالتأكيد لا يتوجب عليه ذلك.

"هل يمكنني أن أناديك راشيل؟" سأل هيرني.

"بالطبع". هل يمكنني أن أناديك زاك، قالت لنفسها.

"مكتبي"، قال الرئيس مُدخلاً إياها عبر باب خشبي مزخرف.

إن هذا المكتب الذي على متن طائرة الرئيس هو أكثر حميمية من نظيره في البيت الأبيض. ولكن أثاثه لا يزال يحمل طابع القوة. لقد امتلأ المكتب بأكوام الأوراق وخلفه عُلّقت صورة زيتية مهيبة من الأدب الكلاسيكي – مركب ذي ثلاثة صواري يحاول أن ينجو بسرعة من عاصفة ثائرة. وعلى ما يبدو أنها استعارة رائعة عن وضع زاك الرئاسي في الوقت الحالي.

قدم الرئيس لراشيل واحداً من الكراسي الثلاثة المخصصة للموظفين الإداريين قبالة مكتبه. وقد توقعت راشيل أن يجلس على مكتبه، ولكن بدلاً من هذا سحب أحد الكراسي وجلس قربها.

قالت لنفسها، يجلس على نفس النسق، إنه سيد العلاقات الحميمة.

"حسناً، راشيل" قال هيرني، يتنهد متعباً بينما يجلس على كرسيه. "يُخيل إليّ أنك تشعرين بارتباك بعيد الحدود بسبب جلوسك هنا الآن، هل أنا محق؟"

مهما تُرك لراشيل لتحتمي به كان قد تلاشى بعيداً أمام صراحة هذا الرجل.

"في الواقع، سيدي، أنا مرتبكة".

ضحك الرئيس بصوت مرتفع: "رائع، إنني لا أستطيع في كل يوم أن أجعل شخصاً من مكتب الاستطلاع مرتبكاً".

"ليس كل يوم تتم دعوة شخص من مكتب الاستطلاع على متن طائرة الرئيس وهو يرتدي حذاءً للمشي".

ضحك الرئيس مرة أخرى.

نقرة هادئة على باب المكتب أعلنت وصول القهوة، ثم دخلت امرأة من طاقم الطائرة حاملة صينيّة عليها آنية بيوترية[9] يتصاعد منها البخار وكوبان بيوتريان. وبأمر من الرئيس، وضعت الصينية على المكتب ثم اختفت.

"أترغبينها مع القشدة والسكر؟" سألها الرئيس وهو واقف ليسكب.

"القشدة فقط، من فضلك". استمتعت راشيل بشذى الرائحة المترفة. رئيس الولايات المتحدة الأميركية شخصياً يقدم إليّ القهوة؟! قالت لنفسها.

قدم إليها الرئيس كوباً بيوترياً مليئاً. "إنه من ماركة (پاول ريفير)"، قال الرئيس، "أحد وسائل الترفيه الرائعة".

ارتشفت القهوة فكانت أفضل قهوة تذوقتها في حياتها.

"على أية حال"، قال الرئيس وهو يسكب لنفسه كوباً من القهوة ويجلس في مكانه: "إن وقتنا محدد، لذا سنتحدث عن العمل مباشرة". وضع الرئيس مكعباً من السكر في قهوته وحدق بها: "أظن أن بيل بيكرينغ قد حذرك من أن السبب الوحيد وراء حاجتي لرؤيتك هو استخدامك لفائدة سياسية".

"في الواقع، سيدي، هذا ما قاله بالتحديد".

ابتسم الرئيس: "متشائم دائماً".

"إذاً، هل هو مخطئ؟".

"أتمزحين؟!" ضحك الرئيس: "إن بيل بيكرينغ لا يخطئ على الإطلاق. إنه محق كعادته".

9

شردت غابرييل بنظرها خارج نافذة سيارة الليموزين الخاصة بالسيناتور سيكستون وهي تعبر الشوارع المزدحمة في الصباح متوجهة إلى بناء مكتب سيكستون. وتساءلت كيف، بحق الجحيم، وصلت إلى هذه المرحلة في حياتها –

---

9 آنية بيوترية: آنية مؤلفة من القصدير والنحاس.

مساعدة شخصية للسيناتور سيدجويك سيكستون، هذا هو بالفعل ما أرادته، أليس كذلك؟

أنا أجلس في سيارة الليموزين مع الرئيس المقبل للولايات المتحدة، قالت لنفسها.

ثم حدقت، من داخل السيارة ذات القماش المترف، بالسيناتور، الذي بدا هو الآخر يحلق بعيداً بأفكاره. لقد أعجبت بوسامته وملابسه الرائعة. إن مظهره رئاسي.

كانت أول مرة سمعت فيها غابرييل خطاباً لسيكستون وهي لا تزال طالبة تختص بالعلوم السياسية في جامعة (كورنيل) منذ ثلاث سنوات. ولن تنسى أبداً كيف سبرت عيناه الجماهير، وكما لو كان يرسل إليها رسالة مباشرة – ثقي بي. وبعد انتهاء خطاب سيكستون، انتظرت غابرييل في الطابور لملاقاته.

"غابرييل آش". قال السيناتور وهو يقرأ بطاقتها الاسمية. "اسم جميل لشابة جميلة".

"شكراً، لك سيدي". أجابته غابرييل، وهي تشعر بقوة الرجل يصافح يدها. "لقد تأثرت حقاً بكلمتك".

"مسرور لسماع هذا"، دفع في يدها بطاقة زيارة: "إنني أبحث دائماً عن العقول الشابة الذكية التي تشاركني رؤياي، عندما تتخرجين من مدرستك، تعقبي أثري، فربما سيجد أناسي عملاً لك".

فتحت غابرييل فمها لتشكره، ولكن السيناتور كان قد انتقل إلى الشخص التالي المصطف في الطابور. على أية حال، خلال الأشهر التالية، وجدت غابرييل نفسها تتعقب حياة السيناتور في التلفاز. وقد شاهدته بإعجاب وهو يتحدث ضد مصاريف الحكومة الكبيرة – منتزعاً التخفيضات في الميزانية، ومنظماً مركز الضرائب الأميركية ليجعله أكثر فعالية، ومخفضاً من المصاريف الزائدة في إدارة تطوير الدواء، بالإضافة إلى إنهاء الأنظمة المدنية الزائدة عن الحاجة.

وبعدها، عندما توفيت زوجته فجأة في حادث اصطدام سيارة، راقبت غابرييل بتأثر شديد كيف قام سيكستون بطريقة ما بتحويل السلبية إلى الإيجابية. فبعد أن تغلب على ألمه الشخصي، صرح للعالم أنه سيخوض معركة

انتخابية من أجل الرئاسة وسيكرس كل ما تبقى من خدمته عند الدولة لإحياء ذكرى زوجته. قررت غابرييل عندها وعلى الفور أن تعمل عن كثب في حملة سيكستون الرئاسية.

والآن، حصلت على أقرب منصب يمكن الوصول إليه.

تذكرت غابرييل تلك الليلة التي قضتها مع سيكستون في مكتبه المترف. انكمشت محاولة أن تعيق تلك التخيلات المحرجة التي ظهرت في ذهنها. بماذا كنت أفكر؟ لقد علمت أنه كان عليها المقاومة ولكن بطريقة ما وجدت نفسها غير قادرة على ذلك. لطالما كان سيدجويك سيكستون معبودها لوقت طويل... لتفكر أنه يريدها...

اصطدمت سيارة الليموزين بمطب، مما اعاد افكارها إلى الحاضر.

"أنت على ما يرام؟" كان سيكستون يراقبها.

"جيدة". لمعت عيون غابرييل بابتسامة سريعة.

"أنت لا تفكرين بذلك العمل الوضيع، أليس كذلك؟".

هزّت كتفيها مستهجنة: "ما زلت قلقة بعض الشيء".

انسي الأمر، إن ذلك العمل الوضيع هو أفضل شيء حدث لحملتي".

إن كلمة "العمل الوضيع" – وهو ما تعلمته غابرييل بقسوة – هي المكافئ السياسي لتسريب معلومات تتعلق باستخدام خصمك مادة لتضخيم عضوه الذكري أو اشتراكه في مجلة (ستد موفين) الجنسية. إن ذلك العمل ليس تكتيكاً فاتناً ولكن عندما ينجح، فإنه ينجح بقوة.

وبالطبع، عندما يعطي عكس النتائج المرجوة...

لقد أعطى عكس النتائج المرجوة لصالح البيت الأبيض. فمنذ حوالى شهر مضى، قرر طاقم الرئيس عندما كان بحالة اضطراب من نتائج الانتخابات المتزعزعة، أن يقوم بعمل عدواني وأن يسرب قصة كان قد اشتبه بصحتها – أن السيناتور سيكستون متورط بعلاقة غرامية مع مساعدته الشخصية، غابرييل آش. ولسوء حظ البيت الأبيض، لم يكن عندهم أي دليل ثابت. انتهز السيناتور سيكستون، وهو راسخ الإيمان بأن أفضل وسيلة للدفاع هي الهجوم بقوة، هذه الفرصة للقيام بضربته. وبعدها، عقد مؤتمراً صحفياً قومياً ليصرح ببراءته وغضبه.

"لا أستطيع تصديق"، قال السيناتور محدقاً بالكاميرات والألم في عيونه،

"أن الرئيس يريد إهانة ذكرى زوجتي بهذه الأكاذيب الخبيثة".

لقد كانت تمثيلية السيناتور على شاشة التلفاز مقنعة جداً لدرجة جعلت غابرييل نفسها تقتنع عملياً أنها لم تضاجعه البتة. وعند رؤيته كيف يقول أكاذيبه بعفوية ودون أي جهد، أدركت غابرييل أن سيكستون هو في الواقع رجل خطير. ومؤخراً، على الرغم من أن غابرييل كانت واثقة من أنها تمتطي أقوى جواد في السباق الرئاسي، إلا أنها بدأت تسأل نفسها فيما إذا كان هو أفضلهم. إن العمل على مقربة من سيكستون كان تجربة مفاجئة – كانت مماثلة لجولة خلف الكواليس في أستديوهات (يونيفرسال)، في المكان الذي يجعل رهبة الأطفال للأفلام تتلطخ عند إدراكهم أن هوليوود لم تعد سحراً على الإطلاق. ورغم أن إيمان غابرييل برسالة سيكستون بقي سليماً، إلا أنها بدأت تشك بالرسول.

10

"ما أنا على وشك أن أقوله لك، يا راشيل"، قال الرئيس، "هو معلومات محظور إطلاعها على العامة 'في ظلمة كاملة'. تتجاوز كثيراً تصريحاتك الأمنية الحالية".

شعرت راشيل أن جدران الطائرة تطبق من حولها. لقد جعلها الرئيس تطير إلى جزيرة والوبس، ودعاها على متن طائرته، ثم سكب لها القهوة، وقال لها بصراحة أنه يريد استخدامها لفائدة سياسية ضد والدها. والآن، يعلن أنه يريد إعطاءها معلومات سرية بشكل غير قانوني. مهما بدا زاك هيرني لطيف المعاشرة في مظهره الخارجي، إلا أن راشيل تعرف بعض المعلومات المهمة عنه. هذا الرجل قادر على السيطرة بسرعة.

"منذ أسبوعين"، قال الرئيس مثبتاً عينيه عليها، "حققت ناسا اكتشافاً".

توقفت الكلمات في الهواء للحظة قبل أن تستطيع راشيل فهمها. اكتشاف لناسا؟ إن المعلومات الاستخباراتية الحديثة لم تحتوِ على أي شيء يتحدث عن أمر غير معتاد يجري في وكالة الفضاء. وفي هذه الأيام، بالتأكيد، 'اكتشاف لناسا' يعني عادة إدراك أنهم سيقللون من ميزانية أحد المشاريع الجديدة.

"قبل أن نتحدث عن الموضوع أكثر". قال الرئيس، "أريد أن أعرف ما إذا كنت تشاركين والدك في سخريته عن اكتشافات الفضاء".

اغتاظت راشيل من ذلك التعليق: "أتمنى بالطبع أنك لم تدعني إلى هنا

لأضبط تصريحات والدي العدوانية ضد ناسا".

ضحك الرئيس: "لا، بحق الجحيم، لقد كنت على مقربة من السيناتور لفترة كافية جعلتني أعلم أنه لا يمكن لأحد التحكم بسيدجويك سيكستون".

"إن والدي شخص انتهازي، سيدي. وهذا هو حال معظم السياسيين الناجحين. ولسوء الحظ، فإن ناسا قد جعلت من نفسها فرصة مناسبة". إن سلسلة أخطاء ناسا في الآونة الأخيرة كانت لا تحتمل بشدة فتجعل من أحدنا إما أن يضحك أو يبكي – الأقمار الصناعية المتحطمة في المدار، بعثات فضائية لم تعد إلى موطنها أبداً، بالإضافة إلى تضاعف ميزانية محطة الفضاء العالمية عشر مرات، وانسحاب البلدان المشاركة فيها كالجرذان من سفينة غارقة. فقد فُقدت بلايين الدولارات، والسيناتور سيكستون يركبها كالموجة – تلك الموجة التي قُدر لها أن تحمله على ما يبدو إلى شواطئ جادة (بنسلفانيا 1600)[10].

"سأعترف"، تابع الرئيس، "أن ناسا كانت منطقة للمساعدات الحكومية في الآونة الأخيرة، ففي كل مرة أنوي فيها تجاهلهم يقدمون لي سبباً آخر لأخفض من ميزانيتهم".

وجدت راشيل لنفسها فرصة ملائمة لمتابعة الحوار فانتهزتها. "وبرغم ذلك، سيدي، ألم أسمع أنك قمت بتقديم عون مادي لهم الأسبوع الماضي يبلغ ثلاثة ملايين إضافية كتمويل طارئ ليتمكنوا من إيفاء جميع ديونهم؟".

ضحك الرئيس في خفوت: "لقد كان والدك مسروراً بهذا، أليس كذلك؟".

"كانت مثل إرسال ذخيرة لجلادك".

"هل سمعته في برنامج (نايت لاين)؟ 'زاك هيرني هو مدمن فضاء وإن دافعي الضرائب يقومون بتمويل هواياته'".

"لكنك لا تزال تثبت صحة كلامه، سيدي".

أومأ برأسه: "أنا لا أخفي حقيقة أنني مشجع كبير لناسا، ولطالما كنت كذلك. لقد كنت طفل سباقات الفضاء – القمر الصناعي السوفييتي سبوتنيك، جون غلين[11]، وأبولو 11[12] ولم أتردد على الإطلاق في التعبير عن مشاعر

---

10 جادة بنسلفانيا: منطقة تقع بين البيت الأبيض ومجلس الشيوخ.

11 جون غلين: رائد فضاء وسيناتور في الولايات المتحدة، هو أول رائد فضاء لمدار حول الأرض.

12 أبولو 11: سفينة فضاء أميركية.

الإعجاب والفخر القومي لبرنامجنا الفضائي. وباعتقادي، أن رجال ونساء ناسا هم رواد العصر الحديث الذين سيسجلهم التاريخ. إنهم يحــاولون المســتحيل، يقبلون بالخسارة ويعاودون المحاولة مرات ومرات بينما يقف ما تبقى منا بعيداً وينتقدهم".

التزمت راشيل الصمت وهي تشعر أنه خلف المظهر الخــارجي لهــدوء الرئيس يختبئ غضب ساخط من لغة والدها المنمقة التي لا تنتهي ضد ناســا. وجدت راشيل نفسها تتساءل ما الذي وجدته ناسا بحق الجحيم. فبالتأكيد كــان الرئيس يأخذ وقته ليصل إلى مقصده. "اليوم"، قال الرئيس وصوته يزداد حدة: "أنوي أن أغير لك رأيك كليةً تجاه ناسا".

حدقت به راشيل يعتليها الشك: "لقد حُزت على صوتي من قبل، ســيدي. ربما تحتاج إلى أن تركز على بقية أفراد البلد".

"أنوي ذلك"، أخذ رشفة من قهوته وابتســم. "وســوف أطلــب منــك أن تساعديني". صمت قليلاً وهو ينحني باتجاهها: "بطريقة شديدة الغرابة".

استطاعت راشيل الآن أن تشعر بزاك هيرني ينعم النظر في كل حركــة تقوم بها، كصياد يعاين فريسته إذا ما كانت تنوي الهرب أو القتال. ولسوء حظ راشيل، لم تجد أية طريقة للهرب.

"أفترض"، قال الرئيس وهو يسكب المزيد من القهوة لهما، "أنك على علم بأحد مشروعات ناسا المسمى (إي أو أس)؟".

هزّت راشيل رأسها: "نظام رصد الأرض. أظن أن والدي قد ذكرها مرة أو مرتين".

إن المحاولة الضعيفة للسخرية قطبت وجه الرئيس. فالحقيقة هــي أن والــد راشيل يذكر نظام رصد الأرض كلما سنحت له الفرصة. فإنها إحدى المجازفــات الباهظة الثمن لناسا والتي أثارت الجدل كثيراً – مجموعة مؤلفة من خمسة أقمــار صناعية صُممت لتنظر إلى الأسفل من الفضاء وتحلــل بيئــة كوكــب الأرض – لمنسوب الأوزون، ذوبان الثلج القطبي وارتفاع درجة حــرارة الأرض، بالإضــافة إلى تساقط أوراق الغابات الاستوائية. إن الهدف منها هــو تزويــد علمــاء البيئــة بمعلومات عيانية لم ترَ من قبل، مما يجعلهم يخططون بشــكل أفضــل لمســتقبل أرضنا. لسوء الحظ، إن مشروع (إي أو أس) قد طُــرّز بالفشــل. كالعديــد مــن مشروعات ناسا الأخيرة، فقد لُعنت بنفقات تجاوزت حدها الطبيعي منــذ البدايــة.

وزاك هيرني هو الوحيد الذي يتحمل النقد. فقد استخدم جماعة البيئة ليحصل على 1.4 مليون دولار أميركي لمشروع (إي أو أس) من الكونغرس. ولكن بدلاً من تقديم المعلومات التي وعد بها علماء الأرض، تحول هذا المشروع بسرعة إلى كابوس باهظ الثمن مؤلف من انطلاقات فاشلة، وأجهزة كمبيوتر عاجزة عن العمل ومؤتمرات صحفية كئيبة لناسا. ولكن الوجه الوحيد المبتسم مؤخراً هو للسيناتور سيكستون، الذي كان يُذكّر المصوتين بعزة نفس، كم أنفق الرئيس من أموالهم على مشروع (إي أو أس)؟ وكم كان المقابل يعوزه الحماسة؟

وضع الرئيس مكعباً من السكر في كوبه: "وبالدرجة التي سيكون ما أقوله مستغرباً، فإن اكتشاف ناسا الذي أشير إليه هو من قبل (إي أو أس).

شعرت راشيل بالضياع الآن. لو أن (إي أو أس) قد حققت نجاحاً جديداً، فكان لا بد لناسا أن تعلن ذلك، أليس كذلك؟ لقد كان والدها يضطهد (إي أو أس) كثيراً في وسائل الإعلام، وكان باستطاعة وكالة الفضاء أن تستخدم ضده أية أخبار جديدة تجدها.

"لكنني لم أسمع"، قالت راشيل "عن أي لكتشاف حُقق من قبل (إي أو أس)".

"أعلم ذلك، إن ناسا تفضل إبقاء الأخبار الجيدة لنفسها لفترة وجيزة".

شكت راشيل بذلك. "على حد علمي، سيدي، أن من وجهة نظر ناسا، جميع أخبارها هي أخبار جيدة". التحفظ لم يكن من مميزات قسم العلاقات العامة في ناسا. والأضحوكة السائدة في مكتب الاستطلاع تقول إن ناسا تقوم بعقد مؤتمر صحفي في كل مرة يخرج فيها أحد علمائها ريحاً.

قطب الرئيس: "حسناً، لقد نسيت أنني أتحدث إلى أحد أتباع بيكرينغ الاستخباراتيين في مكتب الاستطلاع، أما زال ينوح ويتأوه لأحاديث ناسا الطائشة؟".

"إن الأمن هو عمله، سيدي، ويأخذه على محمل الجدية".

"من الأفضل أن يكون كذلك. ولكنني أجد من الصعب تصديق أن وكالتين لديهما العديد من الأشياء المشتركة، ودائماً تجدان شيئاً للشجار حوله".

لقد علمت راشيل من خلال عملها تحت سلطة ويليام بيكرينغ أنه على الرغم من أن ناسا ومكتب الاستطلاع هما وكالتان تتعلقان بالفضاء، كانت لهما فلسفتان متناقضتان كثيراً.

إن مكتب الاستطلاع هو وكالة دفاع تُبقي جميع أعمالها الفضائية سرية،

بينما ناسا هي أكاديمية تقوم وبشكل مثير بالإعلان عن جميع مفاجآتها التقنية أو العلمية حول العالم – وعادة ما يتجادل ويليام وبيكرينغ عن أهمية الأمن القومي، وإن بعضاً من أجود تقنيات ناسا – العدسات العالية الدقة في مقرابات الأقمار الصناعية وأنظمة الاتصال – الطويلة المدى وأجهزة التصوير اللاسلكية – لديها عادة سيئة في الظهور ضمن ترسانات الأسلحة الاستخباراتية البلدان المعادية وهي تُستخدم في التجسس علينا. وإن بيل بيكرينغ يتذمر عادة من أن علماء ناسا لديهم: عقولٌ كبيرة... وأفواهٌ أكبر.

ولكن الخلاف الأكثر جدية بين الوكالتين، هو في الواقع يتعلق بإدارة ناسا لإطلاق الأقمار الصناعية التابعة لمكتب الاستطلاع مما أدى إلى العديد من الإخفاقات الأخيرة التي أثرت بشكل مباشر على مكتب الاستطلاع. ولم يكن هناك أكثر مأساوية من الإخفاق الذي حدث في الثاني عشر من آب/أغسطس 1998، عندما انفجر صاروخ عسكري تابع لناسا (تيتان 4) بعد أربعين ثانية من إطلاقه وتحطمت جميع معداته – وهو قمر صناعي لمكتب الاستطلاع كان قد كلف 1.2 بليون دولار واسمه السري هو (فورتكس 2). وقد بدا أن بيكرينغ غير مستعد لأن ينسى ذلك.

"إذاً، لماذا لم تعلن ناسا عن نجاحها مؤخراً". تحدته راشيل بسؤالها. "إنهم بالتأكيد يستطيعون استخدام بعض الأخبار الجيدة هذه الأيام".

"التزمت ناسا الصمت"، صرح الرئيس: "لأنني أمرتهم بذلك".

تساءلت راشيل فيما إذا كانت قد سمعته بشكل صحيح. فإذا كان ذلك صحيحاً، عندها يكون الرئيس يحاول الانتحار سياسياً على طريقة هارا كيري[13] التي لم تفهمها.

"هذا الاكتشاف"، قال الرئيس: "هو... لنقُل... لا شيء يذهل فيه أكثر من تشعباته".

شعرت راشيل بقشعريرة مربكة. ففي عالم الاستخبارات 'تشعبات مذهلة' نادراً ما تعني أخباراً جيدة. وتساءلت الآن فيما إذا كان تكتم (إي أو أس) هو بسبب تعقب أنظمة الأقمار الصناعية لكارثة بيئية على وشك الحدوث. "هل هناك أية مشكلة؟".

"كلا، على الإطلاق، إن ما اكتشفته (إي أو أس) هو أمر رائع حقاً".

---

13 طريقة هارا كيري: طريقة يابانية في الانتحار ببقر البطن بالخنجر.

التزمت راشيل الصمت.

"لنفترض، يا راشيل، أنني أخبرتك بأن ناسا قد حققت اكتشافاً علمياً بالغ الأهمية... أهمية تزلزل الأرض مثلاً... يثبت فائدة كل دولار أنفقه الأميركيون في الفضاء؟".

لم تستطع راشيل التخيل.

نهض الرئيس: "هيا بنا نمشي سوية".

11

تبعت راشيل الرئيس في طريقه خارجاً إلى الممر الرئيسي المتلألئ للطائرة الرئاسية. شعرت وهي تنزل السلالم بهواء آذار/مارس البارد يصفي لها عقلها. لسوء الحظ، هذا الصفاء لم يفد إلا بجعل ادعاءات الرئيس تبدو أكثر غرابة من قبل.

هل حقاً أن ناسا حققت اكتشافاً علمياً مهماً لدرجة أنه سيثبت فائدة كل دولار أنفقه الأميركيون في الفضاء؟

لم تستطع راشيل أن تتخيل إلا أن ذلك الاكتشاف ذا الأهمية العظيمة سيركز على شيء واحد فقط – الكأس المقدسة لناسا – الاتصال بالحياة خارج الأرض. ولسوء الحظ، فإن راشيل تعلم تماماً أن هذه الكأس بالتحديد غير قابلة للتصديق على الإطلاق.

وكمحللة استخباراتية، كانت راشيل دائماً ما تجيب على أسئلة أصدقائها الذين يريدون معرفة مخابئ الحكومة المزعومة للاتصال مع المخلوقات خارج الأرض. وقد كانت دائماً ترتعب من النظريات التي يصدقها أصدقاؤها 'المثقفون' – اصطدام صحون غريبة مخبأة في مستودعات الحكومة السرية، وجثث لمخلوقات خارج أرضية كانت قد حُفظت بالبرودة، واختطاف مواطنين غير مشتبه بهم وإجراء فحوصات جراحية لهم.

كل هذا أمر سخيف بالتأكيد، فليس هناك مخلوقات خارج أرضية ولا مخابئ سرية.

وقد فهم جميع من في المجتمع الاستخباراتي أن الأغلبية العظمى لهذه المشاهدات والاختطافات خارج الأرضية هي ببساطة نتاج تخيلات فعّالة أو خدع لجمع الأموال. وعندما وُجدت صورة حقيقية لجسمٍ طائر غريب، فإن ذلك عادة ما

يحدث بالقرب من قواعد الطيران العسكرية للولايات المتحدة والتي كانت تقوم باختبار طائرات سرية متطورة. وعندما بدأت (لوك هيد) باختبار طيران لطائرات نفاثة جديدة تماماً تدعى (ستيلث بومبر)، ازدادت رؤية الأجسام الطائرة الغريبة حول قاعدة (إدواردز) للطيران العسكري خمسة عشر ضعفاً.

"إن على وجهك نظرة شكوكية". قال الرئيس وهو ينظر إليها بارتياب.

أثارت نبرة صوته الرعب عند راشيل. نظرت إليه وهي لا تعلم كيف تجيبه: "حسناً..." قالت مترددة: "هل لي أن أفترض، يا سيدي، أننا لا نتحدث عن سفن فضائية غريبة أو رجال صغار القامة خضر اللون؟".

نظر الرئيس إليها بدهشة: "راشيل، أعتقد أنك ستجدين هذا الاكتشاف أكثر إثارة من الخيال العلمي".

شعرت راشيل بارتياح، ذلك أن ناسا لم تكن يائسة لدرجة تحاول فيها بيع الرئيس قصة عن الغرباء. ولكن تعليقاته أفادت فقط بتعميق الغموض أكثر. "حسناً"، قالت له: "مهما كان اكتشاف ناسا، فيتوجب عليّ القول إن التوقيت ملائم بشكل ممتاز".

توقف الرئيس في الممر: "ملائم؟ كيف ذلك؟".

كيف ذلك؟! توقفت راشيل ونظرت إليه: "حضرة الرئيس، إن ناسا في الوقت الحالي تخوض معركة حياة أو موت لتثبت وجودها، وأنت تتعرض للهجوم بسبب تمويلك لها. وإن تقديم اكتشاف مفاجئ بالغ الأهمية الآن سيكون دواءً شافياً لكليكما ناسا وحملتك. إن نقّادك سيجدون بالتأكيد هذا التوقيت مثيراً للشك لدرجة عظيمة".

"إذاً... أتدعينني بالكاذب أم بالأحمق؟!".

شعرت راشيل بكتلة ارتفعت في حلقها: "لم أقصد إساءة الاحترام، سيدي. أنا ببساطة –".

"اهدئي!" ظهرت على شفاه الرئيس ابتسامة باهتة، ثم بدأ ينزل السلالم مرة ثانية: "عندما أخبرني مدير ناسا أول مرة عن هذا الاكتشاف، رفضته بسرعة كأنه شيء منافٍ للعقل، واتهمته بتنظيم الخدعة السياسية الأكثر وضوحاً في التاريخ".

أحست راشيل بانحلال الكتلة في حلقها نوعاً ما.

في نهاية السلم، توقف هيرني ونظر إليها: "إن أحد أسباب طلبي من ناسا

إخفاء اكتشافهم هو أن أحميهم. لأن كلاً منا، بمن فيهم أنا نفسي، لدينا الكثير لنكسبه – ولنخسره – فأعتقد أنه من الحكمة لنا أن نتفحص معلومات ناسا مرة ثانية قبل أن نقف أمام أضواء العالم بإعلان رسمي".

أجفلت راشيل: "بالطبع لا تقصدني أنا سيدي!".

ضحك الرئيس: "لا، ليس هذا هو مجال معرفتك، بالإضافة إلى أنني قد قمت بالتحقق من قبل قنوات غير حكومية مسبقاً".

تحول ارتياح راشيل إلى ارتباك جديد: "غير حكومية، سيدي، هل تعني أنك قد استخدمت القطاع الخاص؟ بخصوص أمر بالغ السرية كهذا؟".

هزّ الرئيس رأسه مقتنعاً: "لقد وضعت فريقاً خارجياً لإثبات ذلك – أربعة علماء مدنيين – غير تابعين لملاك ناسا، ذوي أسماء لامعة وشهرة حسنة، يستخدمون معداتهم الخاصة لتدوين ملاحظاتهم والوصول إلى نتائجهم الخاصة. وخلال الثماني والأربعين ساعة الماضية، أثبت هؤلاء العلماء اكتشاف ناسا خالياً من أي شك".

تأثرت راشيل لسماع ذلك، فقد حمى الرئيس نفسه بثقة تميز بها عن غيره. استخدم الفريق الأفضل من الشكوكيين – رجال من الخارج ليس لهم أي شيء يكسبونه إذا ما ثبت اكتشاف ناسا – لقد حصن الرئيس نفسه من أي شبهات تقول إن هذا الاكتشاف يمكن أن يكون خديعة من ناسا اليائسة لتبرر ميزانيتها، ولتعيد انتخاب الرئيس – صديق ناسا، ولتدفع أذى السيناتور سيكستون.

"اليوم، في الثامنة مساءً". قال هيرني: "سأعقد مؤتمراً صحفياً في البيت الأبيض، لأعلن هذا الاكتشاف للعالم".

شعرت راشيل بالارتباك إن هيرني لم يخبرها أي شيء بالأساس: "وما هو هذا الاكتشاف، بالتحديد؟".

ابتسم الرئيس: "ستجدين الصبر نعمة اليوم. هذا الاكتشاف هو شيء يتوجب أن تريه بنفسك. وأريدك أن تستوعبي هذا الموقف بشكل تام قبل البدء. إن مدير ناسا في الانتظار ليطلعك على الأمر بنفسه، وسيقول لك كل شيء تحتاجين إلى معرفته. وبعد ذلك، سنناقش أنا وأنت دورك بشكل أوضح".

أحست راشيل بأحداث درامية على وشك الحدوث عندما نظرت في عيون الرئيس وتذكرت إحساس بيكرينغ الداخلي بأن عند البيت الأبيض شيئاً سرّياً.

وعلى ما يبدو، إن بيكرينغ كان على حق كعادته.
أشار الرئيس إلى هنغار طائرات مجاور: "اتبعيني". قال متوجهاً نحوه.
تبعته راشيل بارتباك. لم يكن لذلك البناء أية نوافذ، كما أن أبوابه الهائلة الضخمة كانت محكمة الإغلاق. وبدا أن الممر الوحيد هو مدخل صغير في الجانب. لقد كان الباب مفتوحاً قليلاً. قاد الرئيس راشيل نحو الباب بضع خطوات ثم توقف.
"نهاية الطريق بالنسبة لي". قال الرئيس مشيراً نحو الباب: "أنت ستدخلين عبر هذا".
ترددت راشيل: "ألن تأتي معي؟".
"يتوجب أن أعود للبيت الأبيض، سأتكلم معك قريباً، هل لديك خليوي؟".
"بالطبع، سيدي".
"أعطني إياه".
تناولت راشيل جوالها وأعطته إياه، مفترضة أنه سيبرمج لها رقم اتصال خاص مباشر معه. وعوضاً عن ذلك، دفع الخليوي في جيبه.
"أنت الآن خارج الشبكة"، قال الرئيس: "وقد تمت تغطية كافة مسؤولياتك في العمل. ولن تتحدثي اليوم إلى أي شخص آخر دون إذن خاص مني شخصياً أو من مدير ناسا، أتفهمين ذلك؟".
حدقت به راشيل، هل قام الرئيس للتو بسرقة هاتفي؟ قالت لنفسها.
"وبعد أن يطلعك المدير على الاكتشاف، سيضعك في اتصال مباشر معي بواسطة قنوات سرية. سأتحدث معك لاحقاً، حظاً موفقاً". نظرت راشيل إلى باب الهنغار وشعرت بقلق متزايد.
وضع الرئيس يده مطمئنةً على كتفها وأشار نحو الباب: "أؤكد لك، يا راشيل، أنك لن تندمي على مساعدتي في هذه القضية".
ودون أن يقول أية كلمة أخرى، مشى الرئيس بخطى واسعة تجاه البيفهاوك التي أحضرت راشيل إلى هنا. صعد على متنها وشرع في الطيران، دون أن ينظر ولو مرة واحدة إلى الخلف.

12

وقفت راشيل وحيدة على عتبة هنغار جزيرة والوبس المعزولة وحدقت بنظرها إلى السواد خلفها. شعرت وكأنها على شرفات عالم آخر. هبّ نسيم معتدل البرودة وعَفِن من الداخل المتكهف وكأن ذلك البناء كان يتنفس.

"مرحباً؟" نادت راشيل بصوت مرتعش قليلاً.

صمت.

ومع ازدياد الارتعاش، صعدت فوق العتبة، وشحبت رؤيتها قليلاً إلى أن اعتادت عيناها على الظلام.

"أفترض أنك الآنسة سيكستون". قال صوت رجل على بعد ياردات فقط.

قفزت راشيل في مكانها ملتفتة باتجاه الصوت. "نعم، سيدي".

اقترب المظهر الغائم للرجل.

وعندما وضحت رؤية راشيل، وجدت نفسها تقف وجهاً لوجه أمام شاب، رمادي الحنك، مرتدياً بزّة طيران تابعة لناسا. كان جسده رشيقاً، مشدود العضلات، وصدره مزخرفاً بشارات مخيطة كثيرة.

"الضابط واين لوسيغيان". قال الرجل: "متأسف لإخافتك، سيدتي. إن المكان هنا مظلم بعض الشيء فلم تسنح لي الفرصة لأفتح أبواب الحجرة بعد". وقبل أن تتمكن راشيل من الإجابة تابع الرجل حديثه: "سيشرفني أن أكون طيارك هذا الصباح".

"طيار؟" حدقت راشيل بالرجل، لقد كان لديّ طيار للتو. "أنا هنا لأرى المدير".

"نعم، سيدتي، إن الأوامر تقول أن أنقلك لرؤيته فوراً".

استغرقت العبارة لحظة كاملة حتى استطاعت راشيل فهمها. وعندما اصطدمت بها، شعرت بطعنة خداع. على ما يبدو، أن رحلاتها لم تنتهِ بعد. "أين هو المدير؟" سألت راشيل، قلقة الآن.

"لا أملك تلك المعلومة". أجابها الطيار. "سأتلقى إحداثيات تواجده ونحن محلقون في الهواء".

شعرت راشيل أن هذا الرجل يقول الحقيقة. فقد تبين أنه ليست هي والمدير بيكرينغ فقط قد أُخفيت عنهما المعلومات هذا الصباح. فلقد كان الرئيس

بأخذ أمر السرية على محمل الجد، وشعرت راشيل بإحراج شديد عندما جعلها الرئيس 'خارج الشبكة'، وبسرعة ودون أي جهد... فكرت... نصف ساعة في المضمار، وأجد نفسي مجردةً من أية وسيلة اتصال، وليس لدى مديري أية فكرة عن مكان تواجدي.

وهي تقف الآن أمام طيار ناسا المشدود القوام، اعتلى راشيل بعض الشك فيما إذا كانت خططها لهذا الصباح قد لُعنت. إن هذه الرحلة الترفيهية ستغادر مصطحبة راشيل على متنها سواء أحبت ذلك أم لا. والسؤال الوحيد هو إلى أين تتجه.

مشى الطيار باتجاه الحائط بخطى واسعة ثم ضغط زراً فبدأ الطرف البعيد للهنغار بالانزلاق باتجاه أحد الجوانب. تدفق النور من الخارج، راسماً صورة ظليلة لشيء كبير متوضع في مركز الهنغار.

فتحت راشيل فمها من الدهشة: "ليساعدني الله!".

هناك في منتصف الهنغار، توضعت طائرة حربية نفاثة، سوداء اللون، رهيبة المظهر. إنها الطائرة الأكثر عصرية التي رأتها راشيل في حياتها.

"أنت تمزح!" قالت هي.

"ذلك رد فعل مألوف، سيدتي، لكن الـ (ف - 14 تومكات) ذات الذيل المشطور قد أثبتت أنها طائرة عظيمة".

إنها صاروخ ذو أجنحة، قالت لنفسها.

قاد الطيار راشيل باتجاه طائرته، ثم أشار إلى ركن مزدوج للطيار. "أنت ستركبين في الخلف".

"حقاً؟" قالت بابتسامة محرجة. "وهل تعتقد أنني كنت سأقود؟!".

وبعد أن ارتدت بزّة الطيران الحرارية فوق ملابسها، وجدت راشيل نفسها تصعد إلى حجرة الطيران. وعلى نحو أخرق، حشرت أردافها في المقعد الضيق.

"من الواضح أنه ليس لدى ناسا طيارون بأرداف سمينة" قالت هي.

ابتسم لها الطيار وهو يساعدها بتثبيت نفسها في الداخل. ومن ثم أزلق خوذة فوق رأسها.

"سوف نطير على ارتفاع عالٍ بعض الشيء". قال الطيار: "ستحتاجين إلى الأكسجين". ثم سحب كمامةً من الأكسجين من اللوحة الجانبية وبدأ بتثبيتها في الخوذة.

"أستطيع تدبر أمري". قالت راشيل متناولة إياها بيدها ومتولية أمرها.

"بالطبع سيدتي".

ارتبكت راشيل بالقطعة الفموية المقولبة، وفي النهاية تمكنت من تثبيتها في خوذتها. لقد كان تلاؤم القناع غير متناسب بشكل كبير، كما أنه غير مريح.

حدق الضابط بها للحظات طويلة، يبدو عليه أنه مستمتع بشكل مُبهَم. "هل هناك أي خطأ؟" سألته.

"على الإطلاق، سيدتي". بدا وكأنه يخبئ ابتسامة متكلفة. "أكياس الغثيان موجودة تحت مقعدك، معظم الناس يتعرضون للدوار عندما يركبون لأول مرة في الطائرة ذات الذيل المشطور".

"سأكون على ما يرام". أكدت راشيل له ذلك وصوتها مكتوم بسبب الانطباق الخانق للكمامة: "أنا لا أتعرض لدوار السفر".

هزّ الطيار كتفيه مستهزئاً: "الكثير من جنود البحرية الأميركيين يقولون الشيء نفسه، ولكنني قمت بتنظيف العديد من تقيؤاتهم في حجرة الطيران هذه".

أومأت برأسها قليلاً، جميل.

"هل لديك أي أسئلة قبل الذهاب؟".

ترددت راشيل للحظة ثم نقرت على القطعة الفموية التي تحبس ذقنها. "إنها تعيق دورتي الدموية. كيف ترتدون هذه الأشياء في الرحلات الطويلة".

ابتسم الطيار بحلم: "حسناً، سيدتي، نحن لا نرتديها عادة رأساً على عقب".

عند الاستعداد للتحرك في نهاية المدرج، والمحركات ترتجف من تحتها، شعرت راشيل وكأنها رصاصة في بندقية، تنتظر شخصاً ليقدح الزناد. وعندما دفع الطيار دواسة الوقود إلى الأمام، زأرت محركات (تومكات توين لوكهيد 345) معلنة بدء الحياة، فارتعش العالم بأسره. تحررت الفرامل فارتدت راشيل بقوة في مكانها إلى المقعد. اندفعت الطائرة النفاثة بسرعة إلى نهاية المدرج وحلقت خلال بضع ثوانٍ. وفي الخارج، تلاشت الأرض بسرعة فائقة.

أغلقت راشيل عينيها والطائرة تنطلق نحو السماء. وتساءلت ما الخطأ الذي قد قامت به هذا الصباح. فمن المفترض أن تكون جالسة على مكتبها، تكتب الاختزالات. وهي الآن، تمتطي طُربيداً وقوده هرمون التستوسترون وتتنفس من خلال كمامة الأكسجين.

استوت طائرة (التومكات) على ارتفاع خمسة وأربعين ألف قدم، حيث كانت راشيل تشعر بالغثيان. عزمت أن تركز أفكارها على مكان آخر، محدقة إلى الأسفل حيث المحيط يبعد تسعة أميال عنها. فجأة شعرت راشيل ببعدها عن موطنها.

أمامها، كان الطيار يتحدث لشخص ما على جهاز الإرسال. وعندما انتهت المحادثة، أغلق الطيار الجهاز، وعلى الفور، انحدر بطائرته إلى اليسار بشدة. كادت الطائرة تنقلب إلى الشاقول، فشعرت راشيل أن معدتها تقوم بحركات شقلبة. وفي النهاية، استوت الطائرة مرة أخرى.

همهمت راشيل ساخرة: "شكراً لتنبيهي، أيها العامل البارع!".

"متأسف سيدتي، ولكنني حصلت للتو على الإحداثيات السرية للقائك مع المدير".

"دعني أحزر"، قالت راشيل: "باتجاه الشمال؟".

بدا على الطيار الارتباك: "كيف عرفت ذلك؟!".

تنهدت راشيل، قائلة لنفسها، يتوجب عليكِ أن تعجبي بهؤلاء الطيارين المتدربين على الحاسوب.

"إنها الساعة التاسعة صباحاً، أيها الفتى، وإن الشمس عن يميننا. إذاً نحن نتجه شمالاً".

سادت لحظة صمت في حجرة الطائرة: "نعم، سيدتي، إننا سنسافر شمالاً هذا الصباح".

"كم هو بعد هذا الشمال الذي سنذهب إليه؟".

تفحص الطيار الإحداثيات: "ما يقارب ثلاثة آلاف ميل".

انتصبت راشيل كالسهم: "ماذا؟" حاولت أن تتخيل الخريطة، غير قادرة على تصور مقدار ذلك البعد. "هذا سيستغرق طيراناً لمدة أربع ساعات".

"نعم، حسب سرعتنا الحالية". قال الطيار: "تمسكي قليلاً، من فضلك".

وقبل أن تستطيع راشيل الإجابة، سحب الرجل جناحي الـــ (ف – 14) إلى موقع منخفض الاحتكاك. وخلال ثانية، شعرت راشيل بنفسها ترتد بقوة إلى المقعد ثانية، بينما كانت الطائرة تندفع إلى الأمام وكأنها كانت واقفة في مكانها. وخلال دقيقة، كانوا يحلقون بسرعة 1500 ميل في الساعة.

كانت راشيل تشعر بدوار الآن، وبينما كانت السماء تنشق أمامها بسرعة

عمياء، شعرت بغثيان لا يمكن السيطرة عليه. تردد صوت الرئيس باهتاً، أؤكد لك، يا راشيل، أنك لن تندمي على مساعدتي في هذا الأمر.

وبهمهمة ساخرة، بحثت راشيل عن أكياس الغثيان... لا تثق بسياسي على الإطلاق!

13

على الرغم من كرهه للقذارة الوضيعة لسيارات التاكسي، سيناتور سيدجويك سيكستون كان قد تعلم تحمل لحظات الحاجة الحينية المؤدية إلى طريق الشهرة. سيارة الأجرة تلك كانت رديئة المظهر من ماركة مايوفلور، وضعته في مرآب وقوف السيارات السفلي لفندق بوردو، مقدمة شيئاً خاصاً لسيكستون لا تستطيع سيارة الليموزين الطويلة تقديمه – الغُفليّة[14].

وقد كان مسروراً عندما وجد الطابق السفلي مقفراً، حيث يوجد فقط القليل من السيارات المُغبرة محاطة بمجموعة كبيرة من الدعائم الإسمنتية. وبينما هو يمشي بطريق منحرف عبر المرآب، نظر سيكستون إلى ساعته.

11:15 صباحاً... رائع.

إن الرجل الذي كان سيكستون على موعد معه شديد الحساسية عندما يتعلق الأمر بالدقة في المواعيد. ثم ومرة ثانية، ذكّر سيكستون نفسه مفكراً، ماذا يمثل ذلك الشخص؛ يحق له أن يكون شديد الحساسية عن أي شيء لعين يريده.

رأى سيكستون الشاحنة الصغيرة ذات اللون الأبيض من ماركة (فورد ويند ستار) واقفة في المكان نفسه، كما هو حال كل اجتماع بينهما – في الزاوية الشرقية من المرآب، خلف صف من صناديق النفايات. كان سيكستون يفضل الاجتماع به في جناح ما بالأعلى، ولكنه بالتأكيد يدرك تلك الاحتياطات. فإن أصدقاء هذا الرجل لم يصلوا إلى ما هم عليه الآن لأنهم مهملون.

وبينما سيكستون في طريقه باتجاه الشاحنة، راوده شعور الانفعال الذي ألفه قبل هذه المقابلات. وهو يجبر كتفيه على الاسترخاء، صعد سيكستون إلى المقعد الخلفي بتلويحة ابتهاج. لم يبتسم الرجل ذو الشعر الداكن بدوره وهو يجلس على مقعد القيادة. كان الرجل يبلغ من العمر سبعين سنة تقريباً، لكن بشرته القوية أوضحت ملاءمة شخصيته الجلفة لمنصبه، رئيس صوري لجيش

---

14 الغفلية: كون الشيء عديم الاسم.

من الحالمين المتحدين ومن المقاولين ذوي القلوب المتحجرة.

"أغلق الباب!" قال الرجل بصوت قاس.

أطاعه سيكستون محتملاً فظاظته بسماحة نفس. على أية حال، إن هذا الرجل يمثل رجالاً يسيطرون على مبالغ ضخمة من الأموال، والتي جُمع الكثير منها مؤخراً للمساهمة في الحفاظ على توازن سيدجويك سيكستون وهو على عتبة المكتب الأعظم سلطة في العالم. لقد أدرك سيكستون أن هذه الاجتماعات كانت جلسات لتعليم الاستراتيجية ولكنها – أكثر من ذلك – عبارة عن تذكرة، كم أصبح سيكستون مديناً بالفضل لأولئك المتبرعين له. يتوقع هؤلاء الرجال عائدات جدية لاستثماراتهم. تلك 'العائدات'، يتوجب على سيكستون الاعتراف بأنها مطلب صارم بشكل مروع. ومع ذلك، وبصورة لا تصدق، فإنها ستصبح شيئاً في مجال سلطة سيكستون عندما يحوز على رئاسة الولايات المتحدة.

"أفترض"، قال سيكستون وقد علم أن هذا الرجل يحب الحديث عن العمل مباشرة: "أنه قد توفر قسط جديد من المال؟".

"نعم، وكالمعتاد، يتوجب عليك استخدام هذه الأموال لحملتك وحسب. لقد كنا مسرورين لرؤية صناديق الاقتراع تنزاح لصالحك، ويبدو أن مدراء حملتك قد أنفقوا أموالنا بشكل فعال".

"نحن نكسب بسرعة".

"كما ذكرت لك على الهاتف"، قال الرجل العجوز: "لقد أقنعت ستة آخرين للقاء معك الليلة".

"ممتاز". كان سيكستون قد جهز لذلك الوقت مسبقاً.

أعطى الرجل مصنفاً لسيكستون: "هنا معلوماتهم، ادرسها، فهم يريدون أن تفهم مؤسساتهم بصورة دقيقة، ويريدون أن يعلموا أنك مؤيد لهم. وأقترح أن تقابلهم في مكان إقامتك".

"في منزلي؟! ولكنني عادة ألتقي بهم –".

"سيناتور، إن هؤلاء الرجال الستة يديرون شركات تملك موارد تفوق أولئك الذين قابلتهم من قبل. هؤلاء هم الصيد الثمين، وإنهم حذرون فلديهم الكثير ليكسبوه، ومع هذا الكثير ليخسروه. لقد عملت جيداً لأتمكن من إقناعهم بلقائك. سوف يتطلبون معاملة خاصة، لمسة شخصية".

هزّ سيكستون برأسه على الفور: "بالتأكيد، يمكنني أن أرتب لقاءً في منزلي".

"بالطبع، سيطلبون خصوصية كاملة".

"كما سأفعل".

"حظاً طيباً". قال الرجل العجوز: "إذا جرت الأمور على ما يرام الليلة، فقد يكون هذا آخر لقاء لك. هؤلاء الرجال وحدهم يمكنهم تقديم ما هو كاف لدفع حملة سيكستون إلى ما فوق القمة".

أعجب سيكستون بما سمعه، ثم قدم لذلك الرجل العجوز ابتسامة قوامها الثقة بالنفس: "حظاً سعيداً يا صديقي، تفضل عندما يحين وقت الانتخابات، سنطالب جميعنا بالنصر".

"النصر؟" قطب الرجل العجوز وجهه وهو ينحني باتجاه سيكستون بعيون مشؤومة: "إن وضعك في البيت الأبيض هو الخطوة الأولى باتجاه النصر، أيها السيناتور. أفترض أنك لم تنسَ ذلك".

14

البيت الأبيض هو واحدٌ من أصغر القصور الرئاسية في العالم، يبلغ من الطول 170 قدماً، ومن العمق 85 قدماً، يقع على 18 هكتاراً من الأراضي الطبيعية. وعلى الرغم من أن مخطط المهندس المعماري جيمس هوبان لذلك البناء الحجري هو على شكل العلبة مع سطح مسنم، ودرابزين ومدخل عمودي، وهذا غير أصلي وضوحاً، إلا أنه قد انتقي من قبل المحكمين في مسابقة التصميم للمحترفين والهواة، حيث أثنوا عليه بقولهم "جذاب، وجليل، وقابل للتكيف".

حتى بعد أن قضى الرئيس زاك هيرني ثلاث سنوات ونصف في البيت الأبيض، إلا أنه نادراً ما يشعر أنه في منزله بسبب متاهة الثريات والتحف القديمة والجنود البحريين. وفي هذه الأثناء، على أية حال، بينما هو يمشي بخطى واسعة باتجاه الجناح الغربي، شعر بنشاط وخفة غريبين، فقد كانت قدماه لا تدوسان تقريباً السجادة المترفة.

نظر العديد من أعضاء طاقم البيت الأبيض إليه وهو يقترب. لوح هيرني وحيا كل واحد منهم باسمه. فكانت ردودهم، على الرغم من تهذيبها، مُخضعة ومصاحبة لابتسامة مُجبرة.

"صباح الخير، سيدي الرئيس".

"سعدنا بلقائك، حضرة الرئيس".

"يوم سعيد، سيدي".

وهو في طريقه باتجاه المكتب، أحس الرئيس بهمهمات من وراء ظهره. لقد كان هناك عصيان مسلحّ جارياً مجراه داخل البيت الأبيض. فخلال الأسبوعين الماضيين، كانت خيبة الأمل تتصاعد في جادة بينسلفانيا 1600 حتى وصلت إلى مرحلة بدأ فيها هيرني الشعور كأنه القبطان بلاي – يقود سفينة مناضلة كان طاقمها يحضر للقيام بتمرد.

لم يلُمْهم الرئيس. فقد عمل طاقمه لساعات مُنهكة من أجل دعمه في الانتخابات القادمة. والآن، فجأة، بدا الرئيس وكأنه يفقد السيطرة على الكرة.

سيفهمون قريباً، قال هيرني لنفسه. قريباً سأكون البطل مرة أخرى.

لقد أسف لترك طاقمه في الظلام مدة طويلة، ولكن السرية كانت بالتأكيد أمراً حاسماً. وعندما يتعلق الأمر بالاحتفاظ بالأسرار، عُرف أن البيت الأبيض هو السفينة الأكثر تسريباً في واشنطن.

وصل هيرني إلى غرفة الانتظار خارج المكتب الرئاسي وقدم لسكرتيرته تلويحة مبتهجة. "تبدين جميلة هذا الصباح، يا دولوريس".

"أنت أيضاً، سيدي، محدقة بملابسه غير الرسمية بنظرة استنكار واضحة".

خفض صوت هيرني: "أريدك أن ترتبي لي اجتماعاً".

"بصحبة من، سيدي؟".

"مع طاقم البيت الأبيض بأسره".

نظرت إليه سكرتيرته، "جميع الطاقم، سيدي؟ 145 شخصاً؟!".

"بالضبط".

بدا عليها القلق: "حسناً، هل أحدد مكانه في... غرفة الاجتماعات؟".

هزّ هيرني برأسه: "لا، لنحدده في مكتبي".

حدقت به الآن: "تريد أن تلتقي بالطاقم كله داخل المكتب الرئاسي!".

"تماماً".

"جميعهم مرة واحدة؟!".

"لمَ لا؟ حدديه في الساعة الرابعة ظهراً

أومأت برأسها وكأنها تساير مريضاً عقلياً: "حسناً، سيدي، هذا الاجتماع يخص...؟".

"لديّ تصريح مهم للشعب الأميركي هذا المساء، وأريد أن أسمعه لطاقمي أولاً".

اندفعت نظرة متفاجئة ومكتئبة عبر وجه سكرتيرته، وكأنها كانت تخاف من هذه اللحظة خفيةً. خفضت صوتها: "سيدي، هل ستنسحب من المضمار؟".

انفجر هيرني ضاحكاً: "لا، بحق الجحيم، يا دولوريس، أنا أتجهز للقتال!".

بدا عليها الارتياب. إن تقارير وسائل الإعلام كلها تقول إن الرئيس هيرني يضيّع تلك الانتخابات.

غمزها مطمئناً: "دولوريس، لقد قمت بعمل رائع من أجلي خلال السنوات القليلة الماضية، وستقومين بعمل رائع من أجلي لأربع سنوات أُخرى. سنحتفظ بالبيت الأبيض، أقسم لك!".

بدا أن سكرتيرته تريد تصديقه: "حسناً سيدي، سأعطي تنبيهاً للطاقم كله، الرابعة ظهراً".

وبينما يدخل الرئيس زاك هيرني إلى المكتب الرئاسي، لم يستطع أن يُخفي الابتسامة وهو يتخيل الطاقم بأكمله محشواً في هذه القاعة الصغيرة بصورة مضللة.

على الرغم من أن هذا المكتب العظيم قد حُظي بعدد كبير من الألقاب خلال عدد من السنين – "الحمام"، "عرين ديك" و"غرفة نوم كلينتون" – ولكن المفضل منهم لهيرني هو "شرك السرطان البحري" فهو يبدو أكثر ملائمة. في كل مرة يدخل شخص جديد إلى المكتب الرئاسي، يعتليه عدم التوجه على الفور. تناظر الغرفة والجدران الناعمة المقوسة والمداخل السرية المخفية في الداخل والخارج، كل هذا يعطي الزوار الإحساس بالدوار وكأنهم قد عميوا وهم يدورون حول الغرفة. غالباً، بعد عقد اجتماع في المكتب الرئاسي، يقف الزائر ذو المقام الرفيع، يصافح يد الرئيس، ويتجه مباشرة إلى غرفة المخزن. واعتماداً على ما حصل في الاجتماع، إما سيوقف الرئيس ضيفه في الوقت المناسب أو سيشاهد بمتعة كيف أن الزائر قد أُحرج بنفسه.

إن هيرني دائماً يعتقد أن المظهر الأكثر هيمنة داخل المكتب الرئاسي هو ذاك النسر الأميركي الملون، المزخرف على سجادة الغرفة البيضاوية. قبض النسر بمخلبه الأيسر على غصن من الزيتون وبمخلبه الأيمن على حزمة من السهام. القليل من الغرباء يعلمون أنه خلال أوقات السلم، يتوجه النسر نحو

اليسار – باتجاه أغصان الزيتون. ولكن في أيام الحرب، يتوجه بغموض نحو اليمين – باتجاه السهام. إن الآلية وراء الخدعة في هذه الردهة الصغيرة كانت مصدر تخمين مخفي بين طاقم البيت الأبيض لأنها عرفت بشكل تقليدي من قبل الرئيس وكبير مدبري شؤون القصر. إن الحقيقة الكامنة خلف هذا اللغز المبهم للنسر، وجدها هيرني تافهة بشكل مخيب للأمل. فإن غرفة المستودع الموجودة في السقيفة تحتوي على السجادة البيضاوية الثانية، ومدبرو شؤون القصر كانوا ببساطة يبدلون السجادتين في جنح الظلام.

الآن، عندما كان هيرني يحدق إلى الأسفل إلى النسر ذي الاتجاه اليساري السلمي، ابتسم لتفكيره أنه ربما يتوجب عليه أن يُبدل السجادتين على شرف الحرب الصغيرة التي يريد إشعالها ضد السيناتور سيدجويك سيكستون.

15

إن دلتا فورس – قوة مكافحة الإرهاب الأميركية – هي الفرقة المقاتلة الوحيدة التي تُمنح أعمالها حصانة رئاسية كاملة من القانون.

يمنح القرار الرئاسي الإداري جنود هذه الفرقة 'حرية من جميع المسؤوليات القانونية'. ويتضمن ذلك، استثناءً من قرار مساعدي العمدة رقم 1876، وهو قانون يفرض عقوبات جلية على أي شخص يستخدم القوات المسلحة لأغراضه الشخصية أو لفرض قوانين داخلية أو للعمليات السرية غير المرخص بها. لقد تم انتقاء أعضاء هذه الفرقة من قبل 'فريق تطبيقات المعارك' (سي إي جي) وهي منظمة سرية تابعة لفرقة العمليات الخاصة في المحمية العسكرية (فروت براغ) كارولينا الشمالية. إن جنود فرقة مكافحة الإرهاب هذه، مدربون ليكونوا سفاحين – خبراء في العمليات العسكرية الخاصة بالمداهمة، وإنقاذ الرهائن، والغارات المفاجئة بالإضافة إلى القضاء على القوات المعادية المختبئة.

ولأن مهمات الفرقة تتضمن عادة درجة عالية من السرية، لذا فإن سلسلة تعدد مستويات القيادة التقليدية، غالباً ما يُلتف عليها لصالح الإدارة 'وحيدة القيادة' – قائد واحد يمتلك مسؤولية الفرقة كما يراه مناسباً. يميل ذلك القائد ليكون شخصاً ذا نفوذ سياسي، إما حكومياً أو عسكرياً برتبة أو نفوذ كافٍ لأن يدير المهمة. وبغض النظر عن هوية هؤلاء القادة، فإن عمليات الفرقة تكون

سرية على أعلى المستويات وعند تمام المهمة، لا يتحدث جنود الفرقة مرة ثانية عنها أبداً – حتى لبعضهم بعضاً أو لضباط قيادتهم في العمليات الخاصة.

حلق، قاتل، انسَ.

إن الفرقة الحالية المتمركزة فوق خط عرض اثنين وثمانين درجة، لم تكن تقوم بطيران أو بقتال، بل كانت تكتفي بمجرد المراقبة.

يتوجب على دلتا واحد الاعتراف بأن هذه المهمة هي الأكثر غرابة حتى الآن، ولكنه تعلم منذ زمن بعيد ألا يتفاجأ بما كُلف القيام به. فلقد انهمك في السنوات الخمس الماضية في عمليات إنقاذ الرهائن في الشرق الأوسط، التعقب والقضاء على خلايا الإرهاب التي تعمل داخل الولايات المتحدة، والتخلص السري من العديد من الرجال والنساء الخطرين حول العالم.

وفي الشهر الماضي، استخدم فريق المكافحة ربوطاً صغيراً طائراً لكي يتسبب بنوبة قلبية مهلكة لتاجر مخدرات خبيث في جنوب أميركا، مستخدمين ربوطاً مزوداً بإبرة شعريّة من التيتانيوم تحتوي على مقبّض فعّال للأوعية الدموية. طيّر دلتا اثنان ذلك الربوط إلى منزل الرجل عبر نافذة مفتوحة في الطابق الثاني، حيث وجد الرجل في غرفة نومه، ومن ثم، وخزه على كتفه وهو نائم. عاد الربوط الصغير من النافذة بـ 'قدمين جافتين' قبل أن يصحو الرجل من نومه مصاباً بألم في الصدر. كان فريق دلتا محلقاً إلى القاعدة في الوقت الذي اتصلت فيه زوجة الضحية بالإسعاف.

دون اقتحام أو دخول.

موت لأسباب طبيعية.

شيء بالغ الجمال.

والواقعة الأكثر حداثة هي عندما تمركز ربوط صغير آخر داخل مكتب سيناتور مشهور ليراقب اجتماعاته الخاصة فالتقط صوراً للقاءات جنسية فاحشة. أشار فريق دلتا إلى هذه المهمة على سبيل الدعابة بـ 'إيلاج وراء خطوط العدو'.

والآن، وبعد أن احتُجز بسبب مهمة المراقبة تلك داخل هذه الخيمة لمدة عشرة أيام، كان دلتا واحد يجهز لإنهاء هذه المهمة.

قال لنفسه:

ابقَ في المخبأ.

راقب البناء – من الداخل والخارج.

انقل لقائدك أية تطورات غير متوقعة.

لقد تدرب دلتا واحد ألا يشعر بأي عواطف تجاه مهماته. لكن هذه المهمة، بالتأكيد قد زادت من سرعة دقات قلبه عندما أُعطي وفريقه التعليمات الأولية.

كانت التعليمات الأساسية 'مجهولة المصدر' – فكل دور كان يُشرح عبر قنوات إلكترونية أمينة. ولم يقابل دلتا واحد القائد المسؤول عن هذه المهمة على الإطلاق.

كان دلتا واحد يحضر لوجبته البروتينية المجففة عندما علا رنين ساعته في انسجام مع ساعات الآخرين. وخلال ثوانٍ، ومض منبه جهاز تشفير الاتصالات الموجود إلى جانبهم. توقف عن إكمال ما كان يفعله، والتقط سماعة جهاز الاتصال، راقبه الرجلان الآخران بصمت،

"دلتا واحد" قال متحدثاً عبر جهاز الإرسال.

تمّ التعرف إلى الكلمتين على الفور من قبل برنامج مميز الصوت داخل الجهاز، ثم أعطيت كل كلمة رقم إشارة والذي شُفر وأُرسل عبر قمر صناعي إلى المتصل. وعند المتصل، في جهاز مماثل، يتم فك تشفير هذه الأرقام وترجمتها مرة ثانية إلى كلمات باستخدام معجم ذاتي العشوائية، ومحدد مسبقاً. وبعدها تُنطق هذه الكلمات جهاراً بصوت اصطناعي... التأخير الإجمالي هو ثمانون ميلي ثانية.

"هنا القائد". قال الشخص الذي يشرف على العملية. كانت النبرة الإلكترونية لجهاز الاتصالات غريبة – اصطناعية وخنثوية.

"كيف هو حال العملية لديك؟".

"كل شيء يجري حسب ما خطُط له". أجاب دلتا واحد.

"ممتاز، لديّ تحديث على الفترة المحددة. ستنتشر المعلومات للعامة هذه الليلة في الثامنة مساءً حسب التوقيت الشرقي".

تفحص دلتا واحد جهازه الزمني، ثماني ساعات أخرى فقط، قال لنفسه. سينتهي عمله هنا قريباً، لقد كان هذا أمراً مشجعاً.

"هناك تطور آخر". قال القائد: "هناك لاعب جديد سيدخل الحلبة".

"ماذا...؟ لاعب جديد؟".

استمع دلتا واحد، مقامرة ممتعة، قال لنفسه. شخص ما هناك يراهن على

البقاء: "هل تعتقد أنه يمكن الوثوق به؟!".

"يجب مراقبته عن كثب".

"وإذا حدثت أية مشاكل؟".

لم يكن هناك أي تردد في الإجابة: "أوامرك تسري".

16

مضى الآن على طيران راشيل باتجاه الشمال أكثر من ساعة. باستثناء مجرد نظرة سريعة على جزيرة نيوفاوند لاند[15]، لم ترَ شيئاً إلا الماء أسفل طائرة الـ (ف – 14) طوال الرحلة.

لمَ يتوجب أن تكون مياهاً فقط؟ فكرت راشيل مكشرةً. فقد غطست راشيل مرة في الجليد في بركة متجمدة عندما كانت تتزلج وهي في السابعة من عمرها. عندها علقت تحت السطح، فأيقنت موتها. كانت مسكة أمها القوية هي التي انتزعت جسدها المثقل بالمياه إلى الأمان. منذ تلك المحنة المرعبة، عانت راشيل من حالة مرضية مستمرة من رهاب الماء – قلق واضح من أماكن المياه المفتوحة، وخاصة المياه الباردة. اليوم، دون أي شيء إلا المحيط الأطلسي الشمالي الذي تستطيع رؤيته على مد البصر، عاد الخوف القديم ينسل إليها.

ليس قبل أن يتفحص الطيار وجهته مع قاعدة طيران ثولي الموجودة في شمال غرين لاند[16]، حتى أدركت راشيل البعد الذي حلقوا إليه. أنا فوق المنطقة القطبية الشمالية، قالت راشيل لنفسها، لقد زاد هذا الكشوف من اضطرابها، إلى أين يأخذونني؟ ما الذي وجدته ناسا؟ وحالاً أصبحت الرقعة الزرقاء الرمادية الممتدة تحتها منقطة بآلاف البقع البيضاء المقفرة.

جبال جليدية.

كانت راشيل قد رأت جبالاً جليديةً مرةً من قبل في حياتها، منذ ست سنوات عندما أقنعتها والدتها بالانضمام إليها في الرحلة البحرية المخصصة للأمهات والبنات في آلاسكا. اقترحت عليها راشيل عدداً غير منتهٍ من البدائل

---

15 نيوفاوند لاند: جزيرة في المحيط الأطلنطي.

16 غرين لاند: جزيرة واقعة بين المحيط الأطلسي الشمالي ومحيطات القطب الشمالي وهي أكبر جزيرة في العالم.

للقيام بإجازات على اليابسة. ولكن والدتها أصرت: "عزيزتي راشيل" قالت والدتها: "إن ثلثي هذا الكوكب مغطى بالمياه، وعاجلاً أم آجلاً، يتوجب عليك أن تتعلمي كيفية التعامل معه". كانت السيدة سيكستون مواطنة أميركية مرنة تهدف إلى تربية ابنة قوية.

تلك الرحلة البحرية كانت آخر رحلة تقوم بها راشيل مع والدتها.

كاثرين وينتورث سيكستون... شعرت راشيل بألم لاذع طويل من الوحدة. كتلك الرياح العاصفة خارج الطائرة، عادت الذكريات إليها متهيجة، ساحبةً إياها إلى الطريقة التي اعتادتا عليها. كانت محادثتهما الأخيرة عبر الهاتف، في صباح عيد الشكر.

"أنا متأسفة جداً يا أمي". قالت راشيل وهي تتصل بمنزلها محجوزة بسبب الثلج في مطار (أوهاربي). "أعلم أن عائلتنا لم تقضِ يوم عيد الشكر منفصلة عن بعضها. يبدو أن هذا اليوم سيكون الأول".

بدا على والدتها أن قلبها ينعصر: "لقد كنت أتطلع بشوق لرؤيتك".

"أنا أيضاً، أمي. فكري بي وأنا أتناول طعام المطار وأنت ووالدي تتمتعان بالديك الرومي".

ساد قليل من الصمت على الهاتف: "راشيل، لم أكن أريد إخبارك حتى تصلي إلى هنا، إن والدك قال بأن لديه الكثير من الأعمال يريد إنجازها في منزله هذه السنة. سيبقى في جناحه في واشنطن خلال إجازة نهاية الأسبوع الطويلة".

"ماذا؟!" تحولت مفاجأة راشيل لما سمعته إلى غضب بسرعة: "لكنه عيد الشكر، لا يعقد مجلس الشيوخ أية اجتماعات! يستغرق الطريق منه أقل من ساعتين. يتوجب أن يكون معك".

"أعلم ذلك، لقد قال إنه منهك القوى – متعب جداً ليتمكن من القيادة. لذا لقد قرر أن يقضي عطلة نهاية الأسبوع ملتفاً مع ركام أعماله غير المنجزة".

عمل؟ شكت راشيل بالأمر... إن الاحتمال الأكثر توقعاً هو أن يكون السيناتور سيكستون ملتفاً مع امرأة أخرى. إن خيانته الزوجية، رغم سريتها، كانت مستمرة لمدة سنوات. لم تكن السيدة سيكستون مغفّلة، ولكن علاقات زوجها كانت دائماً مصحوبة بأعذار مقنعة وبإهانة مؤلمة لمجرد الإيماء أنه خائن. وفي النهاية، لم تجد السيدة سيكستون بديلاً سوى دفن آلامها بالتظاهر

بعدم الانتباه. وعلى الرغم من أن راشيل كانت تشجعها دائماً على الطلاق، لكن كاثرين وينتورث سيكستون امرأةٌ تحافظ على وعدها. تذكرت ما قالته عند الزواج... إلى أن يفرقنا الموت عن بعضنا بعضاً، قالت لراشيل: لقد أفرحني والدك بكِ – ابنة جميلة – ولهذا فأنا ممتنة له. سيتوجب عليه أن يدفع جزاء أعماله يوماً ما لقوة أعظم.

الآن، وبينما هي واقفة في المطار، كان غضب راشيل يزداد اضطراباً. "لكن، هذا يعني أنك ستقضين عيد الشكر وحيدة!" شعرت راشيل بأنها تريد أن تتقيأ. لقد كان غياب والدها في يوم عيد الشكر شيئاً وضيعاً جديداً، حتى بالنسبة له.

"حسناً..." قالت السيدة سيكستون بصوت خائب الأمل ولكنه حاسم. "أنا بالطبع، لا أرغب أن أدع الطعام يذهب إلى النفايات. سأحمله إلى العمة آنا، فهي طالما دعتنا إلى قضاء عيد الشكر معها. سأتصل بها الآن".

شعرت راشيل أن ذنبها يخف بعض الشيء: "حسناً، سأصل إلى المنزل بأسرع ما يمكن، أحبك يا أمي".

"رحلة آمنة، حبيبتي".

ما أن وصلت راشيل، الساعة العاشرة والنصف، بسيارة الأجرة التي تقلها إلى منعطف الطريق الخاص بمنزل سيكستون المترف حتى عرفت أن هناك أمراً خطيراً ما قد وقع، فقد شاهدت ثلاث سيارات للشرطة والعديد من شاحنات إذاعات الأخبار أيضاً، وجميع أضواء المنزل كانت مشتعلة، اندفعت راشيل بسرعة وانطلقت معها دقات قلبها.

قابلها شرطي من ولاية فرجينيا عند المدخل وكان كالح الوجه. وقبل أن يتفوه بأية كلمة، عرفت راشيل أن هناك حادثاً.

"كان الطريق الخامس والعشرون زلقاً بالأمطار المتجمدة". قال الضابط: "ولقد انزلقت والدتك من الطريق إلى وادٍ مشجر. أنا متأسف، وتوفيت من أثر الصدمة".

فقد جسم راشيل الإحساس، كان والدها، الذي عاد مباشرة عندما علم بالخبر، يجري مؤتمراً صحفياً صغيراً الآن في غرفة الجلوس، يعلن فيه للعالم دون أية انفعال أو تأثر أن زوجته قد توفيت في حادث تحطم وهي في طريق عودتها من عشاء عيد الشكر مع العائلة.

وقفت راشيل في الأمكنة النائية تبكي بحرقة على هذه الحادثة كلها.

"كانت أمنيتي الوحيدة"، قال والدها للإعلام وعيناه مليئتان بالدموع: "لو عدت إلى منزلي من أجلها في هذه العطلة، لما كان حدث هذا".

كان عليك أن تفكر بهذا منذ عدة سنوات مضت. بكت راشيل وكرهها لوالدها يتعمق مع كل لحظة تمر.

ومنذ تلك اللحظة، طلقت راشيل نفسها من والدها بالطريقة التي لم تقم بها السيدة سيكستون. وبصعوبة بالغة لاحظ السيناتور ذلك، فقد انشغل فجأة مستخدماً ثروة زوجته، بالبدء لكسب تسمية حزبه له ليصبح الرئيس. حتى إن صوت العطف لم يعقه أيضاً.

وبصورة قاسية خلال السنوات الثلاث الماضية، كان السيناتور، رغم بعده عنها، يجعل حياة راشيل وحيدة الآن. فانهماكه للفوز بالبيت الأبيض قد وضع أحلام راشيل للقاء الرجل المناسب وإنشاء عائلة في احتجاز غامض. فقد أصبح أمر إبعاد نفسها عن تلك اللعبة الاجتماعية أسهل بكثير من أن تتعامل مع سيل غير منته من الرجال المتقدمين لطلب يدها والمتعشقين لكسب السلطة في واشنطن من خلال أملهم بالفوز بـ 'الفتاة الأولى' الحزينة وذات السلطة الكامنة طالما أنها في صفهم.

خارج طائرة الـ (ف - 14) بدأ ضوء النهار يتلاشى، فقد كانت نهاية فصل الشتاء في القطب الشمالي - وقت الظلام الدائم. أدركت راشيل أنها تطير نحو أرض ذات ليل مستمر.

وبينما تمضي الدقائق، تلاشى ضوء الشمس بكامله متساقطاً خلف الأفق. تابعا مسيرتهما إلى الشمال، ثم ظهر قمر لامع لم يكتمل بعد، أبيض معلق في الهواء الجليدي الكريستالي. وبعيداً في الأسفل، تومض موجات المحيط، وتبدو الجبال الجليدية كأنها ماس محاط في شبكة ذهبية داكنة اللون.

وفي النهاية، وقعت عينا راشيل على خط اليابسة الغائم. ولكنه لم يكن الذي توقعته. فقد لاح لها فوق سطح المحيط، أمام الطائرة سلسلة جليدية ضخمة مكللة بالثلوج.

"جبال؟" سألت راشيل وهي في حيرة من أمرها. "هل هناك جبال في شمال غرين لاند؟!".

"هذا ما يبدو". قال الطيار ويبدو عليه الدهشة نفسها.

وبينما اتجهت مقدمة الطائرة نحو الأسفل، شعرت راشيل بانعدام الوزن بشكل مخيف. ومن خلال الصوت المتواصل في أذنيها، استطاعت سماع أزيز إلكتروني متكرر في حجرة القيادة. كان من الواضح أن الطيار قد التقط نوعاً من مرشد الاتجاه اللاسلكي وكان يتبعه.

وبينما اتجهت الطائرة إلى الأسفل مسافة ثلاثة آلاف قدم (900 متر)، حدقت راشيل خارجاً بقطعة الأرض المثيرة والمنارة بضوء القمر من تحتهم. عند قاعدة الجبال، كان هناك سهل فسيح جميل مغطى بالثلوج يمتد عرضاً باتجاه البحر حوالى عشرة أميال، إلى أن انتهى فجأة عند منحدر شديد الانحراف من الجليد الصلب انتهى عمودياً إلى المحيط.

فما رأته راشيل، كان منظراً لا يشبه أي شيء رأته من قبل في أي مكان على الأرض. اعتقدت في البداية أن نور القمر يقوم ببعض الخدع، ثم حدقت في الأسفل إلى حقول الثلج، غير قادرة على استيعاب ما تشاهد. وكلما انحدرت الطائرة نحو الأسفل، أصبحت الصورة واضحة أكثر.

ما هذا باسم الإله؟!

كان السهل الواسع تحتهم مخططاً... كما لو أن شخصاً قد لون الثلوج بثلاثة أقلام ضخمة من اللون الفضي. امتدت تلك الخطوط الملونة بشكل متوازٍ نحو المنحدر الشاطئي. وليس قبل أن تنحدر الطائرة مسافة خمسمئة قدم (150 متر) إلى أن بدأ الخداع البصري يكشف نفسه. كانت تلك الخطوط الفضية الثلاثة عبارة عن قنوات عميقة تبلغ كل واحدة منهم أكثر من ثلاثة ياردات (2.7 متر)عرضاً. وقد امتلأت هذه القنوات بالمياه وتجمدت عند السطح، فكانت قنوات فضية امتدت متوازية عبر هذا السهل. أما المجاري الضيقة البيضاء بينها فهي عبارة عن خنادق متراكمة بالثلوج.

وبينما اتجها نحو السهل، بدأت الطائرة تهتز وتتأرجح باضطراب شديد. سمعت راشيل صوت ناقل حركة الهبوط يتعشق مصدراً صفيراً عالياً، ولكنها حتى الآن لم ترَ مهبطاً للطائرة. وبينما الطيار يناضل من أجل إبقاء الطائرة تحت سيطرته، أنعمت راشيل نظرها خارجاً فرأت خطين من الأضواء شديدة الوميض، يحدان الجزء الخارجي من القناة الجليدية. أدركت بخوف شديد ما ينوي الطيار القيام به.

"سنهبط على الجليد؟!" سألت.

لم يجبها الطيار، فقد كان يركز على الرياح العاصفة. شعرت راشيل

بحركة في أمعائها بينما كانت تتناقص سرعة الطائرة هابطـة باتجـاه القنـاة الثلجية. ارتفعت سدود ثلجية عالية على جانبي الطائرة، فالتقطت راشيل أنفاسها وهي تعلم أن أي خطأ في التقدير ولو كان صغيراً في هذه القناة الضيقة يعنـي موتهم المحتم. انخفضت الطائرة المهتزة بين السدين الثلجيين وفجـأة اختفـى الارتجاج. محميةً هناك من الرياح، حطت الطائرة بشكل رائع على الجليد.

زأرت أجهزة الدافع الخلفية لطائرة التومكات، هادفةً إلى إبطاء الطـائرة. تنهدت راشيل. تدرجت الطائرة النفاثة مسافة مئة يـاردة (90 متـر) إلـى أن توقفت عند خط أحمر مرسوم بثخانة رشاش دهان عبر الجليد.

أما المنظر على اليمين فلم يكن إلا جداراً من الثلج مناراً بضوء القمر جانب من السد الجليدي، وكان المنظر اليساري مماثلاً له.

وعبر مسد الريح أمامهما، تمكنت راشيل من الرؤية بوضوح... امتـداد غير منتهٍ من الجليد. شعرت وكأنها حطت فوق كوكب ميت. فلم يكن هناك أية إشارة للحياة عليه، إلا ذلك الخط المرسوم على الجليد.

ثم سمعت صوت محرك يعلو كلما اقترب من بعيد، ولاحظت آلة ما. لقد كان جراراً ثلجياً كبيراً متعدد الملامس يتحرك في اضطراب باتجاههما، يعلـو النتوات الجليدية. له شكل طويل ونحيل، بدا وكأنه حشرة ضـخمة مسـتقبلية تتحرك بضجيج تجاههم على أرجل تدور بسرعة وشراهة. وتثبتت هناك فـي أعلى سطح المركبة حجرة من (البليكس غلاس)[17] مزودة بمنصب للأضـواء الغامرة تنير طريقها.

اهتزت تلك الآلة لتقف أمام موقف مباشر بجانب طائرة الـ (ف – 14). ثـم فُتح الباب في حجرة البليكس غلاس وظهر رجل ينزل عبر السلم إلى الجليد، كـان محزماً من رأسه حتى قدميه ببزّة قفز منتفخة بيضاء أعطته الانطباع بأنه منفوخ.

"ماكس المجنون يقابل جندي المشاة مـن بيلسـبري". فكـرت راشـيل، مستريحة لرؤيتها أن هذا الكوكب الغريب مأهولٌ على الأقل.

أشار الرجل لطيار الـ (ف – 14) برفع باب الحجرة.

أطاعه الطيار.

وعندما فتح باب الحجرة، شعرت راشيل بعصفة الرياح تمـزق جسـدها مصيبة إياها بقشعريرة حتى الصميم.

---

17 البليكس غلاس: بلاستيك أكريلي يمكن استخدامه بدلاً من الزجاج.

"أغلق ذلك الغطاء اللعين!".

"آنسة سيكستون"، قال الرجل منادياً إياها بلهجة أميركية، "أرحب بك باسم ناسا".

كانت راشيل ترتجف: "شكراً لك مليون مرة".

"من فضلك، انزعي حزام الرحلة، واتركي الخوذة هنا في الطائرة، وترجلي منها باستخدام المسكات المثبتة على جسدها، هل لديك أية استفسارات؟".

"نعم!" صرخت راشيل، "أين أنا بحق الجحيم؟!".

17

مارجوري تينش - مستشارة الرئيس الأعلى مقاماً - كانت هيكلاً عظمياً لكائن حي يمشي بخطوات طويلة. شكلها النحيل بطول ستة أقدام (1.8 متر) مشابهٌ لهيكل لعبة أطفال مؤلفة من مفاصل وأطراف. يبرز من جسدها المتقلقل وجه يرقاني، وجلد هذا الجسد مخطوطة ورقية ثُقبت بعينين عديمتي العاطفة. يبلغ عمرها الواحدة والخمسين، لكنها تبدو في السبعين.

كانت تينش تبجلُ في واشنطن كأنها الإلهة في ميدان التنافس السياسي. وقد قيل إنها تمتلك مهارات تحليلية وصلت لحد أولئك المستبصرين. فإن قيادتها لمكتب الشؤون الخارجية للولايات المتحدة للاستخبارات والأبحاث قد ساعد في شحذ عقلها ليكون ذكياً بشكل مميت وبارعاً في النقد. لسوء الحظ، فقد صوحب ذكاء تينش السياسي بمزاج جليدي استطاع القلة فقط تحمله لدقائق قليلة. وُهبت مارجوري تينش جميع عقول أجهزة الكمبيوتر ذات التقنية العالية - ودفئها أيضاً. رغم هذا، كان الرئيس زاك هيرني يجد القليل من الصعوبة في تحمل خصوصية تلك المرأة، فمقدرتها العقلية وعملها الدؤوب كانا الوحيدين المسؤولين عن وضع هيرني في السلطة بالدرجة الأولى.

"مارجوري". قال الرئيس واقفاً ليرحب بها في مكتب الرئاسة. "ما الذي أستطيع فعله لك؟" لم يعرض عليها الجلوس، فإن تصرفات الكياسة المعتادة لا تنطبق على امرأة مثل مارجوري تينش. فإنها لو رغبت بالجلوس لن تتردد بذلك.

"أرى أنك حددت موعد الاجتماع بطاقمك في الساعة الرابعة بعد الظهر". كان صوتها خشناً بسبب التدخين. "ممتاز!".

مشت تينش للحظة، فشعر الرئيس أن مسننات عقلها المعقدة تدور وتدور. لقد كان يشعر بالامتنان، فقد كانت مارجوري تينش إحدى القلة من طاقم الرئيس الذين يعلمون باكتشاف ناسا، كما أن ذكاءها السياسي يساعد الرئيس في تنظيم خطته الاستراتيجية.

"إن مناظرة قناة (سي إن إن) اليوم هي في الساعة الواحدة". قالت تينش وهي تسعل: "من سترسل ليتحاور مع سيكستون؟".

ابتسم هيرني: "متحدث باسم الحملة من حديثي العهد". إن التكتيك السياسي القائل بإحباط 'الصياد' وذلك بعدم إرسال فريسة كبيرة له، هو تكتيك قديم بقدم المناظرات نفسها.

"لديّ فكرة أفضل". قالت تينش وعيناها القاحلتان تحدقان بعينيه. "دعني أحضّر ذلك العرض بنفسي!".

ارتفع رأس زاك هيرني "أنت؟" ما الذي تفكرين به بحق الجحيم؟ مارجوري، أنت لا تقومين بعروض إعلامية، بالإضافة إلى أنه عرض إذاعي في منتصف النهار. إذا أرسلت بمستشارتي الأعلى مقاماً، فما هي نوع الرسالة التي سأقدمها؟ هذا سيجعلنا نبدو مذعورين".

"تماماً".

تأملها هيرني. أياً كانت المكيدة المعقدة التي تدبرها تينش، فمن المستحيل أن يسمح لها بالظهور على قناة (سي إن إن). لقد علم كل شخص لم يرَ مارجوري تينش على الإطلاق، أن هناك سبباً لعملها خلف الكواليس. إن تينش امرأة ذات مظهر جدي كثيراً – لا تملك الوجه الذي يرغب الرئيس بإرسال رسالة البيت الأبيض من خلاله.

"أنا سأتولى هذه المناظرة على قناة (سي إن إن)". كررت قولها، لكن هذه المرة لم تكن تطلب ذلك.

"مارجوري". قال الرئيس مناوراً وهو يشعر باضطراب الآن. "من المؤكد أن حملة سيكستون ستدعي أن حضورك في (سي إن إن) هو دليل على أن البيت الأبيض في حالة ذعر. إن إرسال الأشخاص ذوي السلطة الأقوى لدينا يجعلنا نبدو يائسين".

هزّت المرأة برأسها قليلاً ثم أشعلت سيجارة: "كلما بدونا يائسين أكثر، كان هذا أفضل".

خلال الستين ثانية التالية، وضحت مارجوري تينش سبب طلبها إرسال الرئيس لها للحوار على (سي إن إن) بدلاً من شخص متدني السلطة في الحملة. وعندما انتهت تينش من كلامها، لم يستطع الرئيس إلا التحديق بها بذهول.

مرة ثانية، أثبتت مارجوري تينش أنها عبقرية سياسية.

18

إن الرف الجليدي الميلني هو أكبر طوف جليدي عائم في النصف الشمالي من الكرة الأرضية. يتوضع على خط عرض اثنين وثمانين درجة في أقصى الشمال لساحل جزيرة إيلزمير في أعلى القطب الشمالي. يبلغ عرضه حوالى أربعة أميال وتصل سماكته أكثر من ثلاثمئة قدم (90 متراً).

وبينما راشيل تصعد إلى حجرة 'البيلكسي غلاس' التي تعلو الجرار الجليدي، كانت ممتنة لرؤيتها معطفاً طويلاً إضافياً وقفازات بانتظارها هناك على مقعدها، بالإضافة إلى الحرارة المنطلقة من فتحات الجرار. هناك على المدرج الجليدي، بدأت محركات الـ (ف – 14) بالزئير. وبدأت الطائرة تتدرج بعيداً.

نظرت راشيل بذعر: "إنه يغادر؟".

صعد مضيفها الجديد إلى الجرار وهو يومئ برأسه: "يُسمح فقط لأعضاء فريق دعم ناسا المقربين والعلماء الخاصين بالتواجد في هذا الموقع".

وبينما حلقت الـ (ف – 14) إلى السماء الداكنة، شعرت راشيل فجأة أنها ألقيت في جزيرة مهجورة.

"سنركب (الآيس روفر) من هنا". قال الرجل: "إن المدير بانتظارنا".

حدقت راشيل بالممرات الجليدية الفضية، وحاولت أن تتخيل ما الذي يفعله مدير ناسا هنا بحق الجحيم.

"تمسكي. صرخ رجل ناسا". وهو يديرُ بعض الرافعات ومع علو الهدير الطاحن، دارت الآلة تسعين درجة في مكانها، وكأنها دبابة عسكرية قد عوملت بقوة. إنها الآن تواجه الحائط العالي للسد الثلجي.

نظرت راشيل إلى المنحدر الحاد وشعرت بموجات من الخوف. من المؤكد أنه لا ينوي –.

"رقصة الروك آند رول!" دفع السائق يده فجأة على القابض، فأسرعت المركبة نحو المنحدر. أطلقت راشيل صرخة مكبوتة وتمسكت. وعندما وصلا المنحدر، ضربت الملامس السفلية المشوكة بالثلج، ثم بدأت الآلة بالتسلق. كانت راشيل متأكدة من أنهما سينقلبان إلى الخلف، ولكن الحجرة بقيت وبشكل مثير الغرابة أفقية، بينما الملامس ثبتت مخالبها بالمنحدر. وعندما صعدت الآلة الضخمة إلى قمة السد، أوقفها السائق وضحك بابتهاج لمرافقته الخائفة: "جربي هذا في الشاحنات المعدة للرياضة! أخذنا تصميم نظام الاصطدام من مركبة مستكشف المريخ"، وطبقناها على هذه الصغيرة! تعمل كالسحر!".

هزّت راشيل رأسها بضعف: "بارعة!".

وهي تجلس على قمة السد الجليدي، نظرت راشيل خارجاً إلى المنظر الذي لا يصدق. يتواجد أمامهما الآن سد آخر كبير، ومن ثم تتوقف التموجات على نحو مفاجئ. وإلى الخلف، انبسط الجليد بامتداد متلألئ منحدر قليلاً. إن رقاقة الجليد المنارة بضوء القمر قد امتدت نحو الأفق، حيث هناك في النهاية تضيق إلى أن تصل فجأة إلى الجبال.

"إنه الجبل الجليدي الميلني". قال السائق مشيراً إلى الجبل: "يبدأ منساباً إلى الدلتا العريضة التي نجلس عليها الآن".

أدار السائق المحرك ثانيةً، وتمسكت راشيل بينما تزداد سرعة المركبة وهي تتحرك إلى أسفل واجهة المنحدر. هناك في الأسفل، تثبتا بنهر جليدي آخر وانطلقا بسرعة كالصاروخ لأعلى السد الثاني. اعتليا القمّة وبسرعة انزلقا إلى الطرف البعيد، ثم تحولا باتجاه رقاقة ملساء من الجليد ثم بدآ العبور بجلبة ساحقة عبر المنحدر الجليدي.

"كم هو البعد؟" لم ترَ راشيل سوى الجليد أمامها.

"حوالى ميلين إلى الأمام".

رأت راشيل أن هذا بعيد جداً. كانت الرياح في الخارج تضرب شاحنة (الأيس روفر) بعصفات قاسية، طارقةً حجرة (البليكس غلاس) وكأنها تحاول دفعهم إلى الخلف باتجاه البحر.

"هذه هي الرياح السفلية"، قال السائق بصوت عالٍ: "اعتادي عليها". ثم وضح لها أن لهذه المنطقة رياحاً هوجاء دائمة تأتي من الشاطئ تدعى الرياح السفلية (كاتاباتيك) - اسم يوناني يطلق على التحرك أسفل المنحدرات. هذه

الرياح العاصفة هي من الواضح نتاج هواء بارد ثقيل 'ينساب' عند أسفل سطح المنحدرات الجليدية مثل نهر غاضب. ثم أضاف ضاحكاً: "هذا المكان هو الوحيد في الأرض حيث يمكن للجحيم أن تتجمد!".

وبعد مضي عدة دقائق، بدأت راشيل ترى شكلاً باهتاً على مسافة بعيدة أمامهما - صورة ظليلة لقبة ضخمة بيضاء اللون تنبثق من الجليد، فركت راشيل عيناها: "ما هذا يا ترى...؟".

"شعوب الأسكيمو الكبار هنا". قال الرجل مازحاً.

حاولت راشيل أن تتفهم ذلك الهيكل. يبدو وكأنها قبة مصغرة للقبة الفلكية في هيوستون.

"لقد وضعتها ناسا هنا منذ أسبوع ونصف". قال الرجل: "إنها مصنوعة من مادة عديد السوربات الشبكية وهي قابلة للنفخ على مراحل متعددة. املأ القطع بالهواء، ثبتها إلى بعضها البعض، اربط الشكل بأكمله إلى الجليد بواسطة الرزات الجليدية والحبال. تبدو وكأنها خيمة كبيرة مغلقة القمة، ولكنها في الواقع النمط الأولي المخترع من قِبل ناسا للمواطن المصطنعة المحمولة التي نأمل باستخدامها على المريخ يوماً ما. ندعوها "القبة الاصطناعية".

"قبة اصطناعية؟!".

"نعم، افهمي ذلك؟ لأنها ليست كرة كاملة، إنها فقط 'قبة اصطناعية'".

ضحكت راشيل وحدقت بذلك البناء الغريب الذي يَلُوح أمامها بشكل أقرب على السهل الجليدي.

"ولأن ناسا لم تستطع الذهاب إلى المريخ بعد، قررتم أيها الفتيان البقاء هنا خلال الليل الطويل عوضاً عن ذلك؟".

ضحك الرجل: "في الواقع كنت أفضّل المكوث في جزيرة (تاهيتي) ولكن القدر هو الذي قرر لنا هذا الموقع".

حدقت راشيل بشك في ذلك البناء. تلك الصّدَفة ذات اللون القريب من الأبيض كأنها بنية شبحية تقابل السماء الداكنة. وبينما تقترب الشاحنة راحت تحاول الوقوف أمام باب صغير في أحد جوانب القبة، الذي بدأ يُفتح. تدفق ضوء من الداخل إلى الخارج فأضاء الجليد. خرج رجل عملاق ضخم يرتدي كنزة صوفية سوداء اللون، ضخّمت حجمه أكثر فجعلته يبدو كالدب. تحرك باتجاه عربة (الآيس روفر).

عرفت راشيل من يكون ذلك الرجل دون أي شك: 'لورانس إيكستروم، مدير ناسا".

ابتسم لها السائق: "لا تجعلي حجمه يخدعك، هذا الفتى كالقطة".

لكنه أشبه بالنمر، قالت راشيل لنفسها، فهي تعلم بالصيت المشهور عن إيكستروم فهو يقطع رؤوس أولئك الذين يقفون في طريق أحلامه.

عندما نزلت من الشاحنة، كادت الرياح أن تقلبها، لفت المعطف حول نفسها، وتحركت باتجاه القبة.

التقاها مدير ناسا في منتصف الطريق، ماداً يده الضخمة المكسوة بالقفاز. "آنسة سيكستون، شكراً لمجيئك".

هزّت راشيل رأسها بشك وصرخت بأعلى صوتها عبر الرياح العاصفة: "صراحةً يا سيدي، أنا لست متأكدة من أن الخيار كان بيدي".

وعلى بعد ألف متر من النهر الجليدي، حدق دلتا واحد بمنظاره ذي الأشعة تحت الحمراء، ورأى مدير ناسا وهو يقود راشيل سيكستون إلى داخل القبة.

19

كان مدير ناسا 'لورانس إيكستروم' رجلاً ضخماً، متورد اللون وفظ الشخصية كإله النرويجيين الغاضب. شعره الأشقر الواخز مصفف على نمط التسريحة العسكرية القصيرة فوق حاجبين مجعدين، وأنفه بصلي الشكل مليء بالأوردة. وفي هذه الأثناء، كانت عيناه المتحجرتان متقلتين بإرهاق ليالٍ لا تحصى قضاها دون نوم. لقد كان مخططاً استراتيجياً بارعاً لجوي الأرض والفضاء ومستشار العمليات في البنتاغون قبل تعيينه في ناسا. اشتهر إيكستروم بالفظاظة المتلائمة فقط مع إخلاصه الذي لا شك فيه لعمله مهما كانت المهمة المنفذة. وبينما راشيل سيكستون تتبعه إلى القبة الاصطناعية، وجدت نفسها تمشي عبر متاهة غريبة نصف شفافة من الأروقة. بدا أن شبكة المتاهة هذه قد صممت باستعمال وريقات معلقة من البلاستيك المعتم عبر أسلاك مشدودة بإحكام. أما أرض هذه المتاهة، فلم تكن موجودة - صحيفة من الجليد الصلب، مكسوة بخطوط من الحصير المطاطي لإحداث الاحتكاك. ثم شقا طريقهما عبر حجرة للجلوس بدائية مزودة بأسرّة نقالة ومراحيض كيميائية.

وبصورة تستحق الشكر، كان هواء القبة دافئاً، وإن يكن مثقلا بالمزيج المخلوط من الروائح غير الممكن تمييزها والتي ترافق البشر عندما يكونون في مكان ضيق. وفي مكان ما، يصدر صوت أزيز المولد، وعلى ما يبدو أنه هو مصدر الكهرباء التي تصب في تلك المصابيح الظاهرة المعلقة في حبال التوسعة المثنية في الرواق.

"آنسة سيكستون". قالها إيكستروم بصوت إنفجاري، مرشداً إياها بنشاط عبر مكان مجهول. "دعيني أكون صريحاً معك منذ البداية". أبلغت نبرة صوته عن كل شيء إلا السعادة لوجود راشيل ضيفة عنده. "أنت هنا لأن الرئيس يريدك أن تكوني هنا. إن زاك هيرني هو صديق شخصي لي ومؤيد مخلص لناسا، أنا أحترمه وأدين له. كما أنني أثق به، وحتى إنني لا أناقش أوامره المباشرة، ولو كنت مستاءً منها. فبناء على ذلك، ولكي لا يكون هناك أي ارتباك، أنا لا أشارك الرئيس حماسته في مشاركتك لهذا الأمر".

لم تستطع راشيل إلا التحديق به، لقد سافرت ثلاثمئة ميل لألقى هذا النوع من حسن الضيافة؟! لم يكن هذا الرجل مثل شخصية (مارثا ستيورت)[18]. "مع كامل الاحترام المتوجب"، أثارت غضبها رداً عليه: "أنا أيضاً أعمل تحت أوامر الرئيس، حتى إنني لم أعرف سبب وجودي هنا بعد. قمت بهذه الرحلة بحسن نية".

"جيد"، قال إيكستروم: "إذن سأتحدث بفظاظة".

"لقد قمت بذلك بشكل جيد منذ البداية".

بدا أن رد راشيل القاسي قد أزعج المدير. أبطأ من خطاه قليلاً، وكانت عيناه تلمعان بينما هو يتفحصها. ومن ثم، كأفعى تنفك، أطلق تنهدة طويلة وتابع تقدمه.

"افهمي"، بدأ سيكستون كلامه: "أنك أنت هنا لمشروع ناسا السري وهذا مخالف لرأيي، فأنت لست ممثلة عن مكتب الاستطلاع وحسب، والذي يستمتع مديره بإهانة طاقم ناسا شخصياً على أنهم أطفال ثرثارون. بل أنت أيضاً ابنة الرجل الذي جعل هدفه الشخصي تدمير وكالتي. هذه ستكون ساعة ناسا تحت ضوء الشمس. لقد تحمل رجالي ونسائي الكثير من النقد مؤخراً، وإنهم الآن يستحقون لحظة المجد هذه. وعلى أية حال، بسبب سيل الشك المتقدم كرأس الحربة من قبل والدك، وجدت ناسا نفسها في وضع سياسي أجبر فيه موظفوها

18 مارثا ستيوارت: شخصية تمتاز بحسن الضيافة.

سجون مشاركة الأضواء مع مجموعة عشوائية من العلماء المدنيين بالإضافة إلى ابنة الرجل الذي يحاول تدميرنا".

أنا لست والدي، أرادت راشيل الصراخ، ولكن في هذه الأثناء كان من الصعب خوض نقاش سياسي مع رئيس ناسا. "لم آت إلى هنا من أجل الأضواء يا سيدي".

نظر إيكستروم غاضباً: "ربما لم تجدي بديلاً عن ذلك".

أدهشها تعليقه بشكل مفاجئ. على الرغم من أن الرئيس هيرني لم يخبرها أي شيء محدد عن مساعدتها له بأي طريقة 'علنية'، لكن وليام بيكرينغ أعلن الطبع عن ارتيابه بأن راشيل يمكن أن تصبح رهاناً سياسياً. "أريد أن أعلم ما الذي سأفعله هنا". سألت راشيل.

"أنا وأنت، كلانا، لا نملك هذه المعلومة".

"عفواً؟!".

"طلب مني الرئيس إخبارك عن اكتشافنا بشكل كامل في اللحظة التي تصلين بها إلى هنا. ومهما كان الدور الذي يريد منك القيام به في هذا الميدان فإنه يتعلق بك وبه فقط".

"لقد أخبرني أن نظام رصد الأرض قد قام باكتشاف ما؟".

نظر إليها إيكستروم بطرف عينه: "ما مقدار معرفتك عن مشروع نظام رصد الأرض؟".

"إنه مجموعة من خمسة أقمار تابعة لناسا تتفحص الأرض في أماكن مختلفة - رسم خرائط للمحيطات وتحليل الصدوع الجيولوجية ومراقبة ذوبان ثلوج القطب بالإضافة إلى تحديد مواقع وقود المستحاثات -".

"جيد". قال إيكستروم. وقد بدا غير متأثر: "إذاً أنت على علم بالإضافة الجديدة التي تمت على تلك المجموعة؟ إنها تدعى (بي أو دي إس)".

هزّت راشيل رأسها. إنها فاحص كثافة القطب في المدار (بي أو دي إس) وصُمّمت من أجل المساعدة في قياس آثار ارتفاع درجة حرارة الأرض. "على حد علمي أن (بودس) تقوم بقياس سماكة الغطاء الجليدي القطبي وصلابتها؟".

"في الواقع، إن هذا صحيح، فهي تستخدم تقنية العصابات الطيفية من أجل التقاط صور للكثافة المركبة للمناطق الكبيرة وإيجاد شذوذات الطراوة في الجليد - بقع ثلجية نصف ذائبة، وذوبان داخلي وشقوق كبيرة - أي دلائل عن

ارتفاع درجة حرارة الأرض".

كانت راشيل حسنة الإطلاع على مشروع تفحص الكثافة المركبة، فهي مثل أمواج فوق صوتية تحت أرضية. استخدمت الأقمار الصناعية التابعة لـ (إن آر أو) تقنية مماثلة للبحث عن تنوعات الكثافة تحت سطح الأرض في شرق أوروبا وتمكنت بذلك من تحديد مواقع دفن جماعية أثبتت للرئيس أن التطهير العرقي كان حقيقة.

"قبل أسبوعين"، قال إيكستروم: "عبرت (بودس) فوق هذا الرف الجليدي ورصدت كثافة غريبة لم تبدُ مثل أي شيء كنا قد توقعنا رؤيته من قبل. هناك في الأسفل عند مسافة مئتي قدم تحت سطح الأرض، كانت قد طمرت بشكل رائع في قالب من الجليد الصلب، رأت (بودس) شيئاً يبدو كرة صغيرة لا شكل لها، يبلغ قطرها حوالى عشرة أقدام (3 أمتار).

"جيب مائي؟" سألت راشيل.

"كلا، إنه ليس سائلاً، من المثير للغرابة أن هذا الشيء الشاذ كان أقسى من الجليد المحيط به".

صمتت راشيل قليلاً: "إذاً... إنه صخرة كبيرة أو ما شابه؟".

هزّ إيكستروم رأسه: "فعلياً، إنه كذلك".

أخذت راشيل تنتظر النهاية المضحكة لهذه الدُعابة، لكنها لم تأت بعد. أنا هنا لأن ناسا قامت باكتشاف صخرة كبيرة في الجليد؟ قالت لنفسها.

"لم نشعر بالذهول إلا بعد أن قامت (بودس) بدراسة كثافة هذه الصخرة، ثم على الفور، أحضرنا فريقاً إلى هنا ليحللها، وكما تبين، إن هذه الصخرة الواقعة أسفل منا، أكثر كثافة من أي نوع من الصخور وجدت هنا في جزيرة (إيلزمير) على نحو مهم. في الواقع، أكثر كثافة من أي نوع من الصخور الموجودة ضمن دائرة نصف قطرها أربعمئة ميل".

حدقت راشيل بالجليد أسفل قدميها، وهي تتخيل الصخرة الكبيرة هناك في الأسفل في مكان ما. "أتقول إن شخصاً ما قد أحضرها إلى هنا؟".

بدا على إيكستروم الذهول: "تزن الصخرة أكثر من ثمانية أطنان. ولقد طمرت على عمق يقارب مئتي قدم (60 متر) تحت الجليد الصلب، وهذا يعني أن أحداً لم يمسها منذ أكثر من ثلاثمئة عام".

شعرت راشيل بالتعب وهي تتبع المدير نحو بداية ممر طويل وضيق،

وقد عبرت عاملين مسلحين تابعين لناسا، وقفا كحارسين. نظرت راشيل إلى إيكستروم: "أظن أنه يوجد تفسير منطقي لوجود الصخرة هنا... ولكل هذه السرية؟".

"نعم، بالتأكيد يوجد". قال إيكستروم بوجه جامد: "إن الصخرة التي وجدتها (بودس) هي حجر نيزكي".

وقفت راشيل فجأة في الممر ونظرت إلى المدير. "حجر نيزكي؟" اندفعت موجة من خيبة الأمل عبرها. يبدو الحجر النيزكي أمراً غير مثير على الإطلاق بعد تلك الدعاية الواسعة التي قام بها الرئيس. هذا الاكتشاف سيبرر وحده جميع نفقات ناسا الماضية وأخطاءها أيضاً؟... بماذا كان هيرني يفكر؟ إن الأحجار النيزكية هي باعتراف الجميع أحد الصخور الأكثر ندرة على الأرض، ولكن ناسا دائماً تكتشف أحجاراً نيزكية".

"هذا الحجر النيزكي هو أحد أكبر الأحجار التي وجدت على الإطلاق" قال إيكستروم وهو يقف بصلابة أمامها. "نعتقد أنه شظية لنيزك كبير كان قد ارتطم بالمحيط القطبي الشمالي في القرن الثامن عشر. والأغلب أن هذه الصخرة كانت قد قذفت بسبب أثر الصدمة في المحيط، ثم حطت في الكتلة الجليدية الملينية وطُمرت ببطء بواسطة الثلج خلال الثلاثمئة سنة الماضية".

قطبت راشيل حاجبيها. إن هذا الاكتشاف لا يغير شيئاً. شعرت بشك متزايد أنها تشهد عملاً إعلانياً مضخماً من قبل وكالة ناسا والبيت الأبيض البائس - منشأتان تناضلان لمحاولة الرقي باكتشاف ملائم إلى مستوى نصر مزلزل لصالح ناسا.

"لا يبدو أنك متأثرة كثيراً". قال إيكستروم.

"أعتقد أنني كنت أتوقع شيئاً... آخر".

ضاقت عينا إيكستروم: "إن حجراً نيزكياً بهذا الحجم من النادر وجوده، آنسة سيكستون. فهناك القليل أكبر منه فقط على وجه الأرض".

"أدرك أن -".

"لكن ليس حجمه فقط الذي أذهلنا".

نظرت إليه راشيل... "لو سمحت لي بإنهاء حديثي"، قال إيكستروم: "ستعرفين أن هذا الحجر النيزكي يعرض ميزات مذهلة لم تتواجد من قبل في أي حجر نيزكي آخر. سواء أكان كبيراً أم صغيراً".

تحرك إلى أسفل الممر: "إذا تبعتيني الآن، سأقدمك لشخص آخر أكثر خبرة مني ليناقش معك هذا الاكتشاف".

ارتبكت راشيل: "شخص آخر أكثر خبرة من مدير ناسا؟".

حدقت عينا إيكستروم الإسكندنافية بها: "أكثر خبرة، آنسة سيكستون، فيما يتعلق بكونه مدنياً. فلقد افترضت بسبب كونك محللة بيانات محترفة أنك ترغبين بالحصول على بياناتك من مصدر غير متحيز".

أعترف بأنك على صواب، تراجعت راشيل.

تبعته إلى أسفل الممر الضيق إلى أن انتهيا فجأة أمام ستارة سوداء سميكة. من وراء تلك الستارة، استطاعت راشيل سماع همس متردد لأصوات عديدة تدمدم في الجانب المقابل، تصدر صدى وكأنها في فضاء ضخم غير مطوق.

ودون البوح بأي كلمة، وصل المدير ودفع بالستارة جانباً. بُهرت راشيل بذلك النور الرائع. ثم خطت إلى الأمام مترددة، تحدق بعينين نصف مغمضتين إلى الفضاء المتلألئ. وبينما تكيفت عيناها، حدقت بتلك الغرفة الكبيرة التي أمامها وأصدرت تنفساً ممتلئاً رهبةً.

"يا إلهي"، همست لنفسها، ما هذا المكان؟!

20

إن منشأة الإنتاج لقناة (سي إن إن) خارج واشنطن هي إحدى المئتي واثني عشر أستديو عالمياً تتصل ببعضها بعضاً من خلال قمر صناعي بالمركز الرئيسي لنظام الإرسال الشبكي للولايات المتحدة في أطلنطا.

كانت الساعة الواحدة وخمساً وأربعين دقيقة بعد الظهر، عندما توقفت سيارة الليموزين للسيناتور سيدجويك سيكستون في أرض المرآب. كان السيناتور معتداً بنفسه وهو يخرج من سيارته ويمشي بخطى واسعة باتجاه المدخل. ولقد تم الترحيب به وبغابريل في الداخل من قبل منتج في (سي إن إن) كبير البطن، ارتسمت على وجهه ابتسامة عريضة.

"السيناتور سيكستون". قال المنتج: "مرحباً بك، لديّ أخبار عظيمة لك. لقد علمنا للتو من أرسل البيت الأبيض للمناظرة معك". ضحك المنتج مطلقاً ابتسامةً عريضة منذرة بالشر. "أتمنى أن تكون قد أحضرت قناع الألعاب

معك". أشار إلى زجاج غرفة الإنتاج داخل الأستديو.

نظر سيكستون عبر الزجاج وكاد أن يسقط، ثم نظر إليه، من خلال الضباب الدخاني الصادر من سيجارتها. كان هناك أقبح وجه عرفه في ميدان السياسة.

"مارجوري تينش؟" قالت غابرييل دونما تفكير: "ما الذي تفعله هنا بحق الجحيم؟".

لم يكن لدى سيكستون أية إجابة، ولكن مهما كان السبب، فإن وجودها هنا يعني خبراً رائعاً - إشارة واضحة إلى أن الرئيس في وضع يائس ولو لم يكن هذا، لمَ يرسل مستشارته الأعلى مقاماً إلى الخطوط الأمامية؟ أرسل الرئيس زاك هيرني بشخص عظيم الشأن وسيكستون يرحب بتلك الفرصة.

كلما كان الخصم أقوى، كان سقوطه أصعب.

لم يكن للسيناتور أي شك في أن تينش ستكون خصماً خبيثاً، ولكنه الآن عندما حدق بتلك المرأة، لم يستطع إلا التفكير بأن الرئيس قد أخطأ كثيراً في محاكمته العقلية. كانت مارجوري تينش بشعة المظهر. وفي هذه الأثناء، كانت تجلس مترهلة على كرسيها، تدخن سيجارة، وتحرك يدها اليمنى بتواتر بطيء أماماً وخلفاً إلى شفاهها النحيلة كأنها حشرة فرس النبي العملاقة وهي تتناول طعامها بابتهال.

يا إلهي، فكر سيكستون، لا يوجد أبداً وجه مثل هذا يجب أن يقتصر ظهوره على الراديو فقط.

خلال المرات القليلة التي رأى فيها سيدجويك سيكستون الوجه اليرقاني للمستشارة الأعلى مقاماً في البيت الأبيض في إحدى المجلات، لم يصدق أنه ينظر إلى أحد أعظم الوجوه سلطةً في واشنطن.

"لا يروقني هذا". همست غابرييل.

لم يسمعها سيكستون، فكلما فكر ملياً بتلك الفرصة، كلما أعجب بها أكثر. إن الشيء الأكثر مصادفة من وجه تينش غير المحبوب إعلامياً هو سمعة تينش التي تخص موضوعاً رئيسياً: إن مارجوري تينش تتحدث كثيراً عن أن دور القادة الأميركيين في المستقبل يمكن حمايته بواسطة التفوق التكنولوجي فقط. وإنها تدعم بشدة برامج البحث والتطوير الحكومية للتقنية العالية بالإضافة إلى أكثرهم أهمية - ناسا. ويعتقد الكثيرون أن الضغط الذي تمارسه تينش من وراء الكواليس هو الذي

أبقى موقف الرئيس صارماً فيما يخص وكالة الفضاء الفاشلة.

تساءل سيكستون فيما إذا كان الرئيس يعاقب تينش من أجل جميع النصائح السيئة التي قدمتها لدعم ناسا. هل يرمي بمستشارته الأعلى مقاماً للذئاب؟

حدقت غابرييل عبر الزجاج إلى مارجوري تينش، وشعرت باضطراب متزايد. هذه المرأة ذكية جداً، كما أنها شخصية مراوغة بشكل غير متوقع. تلكما الحقيقتان قد حركتا غريزة غابرييل. فبالنظر إلى موقف تلك المرأة تجاه ناسا، سيكون أمر إرسالها من قبل الرئيس للمواجهة ضد السيناتور سيكستون أمراً غير حكيم. ولكن الرئيس ليس شخصاً غبياً بالتأكيد، وهناك شيء ما يقول لغابرييل أن هذا اللقاء دليل على أخبار سيئة.

أحست غابرييل بأن لعاب السيناتور قد بدأ يسيل بشكل مفرط، ولم يفدها ذلك في ضبط قلقها. فلسيكستون عادة الوصول إلى أقصى درجات الحماسة عندما يكون مزهواً بنفسه. إذ كانت قضية ناسا عوناً مرحباً به في صناديق الاقتراع، ولكن سيكستون كان يناضل بجهد كبير في الآونة الأخيرة، فكرت غابرييل. فلقد باءت العديد من الحملات بالفشل بسبب مضي مرشحيها وراء الضربة القاضية في حين كان الأهم هو إنهاء الجولة وحسب.

ظهر على المنتج توقه لمشاهدة المباراة الدامية التي كانت على وشك الحدوث: "لنبدأ بالعمل، حضرة السيناتور".

وبينما يتوجه السيناتور إلى الأستديو، أمسكت غابرييل بكُمّه: "أعلم ما الذي تفكر به" همست. له: "ولكن يتوجب أن تكون ذكياً. إياك والشعور بالحماسة المفرطة".

"حماسة مفرطة؟ أنا؟" ابتسم سيكستون.

"تذكر أن هذه المرأة جيدة جداً فيما تفعله".

ابتسم لها سيكستون بتكلف واضح: "وأنا كذلك".

21

تلك الحجرة الرئيسية الكهفية في قبة ناسا ستكون ذات مشهد غريب في أي مكان على الأرض، ولكن في الحقيقة وجودها هنا على صخور جليد القطب قد جعل منها أمراً يصعب تفهمه من قبل راشيل سيكستون.

وبينما هي تنظر إلى تلك القبة المستقبلية المصنوعة من رقائق مقوية

بيضاء لا لون لها ذات شكل مثلثي، شعرت راشيل وكأنها تدخل إلى مصحة ضخمة. انحدرت الجدران باتجاه الأسفل نحو الأرض المكونة من الجليد الصلب، حيث يقف هناك جيش من الأضواء الهالوجينية كأنها حراس التفت حول المحيط، مرسلة أضواءها الباهرة باتجاه السماء، تبعث في الحجرة كلها نوراً ساطعاً سريع الزوال.

ممتدة فوق الأرض الجليدية، التفت السجادات السميكة الضيقة ذات اللون الأسود كأنها ممرات خشبية عبر متاهة مؤلفة من محطات عمل علمية محمولة. وسط هذه الإلكترونيات، كان هناك حوالى ثلاثين أو أربعين موظفاً تابعين لناسا مكتسيين باللون الأبيض ومنهمكين في عملهم، يتباحثون بسعادة ويتحدثون بنبرة إثارة. أدركت راشيل على الفور سبب هذه الحماسة الغريبة.

إنها إثارة الاكتشاف الجديد!

وبينما كانت راشيل والمدير يدوران حول الطرف الخارجي للعتبة، لاحظت نظرات الاستياء من أولئك الذين عرفوها. انتشرت همساتهم بوضوح عبر الفراغ الصدوي.

أليست تلك ابنة السيناتور سيكستون؟

ما الذي تفعله هنا بحق الجحيم؟

لا أستطيع تصديق أن المدير يتحدث معها!

كادت راشيل أن تتوقع رؤية ألعاب مشعوذين تمثل والدها معلقة في كل مكان. لم يكن الحقد الذي يحيط بها هو العاطفة الوحيدة المنتشرة في الجو بل شعرت أيضاً بفخر واضح المعالم - وكأن ناسا تعلم بوضوح من الذي سيضحك في النهاية.

أرشد المدير راشيل باتجاه سلسلة من الطاولات حيث يجلس هناك رجل وحيد أمام جهاز كمبيوتر متطور. كان يرتدي كنزة ذات رقبة واقفة ضيقة، وبنطالاً واسعاً من القماش المخملي، وينتعل حذاءً ثقيلاً خاصاً بالقوارب، تختلف ملابسه نوعاً ما عن ملابس ناسا الشتوية المتشابه التي يرتديها الجميع. وقد أدار ظهره إليهم.

طلب المدير من راشيل انتظاره بينما ذهب وتحدث هو مع ذلك الرجل الغريب. وبعد لحظة، هزّ الرجل ذو القبة الواقفة رأسه بلطف وبدأ بإغلاق جهاز الكمبيوتر.

عاد المدير وقال: "سيتولى السيد تولاند الأمر من هنا. هو شخص آخر

من الأعضاء الذين أرسلهم الرئيس لذا ينبغي أن تتفقا سوية، سأنضم إليكما لاحقاً".

"شكراً لك".

"أظن أنك سمعت بـ 'مايكل تولاند'؟".

هزّت راشيل كتفيها دون مبالاة، إذ إن عقلها لا يزال يريد استيعاب البيئة التي لا تصدق من حولها. "لا يذكرني هذا الاسم بشيء معين!".

وصل الرجل ذو القبة الضيقة وعلى وجهه ابتسامة عريضة: "لا يذكر بشيء معين؟" كان صوته رناناً وودوداً: "أفضل الأخبار التي سمعتها طوال اليوم. يبدو أن الفرصة لن تسنح لي لإحداث انطباع أولي بعد الآن".

وعندما نظرت راشيل إلى المتقدم الجديد، تجمدت قدماها في المكان. لقد عرفت الوجه الجميل لذلك الرجل على الفور، كل شخص في أميركا يعرفه.

"أوه!" قالت وقد احمر وجهها بينما يصافحها ذلك الرجل. "أنت هو مايكل تولاند".

عندما أخبر الرئيس راشيل أنه قد استخدم أعضاءً جدد من أفضل العلماء المدنيين لإثبات صحة اكتشاف ناسا، تخيلت راشيل أنهم جماعة من العلماء الذابلين المتحمسين لهدف مفرد مع آلاتهم الحاسبة المنقوش اسمهم عليها. لكن مايكل تولاند نقيض ذلك فهو أحد أكثر المعروفين باسم 'العلماء المشهورين' في أميركا اليوم، وهو يستضيف برنامجاً وثائقياً أسبوعياً يدعى 'البحار المذهلة' والذي قام من خلاله بإحضار المشاهدين وجهاً لوجه أمام ظواهر المحيطات المذهلة - براكين تحت الماء، ديدان بحرية بطول عشرة أقدام، وأمواج مدية قاتلة. يلقب الإعلام تولاند على أنه مزيج من جاك كوستو وكارل ساغان مفتخرين بمعرفته وحماسته المتواضعة وحبه للمغامرة وبأنها هي الصبغة التي انطلقت ببرنامج 'البحار المذهلة' إلى قمة التقديرات. وبالتأكيد، يعترف معظم النقاد أن مظهر تولاند الوسيم والصارم بالإضافة إلى جاذبيته المتواضعة لم تؤثر على شعبيته من قبل جمهور النساء.

"السيد تولاند..." قالت راشيل وهي تتلعثم بالكلمات قليلاً. "أنا راشيل سيكستون".

ابتسم تولاند ابتسامة سعيدة ملتوية: "أهلاً، راشيل، نادني بـ 'مايك'". وجدت راشيل نفسها معقودة اللسان بشكل استثنائي. كان يحيط بها إحساس

مفرط... القبة الاصطناعية، الحجر النيزكي، الأسرار، وجودها لنفسها دونما توقع وجهاً لوجه أمام نجم تلفيزيوني. "أنا متفاجئة لرؤيتك هنا". قالت محاولة استعادة رشدها. "عندما أخبرني الرئيس أنه سيستخدم علماء مدنيين لإثبات صحة اكتشاف ناسا، توقعت..." ترددت بقولها.

"علماء حقيقيون؟" قال تولاند بابتسامة عريضة.

توهجت راشيل بخجل: "ليس هذا ما أقصده".

"لا تقلقي حول هذا"، قال تولاند: "فهذا كل ما سمعته منذ حضوري إلى هنا".

انصرف المدير ووعدهم بالعودة إليهما فيما بعد. رمقها تولاند بنظرة غريبة: "قال لي المدير إن والدك هو السيناتور سيكستون؟".

هزّت راشيل برأسها موافقة. لسوء الحظ، قالت لنفسها.

"جاسوس من قبل سيكستون وراء خطوط الأعداء؟".

"لا تحدد خطوط المعركة دائماً حيث يمكن أن تظنها". ساد صمت مُحرج.

"إذاً أخبرني". قالت راشيل بسرعة: "ما الذي يفعله أشهر عالم محيطات في العالم هنا على المنحدر الجليدي مع مجموعة من علماء الصواريخ التابعين لناسا؟".

ضحك تولاند بخفوت: "في الواقع، شخص ما يشبه كثيراً الرئيس قد طلب مني أن أسدي له معروفاً، ففتحت فمي لأقول له 'اذهب إلى الجحيم' ولكنني قلت دونما تفكير بطريقة ما: 'حاضر، سيدي'".

ضحكت راشيل لأول مرة طوال هذا الصباح. "تماماً كما حدث معي!".

على الرغم من أن معظم الأشخاص المشهورين يبدون أصغر شخصياً ولكن راشيل اعتقدت أن مايكل تولاند أطول. كانت عيناه البنيتان يقظتين ومتحمستين كما هو حالهما على التلفاز ويحمل صوته طابع الدفء المتواضع والحماسة نفسها. مايكل تولاند رجل في الخامسة والأربعين، رياضيّ الجسم، قد تغير لونه بسبب تعرضه للعوامل الجوية، وتتساقط من شعره الأسود الخشن خصلة ذرتها الرياح في تموج دائم عبر جبينه. ذقنه قوية وطريقته في التصرف خالية من أي هم وتعبر عن الثقة. وعندما صافح يد راشيل، ذكرها جلد راحته القاسي أنه ليس نموذجاً 'ناعماً' لشخصية تلفزيونية بل إنه ملاح بارع وباحث مهتمّ شخصياً بمجاله.

"لأكون صريحاً"، اعترف تولاند ويبدو عليه الإحراج "أعتقد أنه تم استدعائي إلى هنا بسبب قيمتي الإعلانية أكثر من معلوماتي العلمية. فقد طلب مني الرئيس الحضور وتقديم برنامج وثائقي من أجله".

"برنامج وثائقي؟ عن الحجر النيزكي؟ ولكنك عالم محيطات؟".

"هذا بالفعل ما أخبرته! ولكنه قال إنه لم يسمع بأي برامج وثائقية تتحدث عن النيازك. وقد أخبرني أن اشتراكي سيساعد في إعطاء مصداقية كبيرة لهذا الاكتشاف. ومن الواضح أنه يخطط لبث برنامجي الوثائقي كجزء من المؤتمر الصحفي الكبير لهذه الليلة عندما يريد إعلان اكتشافه".

ناطق مشهور، أحست راشيل بالمناورات السياسية الذكية التي يستخدمها زاك هيرني في عمله. إن ناسا تُتهم عادة بمناقشة أمورها أمام رؤوس الجماهير. لكن ليس هذه المرة. فقد قاموا باستدعاء متحدث علمي بارع، من أكثر الوجوه شهرة ووثوقاً في أميركا عندما يتعلق الأمر بالعلم.

أشار تولاند بشكل مائل عبر القبة إلى حائط طويل حيث يتم إعداد منطقة للبث وكان هناك سجادة زرقاء على الجليد، كاميرات تلفزيونية، وأضواء إعلامية وطاولة مستطيلة عليها العديد من الميكرفونات. وأحدهم كان يعلق ستارة خلفية هي علم كبير لأميركا.

"هذا استعداد لليلة". شرح لهما. "إن مدير ناسا وبعض علمائه من أصحاب المراتب العليا سيكونون على اتصال مباشر من خلال قمر صناعي إلى البيت الأبيض ليتمكنوا من المشاركة في برنامج الرئيس المبثوث في الساعة الثامنة".

شيء ملائم، قالت راشيل لنفسها وهي مسرورة لمعرفتها أن زاك هيرني لم يخطط لإبعاد ناسا عن الإعلان بالكامل.

"إذاً"، قالت راشيل متنهدة: "هل من أحد سيخبرني أخيراً ما هو الشيء المميز لذلك الحجر النيزكي؟".

قوس تولاند حاجبيه وابتسم ابتسامة غامضة: "في الواقع، إن الشيء الخاص بذلك الحجر النيزكي من الأفضل رؤيته وليس الشرح عنه". وأشار إليها لأن تتبعه باتجاه منطقة العمل المجاورة.

"الرجل الذي يجلس هناك لديه العديد من العينات يستطيع أن يُريك إياها".

"عينات؟ أحقاً لديكم عينات من الحجر النيزكي؟".

"بالتأكيد، لقد قمنا بثقب القليل منها. وفي الواقع، كانت العينات الأولية من

القلب هي التي أثارت انتباه ناسا لأهمية هذا الاكتشاف".

غير متأكدة من توقع ما الذي ستراه، تبعت راشيل تولاند إلى منطقة العمل. بدا أنها فارغة، لا يوجد هناك إلا كوب من القهوة على المكتب المبعثر بعينات صخرية، مسماكات[19]، وأجهزة تشخيصية أخرى. كانت تصدر بخاراً.

"مارلينسون!" صرخ تولاند، وهو ينظر في الجوار. لم يجبه أحد. تنهد محبطاً، ثم التفت إلى راشيل: "ربما قد أضاع طريقه وهو يحاول البحث عن الكريما من أجل قهوته. سأخبرك شيئاً ما، لقد ذهبت أنا وهذا الرجل إلى جامعة برينستون لمتابعة الدراسات العليا وقد اعتاد أن يفقد طريقه حتى وهو داخل مهجعه. الآن هو حائز على الوسام القومي للعلوم في مجال الفيزياء الفلكية، بإمكانك التأكد من الأمر!".

أردات راشيل التأكد. "مارلينسون؟ أنت بالتأكيد لا تقصد كوركي مارلينسون المشهور، أليس كذلك؟".

ضحك تولاند: "بذاته".

أصيبت راشيل بالذهول: "كوركي مارلينسون هنا؟" لقد كانت أفكار مارلينسون الخاصة بحقول الجاذبية أسطورة بين مهندسي الأقمار الصناعية في مكتب الاستطلاع".

"مارلينسون هو أحد الأعضاء الجدد المدنيين الذين استخدمهم الرئيس؟".

"نعم، أحد العلماء الحقيقيين".

حقيقي، هذا صحيح، فكرت راشيل، لقد كان كوركي مارلينسون شديد الذكاء والاحترام.

"إن التناقض الذي لا يُصدق حول كوركي". قال تولاند، "إنه يستطيع إعطائك مسافة بعد القنطورس ألفا بالميللي متر، ولكنه لا يستطيع عقد ربطة عنقه".

"أرتدي الأنواع ذات المشبك!" علا صوت حاد ولطيف في الجوار. "الكفاءة فوق الأناقة يا مايك! نحن في القطب الشمالي اللعين ولا تزال تستطيع تدبر أمرك في لقاء النساء الرائعات، لقد كان يتوجب عليّ أن أذهب إلى التلفاز!".

كان مايكل تولاند محرجاً بشكل واضح: "آنسة سيكستون، من فضلك أن تعذري الدكتور مارلينسون، فقد عوض عن نقص اللباقة عنده، بالقليل من

---

19 مسماكات: أدوات لقياس سماكة الشيء.

المعلومات العشوائية عن الكون".

اقترب كوركي: "يسرني رؤيتك سيدتي، لم أستطع سماع اسمك".

"راشيل". قالت له: "راشيل سيكستون".

"سيكستون". أطلق كوركي لهاثاً مازحاً: "ليس هناك من قرابة بذلك السيناتور الفاسق قصير النظر، كما أتمنى!".

أجفل تولاند: "في الواقع يا كوركي، إن السيناتور سيكستون هو والد راشيل". توقف كوركي عن الضحك وانحنى محرجاً: "أتعلم يا مايك، ليس من الغرابة ألا يكون لديّ حظ جيد مع السيدات".

22

عالم الفيزياء الفلكية الفائز بالجوائز، كوركي مارلينسون أرشد تولاند وراشيل إلى منطقة عمله وبدأ بتفحص أدواته والعينات الصخرية. كان الرجل يتحرك مثل نابض مثبت بإحكام علىٰ وشك الإنفجار.

"حسناً"، قال وهو يهتز من الإثارة. "آنسة سيكستون، أنت الآن على وشك أن تتلقي موجز كوركي مارلينسون ذا الثلاثين ثانية عن الحجر النيزكي".

غمز تولاند راشيل غمزةً طالباً فيها أن تكون صبورة: "تحمّليه. فإن هذا الرجل أراد في الواقع أن يكون ممثلاً".

"حسناً، ومايك أيضاً رغب بأن يكون عالماً محترماً". بحث كوركي في مكان عمله الضيق ثم عرض ثلاث عينات حجرية صغيرة وصفّهم على مكتبه. "هذه هي الأنواع الثلاثة الرئيسية للأحجار النيزكية في العالم".

نظرت راشيل إلى العينات الثلاث، فبدت كلها ذاتِ شكل كروي يعوزه التناسق بحجم كرة الغولف. وكل واحدة منها كانت قد شُطرت إلى النصف لتكشف عن مقطعها العرضي.

"كل الأحجار النيزكية"، قال كوركي: "تتكون من كميات متنوعة من خليط المعادن الحديدية والسليكات والكبريتيد. نصنفها بناء على نسبة المعادن إلى السليكات فيها".

بدأت راشيل تشعر أن 'موجز' كوركي مارلينسون عن الحجر النيزكي سيستغرق أكثر من ثلاثين ثانية.

"إن هذه العينة الأولى هنا"، قال كوركي مشيراً إلى حجر أسود فاحم

ولامع: "هو حجر نيزكي ذو لب حديدي. ثقيل جداً، وقد حط هذا الفتى الصغير في أنتاركتيكا منذ سنوات قليلة خلت".

تفحصت راشيل ذلك الحجر النيزكي، إنه بالتأكيد يبدو شيئاً غيبيّاً - شكل غامض لحديد ثقيل رمادي اللون، احترقت قشرته الخارجية واسودت.

"هذه الطبقة الخارجية المتفحمة تدعى بقشرة الانصهار". قال كوركي: "إنها نتيجة تعرض النيزك للحرارة الشديدة أثناء سقوطه عبر غلافنا الجوي. جميع الأحجار النيزكية تعرض هذا التفحم. انتقل كوركي بسرعة إلى العينة التالية: "إن هذه الأخرى ندعوها الحجر النيزكي ذا الحديد الصخري".

تفحصت راشيل العينة، فلاحظت أنها هي الأخرى ذات قشرة خارجية متفحمة جداً، فيها مسحة من اللون الأخضر الفاتح، ويبدو مقطعها العرضي وكأنه مجموعة من الشظايا الخشنة الملونة التي تمثل أحجية مشكالية[20].

"جميلة". قالت راشيل.

"هل تمزحين، إنها فائقة الجمال!" تحدث كوركي لمدة دقيقة عن النسبة العالية التي تحتويها من الزبدجد الزيتوني المسبب لذلك اللمعان الأخضر اللون، وبعدها، وصل بصورة مفاجئة إلى العينة الثالثة والأخيرة مسلّماً إياها بيده لراشيل.

حملت راشيل الحجر النيزكي الأخير، كان لونه بنياً ضارباً إلى الرمادي، يشبه الغرانيت. شعرت بأنه أثقل من أي حجر أرضي آخر، ولكن ليس كثيراً، إن الإشارة الوحيدة التي تُخبر بأنه ليس حجراً عادياً هو قشرته الخارجية المنصهرة - السطح الخارجي المحترق.

قال كوركي منهياً حديثه: "يدعى هذا بالحجر النيزكي الصخري، وإنه الأكثر شيوعاً بين الأحجار النيزكية، حيث إن أكثر من تسعين بالمئة من الأحجار النيزكية على الأرض هي من هذا النوع".

كانت راشيل متفاجئة، فطالما تخيلت الأحجار النيزكية على أنها من النوع الأول غالباً - أشكال غير واضحة، معدنية وذات شكل غريب. لكن الحجر النيزكي الذي في يدها لا يبدو أنه من خارج الأرض. فلولا قشرته الخارجية المحترقة، لبدا وكأنه شيء ربما تدوس فوقه على شاطئ البحر.

---

20 المشكال: أداة تحتوي على قطع متحركة من الزجاج الملون ما إن تتغير أوضاعها حتى تعكس مجموعة لا نهاية لها من الأشكال الهندسية المختلفة الألوان.

كانت عينا كوركي تنتؤان من الإثارة: "إن الحجر النيزكي المدفون هنا في جليد ميلني هو حجر نيزكي صخري - يشبه كثيراً ذلك الذي في يدك. تبدو الأحجار النيزكية الصخرية مماثلة تقريباً لصخورنا البركانية الأرضية، وهذا ما يجعل من الصعب اكتشافها - عادة مزيج من السليكات خفيفة الوزن - سليكات الألمنيوم، الزبرجد الزيتوني، والبيروكسين. ليس مثيراً جداً".

سأقول إذاً، فكرت راشيل وهي تسلم العينة إليه: "هذه تشبه صخرة تركها شخص ما في موقد النار فاحترقت".

انفجر كوركي ضحكاً: "موقد نار قوي جداً! إن أكثر الأفران فعّالية وطاقة لا يمكن لها أن تقدم الحرارة التي يشعر بها النيزك الدائر عندما يرتطم بغلافنا الجوي". "إنها تتلف!".

بادرها تولاند بابتسامة متفهمة لمشاعرها: "هذا هو الجزء الجيد".

"تصوري هذا"، قال كوركي وهو يأخذ العينة منها: "دعينا نتخيل أن هذا الشخص الصغير هو بحجم المنزل". رفع العينة إلى فوق رأسه: "حسناً... إنها في الفضاء... تطوف عبر نظامنا الشمسي... مشبعة بالبرودة من حرارة الفضاء التي تصل مئة درجة سليسيوس تحت الصفر".

ضحك تولاند، وكأنه قد رأى من قبل كوركي وهو يمثل وصول الحجر النيزكي إلى جزيرة إيلزمير.

أنزل كوركي العينة: "إن الحجر النيزكي يتحرك باتجاه الأرض... وبينما هو يقترب كثيراً، تمسك به جاذبيتنا الأرضية... يتسارع... ويتسارع...".

راقبت راشيل كوركي وهو يسّرع مسار العينة، مقلّداً تسارع الجاذبية.

"الآن، إنها تتحرك بسرعة" صرخ كوركي: "أكثر من عشرة أميال في الثانية الواحدة - ست وثلاثون ألف ميل في الساعة! وعلى بعد 135 كيلومتراً من سطح الأرض، يبدأ الحجر النيزكي بمواجهة الاحتكاك بالغلاف الجوي".

هزّ كوركي العينة بعنف وأخذ يخفضها باتجاه الجليد.

"المسافة الآن أقل من مئة كيلومتر، وبدأت تتوهج! والآن، تزداد الكثافة الجوية، والاحتكاك لا يصدق! بدأ الهواء حول النيزك بالتوهج، ذلك لأن المواد السطحية بدأت بالانصهار بسبب الحرارة". بدأ كوركي بإصدار تأثيرات صوتية للاحتراق والأزيز: "الآن، إنها تسقط إلى الأسفل متجاوزة مسافة ثمانين كيلومتراً، وبدأت القشرة الخارجية تسخن لأكثر من ألف وثمانمئة درجة سيلسيوس".

راقبت راشيل غير مصدقة أن العالم الفكلي الحاصل على جائزة من قبل الرئيس يهزّ الحجر النيزكي بعنف أكثر، مصدراً تأثيرات صوتية صبيانية.

"ستين كيلومتراً!" كان كوركي يصرخ الآن: "إن نيزكنا الآن يصطدم بالجدار الجوي. الهواء كثيف جداً! إن سرعته تتناقص بعنف لأكثر من ثلاثمئة ضعف قوة الجاذبية!" أطلق كوركي صوت صراخ وأبطأ من هبوطه بشكل مفاجئ. "يبرد الحجر النيزكي ويتوقف عن التوهج، لقد ارتطمنا بجسم ثقيل مظلم! يقسو سطح النيزك بسبب مرحلة الانصهار إلى قشرة خارجية منصهرة وملتحمة".

سمعت راشيل تولاند يهمهم ساخراً بينما كان كوركي منحنياً نحو الجليد ليمثل الضربة القاضية - تأثير الأرض.

"الآن"، قال كوركي: "إن حجرنا النيزكي الضخم يتخطى غلافنا الجوي الأدنى..." وهو جالس على ركبتيه، قوّس الحجر النيزكي باتجاه الأرض بإمالة قليلة. "إنه يتوجه إلى المحيط القطبي... يسقط... و...".

لمس العينة بالجليد: "بام!".

قفزت راشيل.

"إن الاصطدام مفاجئ وعنيف! يتفجر الحجر النيزكي! تتطاير الشظايا، تنحدر وتهبط في المحيط". بدأ كوركي بحركات بطيئة الآن، وهو يدحرج العينة ويقلبها عبر المحيط الخفي باتجاه قدمي راشيل. "قطعة واحدة تتابع الانزلاق، وتتشقلب باتجاه جزيرة إيلزمير".

أحضر العينة إلى مقدّم حذائها: "تقفز من المحيط، ترتد باتجاه اليابسة..." حركها إلى أعلى مقدمة حذائها ثم دحرجها لتقف في أعلى قدمها بالقرب من كاحلها. "وفي النهاية، يرقد في أعلى سفح ميلني الجليدي، حيث تغطيه الثلوج والجليد بسرعة لتصونه من التآكل الجوي". وقف كوركي وعلى وجهه ابتسامة.

ارتخى فم راشيل وضحكت متأثرة: "حسناً، أيها الدكتور مارلينسون، لقد كان هذا الشرح على نحو استثنائي...".

"واضحاً؟" قال كوركي.

ضحكت راشيل: "مختصراً".

أعاد كوركي العينة إليها: "أنظري إلى المقطع العرضي". تفحصت راشيل داخل الصخرة للحظة، ولم ترَ شيئاً.

"أميليها باتجاه الضوء". ذكرها تولاند على الفور وكان صوته دافئاً ولطيفاً: "وانظري عن قرب".

قربت راشيل الصخرة إلى عينيها وأدارتها باتجاه الضوء الهالوجيني الباهر المنعكس فوق رأسها.

رأتها الآن - كريات معدنية صغيرة تتلألأ داخل الحجر. كان الكثير منها منتشراً في كل مكان في المقطع العرضي مثل قطرات صغيرة من الزئبق، كل واحدة منها يبلغ عرضها حوالى ميللي متر واحد.

"هذه الفقاعات الصغيرة تدعى 'الحبيبات المعدنية'". قال كوركي: "وتظهر فقط داخل الأحجار النيزكية".

حدقت راشيل بتلك القطرات: "هذا صحيح، لم أرَ على الإطلاق أي شيء كهذا في صخرة أرضية".

"ولن تري أبداً". صرح كوركي: "إن الحبيبات المعدنية هي ببساطة تركيب جيولوجي لا نمتلكه على الأرض. وبعضها قديم بشكل استثنائي - ربما صُنعت من أولى المواد في الكون. وبعضها الآخر، أكثر حداثة، مثل هذه التي في يدك. فإن عمر الحبيبات داخلها يبلغ 190 مليون سنة فقط".

"مئة وتسعون مليون سنة فقط، ويعتبر هذا حديثاً؟".

"بالتأكيد، نعم! حسب المصطلحات الكونية، هذا يعني البارحة. المهم هنا أن هذه العينة تحتوي على الحبيبات المعدنية - دليل نيزكي مقنع".

"حسناً"، قالت راشيل: "الحبيبات المعدنية مقنعة، فهمتها".

"وفي النهاية" قال كوركي متنهداً: "إذا كانت القشرة الخارجية المتفحمة والحبيبات المعدنية لا تقنعك، فنحن علماء الفلك، لدينا طريقة مكفولة لإثبات الأصل النيزكي".

"وهي؟".

هزّ كوركي كتفيه كعادته: "نحن نستخدم ببساطة مجهراً مستقطباً بتروغرافياً ومقياس الطيف المفلور ذا الأشعة السينية، ومحلل تفعيل نيوتروني أو مقياس طيف بلازمي ذا تحريض مقترن لقياس نسب المواد عالية الإنفاذية المغناطيسية".

ابتسم تولاند: "يريد الآن أن يتباهى. إن ما يقصده كوركي هو أننا نستطيع إثبات أن الصخرة هي حجر نيزكي ببساطة من خلال قياس مكوناتها الكيميائية".

"هاي، أنت صبي المحيطات!" وبخّه كوركي: "اترك العلم للعلماء، أليس كذلك؟" وعلى الفور، التفت إلى راشيل: "في الصخور الأرضية، يتواجد النيكل المعدني إما بنسب عالية جداً أو منخفضة جداً، لا يوجد حد وسط فيها. ولكن، في الأحجار النيزكية تكون محتويات النيكل بقيم تتراوح في الوسط. لذلك، إذا قمنا بتحليل عينة ما ووجدنا أن محتويات النيكل تقع في قيمة وسطية، نستطيع الضمان ودون شك في أن هذه العينة هي حجر نيزكي".

شعرت راشيل بالغضب: "حسناً، أيها السادة، قشرة انصهارية، حبيبات معدنية، محتويات نيكل متوسطة، كل هذا يثبت أنها من الفضاء. لقد أدركت الصورة.

وضعت العينة على الطاولة: "ولكن لماذا أنا هنا؟".

أطلق كوركي تنهدة مثقلة بالاحتمالات: "تريدين رؤية عينة الحجر النيزكي الذي اكتشفته ناسا في الجليد من تحتنا؟".

من فضلك، قبل أن أموت هنا. قالت لنفسها.

هذه المرة، مدّ كوركي يده إلى جيبة صدره وقدم إليها قطعة صخرية صغيرة على شكل قرص. كانت شريحة الصخر تلك ذات شكل يشبه القرص المضغوط، تبلغ سماكتها حوالى نصف إنش (1.3 سم)، ويبدو أنها مشابهة لمكونات ذلك الحجر النيزكي الصخري الذي رأته للتو.

"هذه شريحة من لب العينة قمنا بثقبها البارحة". أعطى كوركي ذلك القرص لراشيل.

لم يكن شكلها بالتأكيد ذا أهمية كبيرة، تبدو مثل العينة التي رأتها من قبل. كان لونها أبيضَ ضارباً إلى البرتقالي، وهي صخرة ثقيلة. كان جزء من حافتها متفحماً وأسودَ، ومن الواضح أنه جزء من البشرة الخارجية للحجر النيزكي: "أستطيع رؤية القشرة الانصهارية".

هزّ كوركي رأسه موافقاً: "بالتأكيد، لقد أخذت هذه العينة من مكان قريب من الجزء الخارجي للحجر النيزكي، لذلك يوجد عليها جزء من القشرة الخارجية".

أدارت راشيل القرص إلى الضوء فرأت الكريات المعدنية الصغيرة. "وأرى أيضاً الحبيبات المعدنية".

"جيد". قال كوركي وصوته متوتر من الإثارة: "وأستطيع أن أقول لك إنه

من خلال إدخال هذا الشيء عبر مجهر مستقطب بتروغرافي أن محتويات النيكل هي في الدرجة الوسطى - ليس فيه أي شيء من خواص الحجر الأرضي. تهانينا، فلقد استطعت الآن وبنجاح إثبات أن هذا الحجر الذي في يدك قد أتى من الفضاء".

نظرت إليه مرتبكة: "دكتور مارلينسون، إنه حجر نيزكي، ويفترض به أن يأتي من الفضاء. هل أضعت شيئاً هنا؟".

تبادل كوركي وتولاند نظرات معرفة. وضع تولاند يده على كتف راشيل وهمس: "اقلبيها إلى الخلف".

أدارت راشيل القرص إلى الخلف فتمكنت بذلك من رؤية الطرف الآخر. استغرق عقلها لحظات فقط ليتمكن من استيعاب ما نظرت إليه!

ثم صدمتها الحقيقة وكأنها شاحنة.

مستحيل!... بينما تحدق بالصخرة أدركت راشيل أن تعريفها لكلمة 'مستحيل' قد تغير للأبد. فهناك، مطموراً في الصخرة، كان شكل يمكن اعتباره أمراً عادياً في عينة أرضية ولكنه في حجر نيزكي كان لا يُصدق على الإطلاق.

"إنها..." تلعثمت راشيل، غير قادرة على التحدث. "إنها... حشرة! هذا الحجر النيزكي يحتوي على مستحاثة حشرة!".

ابتسم كل من تولاند وكوركي بابتهاج: "أهلاً بك هنا!" قال كوركي.

إن سيل المشاعر الذي استحوذ على راشيل تركها صامتة للحظة. ولكنها حتى أثناء ذهولها، استطاعت أن ترى بوضوح أن هذه المستحاثة، من دون أي شك، كانت من قبل كائناً حياً يعيش حياة بيولوجية. يبلغ طول ذلك الانطباع المتحجر حوالى ثلاثة إنشات (7.5 سم) وتبدو أنها الجانب الأسفل لخنفساء كبيرة أو لحشرة زاحفة. سبعة أزواج من الأرجل المفصلية كانت منعقدة أسفل غلاف خارجي للحماية، بحيث بدا منفصلاً إلى ثنايا مثل تلك الخاصة بالمُدّرع[21].

شعرت راشيل بأنها مشوشة الذهن: "حشرة من الفضاء...".

"إنها من متساويات الأرجل". قال كوركي: "فالحشرات لها ثلاثة أزواج من الأرجل، وليس سبعة".

لم تسمعه راشيل فقد كان رأسها يدور بسرعة وهي تتفحص تلك المستحاثة التي أمامها.

---

21 المُدّرع: حيوان ثديي في جنوب أميركا.

"يمكنك أن ترى بوضوح"، قال كوركي: "أن ذلك الغلاف الظهري مقسم إلى لويحات مثل حمار قبّان[22] أرضي. مع ذلك فإن الزائدتين الناتئتين اللتين تشبهان الذيل تصنفانها كنوع قريب من القملة".

كان عقل راشيل قد تخلص من كوركي مسبقاً. فإن تصنيفات الأنواع لا علاقة لها بالموضوع على الإطلاق. أما أجزاء اللغز فكانت تتدافع الآن في المكان - سرية الرئيس، وإثارة ناسا...

بدأت تقول لنفسها: هناك مستحاثة في هذا الحجر النيزكي، ليس فقط بقعة بكتيريا أو ميكروب بل إنه شكل متقدم للحياة! دليل على حياة في مكان آخر على الكون.

23

خلال عشر دقائق في مناظرة الـ (سي إن إن)، تساءل سيكستون لمَ كان قلقه. لقد كان مُغالياً كثيراً في تقدير مارجوري تينش على أنها خصمه. على الرغم من أن المستشار ذات المقام الأعلى تشتهر بذكائها الذي لا يرحم، ظهرت الآن أشبه بحمل وديع أريد التضحية به أكثر من كونها خصماً قيماً.

كان صحيحاً أن تينش في بداية الحوار امتلكت السيطرة من خلال طرق موضوع البرنامج السياسي للسيناتور في كونه متحيزاً ضد المرأة، ولكن فيما بعد وبينما كانت تينش تشد بقبضتها على اللقاء، قامت بخطأ طائش. فعندما كانت تسأل السيناتور كيف يتوقع أن يمول التطويرات التعليمية دون زيادة الضرائب، أعطت بذلك سيكستون تلميحاً نُسياً ليلقي المسؤولية على ناسا.

وعلى الرغم من أن ناسا بالتأكيد كانت موضوعاً يرغب سيكستون بالحديث عنه في نهاية الحوار، فإن مارجوري تينش قد فتحت له الباب باكراً. حمقاء!

"بالحديث عن ناسا"، انتقل سيكستون بحديثه كعادته: "هل بإمكانك التعليق على الإشاعات التي أسمعها دائماً، والتي تقول إن ناسا تعاني إخفاقاً آخر مجدداً؟".

لم تتردد مارجوري تينش بإجابتها: "أخشى أنني لم أسمع بتلك الإشاعة". كان صوتها المدخن مثل حك ورق الزجاج.

---

[22] حمار قبّان: دويبة صغيرة كثيرة القوائم.

"إذاً، لا تعليق؟".

"أظن ذلك".

تأملها سيكستون بارتياح خبيث، ففي عالم الملاحظات الإعلامية المختصرة تفسر عبارة 'لا تعليق' على نحو غير دقيق بـ 'مذنب بالتهم الموجهة إليه'.

"حسناً"، قال سيكستون: "وماذا عن الإشاعات التي تتحدث عن اللقاء السري العاجل بين الرئيس ومدير ناسا؟".

بدا على تينش الدهشة هذه المرة: "لا أعلم عن أي اجتماع تشير. فالرئيس يقوم بالعديد من اللقاءات".

"بالطبع، يفعل ذلك". قرر سيكستون أن يواجهها مباشرة.

"آنسة تينش، أنت مساندة كبيرة لوكالة الفضاء، أليس كذلك؟".

تنهدت تينش وقد بدا عليها الملل من تلك القضية البغيضة: "إنني مؤمنة بأهمية الحفاظ على التقدم التقني الأميركي - سواء أكان ذلك عسكرياً، أم صناعياً، أم استخباراتياً، أم يخص الاتصالات. وناسا بالتأكيد هي جزء من تلك الصورة. صحيح!".

وفي حجرة الإنتاج، استطاع سيكستون رؤية عيني غابرييل تخبرانه أن يتراجع ولكنه كان مسروراً لتناوله غنيمة جاهزة: "ينتابني الفضول أن تأثيرك هو المسؤول عن دعم الرئيس المستمر لهذه الوكالة الواضح ترديها؟".

هزّت تينش رأسها: "كلا، إن الرئيس مؤمن وفي لناسا، وهو الذي يصدر قراراته بنفسه".

لم يستطع سيكستون تصديق أذنيه، فقد قدم لمارجوري تينش الفرصة لتبرئ الرئيس جزئياً من ذلك بقبول بعض اللوم الشخصي لتمويل ناسا، وبدلاً عن ذلك، قامت تينش بإلقاء اللوم كله على الرئيس. الرئيس يصدر أوامره بنفسه، يبدو أن تينش تريد إبعاد نفسها عن مشاكل الحملة. ذلك أمر لا يبعث على الاستغراب. فعلى كل حال، عندما تستقر الأمور، ستبحث مارجوري تينش عن عمل لها.

خلال الدقائق القليلة، تفادى كل من سيكستون وتينش إجابة بعضهما بعضاً. حيث قامت تينش ببعض المحاولات الضعيفة لتغيير الموضوع بينما لازم سيكستون إصراره بالحديث عن ميزانية ناسا.

"سيناتور"، قالت تينش مناقشةً. "تريد أن تخفض من ميزانية ناسا، ولكن، أليس لديك فكرة عن العدد الهائل من الوظائف ذات التقنية العالية التي ستُفقد؟".

كاد سيكستون أن يضحك في وجه تلك المرأة. تُعتبر هذه المرأة أذكى مثال في واشنطن؟ قال لنفسه ساخراً.

من الواضح أن تينش يتوجب عليها أن تتعلم شيئاً عن ديموغرافية هذا البلد، فقد شغلت الوظائف ذات التقنية العالية عدداً ضئيلاً بالمقارنة مع العدد الهائل للعمال الأميركيين ذوي الياقات الزرقاء.

أجابها سيكستون على الفور: "نحن نتحدث عن توفير البلايين هنا يا مارجوري. وإذا كان الثمن أن جماعة من علماء ناسا يتوجب عليها ركوب سياراتهم الـ (بي إم دبل يو)، وأخذ مهاراتهم الرائجة لمكان آخر، إذاً، ليكن هذا! فأنا ملتزم أن أكون صارماً في الإنفاق".

أصاب الصمت مارجوري تينش، وكأنها تترنح من أثر اللكمة الأخيرة. أيقظها المُضيف في قناة (سي إن إن). "آنسة تينش، رد؟" وفي النهاية، تنحنحت ثم تحدثت. "أظن أنني متفاجئة لسماعي أن السيد سيكستون مستعد لأن يعيّن نفسه وبصرامة على أنه عدو لناسا".

تضيقت عينا سيكستون، محاولة جيدة، سيدتي، قال لنفسه. "أنا لست عدواً لناسا، كما أنني أستاء من هذا الاتهام. أنا ببساطة أقول إن ميزانية ناسا تدل على نوع من الإنفاق الهائل الذي يصادق عليه رئيسك. وقد قالت ناسا إن بإمكانها بناء المكوك بتكلفة خمسة بلايين، وقد كلف اثني عشر بليوناً. قالوا إن بإمكانهم بناء محطة فضاء بتكلفة ثمانية بلايين، والآن، إنها مئة بليون".

"الأميركيون هم القادة". ردّت تينش بعدائية. "فنحن الذين وضعنا الأهداف النبيلة والتزمنا بها خلال الأوقات العصيبة".

"إن خطاب الفخر القومي هذا لا يؤثر علي يا مارجوري. فقد بلغت ناسا في إنفاق نصيبها المالي ثلاثة أضعافه خلال السنين الماضية ثم زحفت متراجعة نحو الرئيس وذنبها بين قدميها وطلبت المزيد من الأموال لإصلاح أخطائها. هل هذا هو الفخر القومي؟ إذا أردت التحدث عن الفخر القومي، فحدثني عن مدارس قوية. تحدثي عن رعاية صحية شاملة، وتحدثي عن أطفال أذكياء ينمون في بلد مليء بالفرص. هذا هو الفخر القومي!".

توهجت تينش: "هل بإمكاني أن أسألك سؤالاً مباشراً، أيها السيناتور؟".

لم يجبها سيكستون، ولكنه انتظر كلامها وحسب.

انطلقت كلمات المرأة بتروٍ، مصاحبةً إياها إضافة مفاجئة ملؤها الإصرار: "سيناتور، لو أخبرتك أننا لن نستطيع اكتشاف الفضاء بثمن يقل عن مصاريف ناسا الحالية. فهل ستعمل على القضاء على وكالة الفضاء بأكملها؟".

بدا السؤال وكأنه صخرة ضخمة وُضعت في حضن سيكستون. ربما أن تينش لم تكن غبية في النهاية. لقد قامت للتو بمهاجمة سيكستون من نقطة ضعف بأداة كاسرة لأسيجته - سؤال مصاغ ببراعة يحتمل إجابة صح/خطأ، صُمم بحيث يجبر الخصم المتخذ موقفاً ملتبساً على اختيار جانب واضح وتوضيح موقفه بشكل نهائي وللأبد.

وبالفطرة، حاول سيكستون التملص من السؤال: "ليس لديّ أدنى شك في أن ناسا تستطيع بإدارة مضبوطة أن تكتشف الفضاء بتكاليف أقل من نفقاتها الحالية -".

"سيناتور سيكستون، أجب عن السؤال. إن اكتشاف الفضاء عمل خطير ومكلف. إنه يشبه كثيراً بناء طائرة نفاثة للمسافرين. فيتوجب علينا إما القيام بها بشكل صحيح - أو التخلي عنها على الإطلاق. فإن المخاطرة عظيمة جداً. يبقى سؤالي: لو أصبحت الرئيس، وواجهت قرار إما الاستمرار في تمويل ناسا كما هي تكاليفها الحالية أو أن تتخلص من برنامج فضاء الولايات المتحدة بأكمله، فأي واحد ستختار؟

تباً، نظر سيكستون إلى غابرييل عبر الزجاج، فرددت تعابيرها صدى ما يعرفه سيكستون من قبل. أنت ملتزم بالأمر، كن صريحاً، ولا تكن متردداً، حافظ سيكستون على ذقنه عالية: "نعم، سأحول ميزانية ناسا الحالية بشكل مباشر إلى نظم المدارس عند مواجهتي ذلك القرار. سأصوت لأطفالنا عوضاً عن الفضاء". كانت النظرة على وجه مارجوري تينش نظرة صدمة كلية: "لقد صُعقت، هل سمعتك بشكل صحيح؟ بصفتك الرئيس، ستعمل على إلغاء برنامج الفضاء الخاص بهذه الأمة؟" شعر سيكستون باهتياج غضبه. تحاول الآن تينش أن تقول أشياءَ لم يقلها هو. وقد حاول الاعتراض ولكن تينش كانت تتحدث قبله.

"إذاً، أنت تقول أيها السيناتور، للتأكيد، إنك ستنهي تلك الوكالة التي قامت بوضع الإنسان على القمر؟".

"أنا أقول إن سباق الفضاء قد انتهى! فقد تغيرت الأحوال، لم يعد لناسا

دور حاسم في الحياة اليومية للأميركيين ورغم ذلك نحن لا نزال نمولهم وكأنهم يفعلون ذلك".

"إذاً، أنت لا تعتقد أن الفضاء هو المستقبل؟".

"بالتأكيد، إن الفضاء هو المستقبل، ولكن ناسا ديناصور ضخم! لنترك اكتشاف الفضاء للقطاع الخاص. لا يتوجب على دافعي الضرائب الأميركيين أن يفتحوا محافظهم كل مرة يرغب مهندس من واشنطن أن يلتقط صورة لكوكب المُشتري بتكلفة بليون دولار. لقد سئم الأميركيون من بيع مستقبل أطفالهم من أجل تمويل وكالة انتهت صلاحيتها تقوم بتزويدهم بعائدات قليلة لقاء تكاليف هائلة!".

تنهدت تينش فجأة: "عائدات قليلة إذاً؟ ربما باستثناء برنامج البحث عن حياة خارج الأرض، فقد قامت ناسا بتوفير عائدات ضخمة؟".

كان سيكستون مذهولاً لذكر برنامج البحث عن حياة خارج الأرض وكأنها قد هربت من بين شفتي تنيش: خطأ فاضح... شكراً لتذكيري. إن برنامج البحث عن حياة خارج الأرض كان الأمر الأكثر أهمية في تكليف ناسا الكثير من الأموال وعلى الرغم من محاولة ناسا إعطاء هذا المشروع تعديلاً عصرياً من خلال إعادة تسميته: 'الأصول' والتخلص من بعض أهدافه، لكنه لا يزال المقامرة الخاسرة نفسها.

"مارجوري". قال سيكستون منتهزاً الفرصة: "سأتحدث عن ذلك البرنامج فقط لذكرك إياه".

وعلى نحو مستغرب بدت تينش متشوقة لسماع هذا.

تنحنح ثم قال: "معظم الناس لا يعلمون أنه قد مضى على بحث ناسا عن حياة خارج الأرض أكثر من خمس وثلاثين سنة، وهو كنز يكلف الحصول عليه الكثير الكثير – مجموعات من الأقمار الصناعية، أجهزة مرسلة مستقبلة ضخمة، الملايين لدفع رواتب العلماء الذين يجلسون في الظلمة ليستمعوا لأشرطة فارغة. إنها مضيعة محرجة للموارد".

"إذاً، أنت تقول إنه لا يوجد شيء هناك في الفضاء".

"أنا أقول إنه لو كانت هناك أية حكومة أخرى قد أنفقت 45 مليون دولار خلال 35 سنة ولم تتقدم بأي نتيجة واحدة، لتوجب عليها إنهاء ذلك منذ زمن طويل".

صمت سيكستون تاركاً المجال لخطورة عبارته بالإدراك.

"وبعد خمس وثلاثين سنة، أظن أنه من الواضح أننا لن نجد حياة خارج الأرض".

"وماذا لو كنت مخطئاً؟".

تدورت عينا سيكستون: "آه، بحق السماء، آنسة تينش، لو كنت مخطئاً عندها سأقطع يدي".

حدقت مارجوري تينش بعين ملؤها العداء بالسيناتور سيكستون: "سأذكرك بأنك قلت هذا، أيها السيناتور". ابتسمت للمرة الأولى: "أظن أن جميعنا سيفعل ذلك".

وعلى بعد ستة أميال، داخل المكتب الرئاسي، أغلق الرئيس زاك هيرني التلفاز وصب لنفسه شراباً. كما وعدته مارجوري تينش، كان السيناتور سيكستون قد التهم الطعم - الخطاف، صنارة الصيد والثقالة.

24

شعر مايكل تولاند بابتهاج متعاطف مع راشيل وهي مندهشة بصمت أمام ذلك الحجر النيزكي ذي المستحاثة الذي في يدها. إن جمال وجه تلك المرأة قد بدا الآن ينحل في تعابير الدهشة الساذجة - فتاة صغيرة وكأنها ترى 'بابا نويل' لأول مرة.

أعلم تماماً كيف تشعرين، فكر في نفسه.

لقد ذُهل بالطريقة نفسها منذ حوالى ثمان وأربعين ساعة. هو الآخر كان قد أصيب بصدمة أذهلته بصمت، وحتى الآن، لا تزال تذهله... تورط هذا النيزك في الأمور العلمية والفلسفية، وتجبره بإعادة التفكير بكل شيء كان قد آمن به من قبل عن الطبيعة.

إن اكتشاف تولاند في المحيطات قد تضمن العديد من الكائنات الحية المجهولة مسبقاً في أعماق البحار، ومع ذلك فإن 'حشرة الفضاء' هذه كانت مرحلة جديدة من التقدم المعرفي بأكمله. وعلى الرغم من نزعة هوليود لتمثيل الحياة خارج الأرض على أنهم رجال صغار خضر اللون، فإن علماء الأحياء الفلكيين ومعجبي العلوم، كلهم اتفقوا على أنه بالاعتماد على الإحصائيات المطلقة والتكيفية للحشرات الأرضية، فإن الحياة خارج الأرض ستكون على الأغلب على شكل حشرات فيما إذا تم اكتشاف شيء.

إن الحشرات هي أعضاء من شعبة مفصليات الأرجل - مخلوقات لها هيكل عظمي خارجي قاسٍ وأرجل مفصلية. كما أنه قد عرف فيها أكثر من 1.25 مليون نوع وخمسمئة ألف أخرى قد قُدر أنها ستصنف، وإن عدد هذه 'الحشرات' الأرضية يفوق أعداد الحيوانات الأخرى كلها مجتمعة. وهي تشغل نسبة حوالى 95 بالمئة من الأجناس على هذا الكوكب، ونسبة مفاجئة تبلغ 40 بالمئة من الكتلة الحيوية لكوكبنا.

لم تكن الأعداد الهائلة لتلك الحشرات هو ما يثير الذهول ولكن مرونتها، فابتداءً من الخنفساء الجليدية في القطب، إلى العقرب الشمسي في 'الوادي المميت'، قطنت تلك الحشرات بسعادة مناطق مميتة من ناحية الحرارة والجفاف وحتى الضغط. كما أنها مؤهلة للتعرض إلى القوة المميتة المعروفة في الكون - الطاقة الإشعاعية. فبعد إجراء اختبار نووي عام 1945، قام به ضباط من الأسطول الجوي ارتدوا بزّات إشعاعية وتفحصوا منطقة انفجار نووي ليجدوا هناك صراصير ونملاً تعيش بسعادة وكأن شيئاً لم يكن قد حدث. ولقد أدرك علماء الفلك أن الجهاز الهيكلي الواقي لمفصليات الأرجل هذه جعلها قابلة للحياة بشكل رائع في العدد اللانهائي من الكواكب المشبعة بالإشعاع حيث لا يمكن لأحد غيرها العيش هناك. يبدو أن علماء الأحياء الفلكيين على حق، فكر تولاند، فالحياة خارج الأرض هي من نمط الحشرات.

شعرت راشيل أن قدميها ضعيفتان من تحتها: "لا أستطيع... تصديق ذلك". قالت وهي تُقلب المستحاثة في يدها. "لم أفكر أبداً...".

"خذي بعض الوقت لتفهميها جيداً". قال تولاند ضاحكاً: "لقد استغرقت قدماي أربعاً وعشرين ساعة لأستعيدهما تحتي".

"أرى أن لدينا زائراً جديداً". قال ذلك رجل آسيوي طويل بصورة استثنائية كان يتقدم للانضمام إليهم".

بدا على كوركي وتولاند الانكماش على الفور عند وصول ذلك الرجل. حيث يبدو أن لحظة السحر قد انتهت.

"الدكتور وايلي مينغ". قال الرجل يعرف عن نفسه. "رئيس قسم علم الإحاثة[23] في جامعة كاليفورنيا في لوس أنجلوس".

---

23 علم الإحاثة: علم يبحث في أشكال الحياة في العصور الجيولوجية السالفة كما تمثلها المتحجرات.

كان الرجل يتصرف بصلابة متسمة بالغرور مأخوذة من الطبقة الأرستقراطية في عصر النهضة، ويمسّد باستمرار ربطة عنقه الموضوعة في غير محلها والتي يرتديها تحت معطفه المصنع من وبر الجمل والبالغ طوله حتى ركبته. ومن الواضح، أن وايلي مينغ ليس من النوع الذي يترك تواجده في منطقة منعزلة ليؤثر على مظهره الرائع.

"أنا راشيل سيكستون". كانت يداها لا تزالان ترتجفان وهي تصافح يد مينغ الملساء. ومن الواضح، أن مينغ هو أحد الأعضاء الجدد الذين اختارهم الرئيس من المدنيين.

"سيكون من دواعي سروري، آنسة سيكستون" قال العالم الإحاثيّ. "أن أخبرك عن أي شيء تريدين معرفته عن هذه المستحاثات".

"والكثير من الذي لا ترغبين بمعرفته". دمدم كوركي.

مسّد مينغ ربطة عنقه بيده. "إن اختصاصي في علم الإحاثة هو مفصليات الأرجل وعملاقيات الأشكال المنقرضة. ومن الواضح أن الصفة الأكثر روعة لهذا الكائن الحي هو –".

"أنها من كوكب لعين آخر!" اقتحم كوركي الحديث.

قطب مينغ وجهه وتنحنح: "الصفة الأكثر روعة لهذا الكائن أنه يتلاءم بشكل رائع مع نظام داروين الخاص بعلم تصنيف وتبويب الأرض".

نظرت إليه راشيل وقالت "أتقصد المملكة، الشُعبة، الأنواع، وذلك النوع من الأشياء؟".

"بالضبط"، قال مينغ: "لو وُجدت هذه الأنواع على الأرض لصُنفت تحت شعبة متساويات الأرجل، وتقع في صف يبلغ حوالى مئتي ألف نوع من القمل".

"القمل؟" قالت هي. "ولكنها ضخمة".

"إن علم التصنيف لا يختص بالحجم، فالقطط والنمور ترتبط بعلاقة تصنيفية. إنها تصنف تبعاً لعلم الوظائف. فمن الواضح أن هذا النوع هو قمل. فلديه جسم مسطّح، سبعة أزواج من الأرجل، جيب تكاثري مماثل للبنية الموجودة في قمل الخشب، حمار قبّان، الحشرة النطاطة الشاطئية، والقشريات. والمستحاثات الأخرى تكشف بوضوح عن أنواع أكثر –".

"مستحاثات أخرى؟".

نظر مينغ إلى كوركي وتولاند: "إنها لا تعلم؟".

هزّ تولاند رأسه.

لمع وجه مينغ على الفور: "آنسة سيكستون، إنك لم تسمعي بعد بالجزء الرائع".

"هناك المزيد من المستحاثات". تدخل كوركي بالحديث محاولاً منع الإعجاب بمينغ: "الكثير منهم". ثم مشى كوركي بخطى واسعة وأحضر ظرفاً كبيراً من ورق المانيلا وأخرج منه ورقة كبيرة مطوية. ثم مدّها على المكتب أمام راشيل. "فبعد أن قمنا بثقب بعض المناطق اللبية، أسقطنا إلى الأسفل كاميرا ذات أشعة سينية، وهذه صورة للمقطع العرضي".

نظرت راشيل إلى الصورة الفوتوغرافية المأخوذة عن طريق الأشعة السينية الموضوعة على الطاولة وكان عليها أن تجلس. فالمقطع العرضي الثلاثي الأبعاد المأخوذ لهذا الحجر النيزكي كان مليئاً بالكثير من هذه الحشرات.

"التسجيلات من العصر الحجري". قال مينغ: "تتواجد عادة بتراكيز كبيرة، وفي أغلب الأحيان تقوم الكتل الطينية باحتجاز المتعضيات بشكل مجموعات بحيث تغطي الأعشاش أو مجتمعات كاملة".

ابتسم كوركي ابتسامة عريضة: "تعتقد أن المجموعة في الحجر النيزكي تمثل عُشاً". أشار إلى إحدى الحشرات في الصورة: "وهذه هي الأم". نظرت راشيل إلى العينة المشار إليها، ففتحت فمها دهشة. يبدو أن طول هذه الحشرة يبلغ حوالى قدمين (0.6 متر).

"قملة ذات مؤخرة كبيرة، صحيح؟" قال كوركي.

هزّت راشيل رأسها مشدوهة، وتتخيل أن القملة التي بحجم رغيف الخبز تتجول في كوكب آخر بعيد.

"وعلى كوكب الأرض"، قال مينغ: "تكون حشراتنا صغيرة نسبياً لأن الجاذبية تبقيها تحت سيطرتها، فلا يمكن أن يكبر حجمها بأكثر ما يمكن لهيكلها دعمه. ولكن الحشرات على كوكب ذي جاذبية قليلة تستطيع أن تتطور لحجوم أكبر بكثير".

"تخيلي أن تصفعي بعوضةً بحجم الكوندور". قال كوركي مازحاً وهو يأخذ العينة من راشيل ويضعها في جيبه.

عبس مينغ: "يفضل ألا تسرق ذلك!".

"استرخِ"، قال كوركي: "فلدينا ثمانية أطنان في المكان الذي أتت منه

هذه". تحرك عقل راشيل التحليلي باضطراب لسماعها تلك المعلومات. "ولكن كيف يمكن للحياة في الفضاء أن تكون مشابهة للحياة على الأرض؟ أقصد أنك تقول إن هذه الحشرة تنطبق على تصنيفات داروين؟".

"بشكل رائع"، قال كوركي: "صدقي هذا أو لا، فالكثير من علماء الفلك قد تكهنوا أن الحياة خارج الأرض ستكون مشابهة كثيراً للحياة على الأرض".

"ولكن كيف؟" سألت راشيل: "إن هذه الأنواع من بيئة مختلفة تماماً".

"إنها نظرية البذور المنتشة الشاملة: بانسبيرميا". ابتسم كوركي ابتسامة عريضة.

"عفواً؟".

"بانسبيرميا هي النظرية التي تقول إن الحياة قد زُرعت هنا من كوكب آخر".

وقفت راشيل: "أنتم تضيعونني!".

التفت كوركي إلى تولاند: "مايك، أنت هو فتى البحار الأصلي".

بدا أن تولاند سعيد لتوليه السلطة الآن: "كانت الأرض يوماً ما كوكباً دونما حياة يا راشيل، وفجأة، بين عشية وضحاها، انفجرت الحياة. يعتقد العديد من علماء الحياة أن انفجار الحياة كان نتيجة سحرية لمزيج مثالي من العناصر في البحار البدائية. ولكن لم نستطع على الإطلاق أن نعيد ذلك في أي مختبر، عندها تمكن رجال الدين من انتهاز ذلك الفشل بأنه دليل على وجود الله، وهذا يعني أن الحياة لا يمكن أن توجد إلا إذا قام الله بلمس البحار الأولية ونفخ الحياة داخلها".

"ولكننا علماء الفلك"، صرح كوركي: "تمكنّا من إيجاد تفسير آخر لانفجار الحياة فجأة على الأرض".

"بانسبيرما". قالت راشيل وهي تفهم الآن ما الذي يتحدثون عنه. فقد سمعت بهذه النظرية من قبل ولكنها لم تعلم ما اسمها. "تلك النظرية التي تقول إن نيزكاً قد سقط في سحاب كثيف بدائي، محضراً البذور الأولى لحياة ميكروبية على الأرض".

"رائع"، قال كوركي: "حيث تنشطت وخرجت للحياة".

"وإذا كان هذا صحيحاً"، قالت راشيل: "عندها تكون سلسلة النسب الأساسية لشكل الحياة على الأرض وشكل الحياة خارج الأرض متشابهة".

"رائع بشكل ثنائي".

بانسبيرما، فكرت راشيل، وكانت لا تزال قادرة على فهم التضمينات بصعوبة بالغة. "إذاً، لا تثبت هذه المستحاثة أن هناك حياة في مكان ما في الكون فقط، بل إنها تؤكد نظرية بانسبيرما عملياً - أن الحياة قد زرعت على الأرض من مكان آخر في الكون".

"رائع بشكل ثلاثي"، أومض كوركي بإيماءة ملؤها الحماس: "تطبيقياً، يمكن أن نكون جميعاً من خارج الأرض". وضع أصابعه على رأسه كقرني استشعار، حوّل عينيه، ثم أرجح لسانه كنوع من الحشرات".

نظر تولاند إلى راشيل بابتسامة شفقة: "وهذا الفتى هو آخر ما وصل إليه تطورنا".

25

شعرت راشيل بغشاوة كالحلم تدوّم من حولها بينما كانت تمشي عبر القبة الاصطناعية محاطة بمايكل تولاند من جانبها. وكان كوركي ومينغ يتبعانهما عن قرب.

"هل أنت بخير؟" سألها تولاند وهو ينظر إليها.

نظرت راشيل بابتسامة واهنة: "شكراً، إنه فقط... كثير جداً".

عاد عقلها إلى الوراء متذكراً اكتشاف ناسا الشائن عام 1997 - (إي إل إتش 84001) - حجر نيزكي من كوكب المريخ، ادعت ناسا أنه يحتوي على آثار لمستحاثة حياة بكتيرية. بشكل محزن، وبعد أسبوع فقط من المؤتمر الصحفي المبتهج بالنصر الذي قدمته ناسا، تولى العديد من العلماء المدنيين إثبات أن 'إشارات الحياة' في هذه الصخرة لم تكن إلا مادة زيتية ناجمة عن تلوث أرضي. عندها أصيبت مصداقية ناسا بسخرية كبيرة إثر تلك الغلطة. وقد انتهزت مجلة 'نيويورك تايمز' هذه الفرصة لتغير على نحو ساخر من اللفظة الأوائلية لكلمة تلك الوكالة:

ناسا - ليست دائماً صحيحة علميا.

NASA–Not Always Scientifically Accurate.

وفي تلك الطبعة نفسها، قام عالم الأحياء البدائية ستيفن جي غولد بطرح رأيه لتلك المشكلة بذكره أن الدليل داخلها كان كيميائياً واستدلالياً أكثر من كونه 'صلباً'. وكأنه عظم أو صدفة غامضة.

الآن، وعلى كل حال، أدركت راشيل أن ناسا قد وجدت دليلاً لا يقبل الجدل. فلا يمكن لأي عالم شكاك أن يتقدم ويتساءل عن هذه المستحاثات. فلم تعد ناسا تقدم صوراً مكبرة غير واضحة لوجود بكتيريا مجهرية مزعومة – إنهم يقدمون عينات حقيقية من الحجر النيزكي مع كائنات بيولوجية تستطيع العين المجردة مشاهدتها وهي مطمورة ضمن الحجر. قملة يبلغ طولها قدماً (30 سم)!

لم تستطع راشيل كتم ضحكتها عندما تذكرت أنها في طفولتها كانت معجبة بأغنية لديفيد بوي تشير إلى 'عناكب من المريخ'. وقد كان القليل ليتوقع أن نجم البوب البريطاني الخنثوي هذا قد تنبأ بأعظم لحظة في علم الأحياء الفلكية.

وبينما كان اللحن البعيد لهذه الأغنية يمر في عقلها، أسرع كوركي باتجاهها. "ألم يتفاخر مايك بعد ببرنامجه الوثائقي؟".

أجابته راشيل: "كلا، ولكنني أحب سماع هذا".

صفع كوركي تولاند على ظهره: "إبدأ بها، أيها الفتى الكبير، أخبرها لماذا قرر الرئيس أن تكون اللحظة الأكثر أهمية في تاريخ العلم مسلمة إلى نجم تلفزيوني يسبح تحت الماء باستعمال شنركل"[24].

همهم تولاند بسخرية: "إذا لم تمانع يا كوركي".

"حسناً، سأقوم بالشرح أنا". قال كوركي وهو يتطفل بينهما: "كما تعلمين يا آنسة سيكستون، فإن الرئيس سيعقد مؤتمراً صحفياً هذه الليلة ليخبر العالم عن الحجر النيزكي. ولأن الأغلبية العظمى من العالم مؤلفة من أشخاص حمقى، طلب الرئيس من مايك أن يأتي إلى هنا وأن يُبسط لهم كل شيء".

"شكراً لك يا كوركي". قال تولاند: "جميل جداً". نظر إلى راشيل. "إن الذي يحاول كوركي قوله إنه من خلال برنامج وثائقي مرئي عن الحجر النيزكي سنتمكن ربما من جعل المعلومات أكثر تفهماً من قبل معظم الأميركيين. حيث إن العديد منهم، على نحو مستغرب، لم يحصلوا على شهادة متقدمة في الفيزياء الفلكية".

"أتعلمين"، قال كوركي لراشيل: "إنني قد عرفت للتو أن رئيس أمتنا معجب سري ببرنامج 'البحار المذهلة' ثم هزّ رأسه باشمئزاز ساخر. زاك هيرني – قائد العالم الحر – يطلب من سكرتيرته تسجيل برنامج مايك ليتمكن

24 شنركل: أداة تتألف من أنبوب هواء طويل يمكن السباح من التنفس تحت الماء.

من مشاهدته عند الاسترخاء من عناء يوم طويل".

هزّ تولاند كتفيه: "يمتلك ذلك الرجل ذوقاً، ماذا عساي أن أقول؟".

بدأت راشيل تدرك الآن كم أن خطة الرئيس كانت بارعة. إن السياسة لعبة إعلامية، فقد بدأت راشيل تتخيل كم سيجلب وجه مايكل تولاند على الشاشة من مصداقية علمية وحماسة للمؤتمر الصحفي".

لقد جنّد الرئيس الشخصَ المثالي ليصادق على ضربة ناسا الموفقة الصغيرة. سيجد الشكوكيون صعوبة في تحدي بيانات الرئيس لو أنها صدرت من قبل شخصية علمية تلفزيونية مشهورة بالإضافة إلى عدد من العلماء المدنيين المحترمين.

قال كوركي: "لقد قام مايك مسبقاً بأخذ شهادات تلفزيونية منا جميعاً نحن المدنيين من أجل برنامجه الوثائقي، ومن معظم أهم اختصاصيي ناسا. وأراهن على جائزتي القومية أنك ستكونين التالية في قائمته".

التفتت راشيل وحدقت به: "أنا؟ عن ماذا تتحدث؟ ليس لديّ أية اعتمادات فأنا مجرد وسيلة اتصال استخباراتية".

"إذاً، لماذا أرسلك الرئيس إلى هنا؟".

"لم يخبرني بعد".

ابتسامة ممتعة رسمت على شفاه كوركي: "أنت وسيلة اتصال استخباراتية في البيت الأبيض، والتي تتعامل مع توضيح وتوثيق البيانات، أليس كذلك؟".

"نعم، ولكن ليس فيما يخص أي شيء علمي".

"وأنت ابنة الرجل الذي أسس حملته من خلال انتقاد الأموال التي تضيعها ناسا في الفضاء؟".

استطاعت راشيل سماع ذلك قادماً.

"عليك الاعتراف آنسة سيكستون"، شارك مينغ في الحديث موافقاً: "إن شهادة منك ستعطي هذا البرنامج الوثائقي بُعداً جديداً من المصداقية. وبما أن الرئيس قد قام بإرسالك إلى هنا، فإنه بالتأكيد يريد مشاركتك بطريقة ما".

تذكرت راشيل مرة ثانية قلق ويليام بيكرينغ من أنها ستُستغل. نظر تولاند إلى ساعته: "ربما علينا التوجه". قال مشيراً إلى مركز القبة الاصطناعية. "من المؤكد أنهم يقتربون الآن".

"يقتربون إلى ماذا؟" سألت راشيل.

"وقت الاستخراج. إن ناسا ستقوم بإحضار الحجر النيزكي إلى السطح. سيكون في الأعلى في أي وقت الآن".

أصيبت راشيل بالذهول: "يا شباب، أحقاً ستحركون صخرة تزن ثمانية أطنان من عمق يبلغ مئتي قدم (60 متراً) تحت الجليد الصلب".

بدا على كوركي المرح: "لا تعتقدين أن ناسا ستترك اكتشافاً كهذا مدفوناً تحت الجليد، أليس كذلك؟".

"كلا، ولكن..." لم ترَ راشيل أية إشارة عن معدات حفر ضخمة في أي مكان داخل القبة الاصطناعية. "كيف تخطط ناسا لاستخراج ذلك الحجر إلى الخارج؟".

أجابها كوركي مُغالياً: "ليس هناك مشكلة، فأنت في غرفة مليئة بعلماء الصواريخ!".

"أحمق"، قال مينغ بسخرية وهو ينظر إلى راشيل: "إن الدكتور مارلينسون يستمتع في ليّ عضلات الأناس الآخرين. والحقيقة أن جميع من هنا كان محتاراً عن كيفية إخراج الحجر النيزكي، إلى أن اقترح الدكتور مانغور حلاً قابلاً للتطبيق.

"إنني لم أقابل الدكتور مانغور".

"إنه خبير بالمناطق الجليدية من جامعة نيوهامبشير". قال تولاند.

"العالم المدني الرابع والأخير الذي اختير من قبل الرئيس، وإن مينغ محق في قوله إن مانغور هو الذي اكتشف الحل".

"حسناً"، قالت راشيل: "وماذا اقترح ذلك الفتى؟".

"إنها امرأة". صحح لها مينغ ويبدو عليه الانفتان. "إن الدكتور مانغور هي امرأة".

"هو أمر مختلف فيه". دمدم كوركي، ونظر إلى راشيل: "بالمناسبة، إن الدكتورة مانغور ستكرهك".

رمق تولاند كوركي بنظرة غاضبة.

"حسناً، ستقوم بذلك" دافع كوركي عن نفسه. "إنها ستكره المنافسة".

شعرت راشيل بالضياع: "عفواً؟ منافسة؟".

"تجاهليه وحسب". قال تولاند: "لسوء الحظ، إن حقيقة كون كوركي أحمق تماماً قد غابت عن لجنة العلوم القومية. أنت والدكتورة مانغور ستعتادان على

معكما بعضاً بشكل رائع. إنها محترفة وتعتبر من أهم الباحثين في الجليد. إنها في الواقع قد انتقلت إلى القطب منذ عدة سنوات لدراسة التحركات الجليدية".

"غريب". قال كوركي: "لقد سمعت أن مؤسسة العناية الصحية المتحدة قد منحت لها منحة لترسلها إلى هناك، ليتمكنوا بذلك من العيش بسلام وهدوء في الحرم الجامعي".

"هل تعلم"، قال مينغ بصوت حاد ويبدو أنه قد أخذ ذلك التعليق بشكل شخصي: "أن الدكتورة مانغور كادت أن تموت هناك! لقد ضلت طريقها في عاصفة ثلجية وتغذت على دهن الفقمة لمدة خمس أسابيع قبل أن يجدها أحد".

همس كوركي لراشيل: "لقد سمعت بأنه لم يكن أحدٌ يبحث عنها".

26

شعرت غابرييل أن طريق العودة داخل الليموزين من أستديو قناة (سي إن إن) إلى مكتب سيكستون طويل جداً. جلس السيناتور جانبها، يحدق خارج النافذة ومن المؤكد أنه كان يشعر بالارتياح إثر ذلك اللقاء.

"لقد أرسلوا تينش إلى برنامج تلفزيوني في بعد الظهر". قال وهو يلتفت بابتسامة جميلة: "إن البيت الأبيض مصاب باهتياج شديد".

هزّت غابرييل رأسها مُلتبسة. لقد شعرت بنظرة من الرضا ممزوجة باعتداد نفس على وجه مارجوري تينش وهي تندفع بسيارتها، وهذا ما جعل غابرييل عصبية المزاج.

علا رنين جوال سيكستون الشخصي، أدخل يده في جيبه ليلتقطه. إن السيناتور، كمعظم السياسيين، لديه سلسلة مرتبة من أرقام الهواتف والتي من خلالها يمكن للمتصلين الوصول إليه، وذلك استناداً إلى أهميتهم. أياً كان الشخص المتصل الآن، فإنه في أعلى القائمة. فقد جاء الاتصال على رقم سيكستون الشخصي، إنه رقم لا يحق لغابرييل حتى الاتصال به.

"سيناتور سيدجويك سيكستون". قالها على نحو إيقاعي مؤكداً على النغمة الموسيقية لاسمه.

لم تستطع غابرييل سماع صوت المتصل فوق صوت الليموزين، ولكن سيكستون كان يستمع له بانكباب، ويجيبه بحماسة: "رائع، إنني مسرور جداً

لاتصالك. أعتقد أن الساعة السادسة مناسبة؟ ممتاز. لديّ شقة هنا في واشنطن خاصة، مريحة، لديك العنوان، أليس كذلك؟ حسناً، أتطلع لرؤيتك. أراك الليلة إذاً".

أنهى سيكستون مكالمته وبدا أنه مسرور من نفسه.

"معجب جديد بسيكستون؟" سألت غابرييل.

"إنهم يتضاعفون عدداً"، قال هو: "إن هذا الفتى نجاح عظيم".

"لا بد أن يكون كذلك. فأنت ستلتقي به في شقتك؟".

سيكستون عادة ما يدافع عن الخصوصيات المقدسة لشقته مثل أسد يحمي مخبأه الوحيد المتبقي.

هزّ سيكستون كتفيه: "حسناً، أظن أنني بذلك أعطيه تقارباً شخصياً. ربما يملك هذا الشخص بعض النفوذ المفيد في آخر مرحلة لنا من الحملة. تعلمين أنه يتوجب علي المحافظة على العلاقات الشخصية كهذه. إن الأمر كله يتعلق بالثقة".

هزّت غابرييل رأسها موافقة وهي تسحب المخطط اليومي لسيكستون، "أتريد أن أدونه في القائمة؟".

"لا داعي لذلك، لقد قررت أن أقضي الليلة في منزلي على أية حال".

وجدت غابرييل صفحة هذه الليلة ولاحظت أنها قد ظللت مسبقاً بخط سيكستون بحروف كبيرة: "بي إي" إنه الاختصار الذي يستعمله سيكستون إما لمناسبة شخصية أو مساء شخصي أو اصرفي الجميع، ولم يكن أحد على علم أي واحدة يعني. ومن وقت لآخر، يدرج السيناتور لنفسه في جدوله ليلة (بي إي) إذ يتمكن من الاستكانة في شقته، يفصل أسلاك الهاتف من خطافها ويفعل أشياءَ يستمتع بها كثيراً - يرتشف البراندي بصحبة صديق قديم ويتظاهر أنه قد نسي كل شيء يتعلق بالسياسة في ذلك المساء.

نظرت إليه غابرييل متفاجئة: "إذاً، أنت في الواقع ستدع الأعمال تتطفل على وقت (بي إي) المحدد مسبقاً؟، أنا متأثرة لذلك".

"لقد حدث مصادفة أن اتصل بي هذا الرجل في ليلة لديّ فيها بعض الوقت. سأتحدث معه لفترة وأرى ما الذي يريد قوله".

أرادت غابرييل أن تسأل من هذا المتصل الغامض. ولكن كان من الواضح أن سيكستون يتكتم عمداً. كانت غابرييل قد تعلمت متى يتوجب عليها ألا تستطلع عن الأمور بتطفل.

وعند الالتفاف عن الطريق المطوقة والتوجه عـودة إلـى بنـاء مكتـب سيكستون، نظرت غابرييل مرة أخرى إلى وقت (بي إي) المحجوز في لائحـة سيكستون فأدركت إحساساً غريباً يخبرها أن سيكستون كان يعلم بمجيء هـذا الاتصال.

27

أشرف هيكل ثلاثي يرتفع ثمانية عشر قدما (5.4 متر) لسقالة مركبة على الجليد الواقع في منتصف القبة الاصطناعية لناسا، وقد بدا مثـل مـزيج بـين معدات استخراج النفط ونموذج أخرق لبرج إيفل. تفحصت راشيل ذلك الجهاز ولم تتمكن من فهم كيفية استخدامه في استخراج الحجر النيزكي الضخم.

وفي أسفل ذلك البرج، كان هناك العديد من الرافعات التي ربطت بلوالب داخل صفائح فولاذية مثبتة بالجليد بواسطة مسامير مصوملة ثقيلة. وعبر تلـك الرافعات امتدت أسلاك حديدية انحنت إلى الأعلى فوق سلسلة مـن البكـرات موضوعة فوق البرج. ومن هناك، اندفعت الأسلاك عمودياً إلى الأسفل داخـل حفرة صغيرة ضيقة مثقوبة داخل الجليد. العديد من رجال ناسا تناوبوا أدوارهم في شدّ الرافعات. ومع كل شدة جديدة، كانت الأسلاك تنزلق إلى الأعلى مسافة إنشات (سنتيمترات) قليلة عبر الحُفر الصغيرة. وكأن الرجال يرفعون مرساة.

من الواضح أنني فوتّ شيئاً، فكـرت راشـيل بصـمت، بينمـا كانـت والآخرون يتحركون بالقرب من موقع الاستخراج. يبدو وكأن الرجال يرفعون الحجر النيزكي مباشرة عبر الجليد.

"شدّة متوازنة! تباً لذلك!" كان يصيح بذلك صوت امرأة في الجوار، وكأنه صوت منشار ذي سلسلة.

نظرت راشيل فرأت امرأة ببزّة ثلجية صفراء فاقعة، ملطّخة بالزيت. كان ظهرها أمام راشيل، ومع ذلك لم تجد راشيل صعوبة في معرفة أن هذه المرأة هي المسؤولة عن القيام بهذه العملية. وبينما تـدون ملاحظاتهـا علـى لـوح مشبكي، كانت تمشي إلى الأمام والخلف مثل مدرب عسكري مشمئز.

"لا تخبرنني أيتها الفتيات أنكن متعبات!".

صرخ كوركي: "نورا، توقفي عن إصدار الأوامر لصبية ناسا المسـاكين وتعالي لتتغازلي معي".

لم تلتفت المرأة حتى في مكانها: "هل هذا أنت يا مارلينسون؟ لقد سمعت

صوت ذلك العضو الذكري الصغير في مكان ما، عدّ إلي عندما تصل سن البلوغ".

التفت كوركي إلى راشيل: "تبقينا نورا مثارين جنسياً بسبب جمالها الساحر".

"لقد سمعت ذلك، يا فتى الفضاء". أجابته بغضب، وهي تدون ملاحظاتها. "وإذا كنت تتفحص مؤخرتي، فإن هذا البنطال الثلجي يزيدها ثلاثين رطلاً".

"لا تقلقي". قال كوركي: "إنها ليست مؤخرتك العملاقة الصوفية التي تُثير شوقي، بل إنها شخصيتك الساحرة".

"التهمني!".

ضحك كوركي مرة ثانية: "لديّ أخبار عظيمة يا نورا. يبدو أنك لست المرأة الوحيدة التي جندها الرئيس هنا".

"عجباً، لقد جندك أنت؟!".

تولى تولاند الحديث: "نورا؟ ألديك دقيقة لمقابلة شخص ما؟".

عند سماع صوت تولاند، توقفت نورا على الفور عن قيام ما كانت تفعله ثم التفتت، فتبدد سلوكها المتحجر فوراً.

"مايك!" اندفعت باتجاهه مبتهجةً، إنني لم أرك منذ ساعات عديدة".

"لقد كنت أشرف على تحرير البرنامج الوثائقي".

"كيف هو حال قطعتي؟".

"تبدين فيها ذكية وفاتنة".

"لقد استخدم مؤثرات خاصة لذلك". قال كوركي.

تجاهلت نورا التعليق، وأخذت تنظر إلى راشيل بابتسامة مؤدبة لكنها فاترة. ثم نظرت إلى تولاند: "أتمنى أنك لا تخونني يا مايك".

تورد وجه تولاند على الفور وهو يقوم بالتقديمات: "نورا، أود أن تقابلي راشيل سيكستون، تعمل الآنسة سيكستون في المجتمع الاستخباراتي، وإنها هنا بطلب من الرئيس. إن والدها هو السيناتور سيدجويك سيكستون".

قام ذلك التقديم برسم نظرة ارتباك على وجه نورا. "إنني لن أتظاهر بفهم ذلك حتى". لم تخلع نورا قفازاتها وهي تمد يدها بمصافحة فاترة: "أهلاً بك في قمة العالم".

ابتسمت راشيل: "شكراً". كانت راشيل متفاجئة لرؤية أنه بالرغم من

صرامة صوتها، فهي ذات رزانة لطيفة ولعوبة. كانت تسريحة شعرها الجيدة بنية اللون مع مسحات رمادية، وعيناها قويتان وحادتان - كأنهما بلورتان جليديتان. كما كانت تملك ثقة بالنفس فولانية أعجبت بها راشيل.

"نورا". قال تولاند: "ألديك دقيقة لتخبري راشيل ما الذي تفعلينه؟".

قوست حاجبيها: "أنتما الاثنان تأتيان على رأس القائمة؟ رباه!".

ابتسم كوركي: "قلت لك يا مايك".

عرضت نورا مانغور لراشيل المكان حول قاعدة البرج بينما كان تولاند والآخرون يمشون ببطء خلفهم ويتحدثون فيما بينهم.

"أترين هذه الحفر المثقوبة في الجليد أسفل المنصب الثلاثي القوائم؟" سألت نورا مشيرة إليهم، وهي تحدق إلى الأسفل بالحفر الموجودة في الجليد. يبلغ قطر كل واحدة منها حوالى (30 سم) وفيها سلك معدني مثبت داخلها.

"لقد تركت هذه الحفر هنا منذ أن قمنا بالثقب لأخذ العينات المركزية والتقاط صور الأشعة السينية لهذا الحجر. والآن نستخدمها كنقاط إدخال للمقابض الرزات القاسية إلى أسفل اسطوانات الأعمدة الفارغة ونثبتها داخل الحجر النيزكي. وبعد ذلك، نقوم بإدخال أسلاك معدنية مجدولة بطول عدة مئات من الأقدام (الأمتار) إلى داخل كل حفرة، ثم نثبت الرزات بواسطة خطافات صناعية، والآن نقوم برفعه ببساطة. سيستغرق هذا من الفتيات ساعات عدة ليخرج إلى السطح، ولكنه سيخرج".

"أنا لست واثقة من أنني أستوعب ذلك". قالت راشيل: "إن الحجر النيزكي يقع أسفل آلاف من الأطنان الجليدية، كيف سترفعونه؟!".

أشارت نورا إلى أعلى السقالة حيث يوجد شعاع دقيق من الضوء الأحمر الذي يشع عمودياً إلى الأسفل باتجاه الجليد في أسفل المنصب. لقد رأته راشيل من قبل ولكنها افترضت أنه ببساطة نوع من المؤشرات البصرية - مؤشر يحدد البقعة التي طمر عندها ذلك الشيء.

"إنه شعاع ليزر نصف ناقل من الغاليوم الزرنيخي". قالت نورا.

نظرت راشيل عن قرب أكثر إلى ضوء الإشعاع، فرأت الآن أنه بالفعل قد أذاب حفرة صغيرة في الجليد وأضاء الأعماق.

"شعاع ساخن جداً". قالت نورا: "فنحن نسخن الحجر النيزكي عند رفعه".

تأثرت راشيل كثيراً عندما أدركت الذكاء البسيط لخطة هذه المرأة. فقد

قامت نورا ببساطة بتوجيه الشعاع الليزري إلى الأسفل فأذابت الجليد حتى وصل الشعاع إلى الحجر النيزكي. وبما أنه صخري، سيكون كثيفاً جداً ليذوب بواسطة الليزر، فيبدأ بامتصاص حرارة الليزر، إلى أن يصبح حاراً في النهاية لدرجة كافية لإذابة الجليد من حوله. وفي الوقت الذي كان فيه رجال ناسا يقومون برفع الحجر النيزكي الساخن، فإن الصخرة المسخنة، مصحوبة بالسحب باتجاه الأعلى، قامت بإذابة الجليد المحيط بها، متمكنة بذلك من إفراغ ممر لها لتخرج إلى الأعلى. إن المياه الذائبة المكدسة من فوق الحجر النيزكي، تسربت ببساطة إلى الأسفل عبر أطراف الحجر النيزكي لتملأ العمود ثانية.

كأنه سكينة ساخنة تمر عبر قطعة من الزبدة المثلجة.

أشارت نورا إلى رجال ناسا الموجودين على الرافعة. "لا يمكن للمولدات تحمّل هذا النوع من الجهد، لذلك أنا أستخدم قوة الرجال لرفعه".

"إن هذا هراء!" اعترض أحد العاملين: "إنها تستخدم قوة الرجال لأنها تحب أن ترانا نعرق".

"استرخِ" أجابته نورا بقوة: "لقد مضى يومان وأنتن أيها الفتيات تتذمرن من البرودة. فعالجت ذلك، تابع السحب الآن".

ضحك العمال.

"لمَ تُستخدم هذه الكتائف؟" سألت راشيل وهي تشير إلى العديد من المخاريط الطرقية البرتقالية الواقعة حول البرج والتي ظهر أنها موزعة بمواقع عشوائية. لقد رأت راشيل أشكالاً مخروطية مُشابهة لهذه حول القبة.

"أداة جليدية دالة على الخطر". قالت نورا: "تدعوها باسم 'إس إتش أي بي أي' أو (شابا) وهذا اختصار لـ 'اخطُ هنا واكسر كاحلك'".

التقطت إحدى هذه الكتائف فأظهرت تحتها حفرة مثقوبة دائرية غاصت إلى الأسفل مثل بئر لا قعر لها داخل أعماق الجليد. "مكان سيئ لتدوس عليه"، أعادت وضع الكتيفة.

"إننا نقوم بثقب الحفر في أنحاء الجليد من أجل فحص تواصلية البنية. وكما يُقال في علم الآثار القديمة، إن عدد السنين التي طُمر خلالها شيء ما يشار إليه من خلال العمق الذي وجد فيه تحت السطح. فكلما كانت المسافة أكثر عمقاً، كلما كان عدد السنين أطول. وعندما يتم اكتشاف شيء ما تحت الجليد، نستطيع تحديد تاريخ وصوله بمقدار كمية الجليد المتراكمة فوقه. ولكي

تأكد من أن قياسات تأريخ مركز الحجر النيزكي، نتفحص الصفائح الجليدية في مناطق مختلفة لنثبت أن هذه المنطقة هي لوح صلب ولم تتعرض لأي هزة أرضية أو شقوق أو تيهورات[25]، وما شابه ذلك".

كيف تبدو هذه المنطقة الجليدية إذاً؟".

"خالية من أية شقوق". قالت نورا: "لوح صلب مثالي. ليس هناك أية خطوط تصدعات أو انقلابات جليدية. وهذا الحجر هو ما ندعوه بـ 'السقوط المستقر'. لقد طمر في الجليد، دون أي لمس أو تأثير منذ أن حطّ هنا عام 1716".

تفاجأت راشيل لسماع هذا: "تعلمين بالضبط في أي سنة قد سقط؟".

بدا على نورا الدهشة لسماع هذا السؤال: "بالتأكيد، لذلك تم استدعائي إلى هنا فأنا أقرأ الجليد". أشارت إلى كومة من الأنابيب الأسطوانية الجليدية بالقرب، بدا أن كل واحدة منها مثل عمود تلفوني شفاف معلّم ببطاقة برتقالية ساطعة اللون. "هذه القطع الجليدية اللبية هي تسجيلات جيولوجية مجمدة". تفحصت راشيل إلى هذه الأنابيب. "لو نظرت عن قرب فسوف تتمكنين من رؤية طبقات مفردة في الجليد".

انحنت راشيل واستطاعت في الواقع رؤية أن هذه الأنابيب مكونة من شيء ما وكأنه طبقات لا تحصى من الجليد مع اختلافات قليلة في سطوعها وصفاتها. تتنوعت الطبقات بين سماكة الورقة وإلى ما يقارب الربع إنش (0.4 سم).

"يجلب كل شتاء تساقط ثلج كثيف إلى اللوح الجليدي". قالت نورا: "ويجلب كل ربيع ذوباناً جزئياً. وبذلك نستطيع رؤية انضغاط طبقة جديدة في كل فصل. ونحن ببساطة نبدأ من الأعلى – من الشتاء الأخير – ونحصي باتجاه الخلف".

"مثل إحصاء الحلقات في الشجرة".

"إنه ليس بهذه البساطة، آنسة سيكستون، فنحن نقيس مئات الأقدام (الأمتار) من الطبقات. كما نحتاج إلى قراءة العلامات المناخية لنتمكن من وضع علامات نستخدمها في عملنا – تسجيلات تتعلق بترسبات الثلج، ملوثات جوية وهذا النوع من الأشياء".

انضم إليهما الآن تولاند والآخرون. ابتسم تولاند بوجه راشيل: "إنها تعلم الكثير عن الجليد، أليس كذلك؟".

---

25 تيهور: كتلة ضخمة من ثلج أو جليد تنهار بسرعة على جانب الجبل.

شعرت راشيل بسرور غريب ينتابها لرؤيته: "نعم، إنها مدهلة".

"وماذا عن التأريخ؟" هزّ تولاند رأسه: "إن تأريخ الدكتورة مانغور عام 1716 صحيح. فلقد حددت ناسا العام نفسه لسقوط ذلك الحجر قبل أن تصل إلى هنا. وقد قامت الدكتورة مانغور بثقب حفرها الخاصة وإجراء اختباراتها وأثبتت صحة عمل ناسا".

كانت راشيل متأثرة لسماع هذا.

"وبشكل موافق لهذا"، قالت نورا: "كان عام 1716 هو العام نفسه الذي ادعى فيه المكتشفون القدامى رؤية شهاب متوهج ساطع في السماء في جنوب كندا، وقد عُرف ذلك النيزك باسم 'سقوط جانغيرسول'، وذلك نسبة إلى اسم قائد الاكتشاف".

"حسناً"، أضاف كوركي: "إن حقيقة كون تاريخ العينة والتسجيل التاريخي متشابهين هو دليل واقعي على أننا ننظر إلى شظية من النيزك نفسه الذي سجل جانغيرسول رؤيته عام 1716".

"دكتورة مانغور". نادى أحد عمال ناسا. "إن المشبك الأولي قد بدأ بالظهور!".

"لقد انتهت الرحلة أيها الناس". قالت نورا: "لحظة إظهار الحقيقة". أمسكت بكرسي مطوي، وتسلقت عليه وصرخت بأعلى صوتها: "إلى السطح خلال خمس دقائق. هيا بالجميع!".

في جميع أنحاء القبة، مثل كلاب بافلوف عندما كانت تستجيب لجرس الغداء، ترك جميع العلماء ما كانوا يفعلونه وأسرعوا باتجاه منطقة الاستخراج.

وضعت نورا مانغور يديها على وركيها ونظرت إلى ميدان العمل: "حسناً، هيا بنا نرفع التايتانك".

28

"تنحوا جانباً!" صرخت نورا، وهي تتحرك عبر الازدحام المتزايد. تفرق العمال وتولت السيطرة وهي تقوم بعرض تتفحص خلاله توتر الأسلاك واستقامتها.

"اسحبوا!" صرخ أحد رجال ناسا. شدّ الرجال رافعاتهم فصعدت الأسلاك مسافة ستة إنشات (15 سم) أخرى خارج الحفرة.

وبينما تابعت الأسلاك تحركها باتجاه الأعلى، شعرت راشيل بالازدحام يندفع إلى الأمام في حدس وتوقع. كان كوركي وتولاند بالقرب منها يبدوان مثل أطفال في عيد الميلاد. وفي الجانب الآخر البعيد من الحفرة، اقترب الجسد الضخم لمدير ناسا لورانس إيكستروم، وقد اتخذ موضعاً معيناً لمشاهدة الاستخراج.

"المشابك!" صرخ أحد رجال ناسا. "تظهر البدايات!".

تحول لون الأسلاك الفولاذية المنبثقة من الحفرة من الفضي المضفور إلى السلاسل الأولية الصفراء.

"ستة أقدام (15 سم) أخرى! حافظوا على استقرارها!".

أصاب السكوت المجموعة الواقفة حول المنصة كمراقب في مجلس ينتظر ظهور شبح إلهي - كل واحد منهم كان منفعلاً من أجل النظرة الأولى.

ثم رأته راشيل.

ينبثق من الطبقة الرقيقة للجليد، كان شكلاً ضبابياً لحجر نيزكي قد بَدأ بإظهار نفسه. كان ظله مستطيلاً وداكناً، غير واضح في البداية، لكنه بدأ يُشرق في كل دقيقة كان فيها يذوب في طريقه إلى الأعلى.

"بإحكام أكثر!" صرخ أحد التقنيين. شد الرجال الرافعات فأصدرت صريراً.

"خمسة أقدام (12.5 قدم) أخرى! حافظوا على الشد بثبات!".

استطاعت راشيل الآن رؤية الجليد الذي يغطي الحجر، وقد بدأ بالظهور إلى الأعلى كبهيمة حبلى على وشك الولادة. وفي أعلى الحدبة المحيطة بنقطة دخول الشعاع الليزري، دائرة صغيرة في السطح الجليدي بدأت تتلاشى، تذوب، ثم تنحل داخل الثقب المتسّع.

"إن عنق الرحم قد اتسع". صاح أحدهم. "تسعمئة سنتيمتر!".

فرقت ضحكة متوترة الصمت المنتشر.

"حسناً، أوقفوا الليزر!".

أحدهم أنزل قاطعاً فاختفى الشعاع.

ثم حدث الأمر.

مثل وصول ملتهب لإله حجري، اقتحمت الصخرة الكبيرة السطح مع هسيس من البخار. وعبر دوامة الضباب، انبثق الشكل الضخم من الجليد. شد

الرجال الرافعات بقساوة أكثر إلى أن تحرر الحجر بأكمله في النهاية من تلك القيود المجمدة، وتأرجح حاراً ومتقطراً فوق عمود مفتوح في المياه المضطربة.

تسمرت راشيل في مكانها.

مُتدلياً هناك من الأسلاك، تتقطر المياه منه، كان السطح المجعد للحجر النيزكي يتلألأ تحت الأضواء متفحماً ومتموجاً مثل سطح خوخة ضخمة متحجرة. كانت الصخرة مصقولة ومستديرة في إحدى نهاياتها، ومن الواضح أن ذلك الجزء كان مدمراً بسبب احتكاكه وهو يندفع بسرعة عبر الغلاف الجوي.

وعند النظر إلى قشرة الانصهار المتفحمة، استطاعت راشيل أن تتخيل النيزك منطلقاً باتجاه الأرض على شكل كرة متهيجة من اللهب. وبصورة لا تُصدق، كان هذا منذ قرون مضت. الآن، تتوضع تلك البهيمة المأسورة هناك بواسطة الأسلاك ويتقطر المياه من جسدها.

لقد انتهى الصيد.

لم تكن مسرحية هذا الحدث لتصيب راشيل بالذهول حقيقة قبل هذه اللحظة، كان الشيء المعلق أمامها من عالم آخر، يبعد ملايين الأميال. وقد علق في داخله دليل - كلا إنه برهان - على أن الإنسان ليس وحده في هذا الكون.

بدا أن لحظة السعادة العظيمة هذه قد استحوذت على الجميع في لحظة واحدة، ثم انفجر الازدحام بتصفيق وصياح عفويين. حتى المدير بدا عليه الدهشة لذلك. صفق للرجال والنساء في الخلف، العاملين معه وقام بتهنئتهم. وفي ذلك المكان شعرت راشيل بسعادة مفاجئة من أجل ناسا، فقد كان حظهم قاسياً بعض الشيء في الماضي. وفي النهاية، بدا أن الأشياء تتغير. إنهم يستحقون هذه اللحظة.

بدت الحفرة المثقوبة في الجليد الآن مثل بركة سباحة صغيرة في منتصف القبة الاصطناعية. كان سطح البركة التي يبلغ عمقها مئتي قدم (60 متراً) من المياه الذائبة يتحرك بعنف لفترة من الزمن قبالة الجدران الجليدية للعمود ولكنه في النهاية بدأ يهدأ. كان خط المياه في العمود يقع على بعد حوالى أربعة أقدام (1.2 متر) أسفل السطح الجليدي. وقد نشأ ذلك التناقص

بسبب عاملين هما إزالة كتلة الحجر النيزكي وخاصية تناقص الجليد عند ذوبانه.

فوراً قامت نورا مانغور بتثبيت الكتائف حول الحفرة، وعلى الرغم من أن الحفرة كانت مرئية بشكل واضح، فإن أية شخصية فضولية ستغامر من الاقتراب منها كثيراً وتتحدر من غير قصد ستكون في خطر رهيب. لقد كانت جدران الأعمدة من الجليد الصلب، دون أية مواطئ قدمية، وبالتالي سيكون تسلقها دون أية مساعدة أمراً مستحيلاً.

اقترب لورنس إيكستروم بخطى خافتة نحوهم عبر الجليد، وتحرك مباشرة نحو نورا مانغور وصافحها بثبات.

"عمل رائع، دكتورة مانغور".

"سأتوقع الكثير من الثناء، موثقاً بشكل أوراق مطبوعة". أجابته نورا.

"لكِ ذلك". التفت المدير إلى راشيل. وبدا أنه يشعر أكثر بالسعادة والارتياح.

"حسناً، آنسة سيكستون، هل اقتنع الشخص الشكوك المحترف؟".

لم تستطع راشيل كبت ابتسامتها: "أمر يشبه الصدمة أكثر".

"جيد، اتبعيني إذاً".

تبعته راشيل عبر القبة الاصطناعية وصولاً إلى علبة معدنية كبيرة تُشبه شكل حاوية صناعية للشحن. كانت العلبة قد طُليت بنموذج عن علم عسكري وخُطط عليها الأحرف (بي إس سي).

"ستتصلين بالرئيس من هنا". قال إيكستروم.

وسيلة اتصال أمينة محمولة، فكرت راشيل. إن حجيرات الاتصال النقالة هذه هي تجهيزات خاصة لميادين القتال، برغم أن راشيل لم تتوقع أن ترى واحدة منها تستخدم في أوقات السلم في مهمة لناسا. ومرة ثانية، نقول إن خلفية المدير إيكستروم كانت في البنتاغون، وهو بالتأكيد يستطيع الوصول إلى ألعاب كهذه. وعبر وجهين صارمين لحارسين مسلحين كانا يراقبان (بي إس سي)، شعرت راشيل بانطباع مؤكد أن الاتصال بالعالم الخارجي يتم فقط من خلال موافقة صريحة من قبل المدير إيكستروم.

يبدو وكأنني لست الوحيدة خارج التغطية.

تحدث إيكستروم باختصار مع أحد هؤلاء الحراس خارج الحجرة المتنقلة وبعدها عاد إلى راشيل قائلاً: "حظاً موفقاً". ثم غادر.

طرق الحارس على باب الحجرة. فُتحت من الداخل. انبثق تقني من داخلها وأشار إلى راشيل بالدخول، فتبعته.

ساد الظلام والهواء الفاسد داخل الحجرة. وفي التوهج المزرق الصادر من جهاز الكمبيوتر الوحيد، استطاعت راشيل رؤية مناصب لهواتف وأجهزة اتصال لاسلكية وأجهزة اتصال بالأقمار الصناعية. لقد كانت راشيل تشعر بأنها محتجزة. الهواء في الداخل كان لاذعاً، كأنه في دور تحتاني في الشتاء.

"اجلسي هنا من فضلك آنسة سيكستون". قدم إليها مقعداً بعجلات ووضعه أمام شاشة مسطحة، ثم أحضر ميكرفون أمامها وثبت زوجاً كبيراً من سماعات الرأس ماركة (أي كي جي) على رأسها. وعند تفحص سجل من الكلمات السرية المشفرة، قام التقني بطباعة سلسلة طويلة من الأزرار على جهاز قريب. فبرز فجأة مؤقت على الشاشة أمام راشيل.

00:60 ثانية.

هزّ التقني رأسه بقناعة بينما بدأ المؤقت بالعد.

"دقيقة واحدة إلى أن يتم الاتصال". التفت ثم غادر، مغلقاً الباب بقوة خلفه. استطاعت راشيل سماع لسان القفل في الخارج.

عظيم.

وبينما انتظرت في الظلام، تنظر إلى الساعة المؤقتة لستين ثانية وهي تتناقص ببطء، أدركت أن هذه هي لحظة الخصوصية الأولى التي حصلت عليها منذ الصباح الباكر. لقد استيقظت اليوم دون معرفة طفيفة لأي شيء بانتظار حياة خارج الأرض. فمن اليوم وصاعداً، لم تعد الأسطورة الأكثر شعبية في جميع الأوقات هي أسطورة.

بدأت راشيل الآن تشعر بمقدار الدمار الحقيقي الذي سيجلبه هذا الحجر النيزكي لحملة والدها. فعلى الرغم من أن تمويل ناسا لم يكن له شأن ليصبح مساوياً سياسياً لحقوق الإسقاط والخدمات الاجتماعية المنظمة والعناية الصحية، لكن والدها جعل منها قضية. إنها الآن ستقوم بلطمه على وجهه.

خلال ساعات، سيشعر الأميركيون بإثارة النصر الذي تحققه ناسا من جديد. هناك سيكون الحالمون بأعينهم الدامعة والعلماء بفكهم المتدلي من الدهشة. ستنطلق تخيلات الأطفال بحرية، وستتلاشى قضية الدولارات والسنتات لتفاهتها وسيحجب النور عنها أمام هذه اللحظة المهمة. وسوف يظهر

الرئيس كأنه العنقاء متحولاً بنفسه إلى بطل، وفي خضم هذا الاحتفال، سيظهر السيناتور الخالي من العواطف فجأة على أنه صغير العقل وشحيح مقتّر لا يملك أي روح مغامرة أميركية.

أصدر جهاز الكمبيوتر طنيناً فنظرت إليه راشيل.

00:05 ثوان.

ارتجت الشاشة أمامها فجأة ثم ظهرت صورة غير واضحة لخاتم البيت الأبيض على الشاشة. وبعد لحظة، تبددت الصورة ليظهر وجه الرئيس هيرني.

"مرحباً راشيل" قال وقد تلألأت ومضة عابثة في عينه: "إنني واثق أنك أمضيت وقتاً رائعاً بعد الظهر؟".

29

يقع مكتب السيناتور سيدجويك سيكستون في بناء فيليب أي. هارت لمكاتب الشيوخ في شارع (سي) إلى الشمال من مجلس الشيوخ الأميركي. كان للبناء شبكة متسامتة على طراز العصر الحديث من المستطيلات البيضاء والتي يدعي الناقدون أن البناء معها يبدو كسجن أكثر من كونه بناءً للمكاتب. والعديد من الذين يعملون هناك يشعرون بالشيء نفسه.

وفي الطابق الثالث، كانت ساقا غابرييل آش الطويلتان تتحركان إلى الأمام والخلف بخفة أمام القطع التابعة لجهاز الكمبيوتر. وعلى الشاشة أمامها، كان هناك رسالة إلكترونية جديدة. لم تكن متأكدة مما تفعله بها. يقول أول سطرين:

أثار سيكستون الإعجاب في قناة (سي إن إن)
لديّ المزيد من المعلومات لك

لقد مضى على تسلم غابرييل رسائل كهذه أسبوعين، وقد كان عنوان الجواب مزيفاً بالرغم من أنها تمكنت من اقتفاء أثره على أنه تابع لمخدّمات من داخل البيت الأبيض، ومهما كان هذا الشخص فقد أصبح مؤخراً مصدراً لجميع أنواع المعلومات السياسية القيمة لغابرييل، بما فيها خبر اللقاء السري بين مدير ناسا والرئيس.

كانت غابرييل في البداية قلقة من هذه الرسائل الإلكترونية، ولكنها عندما تأكدت من المعلومات السرية، أصبحت مُذهلة لتجد أن هذه المعلومات دائماً صحيحة ومفيدة لها - معلومات سرية عن إنفاق ناسا المتزايد، والمهمات

المكلفة المستقبلية، وبيانات تظهر أن بحث ناسا عن حياة خارج الأرض كان يكلف موارد مالية باهظة وكبيرة وغير مجدية بشكل مؤسف، حتى إن استفتاءات الآراء الداخلية كانت تحذر من أن قضية ناسا هي التي تبعد المصوتين عن الرئيس.

ولكي تعزز من أهمية ملاحظاتها لدى السيناتور، لم تخبره غابرييل أنها تتلقى مساعدة بواسطة رسائل إلكترونية من داخل البيت الأبيض لم تطلبها هي بنفسها. وبدلاً عن ذلك، قامت بتسليم المعلومات إليه ببساطة على أنها تأتي من 'أحد مصادرها'. كان سيكستون ممتناً لذلك وبدا أنه أكثر عقلانية من أن يسألها عن شخصية هذا المصدر، ولقد عرفت بأنه اشتبه بأنها كانت تقوم بخدمة جنسية لقاء ذلك. وبشكل مثير للإزعاج، لم يبدُ أن هذا يهمه على الإطلاق.

توقفت غابرييل عن المشي ونظرت مرة أخرى إلى الرسالة الإلكترونية التي وصلتها حديثاً. كانت جميع الرسائل السابقة مفهومة: شخص ما داخل البيت الأبيض يريد لسيكستون الفوز بهذه الانتخابات وكان يساعده عن طريق تدعيم هجومه ضد ناسا.

ولكن من يكون؟ ولماذا؟

إنه جرذ في سفينة تغرق، قررت راشيل ذلك. لم يكن أمراً مستغرباً في واشنطن بالنسبة لموظفي البيت الأبيض - الذين يخافون من طرد الرئيس خارج مكتبه - أن يقدموا مساعدات إلى الشخص الذي يبدو أنه المنتصر على أمل أن يضمن لهم السلطة أو منصباً آخر بعد التغيير. يبدو أن شخصاً ما قد اشتم رائحة نصر سيكستون ويريد أن يشتري حصته مبكراً.

إن الرسالة الحالية على شاشة جهاز غابرييل قد جعلتها قلقة. فإنها لم تكن كأي واحدة كانت قد تلقتها من قبل. لم يكن السطران الأولان هما اللذين أثارا قلقهما، بل كانا السطران الأخيران:

بوابة الموعد الشرقية، 4:30 ظهراً احضري وحدك

إن الشخص الذي يزودها بالمعلومات لم يطلب منها لقاءً شخصياً من قبل، ومع ذلك، كانت راشيل تتوقع موقعاً أكثر ذكاءً للقاء المواجهة. بوابة الموعد الشرقية؟ إن هناك بوابة واحدة موجودة بهذا الاسم في واشنطن، على حد علمها، خارج البيت الأبيض؟ هل هذا نوع من المزاح؟

تعلم غابرييل أنها لا تستطيع الرد على الرسالة بواسطة البريد

الإلكتروني، فإن الرسائل التي قد أرسلتها له دائماً ما تعود لها كرسائل لم يتم إيصالها. كان بريد مراسلها عديم الاسم، وليس هذا أمراً مستغرباً.

هل يتوجب أن استشير سيكستون؟ فكرت عكس ذلك بسرعة. إنه الآن في اجتماع، وفوق ذلك، لو أنني أخبرته عن هذه الرسالة، فيتوجب عليّ إخباره عن جميع الرسائل الأخرى. وفكرت بأن عرض ذلك الشخص ملاقاتها في مكان شعبي في وضح النهار هو ليجعلها تشعر بالأمان. ففي النهاية، إن ذلك الشخص لم يفعل لها شيئاً سوى تزويدها بمعلومات تساعدها خلال الأسبوعين الماضيين. لا بد أن يكون هو أو هي صديقاً ما.

عند قراءة الرسالة مرة أخيرة، نظرت غابرييل إلى ساعتها. بقيت ساعة للقاء.

30

كان مدير ناسا يشعر بانفعال أقل، ذلك لأن الحجر النيزكي قد أصبح الآن خارج الجليد. كل شيء يمشي حسب الترتيب، هذا ما قاله لنفسه وهو يتوجه عبر القبة إلى منطقة عمل مايكل تولاند. لا يمكن لشيء أن يوقفنا الآن.

"كيف تجري الأمور؟" سأل إيكستروم، وهو يمشي بخطى واسعة خلف عالم التلفاز.

حوّل تولاند نظره من جهاز الكمبيوتر إليه، يبدو عليه التعب ولكن الحماسة أيضاً. "إن التحرير على وشك الانتهاء. أقوم الآن بوضع فيلم الاستخراج الذي صوره رجالك. سينتهي خلال لحظات".

"جيد". لقد طلب الرئيس من إيكستروم تحميل البرنامج الوثائقي إلى البيت الأبيض بأسرع ما يمكن.

على الرغم من أن إيكستروم كان ناقداً لرغبة الرئيس في استخدام مايكل تولاند لهذا المشروع، تغير رأيه عند رؤيته النسخة الأولية للبرنامج. إن الروح الروائية لهذا النجم التلفزيوني، قد امتزجت مع مقابلاته للعلماء المدنيين، لتُجمعت بذكاء في برنامج علمي رائع ومفهوم يستغرق من الوقت خمس عشرة دقيقة. لقد أنجز تولاند دون أي جهد ما تعجز ناسا عن القيام به عادةً – وصف اكتشاف علمي بمستوى الإدراك العقلي المتوسط للأميركيين ودون إشعارهم بالنقص.

"عندما تنتهي من تحريره"، قال إيكستروم: "أحضر لي المنتج النهائي إلى

المنطقة الإعلامية، فلديّ شخص ينتظر ليرسل النسخة الرقمية إلى البيت الأبيض".

"حاضر سيدي". عاد تولاند إلى عمله.

ثم تحرك إيكستروم، وعندما وصل إلى الحاجز الشمالي، كان متشجعاً لرؤيته أن 'المنطقة الإعلامية' داخل القبة الاصطناعية قد أصبحت رائعة بأكملها، فقد بُسطت سجادة زرقاء اللون على الجليد، وفي منتصفها كان هنالك طاولة للندوة طويلة عليها العديد من الميكرفونات وستارة ناسا، بالإضافة إلى علم أميركا الضخم الذي وضع كستارة خلفية. ولإكمال الدراما المرئية، تم نقل الحجر النيزكي على مزلجة نقالة إلى مكان الشرف، مباشرة أمام طاولة الندوة.

كان إيكستروم مسروراً لرؤيته أن الجو المسيطر على منطقة الإعلام كان جواً احتفالياً بتلك المناسبة. تجمع العديد من طاقمه حول الحجر وهم يمدون أيديهم إلى كتلته التي لا تزال ساخنة، مثل المخيمين وقد اجتمعوا حول نار المخيم.

قرر إيكستروم أن هذه هي اللحظة المناسبة، ومشى باتجاه علب صغيرة موضوعة على الجليد خلف المنطقة الإعلامية. لقد أحضر العلب هذا الصباح من منطقة غرين لاند.

"إن الشراب على حسابي!" صاح بأعلى صوته وهو يقدم علب المشروب المفضل إلى طاقمه المرح.

"هاي، أيها الرئيس". صاح أحدهم. "شكراً! إنها لا تزال باردة!".

ابتسم إيكستروم بعظمة: "لقد كنت أحتفظ بها في الجليد".

ضحك الجميع.

"انتظر لحظة!" صاح آخر مقطباً وجهه بسرور وهو ينظر إلى العبوة: "إن هذا النوع كندي! أين هي روح الوطنية عندك؟!".

"إن لنا ميزانية محددة هنا، أيها الناس، وإن هذا هو أرخص نوع وجدته".

المزيد من الضحك.

"انتباه أيها المتسوقون". صاح أحد أفراد طاقم ناسا التلفزيوني عبر البوق. "إنني الآن على وشك التحويل إلى أضواء الإعلام. قد تعانون من عمى مؤقت".

"لا أريد تقبيلاً في الظلام". صاح أحدهم: "فإن هذا برنامج عائلي!".

ابتسم إيكستروم وهو يستمتع بالمزاح الذي يقدمه طاقمه خلال ضبطه

النهائي للأضواء المسلطة ونور الغرفة المشع.

"سنتحول إلى الضوء الإذاعي خلال خمسة، أربعة، ثلاثة، اثنين...".

ساد الظلام خلال القبة بسرعة عندما أطفأت الأضواء الهالوجينية. وخلال ثوان، جميع الأضواء كانت مقطوعة. انغمست القبة في ظلام لا يمكن الرؤية فيه أبداً.

أطلق أحدهم صرخة ساخرة.

"من الذي قرص مؤخرتي؟" صاح أحدهم، وهو يضحك.

استمر الظلام للحظة واحدة فقط قبل أن يخترقه شعاع ساطع من أضواء التصوير. أغمض الجميع عيونهم. اكتمل التحويل الآن. إن الربع الشمالي لقبة ناسا الاصطناعية قد أصبح أستديو تلفزيوني. أما بقية أجزاء القبة فبدت كحظيرة فارغة في الليل. فالضوء الوحيد الذي تبقى في الأقسام الأخرى هو الانعكاس الخافت لأضواء التصوير التي تنعكس من السقف المقوس وترسل ظلاً طويلاً عبر أقسام العمل المهجورة الآن.

مشى إيكستروم عدة خطوات إلى الظلال، وهو مسرور لرؤية فريقه يحتفل بصخب حول الحجر النيزكي المضيء. شعر وكأنه والد يقف عشية عيد الميلاد، ينظر إلى أولاده المستمتعين حول شجرة العيد.

الله يعلم أنهم يستحقون ذلك. فكر إيكستروم ولم يخامره أي شعور على الإطلاق بالكارثة التي تنتظرهم.

31

كان الطقس يتغير.

وكنذير حزين لصراع على وشك الوقوع، أطلقت الرياح السفلية عزفاً كئيباً وعصفت ملجأ دلتا فورس. أنهى دلتا واحد تثبيت العوارض الخشبية لأغطية العواصف ثم عاد إلى الداخل إلى شريكيه الآخرين. لقد تعرضوا لذلك من قبل، وإنها ستمر قريباً.

كان دلتا اثنان يحدق ببث الفيديو المباشر من الربوط الصغير ثم قال: "يتوجب عليك النظر إلى هذا"

اقترب دلتا واحد. كان ظلام دامس يسود داخل القبة الاصطناعية باستثناء الضوء المشع في الجهة الشمالية من القبة على مقربة من المنصة. أما ما تبقى

من القبة الاصطناعية فبدا وكأنه شكل معتم. "إنهم في الشمال". قال: "يختبرون أضواء التلفاز من أجل الليلة".

"إن الأضواء ليست هي المشكلة". أشار دلتا اثنان إلى النقطة المظلمة في منتصف الجليد – الحفرة المملوءة بالمياه التي تم استخراج الحجر النيزكي منها. "هذه هي المشكلة".

نظر دلتا واحد إلى الحفرة. إنها لا تزال محاطة بالكتائف وبدا سطح الماء هادئاً: "إنني لا أرى شيئاً".

"أنظر مرة أخرى". أدار أداة التحكم، فطار الربوط الصغير إلى الأسفل باتجاه سطح الحفرة.

عندما تفحص دلتا واحد الحفرة المظلمة من المياه الذائبة عن قرب أكثر، رأى شيئاً ما جعله يرتد من أثر الصدمة: "ماذا...؟".

اقترب دلتا ثلاثة ونظر، فبدا عليه الدهشة هو الآخر: "يا إلهي! هل هذه حفرة الاستخراج؟ هل يفترض بهذه المياه أن تفعل هذا؟".

"كلا!" قال دلتا واحد: "بالتأكيد لا يفترض بها ذلك!".

32

على الرغم من أن راشيل سيكستون كانت تجلس حالياً داخل علبة معدنية كبيرة تبعد مسافة ثلاثة آلاف ميل عن واشنطن، شعرت بالضغط نفسه الذي كانت ستشعر به لو كانت مدعوة إلى اجتماع في البيت الأبيض.

أظهرت الشاشة المرئية والصوتية أمامها صورة صافية واضحة للرئيس زاك هيرني، يجلس في غرفة اتصالات البيت الأبيض أمام الخاتم الرئاسي. كان الاتصال السمعي الرقمي خالياً من أي عيب، باستثناء التأخير الذي لا يمكن تفاديه، وكأن الرجل كان موجوداً في الغرفة المجاورة.

كان حوارهما مبتهجاً ومباشراً، وبدا السرور على الرئيس – على الرغم من أنه لم يكن متفاجئاً – عند تقييم راشيل الإيجابي لاكتشاف ناسا ولاختيار الشخصية الفاتنة لمايكل تولاند ليكون المتحدث. كان مزاج الرئيس بهيجاً ومزوحاً.

"كما أنني متأكد من أنك ستوافقين"، قال هيرني وقد أصبح صوته أكثر جدية الآن: "أنه في العالم المثالي، ستكون تشعبات هذا الاكتشاف علمية

بطبيعتها وبشكل واضح،" صمت قليلاً ثم انحنى إلى الأمام فملأت صورته الشاشة. "لسوء الحظ، إننا لا نعيش في العالم المثالي. وإن نصر ناسا هذا سيتحول إلى كرة سياسية في اللحظة التي سأعلنه فيها".

"بالنظر إلى الأدلة المقنعة والأشخاص الذين استخدمتهم، كيف سيتمكن هذا الشعب أو أي معارض لك من فعل أي شيء سوى قبول هذا الاكتشاف كحقيقة مثبتة".

ضحك هيرني بحزن: "إن معارضي السياسيين سيصدقون ما سيرونه يا راشيل. إن قلقي هو أنهم لن يحبوا ما سيرون".

لاحظت راشيل مدى حذر الرئيس من عدم ذكر اسم والدها، بدلاً عن ذلك، تحدث فقط باستخدام 'المعارض' أو 'الخصم السياسي'.

"وهل تعتقد أن معارضك سيعلن مؤامرة ببساطة لأسباب سياسية؟" سألته.

"هذه هي طبيعة اللعبة، كل ما يحتاج إليه أي شخص هو طرح ارتياب باهت، وقوله إن هذا الاكتشاف هو خدعة سياسية تشمل ناسا والبيت الأبيض. وعندها بشكل مفاجئ، سأواجه أنا التحقيق. ستنسى الصحف أمر اكتشاف ناسا لدليل عن حياة خارج الأرض، وسيبدأ الإعلام بالتركيز على اكتشاف دليل للمؤامرة. وبشكل محزن، فإن أي تلميح لمؤامرة يتعلق بهذا الاكتشاف سيكون أمراً سيئاً للعلم، وسيئاً للبيت الأبيض وسيئاً لناسا، وبصراحة سيئاً للبلد".

"ولهذا السبب قمت بتأجيل الإعلان عنه إلى أن أحصل على الإثبات بشكل كامل والمصادقة من بعض العلماء المدنيين الشرفاء".

"إن هدفي هو تقديم هذا البيان بطريقة لا يمكن الشك فيها وعندها يتدمر كل ساخر. أريد أن يتم الاحتفال بهذا الاكتشاف بالمنزلة السامية التي يستحقها. لا تستحق ناسا أقل من ذلك".

كان حدس راشيل يوخزها الآن. ما الذي يريده مني؟

"من الواضح"، تابع حديثه: "أنك في وضع فريد لمساعدتي، فإن خبرتك كمحللة سياسية، بالإضافة إلى قرابتك الواضحة من خصمي، كلاهما يعطيانك مصداقية كبيرة فيما يتعلق بهذا الاكتشاف".

شعرت راشيل بخيبة أمل متزايدة، إنه يريد استخدامي... تماماً كما قال سكرينغ.

"وهذا يعني"، تابع حديثه: "أنني أطلب منك المصادقة على هذا الاكتشاف

شخصياً، ورسمياً، وذلك بصفتك وسيلتي للاتصال الاستخباراتي في البيت الأبيض... وبصفتك ابنة خصمي".

هذه هي، لقد تأخر بقولها.

يريدني هيرني أن أصادق.

لقد اعتقدت راشيل فعلاً أن الرئيس كان يتعالى عن هذا النوع من الضغائن السياسية، فإن تصديقاً شعبياً من قبل راشيل سيجعل على الفور الحجر النيزكي قضية شخصية بالنسبة لوالدها، وهذا سيجعل السيناتور غير قادر على الشك بمصداقية هذا الاكتشاف دون الشك بمصداقية ابنته - عقوبة بالموت لمناصر عبارة 'الأسرة أولاً'.

"بصراحة سيدي"، قالت راشيل وهي تنظر إلى الجهاز: "أنا مندهشة لطلبك هذا".

بدا على الرئيس المفاجأة أيضاً: "لقد اعتقدت أنك ستشعرين بالإثارة لمساعدتي".

"أية إثارة؟ سيدي، لندع أمر اختلافي مع والدي جانباً، فإن هذا الطلب سيضعني في موقف لا يطاق. إن مشاكلي مع والدي كافية ولا تحتاج إلى أن أتصارع معه مباشرة في نوع من المباريات الشعبية المميتة. رغم اعترافي بعدم محبة هذا الرجل، فهو يبقى والدي، ووضعي ضده في منبر شعبي يبدو بصراحة أمراً غير جدير بك".

"انتظري قليلاً!" رفع هيرني يديه مستسلماً. "من قال أي شيء عن منبر شعبي؟".

صمتت راشيل: "لقد افترضت أنك تريد مني الانضمام إلى مدير ناسا في منصة المؤتمر الصحفي في الساعة الثامنة؟".

أصدرت قهقهة هيرني طنيناً في مكبرات الصوت السمعية: "راشيل، أي نوع من الرجال تظنينني؟ أحقاً تتخيلين أنني سأطلب من شخص ما أن يطعن والده في الظهر على شاشة تلفاز قومي؟".

"ولكنك قلت...".

"وهل تظنين أني سأجعل مدير ناسا يقاسم أضواء الشهرة مع ابنة عدوه الخبيث؟ لا أريد تفجير أوهامك راشيل، ولكن هذا المؤتمر الصحفي هو تقديم علمي، وأنا لست واثقاً من أن معلوماتك عن الأحجار النيزكية أو المستحاثات

أو حتى بنية الجليد ستقدم لهذا الحدث أية مصداقية!".

شعرت راشيل أن نفسها تتوهج: "ولكن إذاً... ما التصديق الذي تقصده؟".

"نوع ملائم لوظيفتك؟".

"سيدي؟".

"أنت وسيلتي في الاتصال الاستخباراتي في البيت الأبيض، وأنت تقدمين لطاقمي الإيجازات حول القضايا ذات الأهمية القومية".

"أتريدني إخبار هذا لطاقمك؟".

يبدو أن هيرني لا يزال مندهشاً من سوء الفهم: "نعم، أريد ذلك. إن الشكوكية التي سأشهدها خارج البيت الأبيض لا تقارن مع تلك التي سأواجهها من طاقمي الآن. إننا في وسط تمرد كامل هنا. لقد تدمرت مصداقيتي الداخلية. لقد توسل إليّ طاقمي لأقلل من تمويل ناسا وأنا تجاهلتهم. لقد أصبح الأمر انتحاراً سياسياً.

"إلى الآن؟!".

"بالطبع، عندما تناقشنا بالأمر هذا الصباح، تحدثنا أن توقيت هذا الاكتشاف سيثير الشك عند المتشائمين السياسيين، وليس هناك من أحد أكثر تشاؤماً من طاقمي في هذه اللحظات. إنهم عندما سيسمعون هذه المعلومات للمرة الأولى، أرغب أن تأتي من قبل –".

"ألم تخبر طاقمك عن هذا الحجر النيزكي بعد؟!".

"القليل من المستشارين ذوي المراتب العليا فقط. لقد كان إبقاء هذا الاكتشاف سراً أمراً في المرتبة الأولى".

كانت راشيل مذهلة. ليس مستغرباً أن يواجه تمرداً. "ولكن ليس هذا اختصاصي الاعتيادي، فإن الحجر النيزكي لا يذكر تقريباً في اختصارات استخباراتية".

"ليس بالمعنى المألوف، ولكن الأمر بالتأكيد يمتلك جميع عناصر عملك الاعتيادي – معلومات معقدة تحتاج إلى التبسيط، وتشعبات سياسية كثيرة –".

"أنا لست مختصة بالنيازك، يا سيدي، ألا يتوجب أن يتم إخبار طاقمك من قبل مدير ناسا؟".

"هل تمزحين؟ جميع من هنا يكرهه. من وجهة نظر طاقمي، إن إيكستروم هو بائع الكلمات المخادعة وهو الذي قام بإغوائي بصفقة خاسرة واحدة تلو أخرى".

استطاعت راشيل أن تفهم الأمر: "وماذا عن كوركي مارلينسون؟ إنه عالم فيزياء فلكية حائز على جائزة قومية، لديه مصداقية أكثر مني؟".

"إن طاقمي يتألف من السياسيين، يا راشيل، وليس من العلماء! لقد قابلت للتو الدكتور مارلينسون وأظن أنه رائع، ولكن لو أنني تركت عالم فيزياء فلكية طليقاً أمام طاقمي ذي العقل التحليلي والذي يمتلك قدرات عقلية مثبتة داخل علبة، عندها سأنتهي بقطيع من الأيائل أمام أضواء السيارات الأمامية. أحتاج إلى شيء سهل الوصول، وأنت الشخص الملائم يا راشيل. إن طاقمي يعرف عملك وبالنظر إلى اسم عائلتك، فأنت متحدث غير متحيز يتطلع طاقمي السماع منه".

شعرت راشيل أن الرئيس قد استحوذ عليها بأسلوبه اللطيف: "على الأقل أنت تعترف أخيراً بأن طلبك له علاقة بي لأنني ابنة خصمك".

ضحك الرئيس بينه وبين نفسه بخجل: "بالطبع، له علاقة، ولكن كما يمكنك أن تتخيلي، فإنه سيتم إعلام طاقمي بطريقة أو بأخرى مهما كان قرارك. أنت لست الكعكة يا راشيل، أنت فقط الغطاء المزين لها. وأنت هو الشخص الأكثر تأهيلاً للقيام بهذا الإبلاغ، ومصادفةً كنت قريبة الرجل الذي يريد طرد طاقمي من البيت الأبيض في الولاية القادمة. لديك المصداقية لسببين".

"يجب أن تكون معروضاً للبيع بسعر مخفض".

"في الواقع أنا كذلك، ووالدك أيضاً. ولكي أكون صريحاً معك، سأقوم بإنهاء الصفقة من أجل التغيير". خلع الرئيس نظارته ونظر إلى عيني راشيل، شعرت بمسحة من قوة والدها داخلهما: "أنا أطلب منك تلك الخدمة يا راشيل، وأنا مؤمن بأن هذا هو جزء من عملك. إذاً ما الذي ستختارينه؟ نعم أم لا؟ هل ستقومين بإخبار طاقمي حول هذا الأمر؟".

شعرت راشيل أنها عالقة داخل هذه الحجرة، لا شيء مثل الصّدفة القاسية. على الرغم من أنه يبعد ثلاثة آلاف ميل، شعرت راشيل بقوة تصميمه تنبعث عبر شاشة الفيديو. وقد علمت أيضاً أن هذا كان طلباً منطقياً بصورة رائعة، سواء أحبته أم لا.

"لديّ شروط!" قالت راشيل.

قوس هيرني حاجبيه: "وهي؟".

"إنني سأقابل طاقمك بسرية، دون أي صحفيين. وهذا سيكون إيجازاً سرياً وليس تصديقاً عاماً".

"لك ذلك. لقد عيّنت موعداً مسبقاً في موقع سري جداً"

تنهدت راشيل: "حسناً إذاً".

ابتسم الرئيس بابتهاج: "ممتاز".

نظرت راشيل إلى ساعتها وكانت متفاجئة لرؤيتها أنه تبقى القليل من الوقت لتصبح الساعة الرابعة. "انتظر قليلاً". قالت في حيرة: "إذا كان لديك اجتماع على الهواء في الساعة الثامنة مساءً، فليس لدينا وقت كاف، ولو كان التنقل بواسطة تلك الآلة الحقيرة التي أرسلتني بها إلى هنا، فإنني لن أتمكن من الوصول إلى البيت الأبيض قبل ساعات أخرى على أسرع تقدير. ويتوجب عليّ أيضاً أن أحضر ملاحظاتي و –".

هزّ الرئيس رأسه: "أخشى أنني لم أوضح الأمر، ستقومين بتقديم الإيجاز من المكان الذي أنت فيه بواسطة اجتماع بالفيديو".

"أوه"، ترددت راشيل: "ما الوقت الذي تريده؟".

"في الواقع"، قال هيرني ضاحكاً: "ماذا لو كان الآن؟ فلقد حضر الجميع للتو وإنهم الآن يحدقون إلى جهاز تلفزيوني كبير بدون صورة، إنهم بانتظارونك".

توتر جسد راشيل: "سيدي، أنا لست جاهزة على الإطلاق، لا أستطيع بأية حال –".

"أخبريهم الحقيقة فقط. كم يصعب هذا الأمر؟".

"ولكن –".

"راشيل"، قال الرئيس منحنياً باتجاه الشاشة. "تذكري أنك تعملين بجمع وترحيل البيانات، إنه ما تقومين به، تحدثي فقط عما يجري هناك". مدّ يده لينقر بإصبعه على مفتاح كهربائي موجود في جهاز الإرسال التلفزيوني، ولكنه انتظر قليلاً: "وأظن أنك ستكونين مسرورة عند اكتشافك أنني وضعتك في موضع سلطة".

لم تفهم راشيل ما الذي يقصده، ولكن الوقت كان متأخراً لتسأله. نقر الرئيس على ذلك المفتاح.

تحولت الشاشة أمام راشيل إلى اللون الأبيض للحظة. وعندما انتعشت من جديد، وجدت راشيل نفسها تحدق إلى واحدة من الصور الأكثر إثارة للأعصاب كانت قد رأتها على الإطلاق. مباشرة أمامها، كان المكتب الرئاسي

للبيت الأبيض، محتشداً، يوجد فيه مساحة للوقوف فقط، وقد بدا أن الطاقم بأكمله هناك. كل واحد منهم كان يحدق بها. أدركت راشيل الآن أن صورتها كانت في أعلى مكتب الرئيس.

تتحدثين من موضع سلطة. كانت راشيل تتصبب عرقاً مسبقاً.

وعبر النظرات التي علت وجوه طاقم البيت الأبيض، بدا أنهم هم أيضاً متفاجئون لرؤية راشيل كما كانت هي متفاجئة لرؤيتهم.

"آنسة سيكستون؟" ناداها صوت خشن.

بحثت راشيل في بحر الوجوه فوجدت المتحدث، لقد كانت امرأة هزيلة وطويلة تجلس الآن أمام الصف. مارجوري تينش. إن مظهر هذه المرأة المميز كان غير قابل لأن يُخطأ به بالرغم من الازدحام.

"شكراً للانضمام إلينا، آنسة سيكستون". قالت مارجوري تينش ويبدو عليها الاعتداد بالنفس: "لقد قال الرئيس أن لديك بعض الأخبار لنا؟".

33

مستمتعاً بالظلام الدامس، جلس العالم الإحاثي وايلي مينغ وحيداً في الانعكاس الهادئ داخل منطقة عمله الخاصة. كانت أحاسيسه مفعمة بالتوقعات بسبب أحداث هذه الليلة. قريباً سأصبح العالم الإحاثي الأكثر شهرة في العالم. تمنى لو أن مايكل تولاند كان كريماً معه وأبرز تعليقات مينغ في برنامجه الوثائقي جيداً.

بينما كان مينغ يستمتع بشهرته التي على وشك الحدوث، ارتعد اهتزاز خفيف عبر الجليد أسفل قدميه، فجعله يقفز. لقد جعلته خبرته بالزلازل بسبب العيش في لوس أنجلوس مفرط الحساسية لأقل رجفة باهتة للأرض. وفي هذه الأثناء، وبالرغم من ذلك، شعر بالغباء عند إدراكه أن هذا الاهتزاز أمر طبيعي تماماً. إنه انشعاب جليدي فقط، ذكّر نفسه بذلك وهو يتنهد، لم يعتد عليه حتى الآن. ففي كل عدة ساعات، يدمدم انفجار بعيد خلال الليل في مكان ما على طول الحدود الجليدية حيث تتصدع كتلة جليدية ضخمة وتسقط داخل البحر. لقد قامت نورا مانغور بتفسيرها بطريقة رائعة، ولادة جبال جليدية جديدة...

وبينما هو يمشي، كان مينغ يُمطّ يديه. نظر عبر القبة الاصطناعية وهناك

بعيداً تحت بريق الأضواء التلفزيونية، استطاع رؤية الاحتفال. لم يكن مينغ محباً للحفلات فتوجه إلى الاتجاه المعاكس عبر القبة الاصطناعية.

كانت متاهة مناطق العمل الفارغة الآن كمدينة الأشباح، والقبة بأكملها تبعث بشعور كئيب. وبدا أن هواءً بارداً قد استقر في الداخل، فقام مينغ بتزرير معطفه الطويل المصنوع من وبر الجمل.

هناك أمامه رأى عمود الاستخراج - النقطة التي تم منها استخراج المستحاثات الأكثر عظمة في تاريخ البشرية. وقد تم إنزال الحامل الثلاثي القوائم المعدني الضخم. لقد بقيت البركة وحيدة الآن، محاطة بكتائف كنوع من الأخاديد النائية على قطعة أرض ضخمة من الجليد. تجول مينغ باتجاه البركة، وهو ينظر من مسافة آمنة في الخلف، يحدق داخل البركة التي يبلغ عمقها مائتي قدم (60 متراً) إلى الأسفل والمليئة بالمياه الباردة. قريباً ستتجمد مرة ثانية، ماحية كل الآثار التي تدل على وجود أي شخص هنا.

كان منظر بركة المياه رائعاً، فكر مينغ، رغم الظلام.

وبشكل خاص في الظلام.

تردد مينغ عند هذه الفكرة، ثم أكّد ذلك.

هناك خطأ ما.

حدق مينغ عن قرب أكثر بالمياه. شعر أن رضاه السابق قد تلاشى أمام الزوبعة المفاجئة من التشوش. طرّف عينيه ثم حدق مرة ثانية، وبسرعة التفت بنظره عبر القبة... خمسين ياردة بعيداً باتجاه مجموعة الناس الذين يحتفلون في منطقة التصوير. لقد علم أنهم لا يستطيعون رؤيته على ذلك البعد في الظلام.

يتوجب عليّ إخبار شخص ما عن هذا، أليس كذلك؟

نظر مينغ مرة ثانية إلى المياه، متسائلاً ما الذي سيخبرهم إياه.

هل رأى خداعاً بصرياً؟ نوع من الانعكاس الغريب؟

غير متأكد من الأمر، اقترب مينغ بجانب الكتائف ثم جثم أمام أحد أطراف الحفرة. إن مستوى المياه هو أربعة أقدام (1.2 متر) أسفل مستوى الجليد، ثم انحنى إلى الأمام ليتمكن من الرؤية بشكل أفضل.

نعم، هناك شيء غريب بالتأكيد، لقد كان من المستحيل أن يخطئ، ومع ذلك فإن هذا لم يصبح مرئياً إلا عند ذهاب الأضواء من القبة.

وقف مينغ، يتوجب أن يسمع شخص ما عن هذا بالتأكيد. خطا سريعاً باتجاه منطقة التصوير. وعند إتمام القليل من الخطوات فقط، ضرب فرامله. يــا الله! التفت بسرعة عائداً باتجاه الحفرة. تتسع عيناه لإدراكه شيئاً ما. ثم توضح ذلك.

"مستحيل". قال بصوت عال.

لقد علم مينغ أن ذلك هو التفسير الوحيد. فكر بحذر أكثر، حــذّر نفســه. يتوجب أن يكون هناك تفسير أكثر منطقية. وكلما فكر مينغ أكثر، أصبح أكثــر قناعة بالشيء الذي يراه. ليس هناك من تفسير آخر. لم يستطع مينغ التصــديق أن ناسا وكوركي مارلينسون قد غفلوا بطريقة ما عن شيء لا يصــدق كهــذا، ولكن مينغ لم يكن متذمراً لذلك.

إن هذا هو اكتشاف وايلي مينغ الآن!

مرتجفاً من شدة الإثارة، ركض مينغ إلى منطقة العمل المجاورة ووجــد حوجلة مخبرية. كل ما يحتاج إليه الآن هو عينة من هذا الماء. لن يصدق هذا أحد!

34

"بصفتي وسيلة الاتصال الاستخباراتية للبيت الأبــيض"، قالــت راشــيل سيكستون محاولة المحافظة على صوتها من الارتعاش وهي تخاطــب الحشــد الموجود على الشاشة أمامها. "فإن واجباتي تتضمن السفر إلى مناطق سياســية حامية حول العالم، وتحليل المواقف المتفجرة بالإضافة إلى إرسال التقارير إلى الرئيس وطاقم البيت الأبيض".

تشكلت قطرات من العرق أسفل حد شعرها، فقامت بمسحها بعيداً، وهــي تلعن الرئيس بصمت لوضع هذا التقرير في حضنها دون أي تحذير من قبل.

"ولكن سفري من قبل لم يجلبني على الإطلاق لمثل هذه المنطقة المثيرة". أشارت راشيل بتصلب إلى الحجرة الضيقة من حولها. "صدقوا أو لا تصــدقوا أنني أخاطبكم الآن من المنطقة القطبية الشمالية على صفيحة من الجليد، تبلــغ سماكتها أكثر من ثلاثمئة قدم" (90 متراً).

أحست راشيل بتطلع منذهل على الوجوه الظاهرة أمامها على الشاشــة. من الواضح أنهم علموا بوجود سبب ما لحشدهم داخل المكتب الرئاسي، ولكن بالتأكيد لم يتخيل أحدهم أن هذا يتعلق بأي شيء له علاقة بتطور في المنطقــة القطبية الشمالية.

كان العرق يتصبب مرة أخرى.

ركزي يا راشيل، هذا ما تفعلينه، قالت لنفسها. "وأنا أجلس أمامكم هـذه الليلة محملة بشرف عظيم وفخر و... وفوق كل ذلك بالإثارة".

نظرات صامتة.

اقذفيها. فكرت راشيل وهي تمسح العرق بغضب.

أنا لم أوافق على القيام بهذا، علمت راشيل ما الذي ستقوله والـدتها لـو كانت موجودة هنا: "عندما تكونين في ارتياب، الفظيها ببسـاطة!" إنهـا حكـم اليانكيين القديمة التي تجسد أحد اعتقادات والدتها الأساسية – أنه يمكن السيطرة على جميع التحديات من خلال التحدث بالحقيقة، مهما تكن طريقة لفظها.

أخذت راشيل نفساً عميقاً وجلست منتصبة ثم نظرت مباشرة إلى الكاميرا: "متأسفة أيها الناس، لو كنتم تتساءلون عن سبب تعرق مـؤخرتي وأنـا فـوق القطب الشمالي... ذلك أنني متوترة بعض الشيء".

بدا أن الوجوه أمامها ارتجت للحظة، ثم علا بعض الضحك المضطرب.

"بالإضافة إلى" قالت راشيل: "أن رئيسكم قد أعطاني تحذيراً لهذا خـلال عشر ثوانٍ قبل إخباري أنني سألتقي مباشرة مع طاقمه بأكمله. إن هذه التجربة المفاجئة لم تكن بالضبط ما توقعته عند زيارتي للمكتب الرئاسي لأول مرة".

ازداد الضحك هذه المرة.

"وأيضاً" قالت وهي تنظر إلى أسفل الشاشة: "لم أتخيل على الإطلاق أنني سأكون جالسة على مكتب الرئيس... فوقه تقريباً!".

أما هذه فسببت ضحكات عالية وبعض الابتسامات العريضـة. شـعرت راشيل أن عضلاتها قد بدأت تسترخي. فقط أعطهم إياها مباشرة.

"إن الموقف إذاً"، أصبح صوت راشيل الآن طبيعياً، مرتاحاً وواضحاً. "إن سبب غياب الرئيس هيرني عن الأضواء الإعلامية في الأسبوع الماضي، لـم يكن هو نقص اهتمامه في حملته، ولكنه كان بسبب انشغاله بأمر آخر. أحـس له أكثر أهمية".

صمتت راشيل قليلاً وكانت عيناها على اتصال الآن مع الحشد أمامهـا. لقد كان هناك اكتشاف علمي في موقع يدعى الرف الجليدي الميليني في أعلى القطب الشمالي. وسيقوم الرئيس بإخبار العالم بأسره عنه في مؤتمر صـحفي هذه الليلة في الساعة الثامنة. لقد تم هذا الاكتشاف مـن قبـل مجموعـة مـن

الأميركيين المجدين والذين كانوا يتحملون سلاسل من الحظ السيئ مؤخراً، لذلك فهم يستحقون الراحة. إنني أتحدث عن ناسا، بإمكانكم أن تشعروا بالفخر لمعرفة أن رئيسكم بثقته المستبصرة الواضحة، قد اتخذ موقفاً لمساندة ناسا مؤخراً أيّاً كانت الظروف. والآن، تبين أنه سيتلقى المكافأة على إخلاصه".

لم تدرك راشيل قبل هذه اللحظة كم هي الأهمية التاريخية لهذا. وشعرت بضيق يرتفع في حلقها، ثم طردته، مندفعة إلى الأمام.

"وبصفتي موظفة استخباراتية تختص في تحليل البيانات وتوثيقها، فأنا واحدة من العديد من الناس الذين استدعاهم الرئيس لتفحص معلومات ناسا. لقد تفحصتها شخصياً واجتمعت مع العديد من الاختصاصيين - حكوميين ومدنيين معاً - رجال ونساء تفوق مصداقيتهم أي تشويه، ومنزلتهم الرفيعة ليس لها أي علاقة بالسلطة السياسية. برأيي المهني، إن هذه المعلومات التي أنا على وشك قولها هي حقيقية في أصلها وغير متحيزة في طرحها. وعلاوة على ذلك، فإن رأيي الشخصي أن الرئيس - بإخلاص إلى مكتبه وشعبه الأميركي - قد أظهر عناية باهرَة في تأكيده على التحفظ في تأخير هذا الإعلان، والذي أعلم أنه تمنى قوله منذ الأسبوع الماضي".

شاهدت راشيل الحشد أمامها وهو يتبادل نظرات الحيرة. ثم نظر إليها الجميع، وهي تعلم أنها استحوذت على انتباههم الكامل. "سيداتي وسادتي، أنتم على وشك السماع بالخبر الذي أثق أنكم ستوافقون على أنه المعلومة الأكثر إثارة التي تم اكتشافها في هذا المكتب".

35

إن المنظر الهوائي الذي يُنقل إلى دلتا فورس بواسطة الربوط الصغير المحوم داخل القبة الاصطناعية بدا كشيء سوف يكسب مسابقة الأفلام الطليعية - الضوء الباهت، وحفرة الاستخراج المتلألئة والآسيوي المرتب الذي يمتد على الجليد باسطاً معطفه الوبري من حوله مثل أجنحة ضخمة. من الواضح أنه كان يحاول استخراج عينة مائية.

"علينا إيقافه!" قال دلتا ثلاثة.

وافقه دلتا واحد. فإن المحافظة على أسرار منطقة الرف الجليدي الميلني هو أمر يتوجب على فريقه حمايته بالقوة.

"كيف سنوقفه"، اعترض دلتا اثنان وهو لا يزال يسيطر على مقود

لتحكم. "إن هذه الربوطات الصغيرة ليست مجهزة لذلك".

قطب دلتا واحد وجهه. إن الربوط الصغير الذي يحوم الآن داخل القبة الاصطناعية كان من الطراز المخصص للاستكشاف، وهو معدٌّ فقط من أجل الطيران لمدى أطول. إن قدرته القاتلة تعادل قدرة ذبابة المنزل".

"يتوجب علينا الاتصال بالقائد". قال دلتا ثلاثة.

حدق دلتا واحد بتركيز على صورة وايلي مينغ المنعزل، جاثماً بشكل متقلقل على حافة حفرة الاستخراج. لم يكن أحد على مقربة منه – والمياه الباردة الجليدية لها طريقة خاصة في كبت مقدرة أحد على الصراخ. "سأتولى التحكم".

"ماذا ستفعل؟" سأله الجندي الذي يُدير المقود.

"سأفعل ما تدربنا على القيام به". قال دلتا واحد بصوت حاد، وهو يتولى السيطرة.

"تنحّ جانباً!".

36

كان وايلي مينغ متمدداً على معدته جانب حفرة الاستخراج، ويده اليمنى تبسط باتجاه الحافة محاولة استخراج عينة مائية. لم تكن عيناه بالتأكيد تخدعانه، ووجهه الذي يبعد الآن ياردة واحدة فقط عن المياه، كان يرى كل شيء بوضوح.

إن هذا لا يصدق!

بينما كان يمد يده إلى أقصى حدها، ناور بالكأس في أصابعه محاولاً الوصول إلى أسفل سطح المياه. كل ما يحتاج إليه كان بعض الإنشات (السنتيمترات) الأخرى.

لم يكن قادراً على مدّ يده أكثر من ذلك، لذلك قام مينغ بتغيير وضعيته ليكون أقرب إلى الحفرة.

ثبت أطراف حذائه في الجليد وأعاد وضع يده اليسرى في الحافة. ومرة ثانية، مدّ يده اليمنى إلى أقصى استطاعته. تقريباً. تحرك على مقربة أكثر. عندما اخترق طرف الكأس سطح المياه. وبينما كان السائل يعبئ الوعاء، حدق مينغ غير مصدق.

وبعدها، دون أي تحذير، حدث شيء لا يمكن تفسيره أبداً. مندفعاً من

الظلام، كرصاصة انطلقت من البندقية، طارت ذرة معدنية صغيرة. شاهدها مينغ فقط لمدة أجزاء قليلة من الثانية قبل أن تندفع بعنف في عينه اليمنى.

إن الفطرة الإنسانية التي تحمي عين الإنسان كانت راسخة بصورة طبيعية، فبالرغم من أن عقل مينغ يخبره أن أي تحركات مفاجئة ستخاطر بتوازنه، ولكنه تراجع مع ذلك. كانت ردة فعل مربكة ومفاجئة أكثر من كونها مؤلمة. حيث اندفعت اليد اليسرى الأقرب لوجهه كفعل انعكاسي لتحمي كرة عينه المُهاجمة. وعندما تحركت يده، علم مينغ أنه قد قام بعمل خاطئ. كان وزنه بأكمله ينحني نحو الأمام، ومع ذهاب وسيلة التثبيت الوحيدة فجأة، تمايل وايلي مينغ. استرد توازنه في وقت متأخر جداً، فأسقط الحوجلة محاولاً التمسك بالجليد الأملس ليوقف انحداره... انزلق - هبط عمودياً إلى الأمام داخل الحفرة المظلمة.

كان سقوطه أربعة أقدام (1.2 متر) فقط، ولكنه رأس مينغ الذي ارتطم أولاً بالمياه الجليدية التي جعلته يشعر بأنه قد ارتطم برصيف بسرعة خمسين ميلاً في الساعة. إن السائل الذي انغمس فيه وجهه كان بارداً جداً لدرجة أنه شعر به وكأنه مادة حمضية حارقة. جعلته يشعر بنوبة فورية من الرعب.

رأساً على عقب، داخل الظلام، فقد مينغ إحساسه بالمكان والزمان في تلك اللحظة،لم يعلم أية طريقة يمكن أن تقلبه باتجاه السطح. ساهم معطفه الثقيل المصنوع من وبر الجمل بالحفاظ على نفحات الجليد بعيداً عن جسده - ولكن لمدة ثانية واحدة أو اثنتين فقط. تمكن بالنهاية من تقويم وضعه، اتجه نحو السطح مبقبقاً يطلب الهواء، تمكنت المياه عندها من إيجاد طريقها إلى ظهره وصدره، أحاطت جسده وكأنها ملزمة من البرودة قد سحقت رئتيه.

"النجـ... دة" أطلق لاهثاً، لكن مينغ كان يتمكن بصعوبة بالغة من استنشاق الهواء الذي يكفيه لإطلاق أنين فقط. شعر أن الرياح ترهقه.

"النجـ... دة" كان صرخاته غير مسموعة حتى لنفسه. تسلق مينغ بجهد باتجاه طرف حفرة الاستخراج ثم حاول دفع نفسه خارجاً، كانت الجدران أمامه جليداً عمودياً. ليس هناك أي شيء للتمسك به. وهناك تحت الماء، ارتطم حذاؤه بطرف الحائط محاولاً البحث عن موطئ لقدمه. لا شيء... شدّ نفسه إلى الأعلى، يبحث عن الحافة. لقد كان على بعد قدم (30 سم) فقط.

كانت عضلات مينغ تواجه صعوبة في الإستجابة. ضرب قدميه بقوة،

محاولاً دفع نفسه إلى الحائط بشكل كاف يمكّنه من التمسك بالحافة. شعر بجسده وكأنه رصاص وبدا أن رئتيه قد تقلصتا إلى العدم، وكأنهما قد انسحقتا بإمهان كبير جداً.

كان معطفه محملاً بالمياه، ليصبح أكثر وزناً مع مرور كل ثانية، فيدفعه إلى الأسفل. حاول مينغ أن يخلعه عن جسده، ولكن النسيج الثقيل قد التصق عليه.

"ساعدو... ني!".

بدأ سيلٌ من الخوف يصيبه الآن.

كان مينغ قد قرأ مرة أن الغرق هو الصورة الأكثر رهبة للموت، لم يحلم على الإطلاق أنه سيجد نفسه على شفير تجربتها. رفضت عضلاته أن تتجاوب مع عقله وكان مسبقاً يناضل من أجل إبقاء رأسه خارج الماء. لكن ملابسه المشبعة بالمياه كانت تدفعه إلى الأسفل بينما تقوم أصابعه الخدرة بخدش أطراف الحفرة.

الآن، أصبحت صرخاته في عقله فقط.

وبعدها حدث ذلك.

أصبح مينغ في الأسفل، ذعر لإدراكه أن موته على وشك الوقوع. لم يتخيل أنه سيجربه على الإطلاق. ولكن كان هنا... يغرق ببطء إلى أسفل الجدران العمودية الجليدية لحفرة يبلغ عمقها مئتي قدم (60 متراً) في الجليد. عدد من الأفكار تدافع أمام عينيه. لحظات من طفولته وعمله. وتساءل إذا كان سيجده أحد هنا أو أنه ببساطة سيغرق إلى الأسفل ويتجمد هناك... مدفوناً في الجليد طوال الوقت.

كانت رئتاه تصرخان طلباً للأكسجين، احتجز نَفَسَه، وهو لا يزال يحاول الاندفاع إلى السطح. تنفس! حارب المنعكس، شاداً على شفتيه الخاليتين من الإحساس بإحكام، تنفس! حاول دون فائدة أن يسبح نحو السطح. تنفس!

وفي تلك اللحظة، في نضال مميت لمكافحة المنعكس البشري ضد العقل، تغلبت فطرة مينغ للتنفس على مقدرته لإبقاء فمه مغلقاً.

استنشق وايلي مينغ.

شعر بالمياه المندفعة داخل رئتيه وكأنها زيت يغلي على أغشيته الرئوية الحساسة. شعر وكأنه يحترق من الداخل إلى الخارج. وبشكل وحشي، لا تقتل

المياه مباشرة. قضى مينغ سبع ثوان رهيبة وهو يستنشق المياه المتجمدة، وكل نفس كان أكثر ألماً من سابقه، وكل استنشاق كان لا يقدم أي شيء من الذي يحتاج إليه جسده بيأس. وفي النهاية، انزلق مينغ باتجاه الأسفل إلى الظلام الجليدي، شعر بفقدان الوعي. رحب بالنجاة. كان يرى كل شيء في المياه حوله على أنه بقع متوقدة من الضوء. إنه أجمل شيء شاهده في حياته على الإطلاق.

37

تقع بوابة الموعد الشرقية للبيت الأبيض في الجادة الإدارية الشرقية والتي بدورها تقع بين وزارة المالية والمروج الشمالية. إن السور المحيط المدعم والأعمدة الإسمنتية المثبتة بعد ضرب الأبنية الضخمة البحرية في بيروت أضافت على هذا المدخل حالة من عدم الترحيب.

خارج البوابة، نظرت غابرييل آش إلى ساعتها، وشعرت باضطراب متزايد. إنها 4:45 ظهراً ولم يتصل بها أحد حتى الآن.

بوابة الموعد الشرقية 4:30 ظهراً. تعالي وحدك.

أنا هنا، فكرت بذلك. أين أنت؟

تفحصت غابرييل وجوه السياح الموجودين في الجوار، تنتظر من أحدهم أن يجذب اهتمامه لها. نظر إليها القليل من الرجال ولكنهم انصرفوا. بدأت غابرييل تتساءل ما إذا كانت هذه الفكرة صائبة. شعرت أن الحارس الحكومي في الخفارة ينظر إليها الآن. وقررت أن مخبرها قد أصيب بضياع الأعصاب. وعند النظر مرة أخيرة عبر السور الثقيل باتجاه البيت الأبيض، تنهدت راشيل والتفتت لتذهب.

"غابرييل آش؟" ناداها الحارس الحكومي من خلفها.

التفتت غابرييل بسرعة وقد أصبح قلبها ممسكاً بحنجرتها. نعم؟

لوح لها الرجل في خفارة الحراسة. لقد كان نحيلاً بوجه ساخط. "إن الشخص جاهز لرؤيتك الآن". فتح قفل البوابة وأشار إليها بالدخول.

رفضت قدما غابرييل التحرك: "أنا سآتي إلى الداخل؟".

هزّ الحارس رأسه موافقاً: "لقد طلب مني الاعتذار لك لإبقائك بانتظاره".

نظرت غابرييل إلى الممر المفتوح وهي لا تزال غير قادرة على

الحركة. ما الذي يجري! لم يكن هذا ما توقعته على الإطلاق.

"أنت غابرييل آش، أليس كذلك؟" سألها الحارس ويبدو أنه قد فقد صبره الآن.

"نعم سيدي، ولكن –".

"إذاً أقترح عليك بشدة أن تتبعيني".

اهتزت قدما غابرييل عند حركتها، وبينما خطت بتردد فوق العتبة، دفعت البوابة بقوة لتنغلق خلفها.

38

يومان دون أشعة الشمس كانا كفيلين بإعادة ترتيب الساعة البيولوجية عند مايكل تولاند. على الرغم من أن ساعته كانت تخبره أن الوقت ساعة الظهر، إلا أن جسد تولاند أصر على أن الوقت منتصف الليل. والآن، وبعد أن وضع اللمسات النهائية على برنامجه الوثائقي، قام مايكل تولاند بنقل فيلم الفيديو كاملاً إلى قرص فيديو رقمي (دي في دي) وكان يشق طريقه عبر القبة المظلمة، وعند وصوله إلى منطقة التصوير المنارة، قام بتسليم القرص إلى الفني الإعلامي لناسا المسؤول عن مراقبة العرض.

"شكراً لك يا مايك". قال التقني وهو يغمز بعينه بينما يمسك بقرص الفيديو.

"إنه ذلك النوع من عروض التلفاز التي يجب مشاهدتها، أليس كذلك؟".

"دون شك. على كل حال لقد انتهى عملك. اجلس هناك واستمتع بالعرض".

"شكراً". وقف تولاند في منطقة التصوير المضاءة بشدة وعاين طاقم ناسا المرح وهم يشربون نخب الحجر النيزكي مع علب من المشروب المفضل. رغم أن تولاند أراد الاحتفال، إلا أنه شعر بالإرهاق والجفاف العاطفي. نظر باستمرار بحثاً عن راشيل سيكستون ولكن يبدو أنها لا تزال تتحدث مع الرئيس.

يريد أن يضعها بنقل مباشر، فكر تولاند. إنه لا يلومه، فإن راشيل ستكون إضافة رائعة إلى مجموعة المتحدثين عن الحجر النيزكي. فبالإضافة إلى مظهرها الرائع، تتمتع راشيل برباطة جأش منفتحة وثقة بالنفس نادراً ما رآها تولاند في النساء اللواتي قابلهن. بالإضافة إلى أن معظم النساء اللواتي

قابلهن تولاند كن في التلفاز - إما نساءً متسلطات قاسيات أو شخصيات فائقة الجمال مخصصة للتلفاز ينقصهن ما عندها بالتأكيد.

الآن وهو ينسل بهدوء بعيداً عن حشد موظفي ناسا المبتهجين، اجتاز تولاند شبكة الممرات عبر القبة. تساءل إلى أين اختفى العلماء المدنيون الآخرون. لو أنهم يشعرون بنصف العبء الذي يشعر به هو، لكانوا الآن في منطقة الأسرة يغطون في نوم خفيف قبل اللحظة الكبيرة. إلى الأمام، على مسافة منه، استطاع تولاند رؤية دائرة كتائف (الشابا) حول منطقة حفرة الاستخراج المهجورة. بدأت القبة الفارغة من فوق رأسه تعيد صدى أصوات عميقة لذكريات بعيدة.

حاول تولاند إيقافهم.

انس الأشباح، أجبر نفسه على ذلك. إنها عادة ما تنتابه في أوقات كهذه، عندما يكون متعباً أو وحيداً - أوقات النصر الشخصي أو الاحتفال. يتوجب أن تكون معك الآن، همس صوت له. وحيداً في الظلام، شعر بنفسه تعود باتجاه الخلف إلى النسيان.

لقد كانت سيليا بيرش حبيبته في مدرسة التخرج. وفي يوم من أعياد الحب، ذهب تولاند وإياها إلى مطعمها المفضل. وعندما أحضر النادل حلويات سيليا، كانت عبارة عن وردة واحدة وخاتم ألماسي. فهمت سيليا على الفور. وبعيون ملأتها الدموع، تحدثت كلمة واحدة جعلت مايكل تولاند في أسعد لحظات حياته.

"نعم".

اشتريا منزلاً صغيراً بالقرب من باسدينا حيث تعمل سيليا مُدرّسة علوم. على الرغم من أن الأجر كان متواضعاً، إلا أنها كانت مجرد بداية. كان المنزل أيضاً قريباً من معهد سكريبس لأبحاث المحيطات في سان دييغو حيث يوجد مكان عمل تولاند الذي حلم به على متن سفينة أبحاث جيولوجية. إن عمل تولاند يعني أنه سيغيب مدة ثلاثة أو أربعة أيام في كل مرة، ولكن عودته لجمع شمله مع سيليا كانت دائماً عاطفية ومثيرة.

وبينما هو في البحر، بدأ تولاند بالقيام بتسجيل فيديو لبعض مغامراته من أجل سيليا، جاعلاً منها برامج وثائقية صغيرة على متن السفينة. وبعد إحدى الرحلات، عاد ومعه شريط فيديو منزلي رائع صوره من نافذة غواصة في

أعماق المياه - كان أول فيلم قد تم تسجيله عن حبّار عجيب ذي انجذاب كيميائي، لم يعلم أحد بوجوده من قبل. خلال التصوير، وهو يلعب دور الراوي في الفيلم، كان تولاند ينفجر بالحماسة خارج الغواصة.

آلاف الأنواع غير المعروفة، قال مندفعاً، تعيش في الأعماق! نحن نخدش السطح هنا فقط! هنا في الأسفل يوجد أمور غامضة لا يستطيع أحد منا تخيلها.

كانت سيليا مسحورة بحماسة زوجها وتوضيحاته العلمية الدقيقة. ولشدة إعجابها به، عرضت الشريط على صفها لمادة العلوم فلاقى نجاحاً فورياً، وأراد المدرسون الآخرون استعارته، كما رغب الآباء في نسخه. وبدا أن الجميع كان ينتظر بشوق حلقة مايكل التالية. وفجأة لمعت فكرة عند سيليا، فاتصلت بصديقة لها من أيام الجامعة تعمل في (إن بي سي) وأرسلت لها شريط الفيديو.

وبعد شهرين، قدم مايكل تولاند إلى سيليا وطلب منها مرافقته في نزهة سيراً على الأقدام إلى شاطئ كينغ مان، حيث كان ذلك مكانهما المفضل، يتبادلان فيه الأحلام والأمنيات.

"لديّ شيء أرغب بقوله لك". قال تولاند.

توقفت سيليا ممسكة بيد زوجها والمياه تحيط بقدميهما: "ما هو؟".

بدأ تولاند كلامه: "في الأسبوع الماضي، تلقيت اتصالاً من تلفزيون (إن بي سي). هم يفكرون بأن استضيف سلسلة من البرامج الوثائقية عن المحيطات ويريدون مني تقديمه كبرنامج تلفزيوني في السنة القادمة، أتصدقين ذلك؟".

قامت سيليا بتقبيله وهي تبتسم بابتهاج: "أصدق هذا، ستكون رائعاً".

وبعد ستة أشهر، كان تولاند وسيليا يبحران قرب كاتالينا عندما بدأت سيليا تشكو من ألم في جنبها. تجاهلا الأمر لمدة أسابيع قليلة ولكن الألم أخذ يزداد في الآونة الأخيرة. ذهبت سيليا لفحصه.

خلال لحظة، تحطمت حياة تولاند الرائعة وتحولت إلى كابوس شيطاني. كانت سيليا مريضة، مريضة جداً.

"مراحل متقدمة من الورم اللمفاوي". شرح الأطباء ذلك: "نادر في مثل عمرها، ولكن بالتأكيد مسموع به".

قام تولاند وسيليا بزيارة عدد لا يحصى من العيادات والمستشفيات، يستشيرون المختصين. كان الجواب نفسه دائماً. داءٌ عضال.

لن أقبل هذا! وعلى الفور، تخلى تولاند عن عمله في معهد سكريبس، ونسي كل شيء عن برنامج (إن بي سي) الوثائقي. كرّس جميع طاقته وحبه لمساعدة سيليا للشفاء. وقد ناضلت هي أيضاً بشدة، متحملة المرض بجمال زاد من حبه لها. أخذها إلى نزهات طويلة سيراً على الأقدام على شاطئ كينغ مان، وصنع لها وجبات صحية وأخبرها عن قصص لأشياء سيقومون بفعلها عندما تشفى.

ولكن لم يحدث هذا.

مضت سبعة أشهر فقط عندما وجد تولاند نفسه جالساً بجانب زوجته المحتضرة في عناية المشفى المشددة. لم يعد يميز وجهها، فإن قساوة السرطان لا يمكن معالجتها إلا من خلال وحشية المواد الكيميائية. هذا جعلها هيكلا عظمياً متلفاً. الساعات الأخيرة كانت الأصعب.

"مايكل". قالت بصوت خشن. "حان الوقت لتدعني أذهب".

"لا أستطيع". تدفقت عينا تولاند.

"أنت ستبقى على قيد الحياة". قالت سيليا: "يتوجب عليك ذلك، عدني أنك ستجد حباً آخر".

"أنا لا أريد حباً آخر على الإطلاق". قصدها تولاند فعلاً.

"عليك أن تتعلم".

توفيت سيليا في صباح صاف يوم الأحد في حزيران/يونيو. شعر مايكل تولاند عندها كأنه سفينة قد تمزقت من مراسيها ثم رميت على غير هدى في بحر هائج، وقد تحطمت البوصلة أيضاً. ولمدة أسابيع، تخبط دون سيطرة، حاول الأصدقاء مساعدته، ولكن كبرياءه لم يحتمل شفقتهم.

لديك خيار لتصنعه، أدرك ذلك في النهاية. العمل أو الموت.

موثقاً عزمه، رمى تولاند نفسه ثانية في برنامج 'البحار المذهلة'. أنقذ البرنامج حياته بالتأكيد، وخلال الأربع سنوات التالية، بدأ برنامج تولاند بالنجاح. على الرغم من جهود صانعي الزيجات من أصدقائه، تحمل تولاند مواعيد قليلة فقط. جميعها انتهت بإخفاق تام أو اختلاف متبادل، لذلك استسلم تولاند في النهاية وحول المسؤولية إلى جدول سفره المنشغل لإخفاقه في الحياة الاجتماعية. لكن أصدقاءه المقربين علموا جيداً أن مايكل تولاند ببساطة ليس جاهزاً بعد.

ظهرت حفرة استخراج الحجر النيزكي أمام تولاند الآن، عائدة به من

أحلام اليقظة المؤلمة. فتخلص من قشعريرة الذكريات تلك واقترب نحو الفتحة. وفي القبة المظلمة، كانت المياه الذائبة في الحفرة قد أخذت جمالاً سحرياً كأنها الحلم. كان سطح البركة يومض وكأنها تنار بضوء القمر. أغريت عينا تولاند بذرات من النور على الطبقة العليا للمياه، وكأن شخصاً ما قام بنثر لآلئ زرقاء مخضرة على السطح. حدق للحظة طويلة في الوميض.

شيء ما يبدو غريباً.

عند النظرة الأولى، اعتقد أن المياه الوامضة هي ببساطة انعكاس لـوهج الأضواء عبر القبة، لكنه الآن رأى أن هذا ليس هو السبب علـى الإطـلاق. يمتلك ذلك الوميض درجات من اللون الأخضر وعلى ما يبدو أنه ينبض وفـق إيقاع ثابت، وكأن سطح المياه كان مفعماً بالحياة، تنير نفسها من الداخل.

وبقلق، اقترب تولاند من الكثائف ليلقي نظرة عن كثب.

عبر القبة الاصطناعية، خرجت راشيل سيكستون من الحجرة إلى الظلام. توقفت للحظة، مرتبكة من السراديب الظليلة حولها، لقد كانت القبة الآن كهفـاً مفتوحاً، مضاءً فقط بأشعة ساطعة عشوائية من أضواء التصوير القوية القادمة من الحائط الشمالي، وبسبب انزعاجها من الظلام حولها، توجهت بفطرتها إلى منطقة التصوير المضاءة.

شعرت راشيل بالسرور لإيجازها طاقم البيت الأبيض، فقد أبلغتهم بطلاقة عن كل شيء تعلمه عن الحجر النيزكي فور خلاصها مـن صـدمة الـرئيس الصغيرة. وبينما هي تتحدث، شاهدت الانطباعات التي رُسمت على وجوه طاقم الرئيس تتحول من صدمة شكوكية إلى تصديق مليء بالأمل، وفي النهاية إلـى ذهول مليء بالرهبة.

"حياة خارج الأرض؟" سمعت أحدهم يقول متعجباً. "هل تعلم مـا الـذي يعنيه هذا؟".

"نعم"، أجابه آخر. "يعني أننا سنفوز في هذه الانتخابات".

وبينما تقترب راشيل من منطقة التصوير المثيرة، تخيلت الإعلان الموشك بالحدوث ولم تستطع تفادي التفكير، متسائلة فيما إذا كان والدها يستحق بالفعل تلك القوة الرئاسية الماحقة التي ستقوم بضربه ضربةً محطمة حملته بعصفة واحدة.

إن الجواب، بالطبع، كان نعم.

مهما كان شعور التعاطف الذي كانت راشيل سيكستون تشعر بـه تجـاه

والدها، فكل ما عليها فعله هو تذكر والدتها، كاثرين سيكستون. الألـم والعـار اللذان جلبهما والدها يستحقان التوبيخ... يأتي متأخراً إلى المنزل كل ليلة، يبدو عليه الاعتداد بنفسه ورائحة العطر تنطلق منه. حماسة التدين الزائـف الـذي اختفى والدها خلفها – في جميع الأوقات يكذب ويخادع، عالماً بأن كاثرين لـن تتركه أبداً.

نعم، قررت هي، سيناتور سيكستون سيحصل تماماً على ما يستحق.

كان الازدحام في منطقة المؤتمر مرحـاً، يحمـل الجميـع المشـروب المفضّل. تحركت راشيل عبر الحشد تشعر وكأنها تلميذة في حفلة أخوية.

تساءلت إلى أين ذهب مايكل تولاند.

برز كوركي فجأة بجانبها: "أتبحثين عن مايك؟".

أجفلت راشيل: "حسناً... لا... نوعاً ما".

هزّ كوركي رأسه باشمئزاز: "أعلم ذلك، لقد غادر مايك للتو. أظـن أنـه توجه عائداً ليأخذ قسطاً من النوم". نظر كوركي عبر القبـة المعتمـة: "علـى الرغم من أنه يبدو أن بإمكانك اللحاق به، ابتسم مجعداً وجهه وأشار: "يصـاب مايك بالتنويم المغناطيسي في كل مرة يرى فيها مياهاً".

تبعت راشيل إصبع كوركي الممتدة باتجاه مركـز القبـة، حيـث تقـف الصورة الظليلة لمايكل تولاند وهو يحدق إلى أسفل المياه في حفرة الاستخراج.

"ماذا يفعل؟" سألت هي: "إنه شيء من المخاطرة".

ابتسم كوركي: "ربما يبول، هيا نقوم بدفعه".

عبر راشيل وكوركي القبة المظلمة باتجاه حفرة الاسـتخراج. وعنـدما اقتربا من مايكل تولاند، نادى كوركي. "أيها الرجل المائي! هـل نسـيت بـذلة السباحة؟".

التفت تولاند، ورغم الظلام استطاعت راشيل رؤية أن تعابير وجهه قاتمة على نحو غير مميز. بدا وجهه مناراً بشكل غريب وكأنه يضاء من الأسفل.

"هل كل شيء على ما يرام، مايك؟" سألته.

"ليس تماماً". أشار تولاند باتجاه المياه.

توقف كوركي أمام الكتائف وشارك تولاند بنظره إلى طرف العمود. بدا أن مزاج كوركي قد فتر فور نظره إلى الحفرة. انضمت إليهما راشيل متجاوزة الكتائف باتجاه طرف الحفرة. وعندما نظرت هي أيضاً، كانت متفاجئـة عنـد

, إنها بقع من الضوء الأزرق المخضر تومض عند السطح، كأجزاء من رذاذ ضوئي يطوف في المياه.

بدا أنها تتذبذب باللون الأخضر، كان التأثير رائعاً.

التقط تولاند قطعة من الجليد من الأرض وقذفها داخل الماء، فأومضت المياه كالفسفور عند نقطة الرمي، تتوهج برشاش أخضر مفاجئ.

"مايك". قال كوركي ويبدو عليه الارتباك: "أرجوك أخبرني أنك تعلم ما هذا".

عبس تولاند: "أعلم بالطبع ما هذا. ولكن سؤالي ما الذي يفعله هنا بحق الجحيم؟".

39

"لدينا هنا كائنات من رتبة السوطيات". قال تولاند وهو ينظر إلى المياه المتلألئة.

"هذا ادعاء فارغ". عبس كوركي. "تحدث بالنيابة عن نفسك".

شعرت راشيل أن مايكل تولاند لم يكن بمزاج مازح.

"لا أعلم كيف حدث ذلك". قال تولاند: "ولكن بطريقة ما تحتوي هذه المياه على سوطيات دوارة مضيئة حيوياً".

"ماذا 'أحياء مضيئة'؟" قالت راشيل، تحدث بالإنكليزية.

"عوالق وحيدة الخلية قادرة على أكسدة الحفّاز المتلألئ المسمى اللوسفرين[26]".

كان هذا بالإنكليزية؟

تنهد تولاند والتفت إلى صديقه: "كوركي، هل من الممكن أن يحتوي الحجر النيزكي الذي قمنا باستخراجه من هذه الحفرة على كائنات حية داخله؟".

انفجر كوركي بالضحك: "كن جاداً يا مايك!".

"أنا جاد في قولي".

"مستحيل يا مايك! صدقني لو أن ناسا لديها أدنى معرفة بوجود متعضيات خارج أرضية تعيش في تلك الصخرة لما قامت بإخراجها أبداً إلى الهواء الطلق".

اللوسفرين: مواد مولدة للنور تكون في المتعضيات الوضّاءة.

بدا أن تولاند مرتاح لسماع ذلك قليلاً فقط، ومن الواضح أن ارتياحه كان مُغيماً عليه بغموض عميق. "لا أستطيع الوثوق دون مجهر". قال تولاند: "فهذا يبدو لي أنه عوالق مضيئة حيوياً من شعبة النباتيات النارية. ويعني اسمها 'النباتات المضيئة' وإن المحيط القطبي الشمالي مليء بها".

هزّ كوركي كتفيه: "إذاً لماذا تشك في كونها من الفضاء؟".

قال تولاند: "لأن الحجر النيزكي كان مطموراً في المنحدر الجليدي - حيث مياهه عذبة إثر تساقط الثلوج. وإن هذه المياه في الحفرة هي ذوبان جليدي وقد تجمدت هنا منذ ثلاثة قرون، إذاً كيف لمخلوقات المحيط أن تصل إلى هنا؟".

ساد صمت طويل بسبب وجهة نظر تولاند.

وقفت راشيل على طرف البركة محاولة إحضار عقلها لتعلم ما الذي تشاهده. عوالق مضيئة حيوياً في حفرة الاستخراج، ما الذي يعنيه هذا؟

"لا بد أن هناك شقاً في مكان سفلي هنا". قال تولاند: "هذا هو التفسير الوحيد. ولا بد أن هذه العوالق قد دخلت إلى العمود عبر صدع في الجليد سمح لمياه المحيط أن تتسرب إلى هنا".

لم تفهم راشيل كلامه: "تتسرب إلى هنا؟ من أين؟" تذكرت رحلتها الطويلة على متن الآيس روفر من المحيط. "إن الشاطئ يبعد عن هنا حوالى ميلين".

كل من تولاند وكوركي نظرا إليها باستغراب: "في الواقع"، قال كوركي: "إن المحيط تحتنا مباشرة، وإن هذا اللوح الجليدي يطفو فوقه".

نظرت راشيل إليهما وهي تشعر بارتباك كامل. "يطفو؟ ولكن... نحن على جبل جليدي".

"نعم، نحن على جبل جليدي". قال تولاند: "ولكن ليس فوق اليابسة، إن الجبال الجليدية في بعض الأوقات تنفصل عن اليابسة وتنطلق فوق المياه. ولأن الجليد أخف وزناً من الماء تتابع الجبال الجليدية تلك طريقها طافيةً فوق المحيط. هذا هو تعريف الرف الصخري الجليدي... القسم العائم من الجبل الجليدي". صمت قليلاً ثم قال: "نحن الآن على بعد ميل من البحر تقريباً في هذه اللحظة".

بدأت راشيل تشعر بالقلق على الفور وهي متفاجئة من ذلك.

عند انتهائها من تنظيم صورة ما يجري حولها، سببت لها فكرة الوقوف

على المحيط القطبي شعوراً بالخوف.

بدا أن تولاند أحس بارتباكها، فضرب الأرض بقدمه ليؤكد لها قوة الجليد. لا تقلقي، إن سماكة الجليد هي ثلاثمئة قدم (90 متراً)، مئتان (ستون متراً) منها تطفو تحت المياه كمكعب جليد في كأس. وهذا ما يجعل الرف الصخري مستقراً جداً، يمكنك بناء ناطحة سحاب على هذا الشيء".

هزّت راشيل رأسها بتعاسة، غير مقتنعة تماماً. بترك الريبة جانباً، فهمت الآن نظرية تولاند حول منشأ هذه العوالق. يظن أن هناك صدعاً يمتد على طول الطريق إلى أسفل المحيط، وهذا ما يسمح للعوالق بالخروج عبر هذه الحفرة. لقد كان ذلك كلاماً معقولاً، قررت راشيل، ورغم ذلك إنه يتضمن تناقضاً أقلقها. لقد كانت نورا مانغور واضحة تماماً بخصوص تمامية هذا الجبل الجليدي، فقد أجرت العديد من الاختبارات لتثبت صلابته.

نظرت راشيل إلى تولاند: "أظن أن هذا الجبل الجليدي النموذجي في الكمال قد كان أساس جميع تقارير تواريخ الطبقات. ألم تقل الدكتورة مانغور أنه ليس هناك أية شقوق أو صدوع داخل الجبل الجليدي".

قطب كوركي وجهه: "يبدو أن ملكة الثلج قد أخطأت".

لا تقل هذا بصوت عالٍ، فكرت راشيل أو أنك ستصاب بلطمة جليدية على ظهرك.

مسّد تولاند ذقنه وهو ينظر إلى المخلوقات المتألقة: "من المؤكد أنه ليس هناك تفسير آخر. لا بد أن هناك صدعاً ما... إن وزن الرف الصخري الجليدي على سطح المحيط يقوم بدفع مياه البحر المليئة بالعوالق إلى هذه الحفرة.

ياله من صدع، فكرت راشيل. إذا كان الجليد هنا يبلغ سماكته ثلاثمئة قدم (90 متراً) ويبلغ عمق الحفرة مئتي قدم (60 متراً)، إذاً فإن هذا الصدع الافتراضي يمر عبر مئة قدم (30 متراً) من الجليد الصلب. إن اختبارات نورا مانغور جميعها لا تظهر أية شقوق.

"إسدِ ليّ خدمة"، قال تولاند لكوركي: "اذهب وجِد نورا، لندعو الله أنها تعلم شيئاً عن هذا الجبل الجليدي ولم تخبرنا به. وجد مينغ أيضاً ربما يستطيع إخبارنا عن هذه المخلوقات المتوهجة".

توجه كوركي لينفذ ذلك.

"ويُفضل الإسراع!" نادى تولاند من ورائه وهو ينظر مرة ثانية إلى

الحفرة. "أستطيع أن أقسم بأن هذا التلألؤ الحيوي يتلاشى".

نظرت راشيل إلى الحفرة، فتأكدت من أن ضوءها الأخضر لم يعد لامعاً جداً الآن.

خلع تولاند سترته وتمدد على الجليد بقرب الحفرة.

نظرت إليه راشيل مرتبكة: "مايك؟".

"أريد أن أفحص إذا كان هنا أي ماء مالح".

"من خلال التمدد على الجليد دون معطف!".

"يب!" زحف تولاند على معدته إلى طرف الحفرة ممسكاً بكمّ معطفه إلى الحافة وتاركاً الكم الآخر متدلياً إلى الحفرة حتى وصل الماء. "إن هذا هو الاختبار الملحي الأكثر دقة والمستخدم من قبل علماء المحيطات حول العالم. ويدعى باسم: 'لعق السترة الرطبة'".

في الخارج على الرف الجليدي، كان دلتا واحد يناضل بالمقود، محاولاً إبقاء الربوط المتضرر يحلق فوق المجموعة المحتشدة حول حفرة الاستخراج. ومن أصوات الحوار في الأسفل، علم أن خيوط اللغز تنحل بسرعة.

قال: "اتصل بالقائد، تواجهنا مشكلة خطيرة!".

40

قامت غابرييل آش بزيارة البيت الأبيض مرات لا تحصى في شبابها، وهي تحلم سراً بأنها يوماً ما ستعمل داخل القصر الرئاسي، وأنها ستصبح عضواً في فريق النخبة الذي يقوم بتخطيط مستقبل البلد. ولكن، في هذه اللحظة، كانت تفضل أن تكون في أي مكان آخر في العالم غير هذا.

وبينما كان الحارس السري يقودها إلى ردهة مزخرفة، تساءلت ما الذي يريد مخبرها المجهول إثباته لها، فدعوتها إلى البيت الأبيض كان أمراً جنونياً. ماذا لو رآني أحد؟ فقد أصبحت غابرييل مشاهدة في الإعلام كونها اليد اليمنى للسيناتور سيكستون.

لا بد أن أحداً سيتعرف عليها.

"آنسة آش".

نظرت غابرييل، ابتسم لها وجه حارس لطيف في الردهة مُرحّبا: "انظري إلى هناك من فضلك". ثم أشار.

نظرت غابرييل إلى المكان الذي يشير إليه فبُهرت بالضوء الومضي.

"شكراً لك سيدتي".

قادها الحارس إلى مكتب وقدم إليها قلماً: "أرجو منك التوقيع على سجل الدخول". ثم دفع بمجلد جلدي ثقيل أمامها. كانت الصفحة التي أمامها فارغة. تذكرت سماعها مرة بأن جميع زوار البيت الأبيض يوقعون على صفحة فارغة خاصة لهم لضمان سرية زيارتهم. ثم وقعت اسمها.

هذا كثير جداً للقاء سرّي.

مشت غابرييل عبر مكشاف معدني، ثم تلقّت ضربة خفيفة سريعة.

ابتسم الحارس لها: "استمتعي بزيارتك آنسة آش".

تبعت غابرييل الحارس السري خمسين قدماً (10 أمتار) أسفل مدخل آجري إلى مكتب سري ثانٍ. وهنا، كان الحارس الآخر يجتمع بالزائر الذي عبر من آلة التجليد للتو. قام بثقب حفرة داخلها، ثم ثبت عليها حبلاً رقيقاً ومرره فوق رأس غابرييل. كانت المادة البلاستيكية لا تزال دافئة، والصورة التي على بطاقة التعريف هي نفسها اللقطة التي أُخذت لها منذ خمس عشرة ثانية في أسفل الصالة.

كانت غابرييل متأثرة. من يقول إن الحكومة غير فعّالة؟

تابعا سيرهما وكان الحارس السري يقودها إلى داخل مجمع البيت الأبيض. كانت تشعر بالارتباك يزداد مع كل خطوة. من المؤكد أن ذلك الشخص الذي أرسل الدعوة الغامضة تلك لم يهتم بإبقاء الأمر سرياً. لقد أعطي لغابرييل عبور رسمي، ووقعت سجل الزوار، والآن تسير بوضوح تام عبر الطابق الأول للبيت الأبيض حيث تجمّع الجولات العامة.

"هذه هي غرفة الصيني". كان مرشد الرحلة يقول لمجموعة السياح. "هذا مكان نانسي ريغان، التي أنفقت فيه 952 دولاراً لكل طقم من الأواني الصينية ذات الحافة الحمراء، الأمر الذي أدى إلى مناقشة موضوع التبذير عام 1981".

قاد الحارس السري غابرييل مجتازاً المجموعة السياحية باتجاه درج رخامي ضخم، حيث كانت تصعد هناك مجموعة أخرى: "أنتم الآن على وشك الدخول إلى الغرفة الشرقية التي تبلغ مساحتها 3200 قدم مربعة" (288 متراً مربعاً). كان المرشد يقول هذا: "هنا قامت أبيجيل آدمز مرة بتعليق غسيل جون أدمز. وبعدها سنعبر إلى الغرفة الحمراء، حيث قامت دولي ماديسون بتقديم

الشراب لرؤوس أصحاب السلطة كي تسكرهم قبل تفاوضهم مع جيمس ماديسون.

ضحك السياح.

تبعته غابرييل مجتازة الدرج عبر سلسلة من الحواجز والحبال إلى داخل قسمٍ أكثر خصوصيةً في البناء. وهنا دخلا غرفةً كانت غابرييل قد شاهدتها مسبقاً في الكتب وعلى شاشة التلفاز فقط. هنا ضاق نَفَسها. يا إلهي إن هذه هي غرفة الخرائط.

لم تدخل أية مجموعة سياحية إلى هنا على الإطلاق. جدران الغرفة مليئة بالألواح وبإمكانها الدوران على محور باتجاه الخارج لتعرض طبقة تلو طبقة من خرائط العالم. هذا هو المكان الذي قام فيه روزفلت برسم خطة الحرب العالمية الثانية. وبمحض الصدفة، كان أيضاً هو المكان الذي اعترف فيه كلينتون بعلاقته مع مونيكا لوينسكي. دفعت غابرييل بهذا التفكير خارج عقلها، فالأمر الأهم من ذلك الآن هو أن هذه الغرفة هي معبر إلى الجناح الغربي - منطقة داخل البيت الأبيض يعمل فيها أصحاب السلطة الحقيقيون. إنها آخر مكان توقعت غابرييل الذهاب إليه. لقد تخيلت أن الرسائل الإلكترونية كانت تأتي من شخص داخلي فتي ومغامر أو من سكرتير يعمل في أحد تجمعات المكاتب الأكثر دنيوية ولكن الواضح غير ذلك.

أنا سأدخل الجناح الغربي.

تقدم الحارس السري بها إلى النهاية الأخيرة للرواق المكسو بالسجاد. ثم توقف أمام باب لا يحمل أية علامات... قرع الباب... فخفق قلب غابرييل بقوة.

"إنه مفتوح". قالها صوت آتٍ من الداخل.

فتح الرجل الباب وأشار إلى غابرييل بالدخول.

خطت غابرييل إلى الداخل، حيث كان الظل والغرفة معتمين، ولكنها استطاعت رؤية جسدٍ باهتٍ لشخصٍ يجلس على المكتب في الظلام.

"آنسة آش؟" قالَ صوتٌ قادمٌ من غيمةٍ لدخان السجائر.

"مرحباً".

إلى أن اعتادت عينا غابرييل على الظلام، بدأت بتحديد الوجه المألوف تماماً فَشدّت عضلاتها من الدهشة.

هل هذه من كانت تبعث لي بالرسائل؟

"شكرا لمجيئك . قالت مارجوري تينش بصوت لامبال
"آنسة... تينش". تمتمت غابرييل، غير قادرةٍ على التنفس فجأةً.
"نادني مارجوري". نهضت المرأة البشعة مرسلة الدخان خارج أنفها كالتنين. "فأنا وأنت على وشك أن نصبح أصدقاء مقربين".

41

وقفت نورا مانغور أمام حفرة الاستخراج جانب تولاند وراشيل وكوركي ونظرت إلى الحفرة الشديدة السواد للحجر النيزكي: "مايك. أنت جذاب ولكنك مجنون، لا يوجد هنا أي تلألؤ حيوي".

تمنى تولاند الآن لو أنه فكر من قبل بالتقاط بعض صور الفيديو، بينما ذهب كوركي ليجد نورا ومانغور. فلقد بدأ ضوء المتلألئات الحيوية يبهت بسرعة. وخلال دقائق، توقف البريق بأكمله ببساطة.

ألقى تولاند بقطعةٍ أخرى من الجليد في المياه، ولكن لم يحدث شيء. لم ينتثر أي رشاشٍ أخضر.

"أين ذهبت؟" سأل كوركي.

لمعت فكرةٌ جيدةٌ لتولاند، إن التلألؤ الحيوي - أحد أكثر آليات الدفاع براعة - هو رد طبيعي للعوالق في حال تعرضها للخطر، حيث تشعر به عندما تكون على وشك أن تُلتهم من قبل كائنات حيةٍ أكبر حجماً منها فتبدأ بالوميض على أمل أن تلفت انتباه كائناتٍ مفترسةٍ أكبر حجماً من تلك فتقوم بإثارة الفزع عند المهاجمين الأصليين. وفي هذه الحالة، وجدت العوالق التي دخلت الحفرة عبر الصدع نفسها فجأةً في بيئة مياهٍ عذبةٍ أصلية فتلألأت حيوياً بينما كانت المياه العذبة تقتلهم ببطء: "أظن أنها قد ماتت".

"لقد تم قتلها". سخرت نورا. "سنجاب الفصح قد سبح إلى هنا والتهمها".

نظر كوركي إليها غاضباً: "لقد رأيت الوميض أيضاً".

"هل كان هذا قبل أن تتناول دواءك المسبب للهذيان؟".

"لماذا سنكذب عليك؟" سألها كوركي.

"الرجال يكذبون".

"نعم إنهم يكذبون في ما يتعلق بنومهم مع نساء أخريات وليس على الإطلاق عن عوالق مضيئة".

تنهد تولاند: "نورا، أنت بالتأكيد تعلمين أن العوالق تعيش هنا في المحيطات أسفل الجليد".

"مايك"، أجابته بغضب: "أرجو ألا تخبرني عن عملي. لمعلوماتك، إن هناك أكثر من مئتي نوع من الدّياتوم التي تنمو بكثرة تحت الرفوف الصخرية في القطب. أربعة عشر نوعاً من السوطيات الدوارة الغيرية التغذية والعديد من المتزويات التي تتضمن عديدات الشعر ومزدوجات الأرجل ومجذافيات الأرجل والأسماك. أية أسئلة أخرى؟".

قطب تولاند حاجبه: "إنه لأمر واضح أن تعلمي أكثر مني عن حيوانات منطقة القطب وتوافقين على أن هناك حياة كثيرة أسفل منا. إذاً لماذا تشكّين كثيراً بأننا رأينا عوالق متلألئة حيوياً؟".

"لأن هذه الحفرة محكمة الإغلاق يا مايك. إنها غير نافذة، بيئة مياه عذبة. ومن المستحيل أن تتمكن عوالق المحيط من الوصول إلى هنا!".

"لقد تذوقت ملحاً في المياه". أصر تولاند: "رغم أنه قليل جداً إلا أنه موجود. إن المياه المالحة تتمكن من الوصول إلى هنا بطريقة ما".

"صحيح!" قالت نورا بشك: "لقد تذوقت ملحاً، قُمتَ بلعق سترة قديمة مبللة بالعرق، وقررت أن فحوصات الكثافة عبر بودس ومن خلال خمس عشرة عينة منفصلة هي غير صحيحة".

أمسك تولاند بالكم المبلل كدليل على قوله.

"مايك، أنا لن أقوم بلعق تلك السترة اللعينة". نظرت إلى الحفرة. "هل يمكنني أن أسأل كيف قررت تلك العوالق المزعومة أن تسبح عبر الصدع المزعوم؟".

"الحرارة؟" أجاب تولاند بجرأة: "إن العديد من المخلوقات البحرية يتم جذبها بواسطة الحرارة. فعندما استخرجنا الحجر النيزكي قمنا بتسخينه. فتقدمت العوالق تدريجياً بفطرتها باتجاه البيئة الدافئة مؤقتاً في الحفرة".

هزّ كوركي رأسه: "يبدو هذا منطقياً".

"منطقي؟" قلّبت نورا عينيها: "أتعلمان أنت أيها العالم الفيزيائي الحاصل على الجوائز وعالم البحار الأشهر في العالم، أنكما زوج من الأغبياء. ألم تسمعا من قبل أنه بافتراض وجود صدع – الأمر الذي أؤكد لكما عدم وجوده – أنه من المستحيل عملياً لأية مياه بحرية أن تصب في هذه الحفرة". نظرت

إلى كل منهما بازدراء مثير للشفقة.

"ولكن، يا نورا..." بدأ كوركي.

"سادتي! نحن نقف على سطح بحري هنا". طرقت قدمها بالجليد. "مرحباً؟ ترتفع هذه الصفائح الجليدية مئة قدم (30 متراً) فوق مياه البحر. وربما تتذكران المنحدر الكبير في نهاية هذا الرف الصخري؟ إذاً نحن أعلى من المحيط، ولو أن هناك صدعاً في هذه الحفرة فإن المياه ستتدفق خارجها وليس إليها. إن ذلك يدعى بالجاذبية!".

نظر كوركي وتولاند إلى بعضهما بعضاً.

قال كوركي: "تباً، لم أفكر بهذا!".

أشارت نورا إلى داخل الحفرة المليئة بالماء: "وربما تلاحظان أيضاً أن مستوى المياه لا يتغير؟".

شعر تولاند بنفسه كالأبله. إن نورا على حق بالتأكيد، فلو أن هناك صدعاً ما، فإن المياه ستتدفق إلى الخارج وليس إلى الداخل. وقف تولاند بصمت لفترة طويلة، متسائلاً ما الذي سيفعله بعد ذلك.

"حسناً"، تنهد تولاند: "من الواضح أن نظرية الشق تلك ليست صحيحة، ولكننا رأينا تلألؤاً حيوياً في المياه. وإن الاستنتاج الوحيد من ذلك أن هذه ليست بيئة مغلقة على الإطلاق. وإني أدرك أن الكثير من معلوماتك حول الجليد ترتكز على افتراضات تقول إن هذا الجبل الجليدي هو كتلة صلبة ولكن –".

"افتراضات؟" من الواضح أن نورا بدأت تهتاج. "تذكر أن هذه لم تكن معلوماتي فقط يا مايك، فقد وجدت ناسا الشيء نفسه. وجميعنا أثبت أن هذا الجبل الجليدي صلب ولا يوجد به أية صدوع".

نظر تولاند عبر القبة باتجاه الحشد المتجمع حول منطقة المؤتمر الصحفي: "مهما كان الذي يحدث، أظن، بحسن نية، أن علينا إعلام المدير و–".

"إن هذا هراء!" همست نورا: "أنا أقول لك إن هذا القالب الجليدي قديم جداً. ولن أشك بمعلوماتي بسبب لعقة ملحية وبعض الهلوسات السخيفة". توجهت بغضب إلى منطقة معدات قريبة وبدأت بجمع بعض الأدوات. "سآخذ عينة مائية خاصة وأريكم أن هذه المياه لا تحتوي على أية عوالق من المياه الملحية – على قيد الحياة أو ميتة!".

نظرت راشيل والآخرون، بينما كانت نورا تستخدم ماصة معلمة لتحصل

على عينة مائية من بركة المياه الذائبة. وضعت نورا قطرات عديدة في جهاز صغير يشبه مقراباً مصغراً، ثم حدقت عبر العدستين، ملتفتة بالآلة باتجاه الضوء المنبعث من الجانب الآخر للقبة. بعد لحظات بدأت تلعن.

"يا إلهي!" هزّت نورا الجهاز ونظرت مرة ثانية: "تباً لهذا! لا بد أن هناك خطأ ما في مقياس الانكسار هذا".

"مياه مالحة؟" تأملها كوركي بارتياح.

قطبت نورا حاجبها: "جزئياً، إنها تسجل نسبة ثلاثة بالمئة من الملوحة، وهذا أمر مستحيل تماماً، إن هذا الجبل الجليدي هو مجموعة من الثلج، من المياه العذبة الخالصة، لا يتوجب أن يكون هناك أية ملوحة". حملت نورا العينة إلى مجهر آخر مجاور وتفحصته، ثم دمدمت".

"عوالق؟" سألها تولاند.

"إنها أجناس من متعددات السطوح". أجابته برزانة. "إنها نوع من العوالق نراه نحن علماء الجبال الجليدية بشكل شائع في المحيطات عند أسفل الرفوف الصخرية الجليدية". نظرت إلى تولاند: "إنها ليست على قيد الحياة الآن. ومن الواضح أنها لم تتمكن من البقاء حيةً في بيئة ملحية تبلغ ملوحتها ثلاثة بالمئة فقط".

وقف الأربعة الآن بصمت للحظة جانب الحفرة العميقة.

تساءلت راشيل ما هي نتائج هذا التناقض على الاكتشاف بأكمله. فإن المأزق يبدو صغيراً عندما يقارن مع الحجر النيزكي بأكمله، وأيضاً كونها محللة استخباراتية فقد شهدت راشيل انهيار نظريات كاملة بسبب عقبات أصغر من هذه".

"ما الذي يجري هنا؟" كان الصوت ملعلعاً بانخفاض.

نظر الجميع، إنه الشكل الدُبي لمدير ناسا المنبثق من الظلام.

"مأزق صغير في هذه المياه التي في الحفرة". قال تولاند: "نحن نحاول حلّها".

بدا على كوركي المرح: "إن معلومات نورا الجليدية معتوهة".

"عضني مرتين". همست نورا.

اقترب المدير مخفضاً حاجبيه الفرويين: "ما الخطأ بتلك المعلومات الجليدية؟".

أطلق تولاند تنهدة غير مؤكدة: "لقد لاحظنا خليطاً ملحياً يبلغ نسبة ثلاثة بالمئة داخل حفرة الحجر النيزكي، وهذا يناقض تقرير مختصي الجبال الجليدية بأن الحجر النيزكي كان موضوعاً داخل جبل جليدي من المياه العذبة الأصلية". صمت قليلاً: "وهناك أيضاً وجود للعوالق".

بدا على إيكستروم الغضب: "من المؤكد أن هذا مستحيل. ليس هناك أية صدوع في الجبل الجليدي وإن فحوصات بودس قد أثبتت ذلك. فقد طمر هذا الحجر النيزكي في قالب صلب من الجليد".

علمت راشيل أن إيكستروم على حق، فاستناداً إلى فحوصات الكثافة التي قامت بها ناسا كانت الصفيحة الجليدية صلبة حجرية حيث أحاطت مئات الأقدام (الأمتار) من الجليد المتجمد حول جميع جوانب الحجر النيزكي. ليس هناك من صدوع. ولكن، بينما تخيلت راشيل الطريقة التي تمت بها فحوصات الكثافة، طرأت لها فكرة غريبة...

"بالإضافة"، قال إيكستروم: "إلى أن عينات الدكتورة مانغور أثبتت صلابة الجبل الجليدي".

"بالتأكيد"، قالت نورا وهي تقذف بمقياس انكسار الأشعة على المكتب: "تأكيد مزدوج، ليس هناك خطوط صدعية في الجبل الجليدي، وهذا ما يتركنا دون أي تفسير لوجود الملح والعوالق".

"في الواقع"، قالت راشيل والصلابة في صوتها كانت مفاجئة حتى لنفسها. "هناك احتمال آخر". إن تلك الفكرة المفاجئة قدمت لها ذكريات بعيدة عن الاحتمال.

كان الجميع ينظر إليها الآن وقد كان شكهم واضحاً.

ابتسمت راشيل: "هناك تفسير منطقي رائع لوجود الملح والعوالق".

نظرت إلى تولاند بحذر: "وبصراحة، أنا متفاجئة من أنه لم يخطر ببالك يا مايك".

42

"عوالق متجمدة في الجبل الجليدي". بدا أن كوركي مارلينسون غير مقتنع على الإطلاق بتفسير راشيل. "لا أرغب بإحباط براعتك ولكن عادة عندما تتجمد الأشياء فإنها تموت، ولكن هذه الكائنات اللعينة الصغيرة كانت تومض أمامنا، أتذكرين؟".

"في الواقع"، قال تولاند، رامقاً راشيل بنظرة متأثرة: "ربما تكـــون علـــى حق، فهناك عدد من الأنواع التي تدخل تعطيلاً مؤقتاً عندما تطلب بيئتها ذلـــك. لقد قمت بعرض حلقة عن تلك الظاهرة مرة".

هزّت راشيل رأسها موافقة: "لقد عرضت سمك الكراكي الذي يتجمد في البحيرات ويتوجب عليه الانتظار إلى ذوبان الثلوج ليســبح بعيـداً. وأيضـاً، تحدثت عن كائنات حية مجهرية تدعى 'دبّ الماء' التي تصاب بجفاف كامــل في الصحراء وتبقى على تلك الحالة مدة عقود إلى أن تزهو مرة أخرى عندما تعود الأمطار".

ابتسم تولاند: "إذاً، أنت على حق تشاهدين برنامجي".

هزّت راشيل كتفيها محرجة قليلاً.

"ما هو رأيك آنسة سيكستون؟" سألت نورا.

"إن وجهة نظرها"، قال تولاند: "والتي كان يتوجب أن تبزغ عندي مبكراً، أن تلك الكائنات التي ذكرتها في ذلك البرنامج كانت نوعاً من العوالـــق التـــي تتجمد في مناطق القطب كل شتاء، أي تقوم بالسبات داخل الجليد ومن ثم تسبح بعيداً في كل صيف عندما تذوب القمم الجليدية". صمت تولانـــد: "لا أقـــول إن الأنواع التي ذكرتها في البرنامج كانت أنواعاً من المتلألئـــات الحيويـــة التـــي رأيناها هنا ولكن ربما حدث الشيء نفسه".

"إن العوالق المتجمدة"، تابعت راشيل مثارة لرؤيتها أن مايكل تولاند كان متحمساً كثيراً لفكرتها: "هي تفسير كل شيء نراه هنا. ففـــي وقـــت مـــا فـــي الماضي، يمكن أن تكون الصدوع قد شُقت في ذلك الجبل الجليدي، وامـــتلأت بمياه مالحة مليئة بالعوالق، ومن ثم تجمدت. ماذا لو كـــان هنـــاك تجويفـــات متجمدة من المياه المالحة في هذا الجبل الجليدي؟ مياه مالحة متجمدة تحتـــوي على عوالق متجمدة؟ تصوروا لو أنه عندما كنتم تقومون برفع الحجر النيزكي المسخن عبر الجليد، الذي كان في تجويف متجمد من المياه المالحـــة، عنـــدها ذابت المياه المالحة المتجمدة مطلقة العوالق من سُباتها ومعطية لنا نسبة ضئيلة من الملح الممزوج مع المياه العذبة".

"أوه، حباً بالله!" هتفت نوار بأنين عدائي. "فجأة أصبح الجميع علماء جبال جليدية!".

بدا الشك على كوركي أيضاً: "ولكن ألا يتوجب أن بودس كانت ستكتشف

لية تجويفات جليدية عندما قامت بفحوصات الكثافة؟ إن للمياه المالحة المتجمدة والمياه العذبة المتجمدة كثافتين مختلفتين".

"تختلف قليلاً!" قالت راشيل.

"إن نسبة أربعة بالمئة اختلاف جوهري". اعترضت نورا.

أجابتها راشيل: "نعم، في المختبر، أما بودس فتقوم بقياساتها عن بعد يبلغ 120 ميلاً في الفضاء. وإن أجهزتها قد صممت لكشف الاختلاف بين شيئين واضحين - جليد وثلج نصف ذائب مثلاً، غرانيت وأحجار كلسية".

التفتت إلى المدير: "هل أنا محقة بافتراضي أنه عند القيام بقياسات بودس للكثافة من الفضاء، فمن المحتمل أن ينقصها إثبات التمييز بين الجليد الملحي والجليد العذب؟".

هزّ المدير رأسه: "صحيح، إن اختلاف يبلغ نسبة أربعة بالمئة هو أقل من عتبة تحمل بودس. حيث إن القمر الصناعي عندها يرى الجليد العذب والملحي متماثلين".

بدا على تولاند الآن الاهتمام الشديد: "وهذا يفسر نسبة المياه المستقرة في الحفرة". نظر إلى نورا: "لقد قلت إن أنواع العوالق التي شاهدناها في حفرة الاستخراج تدعى -؟".

"أجناس متعددة السطوح". وضحت نورا: "وإنك تتساءل الآن فيما إذا كانت تلك الكائنات قادرة على السبات داخل الجليد؟ ستكون مسروراً لتعلم أن الجواب هو نعم، من المؤكد أن متعددات السطوح هذه قد وجدت ضمن جماعات حول الرفوف الصخرية الجليدية، وهي قادرة على التلألؤ الحيوي، وتستطيع أيضاً أن تقوم بالسبات داخل الجليد. هل هناك أية أسئلة أخرى؟".

تبادل الجميع النظرات، فقد علموا من نبرة صوت نورا أن هناك بالتأكيد نوعاً من 'لكن' - ومع ذلك يبدو أنها أثبتت للتو صحة نظرية راشيل.

"إذاً؟" قال تولاند بجرأة: "تقولين إنها ممكنة، صحيح؟ إن هذه النظرية معقولة؟".

"بالتأكيد". قالت نورا: "في حال كنتم جميعكم معوقين".

قالت راشيل غاضبة: "عفواً؟".

حدقت نورا مانغور براشيل: "أتخيل أن عملك يقول إن المعرفة القليلة هي أمر خطير؟ حسناً، ثقي بي عندما أقول لك إن هذا صحيح أيضاً في علم الجبال

الجليدية". تحولت عينا نورا الآن وهي تنظر إلى الأشخاص الأربعة من حولها
"دعوني أوضح هذا للجميع مرة واحدة وبالتفصيل: إن التجويفات الجليدية
الملحية التي افترضتها الآنسة سيكستون موجودة بالتأكيد. وهي ما يدعوه علماء
الجليد بالفرَج. لكن شكل هذه الفرج ليس كتجويف من المياه المالحة بل إنها
فروع من شبكة من الجليد الملحي التي يبلغ حالقها[27] بعرض شعرة الإنسان
ولذلك فإن على ذلك الحجر النيزكي أن يعبر ضمن سلسلة كثيفة جداً حتى
تجعله يطلق ماءً ملحياً كافياً لخلق مزيج من ثلاثة بالمئة في بركة بذلك العمق"

عبس إيكستروم: "إذاً ذلك ممكن أم لا؟".

"ليس في حياتك!" قالت نورا بفتور: "مستحيل تماماً، لقد كنت لأجد عندها العديد من التجويفات الجليدية المالحة في عيناتي".

"إن تلك العينات بعثرت في أماكن عشوائية، أليس كذلك؟" سألت راشيل "وهل هناك أي احتمال يقول إن وضعها هناك، ببساطة لسوء الحظ، قد فاته تجويف من الجليد البحري؟".

"لقد ثقبت مباشرة فوق الحجر النيزكي وبعدها قمت بوضع العديد على بعد ياردات (أمتار) قليلة فقط من الجانبين. لا يمكنك الاقتراب أكثر!".

"إني أسأل فقط".

"هذه الفكرة غير مهمة"، قالت نورا: "إن الفرج المالحة توجد فقط في الجليد الموسمي – الجليد الذي يتشكل ويذوب كل فصل. أما الرف الصخري الجليدي في ميلني هو جليد ثابت – جليد يتشكل في الجبال ويبقى مثبتاً بإحكام إلى أن يهاجر إلى منطقة الانشعاب ويسقط في البحر. وبالدرجة التي تكون فيها العوالق المتجمدة مقنعة لتفسير هذه الظاهرة الغامضة، أستطيع أن أضمن لكم أنه ليس هناك أية شبكات مخبأة من العوالق المتجمدة في هذا الجبل الجليدي".

ساد الصمت على الجميع مرة ثانية.

رغم الرفض الواضح لنظرية العوالق المتجمدة، فإن تحليل راشيل المنهجي لهذه المعلومات قد رفض أن يقبل الاعتراض. وبصورة فطرية، علمت راشيل أن وجود العوالق المتجمدة في الجليد أسفلهم هو الحل الأكثر بساطة لهذا اللغز. قانون البساطة الفلسفية، فكرت راشيل. إن معلميها في مكتب الاستطلاع قد زرعوا عندها في حالة تحت الوعي أنه عندما يوجد تفسيرات

---

27 الحالق: جزء لولبيّ رفيع من النبتة المعترشة يساعدها على التعلق بسنادها.

الفرة يكون أبسطها هو الصحيح عادة.

من الواضح أن نورا مانغور لديها الكثير لتخسره إذا كانت معلومات عينات الجليد خاطئة، وتساءلت راشيل فيما إذا كانت نورا قد رأت العوالق وأدركت أنها على خطأ عند إدعاء أن الجليد صلب وتحاول الآن ببساطة التغطية على آثارها.

"كل ما أعرفه"، قالت راشيل: "أنني قد قمت للتو بإيجاز طاقم البيت الأبيض بأكمله. أن هذا الحجر النيزكي قد تم اكتشافه في قالب أصلي من الجليد ولد تم طمره هناك، دون أي لمس من قبل أي تأثير خارجي منذ 1716 عندما اصطدم النيزك المشهور الذي يدعى بجنغرسول. يبدو الآن أن هذه الحقيقة مشكوك بأمرها".

كان مدير ناسا صامتاً مع تعابير وجه قاتمة.

تنحنح تولاند: "عليّ أن أتفق مع راشيل، فقد كان هناك مياه مالحة وعوالق في البركة، ومهما كان التفسير فإن تلك الحفرة هي بالتأكيد ليست بيئة مغلقة. لا يمكننا القول إنها كذلك".

بدا على كوركي عدم الارتياح الآن: "حسناً أيها الناس، لا أريد الظهور بمظهر عالم الفيزياء الفلكية هنا. ولكن في مجال عملي، عندما نقوم بخطأ ما فإننا نخطئ ببلايين السنين؟ فهل هذه المشكلة مع العوالق الصغيرة والمياه المالحة ذات أهمية حقاً؟ أقصد، إن كمال الجليد الذي يحيط بالحجر النيزكي لا يؤثر أبداً على الحجر نفسه، أليس كذلك؟ لا تزال المستحاثات لدينا، ولا أحد يشك بمصداقيتها. ولو تبين أننا أخطأنا في بيانات العينات الجليدية لن يهتم أحد أبداً. وكل ما سيهتمون به هو أننا وجدنا دليلاً لحياة على كوكب آخر".

"أنا متأسفة دكتور مارلينسون"، قالت راشيل: "بصفتي شخصاً يقوم بتحليل البيانات كعمله الأساسي، يتوجب عليّ عدم الموافقة. فإن أي خطأ في بيانات ناسا التي ستعلن الليلة يمكن أن يطلق شكاً حول مصداقية الاكتشاف بأكمله، ويتضمن ذلك موثوقية هذه المستحاثات".

سقط فك كوركي من الدهشة: "ما الذي تتحدثين عنه؟ لا يمكن أن يشكل الجدل حول هذه المستحاثات!".

"أعلم ذلك، وأنت تعلم ذلك، ولكن لو أن الجمهور قد علم أية معلومات خاطئة أن ناسا قد قدمت معلومات عن بنية الجليد وهي تعلم بأنه مشكوك

بأمرها، فثق بي أنهم على الفور سيبدأون بالتساؤل عن الشيء الآخر الذي كذبت عنه ناسا أيضاً؟".

تقدمت نورا إلى الأمام وعيناها متوهجتان: "إن معلوماتي عن بنية الجليد ليس مشكوكاً بأمرها". التفتت إلى المدير: "أستطيع الإثبات وبشكل مطلق بأنه ليس هناك جليد ملحي مطمور في أي مكان على هذا الرف الجليدي!".

نظر إليها المدير للحظة طويلة: "كيف؟!".

وضحت نورا خطتها بإيجاز، وعندما انتهت كان على راشيل الاعتراف بأن تلك الفكرة تبدو منطقية.

لكن الوثوق لم يبدُ على المدير: "وستكون النتائج مطلقة؟".

"مثبتة مئة بالمئة". أكدت له نورا: "ولو وجد هناك كمية قليلة من مياه مالحة متجمدة في أي مكان بالقرب من حفرة الحجر النيزكي، سنراها حتى ولو كانت قطرات قليلة فإنها ستضيء على الجهاز مثل ساحة تايمز".

تجعّد حاجب المدير تحت شعره العسكري القصير: "ليس هناك الكثير من الوقت، سينعقد المؤتمر الصحفي خلال بضع ساعات".

"أستطيع العودة خلال عشرين دقيقة".

"كم هو البعد على الجليد الذي قلت إنه يتوجب عليك الخروج إليه".

"ليس بعيداً جداً، مئتا ياردة (180 متراً) ستفي بالغرض".

هزّ إيكستروم رأسه: "هل أنت متأكدة من أنه آمن؟".

"سآخذ معي منيرات ضوئية". أجابته نورا: "وسيذهب مايك معي أيضا .

اندفع رأس تولاند فجأة: "أنا سأفعل ذلك؟".

"بالتأكيد ستقوم بذلك يا مايك! سنكون مقيدين بطول كاف، وسأكون ممتنة لوجود يدين قويتين في الخارج في حال عصفت الرياح".

"ولكن –"

"هي على حق"، قال المدير ملتفتاً إلى تولاند: "لا يمكن لها الذهاب وحدها، أرغب بإرسال بعض من رجالي معها، ولكن بصراحة إنني أفضل إبقاء قضية العوالق هذه لأنفسنا إلى أن نجد فيما إذا كان هناك مشكلة أم لا".

هزّ تولاند رأسه راغباً بذلك.

"أرغب بالذهاب أيضاً". قالت راشيل.

التفتت نورا كالأفعى: "ستذهبين بحق الجحيم؟".

"في الواقع"، قال المدير، وكأن فكرة لمعت عنده: "أظن أنه أكثر أماناً إذا قمنا باستخدام نظام التقييد الرباعي المعياري. في حال ذهابكم مثنى، وانزلق مايك، لن تتمكني من الإمساك به، عندها سيكون أربعة أشخاص أكثر أماناً من اثنين".

صمت، ناظرا إلى كوركي: "هذا يعني أنت أو الدكتور مينغ". نظر إيكستروم حول القبة الاصطناعية. "أين الدكتور مينغ على أية حال؟".

قال تولاند: "إنني لم أره منذ مدة، ربما يغط في النوم".

التفت إيكستروم إلى كوركي: "دكتور مارلينسون، أطلب منك الذهاب معهم، ولكن

أجابه كوركي: "ماذا بحق الجحيم؟ أرى أن الجميع يتفق بشكل جيد".

"لا!" اعترضت نورا: "إن أربعة أشخاص سيبطئون العمل، سأذهب أنا ومايك وحدنا".

"لن تذهبا وحدكما!" كانت نبرة صوت المدير نهائية. "هناك سبب يجعل من هذه الحبال تصمم بشكل رباعيات، وسنقوم بهذا بأقصى درجات الأمان الممكنة. إن آخر شيء أريده هو حادث في الساعات القليلة السابقة للمؤتمر الصحفي الأكبر في تاريخ ناسا".

43

شعرت غابرييل آش بحيرة قلقة وهي تجلس في الهواء الكثيف لمكتب مارجوري تينش. ما الذي تريده هذه المرأة مني؟ من خلف مكتب الغرفة الوحيد، اتكأت تينش إلى الخلف على كرسيها، حيث بدت معالمها تشع سروراً لانزعاج غابرييل.

"هل يزعجك الدخان؟" سألت تينش وهي تنتقي سيجارة جديدة من علبتها.

"لا". كذبت غابرييل.

كانت تينش قد بدأت مسبقاً بإشعالها على أية حال: "لقد كنت ومرشحك مهتمين كثيراً بشأن ناسا خلال هذه الحملة".

"صحيح". قالت غابرييل بسرعة دون أي محاولة لإخفاء غضبها. "شكراً لبعض الشجاعة المُبدعة. أريد تفسيراً لهذا".

تجهمت تينش ببراءة: "تريدين أن تعلمي لماذا كنت أزودك بالرسائل

الإلكترونية لهجماتك على ناسا؟".

"المعلومات التي أرسلتها تُسيء إلى رئيسك!".

"على المدى القصير، نعم".

إن النبرة المنذرة بالسوء في صوت تينش جعلت غابرييل قلقة: "ما
يُفترض أن يعني هذا؟".

"اهدئي غابرييل، إن رسائلي الإلكترونية لم تغير الكثير، لقد كان
السيناتور سيكستون يهاجم ناسا بقوة قبل أن أتدخل أنا بوقت طويل. أي أنني
قمت ببساطة بمساعدته على إيضاح رسالته وترسيخ موقفه".

"ترسيخ موقفه؟".

"بالضبط؟" ابتسمت تينش مظهرة أسنانها المصفرّة: "ويتوجب عليّ القول
إنه بالفعل قام به بشكل مؤثر بعض الشيء هذا اليوم في (سي إن إن)".

تذكرت غابرييل ردة فعل السيناتور على سؤال تينش الذي لم يستطع
تجنب الإجابة عنه. نعم، سأعمل على إلغاء ناسا. لقد وضع السيناتور نفسه في
وضع حرج ولكنه عمل على إنهاء ذلك الأمر الفظ بضربة قوية. إنها هي
الحركة الصحيحة، ألم تكن كذلك؟ أحست غابرييل من نظرة تينش الراضية أن
هناك معلومات ضائعة.

نهضت تينش فجأة، وكان جسدها الطويل والهزيل يسيطر على المساحة
الضيقة. وبينما تتدلى السيجارة من بين شفاهها، مشت إلى خزانة جدارية والتقطت
ظرفاً من ورق المانيلا، ثم عادت إلى مكتبها وجلست مستندةً إلى الوراء.

نظرت غابرييل إلى ذلك الظرف المُزهر.

ابتسمت تينش وهي تهزّ الظرف في حضنها مثل لاعب البوكر وهو
يحمل الفلوش[28] الملكي. نقرت برؤوس أصابعها المصفرة على الزاوية مصدرة
خدوش تكرارية مزعجة وكأنها تستمتع بتوقع ما الذي سيحدث.

علمت غابرييل أن ذلك كان فقط ضميرها المذنب، ولكن خوفها في البداية
كان من احتواء الظرف دليلاً ما على علاقتها الجنسية الطائشة مع السيناتور
سخيف، فكرت بذلك. لقد تم ذلك اللقاء بعد ساعات من إغلاق مكتب
السيناتورية. والأهم من ذلك، أنه لو امتلك البيت الأبيض أي دليل حقيقي على
هذا، لعملوا على إعلانه مسبقاً.

28 الفلوش: أوراق من نقش واحد في يد لاعب البوكر.

ربما يشكون بذلك، فكرت غابرييل. ولكن ليس لديهم الدليل

أطفأت تينش سيجارتها "انسة اش. سواء أكنت تعرفين أم لا، لقد علقت في خضم معركة قد اشتعلت خلف الكواليس في واشنطن منذ عام 1996".

لم تكن هذه الملاحظة الاستهلالية على الإطلاق ما توقعته غابرييل: "عفواً؟".

أشعلت تينش سيجارة أخرى، فتجعدت شفاهها النحيلة حولها وتوهج طرفها الآخر باللون الأحمر. "ماذا تعلمين عن مشروع قانون يدعى مرسوم تعزيز التتجير الفضائي؟".

لم تسمع غابرييل بهذا من قبل أبداً، فهزّت كتفيها باستهجان.

"حقاً؟" قالت تينش: "هذا أمر يفاجئني بالنظر إلى برنامج مرشحك السياسي. إن مشروع تعزيز التتجير الفضائي قد اقترح منذ عام 1996 من قبل السيناتور ووكر. وإن مشروع القانون هذا في جوهره يذكر فشل ناسا بالقيام بأي شيء جديد بالاهتمام منذ أن وضعت الإنسان على القمر. وإنه يدعو إلى خصخصة ناسا من خلال بيع أصولها مباشرة إلى شركات فضائية خاصة والسماح بنظام السوق الحرة لاكتشاف الفضاء بشكل أكثر فعالية، وبهذا يتم التخلص من عبء ناسا الحالي على دافعي الضرائب".

كانت غابرييل قد سمعت باقتراح ناقدي ناسا بالخصخصة كحل لكارثة ناسا، ولكنها لم تكن على علم بأن هذه الفكرة قد أخذت بالفعل صيغة مشروع قانوني رسمي.

"مشروع قانون التتجير هذا"، تابعت تينش: "قد قُدم إلى مجلس الشيوخ عدة مرات حتى الآن، وهو مشابه لمشاريع القوانين التي خصخصت بنجاح صناعات حكومية كإنتاج اليورانيوم. ولقد تجاوز مجلس الشيوخ مرسوم خصخصة الفضاء هذا في الأربع مرات التي رآه فيها. وحمداً لله، أن البيت الأبيض قد استخدم حق الفيتو في جميع المناسبات تلك. كما قام زاك هيرني باستخدام حق الفيتو مرتين".

"قصدك هو؟".

"أقصد أن مشروع القانون هذا هو الشيء الذي سيقوم السيناتور سيكستون بدعمه مؤكداً فيما إذا أصبح الرئيس. ولدي سبب يجعلني أؤمن أن سيكستون لن يرتاب في بيع أصول ناسا إلى العارضين التجاريين عند أول فرصة

باختصار، إن مرشحك سيقوم بدعم الخصخصة أكثر من إنفاق دولارا ضرائب الأميركيين لتمويل اكتشاف الفضاء".

"حسب معرفتي، إن السيناتور لم يعلق رسمياً حول موقفه من مرسوم تعزيز التتجير الفضائي".

"صحيح، ولكن بالنظر إلى سياسته، أفترض أنك لن تتفاجئي إذا قام بذلك".

"ألا تميل أنظمة السوق الحرة إلى خلق الكفاءة؟!".

"سأعتبر ذلك 'نعم'". نظرت تينش إليها: "بصورة محزنة، إن القيام بخصخصة ناسا هي فكرة بغيضة، وهناك أسباب لا تحصى جعلت جميع إدارات البيت الأبيض يحاربونها منذ أن طرح مشروع القانون ذلك".

"لقد سمعت بالمناقشات التي تدور لمحاربة خصخصة الفضاء". قالت غابرييل: "وأفهم قلقك".

"حقاً؟" انحنت تينش باتجاهها. "أية مناقشات سمعت؟".

تحايلت غابرييل بارتباك: "حسناً، إنه الخوف التقليدي العام على الأغلب - الشيء الأكثر شيوعاً أنه لو قمنا بخصخصة ناسا، فإن سعينا الحالي وراء المعلومات العلمية الفضائية سوف تترك لمصلحة المغامرات المربحة".

"صحيح، سيموت علم الفضاء عندها بلحظة. فعوضاً عن إنفاق الأموال لدراسة الكون، تقوم الشركات الخاصة بسلب مناجم الكويكبات، وبناء الفنادق السياحية في الفضاء وتقديم خدمات إطلاق الأقمار الصناعية التجارية. ما الذي سيدفع الشركات الخاصة لدراسة أصول عالمنا عندما سيكلفها ذلك البلايين ولا يقدم إليها أي تعويضات مالية؟".

"لن يقوموا بذلك!" ردت غابرييل. "ولكن بالتأكيد يمكن إنشاء وقف قومي لعلوم الفضاء ليقوم بالإنفاق على المهمات الأكاديمية".

"لدينا هذا النظام في مكانه مسبقاً، إنه يدعى ناسا".

صمتت غابرييل.

قالت تينش: "إن التخلي عن العلم من أجل الربح هو قضية ثانوية، وتؤثر قليلاً بالمقارنة مع التشويش الكامل الذي سينتج من أثر السماح للقطاع الخاص

بطلق بحرية في الفضاء. عندها سنشهد الغرب الضاري[29] بأكمله مـــرة أخـــرى. سنرى الرواد يطالبون بأراضٍ على القمر وعلى الكويكبات ويحمون هذه الأراضي بالقوة. ولقد سمعت بمطالب من شركات تريد بناء لوحات إعلان نيونيـــة تُــومض بإعلاناتهم في السماء ليلاً. كما رأيت مطالب من فنادق فضائية وشـــركات جـــذب السياح والتي تضمن عملياتهم المفترضة قذف نفاياتهم في القسم الفارغ من الفضاء وخلق مدارات لأكوام النفايات. وفي الحقيقة، لقد قرأت عرضاً البارحة مـــن قبـــل شركة تريد أن تحول الفضاء إلى ضريح من خلال إطلاق الموتى إلى المدار. هل بإمكانك تخيل أقمارنا الصناعية الخاصة بالاتصالات وهي تصطدم بجثـــة ميتـــة؟! وفي الأسبوع الماضي، زارني مدير تنفيذي بليونير في مكتبي وقدم عريضة طالب فيها بإطلاق مهمة إلى كويكب يقع في مجال قريب، وسحبه بالقرب من الأرض ثم تعدينه من أجل الحصول على المعادن الثمينة. توجب عليّ في الواقـــع عنـــدها أن أذكر لذلك الشخص أن سحب كويكبات إلى مدار قريب من الأرض يحتمل مخاطر ممكنة لكارثة أرضية! آنسة آش، أؤكد لك أنه إذا تم توقيع مشروع القـــانون هـــذا، فإن الحشود من المقاولين المندفعين نحو الفضاء لن يكونوا علماء صواريخ بل إنهم مقاولون أصحاب جيوب عميقة وعقول ضحلة".

"مناقشة مقنعة". قالت غابرييل: "أنا متأكدة من أن السيناتور سيفكر مليـــاً في هذه القضايا وبحذر عندما يجد نفسه في موضع يخولـــه التصـــويت علـــى مشروع القانون هذا، ولكن هل يمكنني أن أسألك ما علاقة هذا بي؟".

ضاقت نظرات تينش باتجاه سيجارتها: "يريد العديد من الناس جني الكثير من الأموال من الفضاء، ومجلس الشيوخ الرئاسي يجهز لإزالة جميـــع القيـــود وفتح بوابات التدفق. إن حق الفيتو الذي يمتلكه المكتب الرئاسي هـــو العـــائق الوحيد ضد الخصخصة... ضد فوضى كاملة في الفضاء".

"إذن، أنا معجبة بزاك هيرني لرفضه مشروع القانون هذا".

"خوفي هو أن مرشحك لن يكون متعقلاً كثيراً في حال تم انتخابه".

"مرة ثانية، أفترض أن السيناتور سيفكر ملياً بجميع القضايا عندما يكـــون في موضع يتطلب منه الحكم على مشروع القانون ذلك".

لم يبدُ أن تينش مقتنعة تماماً: "هل تعلمين كم ينفق الســـيناتور سيكســـتون على الدعايات الإعلامية؟".

---

[29] الغرب الضاري: غرب الولايات المتحدة الأميركية قبل خضوعه لسلطان القانون.

بدا السؤال غريباً جداً: "هذه الأرقام هي معلومات عامة".

"أكثر من ثلاثة ملايين شهرياً".

هزّت غابرييل كتفها: "كما تقولين". كان الرقم قريباً من ذلك.

"هذا مبلغ كبير ليتم إنفاقه".

"لديه الكثير من الأموال لينفقها".

"نعم، لقد خطط بشكل جيد أو في الواقع، تزوج بشكل جيد". صمتت تينش لتنفث دخانها: "إن أمر زوجته محزن فعلاً، كاثرين. لقد أثر موت زوجته فيه كثيراً". تبع ذلك تنهدة مأساوية، مختلقة بوضوح. "لم يكن موتها منذ فترة طويلة، أليس كذلك؟".

"أخبريني ما الذي تريدينه أو سأرحل".

أطلقت تينش سعالاً هزّ رئتيها ثم تناولت الظرف المانيلي المزهر. وأخرجت منه كومة من الأوراق المخروزة وسلمتها لغابرييل، ثم قالت: "سجلات سيكستون المالية".

تفحصت غابرييل الوثائق بذهول. تعود هذه السجلات لسنوات عديدة. فبرغم أن غابرييل لم تكن مهتمة بالاطلاع على الأعمال الداخلية لأموال سيكستون إلا أنها شعرت بأن هذه المعلومات موثوقة - حسابات مصرفية، حسابات لبطاقات اعتماد، قروض، أسهم، شركات وأصول عقارية وديون وأرباح وخسائر لرأس المال. "هذه معلومات خاصة، من أين حصلت عليها؟".

"إن مصدري ليس من شأنك، ولكن لو أمعنت النظر في تفحص هذه الأرقام لرأيت بشكل واضح أن سيكستون لا يمتلك هذا النوع من الأموال الذي ينفقه حالياً، وبعد موت كاثرين، بدد الأغلبية العظمى لميزانيتها على استثمارات فاشلة ورفاهيات شخصية واشترى لنفسه ما يبدو أنه نصر مؤكد في الانتخابات الأولية، ولمدة ستة أشهر مضت، كان مرشحك مفلساً".

أحست غابرييل أن هذا لا بد أن يكون خدعة. لو كان سيكستون مفلساً، فإنه بالتأكيد لم يكن ليخفي ذلك. لقد كان يشتري الأوقات الإعلانية بأسهم أكبر وأكبر كل أسبوع.

"إن مرشحك"، تابعت تينش: "ينفق حالياً أكثر من الرئيس بأربع مرات ولا يمتلك أية أموال شخصية!".

"لدينا الكثير من التبرعات".

"نعم، قسم منها قانوني".

رفعت غابرييل رأسها فجأة: "عفواً!".

انحنت تينش إلى المكتب فاستطاعت غابرييل أن تشم نَفَس النيكوتين: "غابرييل آش، سأطرح عليك سؤالاً وأقترح أن تفكري ملياً قبل الإجابة عنه، فإنه سيؤثر على ما إذا كنت ستقضين بعض السنوات القادمة في السجن أم لا. هل أنت على علم بأن السيناتور سيكستون يقبل رشوات ضخمة غير شرعية في حملته من شركات الفضاء التي سنربح البلايين من خصخصة ناسا؟".

نظرت إليها غابرييل: "إن هذا إدعاء سخيف!".

"هل تقولين إنك لست على علم بهذا العمل؟".

"أظن أنني كنت لأعلم فيما إذا كان السيناتور يقبل رشوات بهذا المقدار الذي تفترضينه".

ابتسمت تينش ببرود: "غابرييل، أفهم أن السيناتور قد قاسم الكثير من نفسه معك، ولكن أؤكد لك أن هناك الكثير من الأمور التي لا تعلمينها عن هذا الرجل".

نهضت غابرييل: "لقد انتهى اللقاء".

"على العكس"، قالت تينش وهي تنتزع المحتويات المتبقية في المجلد وتنشرها على المكتب: "لقد بدأ اللقاء للتو".

44

داخل القبة الاصطناعية في 'غرفة الارتحال'، شعرت راشيل وكأنها رائد فضاء عندما انزلقت داخل إحدى بدلات البقاء ذات المناخ المصغر من طراز مارك IX لناسا. إن بزّة القفز السوداء هذه ذات القطعة الواحدة والمزودة بغطاء للرأس تشبه بزّة الغطس القابلة للنفخ. كان قماشها ثنائي الطبقة وبرغوة مرنة مجهزاً بقنوات مجوفة يتم من خلالها ضخ هلام كثيف لمساعدة مرتديها على تنظيم حرارة جسده في كلتا البيئتين الحارة والباردة.

الآن، وبعد أن وضعت راشيل الغطاء الضيق فوق رأسها، وقعت عيناها على مدير ناسا. بدا وكأنه حارس صامت يقف أمام الباب، ومن الواضح أنه غير مسرور لضرورة هذه المهمة الصغيرة.

كانت نورا مانغور تدمدم بأشياء فاحشة وهي تنتظر الجميع ليتجهز. "هذه بزّة قصيرة سمينة لك". قالت وهي تقذف لكوركي بذلته.

كان تولاند قد ارتدى للتو نصف بذلته.

أما راشيل فقد انتهت من إغلاق بذلتها بزمام منزلق، عندها بحثت نورا لها عن صمام على جانب بذلتها ثم وصلته إلى أنبوب نفخ التف خارجاً من علبة فضية تشبه مخزناً كبيراً لبذّة غطس.

"تنفسي". قالت نورا وهي تفتح الصمام.

سمعت راشيل هسيساً ثم شعرت بأن الهلام قد حُقن داخل البزّة. وتوسعت الرغوة المرنة، فتكثفت البزّة من حولها ضاغطة على الطبقة الداخلية القماشية. ذكّرها ذلك الإحساس بإقحام يدها تحت الماء عندما كانت ترتدي القفازات المطاطية. وعندما انتفخ الغطاء حول رأسها، ضغط على أذنيها ما جعل الأصوات من حولها خامدة. أنا داخل شرنقة، قالت لنفسها.

"إن أفضل شيء في بزّة مارك IX"، قالت نورا: "هو الحشوة. فيمكن أن تسقط على مؤخرتك دون أن تشعر بأي شيء".

صدقت راشيل ذلك، فهي تشعر وكأنها علقت داخل الفرشة.

أعطت نورا لراشيل سلسلة من المعدات - فأس جليد، لاقطات حبال، وحلقات تسلق قامت بتثبيتها على الحزام المربوط حول خصر راشيل.

"كل هذا؟" سألت راشيل وهي تنظر إلى المعدات: "لنذهب مئتي ياردة (180 متراً)؟".

تضيقت عينا نورا: "أتريدين الذهاب أم لا؟".

هزّ تولاند رأسه ليعيد طمأنة راشيل: "إن نورا حذرة جداً فقط".

وصل كوركي نفسه مع صهريج النفخ وقام بنفخ بذلته، ويبدو عليه التسلية: "أشعر وكأنني أرتدي واقياً ذكرياً ضخماً".

همهمت نورا باشمئزاز: "وكأنك تعلم ذلك أيها الفتى العذري".

جلس تولاند بالقرب من راشيل ثم ابتسم لها ابتسامة ضعيفة وهي ترتدي الجزمة الثقيلة والخف المسماري: "هل أنت واثقة من أنك تريدين القدوم؟" كان على عينيه اهتمام لوقايتها قد جذبها.

تمنت راشيل أن هزّ رأسها بثقة يمكن أن يناقض خوفها المتزايد. مئتا ياردة (180 متراً)... ليست بعيدة على الإطلاق. "أتظن أنك تستطيع إيجاد المتعة فقط في البحار العنيفة؟".

ضحك تولاند وهو يتحدث بينما يربط خفه المسماري. "لقد قررت أن

أحب المياه السائلة أكثر من هذه المياه المتجمدة".

"لم أكن على الإطلاق معجبة بأي منهما". قالت راشيل: "لقد سقطت في الجليد عندما كنت طفلة. تجعلني المياه عصبية منذ ذلك الوقت".

نظر إليها تولاند بعينين متعاطفتين: "آسف لسماع ذلك، عندما ينتهي هذا، يتوجب عليك أن تأتي وتزوريني على متن 'الغويا'. سأغير لك رأيك عن المياه، أعد بذلك".

فاجأتها تلك الدعوة، لقد كانت 'الغويا' هي سفينة أبحاث تولاند - مشهورة جداً لسببين: الأول، لدورها في برنامج 'البحار المذهلة'، ولسمعتها كونها واحدة من أكثر السفن غرابة بالشكل في المحيط. رغم أن زيارةً إلى 'الغويا' ستكون أمراً مثيراً لأعصاب راشيل، إلا أنها علمت أنه سيكون أمراً من الصعب رفضه.

"إنها ترسو الآن على بعد اثني عشر ميلاً من شاطئ نيوجرسي". قال تولاند وهو يناضل مع مزلاجات خفه.

"يبدو أنها بقعة غير ملائمة".

"على الإطلاق، إن الساحل الأطلنطي مكان لا يُصدق، ولقد كنا نتوجه لتصوير برنامج وثائقي جديد عندما تم اعتراضي بشكل فظ من قبل الرئيس".

ضحكت راشيل: "تصورون برنامجاً وثائقياً عن ماذا؟".

"عن مخلوقات مثل 'سفيرنا موكاران' والأعمدة الضخمة".

عبست راشيل: "سعيدة لأني سألت".

انتهى تولاند من ربط خفه ونظر إليها: "بشكل جدي، إنني أصور فيلماً هناك لبعض الأسابيع، وإن واشنطن غير بعيدة عن شاطئ نيوجيرسي. تعالي هناك عندما تعودين إلى منزلك. ليس هناك سبب لأن تقضي حياتك خائفة من المياه، وإن طاقمي سيبسط لك السجاد الأحمر".

دوى صوت نورا مانغور: "هل سنذهب إلى الخارج أم يتوجب عليّ أن أحضر لكما بعض الشموع والشمبانيا؟!".

45

لم يكن لغابرييل آش أية فكرة عما تفعله بهذه الوثائق المنتشرة أمامها على مكتب مارجوري تينش. فقد احتوت تلك الكومة على نسخ من رسائل، فاكسات، نصوص مكتوبة لمحادثات هاتفية وبدا أنها جميعاً تدعم الادعاء بأن

السيناتور سيكستون كان في حوار سري مع شركات فضائية خاصة.

دفعت تينش بعدد من الصور الفوتوغرافية غير الواضحة بالأبيض والأسود باتجاه غابرييل. "أفترض أن هذا غير جديد عليك؟".

نظرت غابرييل إلى الصور. كانت اللقطة الأولى تظهر السيناتور سيكستون خارجاً من سيارة أجرة في مرآب أرضي. إن سيكستون لا يركب سيارات الأجرة على الإطلاق، قالت لنفسها. ثم نظرت غابرييل إلى اللقطة الثانية - صورة مقرّبة لسيكستون وهو يصعد إلى شاحنة بيضاء صغيرة في موقف ما، ويبدو أن رجلاً كبيراً كان في الشاحنة بانتظاره.

"من هذا؟" قالت غابرييل، وهي تشك في أن الصور ربما تكون مزيفة.

"صياد كبير من (إس إف إف)".

كانت غابرييل تشك في ذلك: "مؤسسة الفضاء الرائدة؟".

إن (إس إف إف) هي بمثابة 'اتحاد' لشركات فضائية خاصة. وهي تمثل متعهدي بناء فضائيين ومقاولين وأغنياء مغامرين - أي كيان خاص يريد أن يذهب للفضاء. كما يميلون إلى انتقاد ناسا، ويحاولون البرهان على أن برنامج فضاء الولايات المتحدة يتضمن ممارسات تجارية غير عادلة لمنع الشركات الخاصة من إطلاق مهمات في الفضاء.

"إن (إس إف إف)". قالت تينش: "تمثل الآن أكثر من مئة مؤسسة ضخمة، بعض المؤسسات الثرية التي تنتظر بتلهف التصديق على مرسوم تعزيز الفضاء".

فكرت غابرييل بذلك ملياً، فلأسباب واضحة كانت (إس إف إف) داعماً مصوتاً لحملة سيكستون، على الرغم من أن سيكستون كان حذراً من عدم الاقتراب منها كثيراً بسبب وسائلها المثيرة للجدل في جذب السياسيين. ومؤخراً قامت (إس إف إف) بنشر حديث صاخب انفجاري تتهم ناسا بأنها في الواقع 'محتكرة غير شرعية'، وإن قدراتها تعمل بخسارة فقط، ولا يزال لها الحق في البقاء لتمثيل منافسة غير عادلة تجاه الشركات الخاصة. فمن وجهة نظر (إس إف إف)، كلما أرادت شركة الاتصال (إي تي آند تي) إطلاق قمر صناعي اتصالي، تعرض شركات الفضاء الخاصة القيام بالعمل لقاء مبلغ معقول يبلغ خمسين مليون دولار. لسوء الحظ، دائماً ما تقف ناسا أمامهم وتقدم إطلاق أقمار (إي تي آند تي) بتكلفة خمسة وعشرين مليوناً فقط، حتى ولو كلف ناسا

القيام بالعمل خمسة أضعاف! إن العمل بخسارة هي طريقة تبقي فيها ناسا قبضتها على الفضاء... هذا هو الاتهام الذي قدمه محامو (إس إف إف)... ويتوجب على دافعي الضرائب دفع الثمن بعد ذلك.

قالت تينش: "تظهر هذه الصور مرشحك وهو يقوم بلقاءات سرية مع منظمة تمثل مؤسسات تجارية خاصة للفضاء". أشارت تينش إلى وثائق عديدة أخرى على الطاولة. "ولدينا أيضاً مذكرات دخلية لـ (إس إف إف) تدعو لجمع مبالغ كبيرة من الأموال من الشركات الأعضاء فيها - بقيم تتناسب مع قيمها المالية الصافية - وتحويلها إلى حسابات تُدار من قبل السيناتور سيكستون. في الواقع، إن هذه الوكالات الخاصة تقوم بدفع تلك الأموال من أجل وضع سيكستون في السلطة، وإنني أفترض أنه قد وافق على المصادقة على مشروع قانون التتجير وخصخصة ناسا في حال تم انتخابه".

نظرت غابرييل إلى كومة الأوراق غير مقتنعة بذلك: "هل تتوقعين مني تصديق أن البيت الأبيض يمتلك دلائل على أن خصمه متورط في تدبير موارد مالية غير شرعية لحملته بصورة عظيمة، ولسبب ما تبقونها سرية؟!".

"ماذا ستصدقين إذاً؟".

حملقت غابرييل بغضب: "بصراحة، عند النظر إلى مهاراتكم في التلاعب، فإن الحل الأكثر منطقية يُظهر أنكم تزودونني بطريقة ما ببعض الوثائق المزورة والصور المقدمة من طاقم البيت الأبيض المظهر لروح المبادرة وما أنتجه حاسبه المكتبي الخاص بالنشر".

"ممكن، أعترف بذلك، ولكن ليس صحيحاً".

"لا؟ إذاً كيف حصلتم على جميع هذه الوثائق الداخلية من المؤسسات؟ تحتاج المصادر إلى سرقة جميع هذه الأدلة من شركات عديدة تتجاوز بالتأكيد سيطرة البيت الأبيض".

"أنت محقة، إن هذه المعلومات قد وصلت إلى هنا كهبة غير مُستَجدية".

كانت غابرييل تائهة الآن.

"حقاً". قالت تينش: "لدينا الكثير منها. حيث يمتلك الرئيس العديد من الحلفاء السياسيين ذوي السلطة والذين يرغبون بإبقائه في السلطة. تذكري، إن مرشحك يقترح تخفيضات في كل مكان - والعديد منهم هنا في واشنطن تماماً. وبالتأكيد، إن السيناتور سيكستون ليس لديه أي ارتياب حول ذكر ميزانية (إف بي آي) المنتفخة

كمثال على إسراف الحكومة في النفقات. وكما أنه يسدد طلقاته إلى (آي آر سي) أيضاً. ربما انزعج من ذلك شخص ما في إحدى تلك المؤسسات.

فهمت غابرييل هذا التضمين، إن الأشخاص في (إف بي آي) و(آي آر سي) لديهم طرقهم للحصول على هذا النوع من المعلومات، ثم يمكن لهم إرسالها إلى البيت الأبيض كخدمة غير مطلوبة للمساعدة في حملة الرئيس الانتخابية. ولكن غابرييل لا تستطيع أن تجعل نفسها تصدق أن السيناتور سيشترك في تمويل الحملة بطريقة غير شرعية أبداً.

"لو أن هذه المعلومات صحيحة". اعترضت غابرييل: "والذي أشك به كثيراً، لماذا لم تقوموا بنشرها علنيةً؟!".

"لماذا برأيك؟".

"لأنها جُمعت بطريقة غير شرعية".

"طريقة جمعها لا تؤثر بشيء".

"بالتأكيد تؤثر، إنها غير مقبولة عند سامعيها".

"أية سامعين؟ يمكننا ببساطة أن نسربها إلى إحدى الصحف، وهم بدورهم ينشرونها على أنها قصة من 'مصدر جدير بالثقة' مع الصور والوثائق. سيكون سيكستون مذنباً إلى أن تثبت براءته. إن موقفه العلني ضد ناسا سيكون بالتأكيد الدليل على أنه يقبل الرشوة".

علمت غابرييل أن ذلك غير صحيح: "حسناً"، تحدثتها ثانية: "إذاً، لماذا لم تقوموا بتسريب هذه المعلومات؟".

"لأنها سلبية، وقد وعد الرئيس بألا يستخدم أموراً سلبية في الحملة وهو يريد أن يلتزم بهذا الوعد لأطول فترة ممكنة".

صحيح! "تخبريني إذاً أن الرئيس شريف جداً لدرجة يرفض فيها إعلان هذا لأن الناس ربما تعتبره أمراً سلبياً؟".

"إنه سلبي للبلد، فهو يتضمن الكثير من الشركات الخاصة والعديد منها مؤلف من أناس شرفاء. إنها تلطخ سمعة مجلس الشيوخ الأميركي، كما أنها رديئة لأخلاق البلد. السياسيون غير الشرفاء يسيئون إلى جميع السياسيين يحتاج الأميركيون إلى الوثوق بقادتهم، وهذا سوف يكون تحقيقاً مروعاً سيقوم على الأغلب بإرسال أحد السيناتورات الأميركيين وعدد ضخم من موظفي الفضاء الموقرين إلى السجن".

رغم أن منطق تينش كان معقولاً بالفعل، إلا أن غابرييل لا تزال تشـك بهذه الادعاءات: "ما علاقة كل هذا بي؟".

"افترضي ببساطة، آنسة آش، لو قمنا بإطلاق هـذه الوثـائق، سـيظهر مرشحك على أنه يعتمد طرقاً غير شرعية لتمويل حملته، وسيخسر مقعده فـي مجلس الشيوخ، والأغلب أنه سيقضي فترة في السجن". صـمتت تيـنش: "إلا إذا.. ".

رأت غابرييل ومضة تشبه الحية في عيني المستشارة. "إلا إذا ماذا؟".

أخذت تينش مجّة دخان طويلة من سيجارتها: "إلا إذا قمت بمساعدتنا على تفادي ذلك".

ساد صمت كثير الضباب في الغرفة.

سعلت تينش بخشونة: "غابرييل، اسمعي، لقد قررت أن أشاركك في هذه المعلومات المؤسفة لثلاثة أسباب. الأول، لأريك أن زاك هيرني رجل جـدير بالاحترام يعتبر ظهور الحكومة بالمظهر الجيد أكثر من مكاسـبه الشخصـية، والثاني، لأعلمك أن مرشحك ليس جديراً بالثقة التي ربما تفكرين بها، والثالث، لأقنعك بالعرض الذي أنا على وشك إخبارك به".

"وهذا العرض هو؟!".

"أرغب أن أعرض عليك الفرصة لتقومي بالشـيء الصـحيح، الشـيء الوطني. سواء أتعلمين ذلك أم لا، أنت في موضع استثنائي لتجنبـي واشـنطن جميع أنواع الفضائح البغيضة. وإذا كان باستطاعتك القيام بالذي على وشك أن أطلبه منك، فربما تستطيعين أن تكسبي لنفسك مكاناً في فريق الرئيس".

مكانٌ في فريق الرئيس؟ لم تستطع غابرييل تصديق ما كانـت تسـمعه. "انسة تينش، مهما كان الذي يدور في عقلك، فلا أفضل أن أكـون مُبتَـزة أو مجبرة أو أن يستخف بي بهذا الكلام. إنني أعمل في حملة السـيناتور لأنني أؤمن بسياسته. ولو كان هذا أية إشارة لطريقة زاك هيرني في ممارسة سلطته السياسية، فليس لديّ أي اهتمام في الانضمام إليه! وإذا كان لديك أي شيء ضد السيناتور سيكستون، فأقترح عليك تسريبه للإعلام. وبصراحة، أظن أن هـذا بأكمله هو مجرد خدعة".

تنهدت تينش بكآبة: "غابرييل، إن طريقة تمويل مرشحك غير الشـرعية أمر حقيقي وأنا متأسفة لذلك، فأنا على علم بأنك تثقين به". ثم أخفضت صوتها:

"انظري، إن قصدي هو أنني والرئيس نستطيع أن ننشر قضية التمويل هذه لو توجب علينا ذلك، ولكنها ستكون أمراً شنيعاً علـــى نطـــاق واســـع. إن هذه الفضيحة ستشمل مؤسسات ضخمة في الولايات المتحدة تنتهك القانون، وسيدفع الثمن العديد من الناس الأبرياء". أخذت مجة طويلة ثم أخرجتها: "ما نأمله أنا والرئيس هنا هو... طريقة أخرى لتكذيب أخلاق الســـيناتور. طريقـــة أكثر احتوائية... طريقة لا يتأثر فيها الأطراف الأبرياء". وضعت تينش ســـيجارتها وثنت يديها. "افترضي ببساطة أننا نريدك أن تعترفي علانية أنك على علاقة غرامية مع السيناتور".

تصلب جسد غابرييل كلياً، وبدا على تينش أنها واثقة تماماً مـــن نفســـها. مستحيل، علمت غابرييل ذلك. ليس هناك أي دليل، فقد تم اللقاء الجنسي مـــرة واحدة فقط، خلف أبواب مغلقة في مكتب سيكستون السيناتوري. لـــيس لـــدى تينش أي شيء، إنها تتصيّد. قاومت غابرييل لتحافظ على نبرة صوتها ثابتـــة: "إنك تفترضين الكثير آنسة تينش".

"ما هو؟ أنك على علاقة مع السيناتور؟ أو أنك ستتخلين عن مرشحك؟".

"الاثنان معاً!".

ابتسمت تينش بفظاظة ونهضت: "حسناً، هيا لنتأكد من إحدى هذه الحقائق الآن!" مشت نحو الخزانة الجدارية مرة أخرى ثم عادت بمصـــنف مـــن ورق المانيلا الأحمر. كان مختوماً بشعار البيت الأبيض. فتحـــت المشـــبك وقلبـــت الظرف لتسقط محتوياتها على المكتب أمام غابرييل. كميات كبيرة من الصور الملونة تناثرت على المكتب. عندها رأت غابرييل عملها بالكامل يتحطم أمامها.

46

خارج القبة الاصطناعية، كانت الرياح السفلية التي تعصف فـــي أســـفل المنحدر الجليدي لا تشبه أبداً رياح المحيطات التي اعتاد عليها تولانـــد. ففـــي المحيط، كانت حركة الرياح تابعة لتيارات المحيط وكتل الضغط المختلفة وتأتي في انفجار المد والجزر. لكن الرياح السفلية تلك هي عبد للفيزياء ببســـاطة رياح باردة ثقيلة تتدافع أسفل حرف المنحدر مثل موجة مدية. كانت هي القـــوة الأكثر تصميماً وعنفاً التي شهدها تولاند من قبل. ولو أنها تأتي بسرعة عشرين عقدة، لكانت الرياح السفلية هي حلم البحارة، ولكن جريانها الحالي يبلغ ثمانين

عقدة، ما يجعلها على الفور كابوساً حتى لأولئك الموجودين على الأرض الصلبة. لاحظ تولاند لو أنه وقف قليلاً ثم انحنى إلى الخلف، فإن الرياح القوية تلك ستدعمه بسهولة.

إن الأمر الذي جعل من نهر الرياح الهائج أكثر إثارة للأعصاب بالنسبة لتولاند كان الانحدار الخفيف المتجه نحو الرياح في الرف الجليدي. حيث كان الجليد منحرفاً قليلاً باتجاه المحيط الموجود على بعد ميلين. ورغم المسامير الحادة للخف المسماري من ماركة 'بيت بول رابيدو' المثبت على جزمته، إلا أن تولاند شعر بارتباك لأن أية زلة قدم ربما ستتركه عالقاً في الرياح ومنزلقاً إلى أسفل المنحدر الجليدي اللانهائي. بدا أن إرشادات نورا التي استمرت دقيقتين متحدثة فيها عن الأمان في المنحدر الجليدي غير وافية بصورة خطيرة الآن.

الفأس الجليدي الضاري، قالت نورا وهي تثبت أداة خفيفة الوزن على شكل T إلى كل من أحزمتهم التي ارتدوها في القبة الاصطناعية، ومزلجة معيارية، ومزلجة على شكل موزة، ومزلجة على شكل نصف أنبوب، ومطرقة، وقدّوم. إن كل ما يجب عليكم تذكره هو أنه في حال انزلق أحدكم أو علق في عصفة رياح، فما عليه سوى الإمساك بالفأس مثبتاً إحدى يديه على رأس الفأس والأخرى على عصاه، ثم يضرب المزلجة التي على شكل الموزة إلى الجليد ويسقط عليها مثبتاً خفه المسماري.

مع كلمات السلامة هذه، ثبتت نورا مانغور أحزمة الأمان من نوع 'ياك' حول كل منهم. ارتدوا جميعاً نظارات الرؤية وتوجهوا خارجاً إلى الظلام في وقت الظهر.

الآن، ذهب الجميع إلى طريقهم أسفل المنحدر في خط مستقيم، يربط بينهم حبل أمان بفاصل عشرة ياردات (9 متر) بين الواحد والآخر. كانت نورا في موضع الرئاسة يتبعها كوركي ثم راشيل ثم تولاند كأنه المرساة.

وبينما هم يبتعدون أكثر عن القبة، شعر تولاند بارتباك متزايد داخل البزّة المنتفخة. رغم دفئها، أحس كأنه رائد فضاء متعثر يشق طريقه بصعوبة في كوكب ناء. اختفى القمر خلف غيوم ثخينة عاصفة ومتلاطمة، فانغمرت بذلك الألواح الجليدية بظلام لا يمكن اختراقه. وبدا أن الرياح السفلية قد بدأت تشتد قوة مع كل دقيقة، منكبة على ظهر تولاند بضغط متواصل. وبينما هو يجهد عينيه عبر النظارات ليتعرف على الفراغ الممتد من حوله، بدأ بإدراك خطر

حقيقي في هذا المكان. سواء أكانت تدابير ناسا الوقائية كافية أم لا، كان تولاند متفاجئاً بأن المدير كان مستعداً للمخاطرة بأربعة أرواح هنا عوضاً عن اثنتين، وخاصة عندما تكون هاتان الروحان هما ابنة السيناتور وعالم فيزيـاء فلكية مشهور. لم يكن تولاند متفاجئاً لأن يشعر باهتمام لحمايـة كـل مـن راشيل وكوركي. فبصفته شخصاً يتزعم سفينة، كـان قـد اعتـاد علـى أن يشـعر بالمسؤولية لأولئك الموجودين حوله.

"ابقوا خلفي!" صاحت نورا وكان صوتها غير واضـح بسـبب الريـاح. "لنترك المزلجة توضح لنا الطريق".

كانت المزلجة مصنوعة من الألمنيوم، تنقل نورا معدات الاختبار عليها، وتشبه مركبة خفيفة مرنة أكبر حجماً من المعتاد. تلك المركبة الصغيرة كانـت مزودة مسبقاً بجهاز تشخيص ومعدات وقائية كانت تستخدمها علـى المنحـدر الجليدي خلال الأيام القليلة الماضية. جميع معداتها - متضمنة علبة البطاريـة وأضواء للسلامة وضوء كشاف قوي مثبت في الأمام - كانـت مقيـدة أسـفل قماش بلاستيكي متين. ورغم تلك الحمولة الثقيلة، انزلقـت المزلجـة دون أي جهد على مجار طويلة مستقيمة. حتى على ذلك الانحدار الضـئيل، تحركـت المزلجة إلى الأسفل دون أي جهد، وطبقت نورا عليها كبحاً قليلاً، وكأنها تسمح للمزلجة بأن ترشدها إلى الطريق.

عندما أدرك أن المسافة تزداد بين المجموعة والقبة، التفت تولانـد مـن على بعد خمسين ياردة (45 متراً) فقط. كان ذلك التقوس الشـاحب للقبـة قـد اختفى بأكمله في الظلام العاصف.

"هل تشعرون بالقلق حول إيجاد طريق عودتنا؟" صاح تولاند: "إن القبـة غير واضحـ..." أعترضت كلماته من قبل هسيس عالٍ من ضوء يلتهب في يد نورا. أضاء اللهيب الأحمر الأبيض المفاجئ الرف الجليدي بمسافة نصف قطر يبلغ عشرة ياردات (9 متر) من حولهم. استخدمت نورا كعب حـذائها لحفـر طبعة صغيرة في الثلج السطحي مكومة فيها طرفاً للحماية باتجاه قدوم الريـاح للحفرة، ثم دكت النور داخل تلك الفجوة.

"تقنية عالية من كسرات الخبز". صاحت نورا.

"كسرات الخبز؟" سألت راشيل وهي تقي عينيها من الضوء المفاجئ.

"من ماركة هانسل وغريتل". صاحت نورا: "إن هذه الأضـواء ستدوم لساعة - وقت كاف لنجد طريق العودة".

بذلك توجهت نورا مرة ثانية، تقودهم إلى أسفل المنحدر - إلى الظلام مرة أخرى.

47

اندفعت غابرييل بغضب خارج مكتب مارجوري تينش وأوقعت عملياً السكرتيرة عند قيامها بذلك مَخزية. كل ما استطاعت غابرييل رؤيته هو تلك الصور - تصوير حي - أيدي وأرجل منجدلة ووجوه مليئة بالنشوة.

لم يكن لغابرييل أية فكرة عن كيفية التقاط تلك الصور، ولكن كل ما عرفته جيداً أنها حقيقية. لقد تم التقاطها في مكتب السيناتور سيكستون ويبدو أنها التقطت من الأعلى وكأنها أخذت بواسطة كاميرا مخفية. ليساعدني الله! تظهر أحد الصور غابرييل وسيكستون يتضاجعان مباشرة في أعلى مكتب السيناتور، وتمتد أجسادهما فوق مجموعة مبعثرة من الوثائق التي يبدو أنها رسمية.

لحقت مارجوري تينش بغابرييل خارج غرفة الخرائط وكانت تينش تحمل ظرف الصور الأحمر. "أفترض من ردة فعلك أن هذه الصور موثوقة؟" بدا أن مستشارة الرئيس ذات المقام الأول تستمتع بوقتها. "أتمنى أنها أقنعتك بأن معلوماتنا الأخرى حقيقية أيضاً. لقد قدموا من المصدر نفسه". شعرت غابرييل أن جسدها بأكمله يتوهج وهي تسير بسرعة إلى أسفل الصالة. أين باب الخروج بحق الجحيم؟

لم تجد قدما تينش النحيلتان مشكلة في إبقائهما متابعة في مشيها: "لقد أقسم السيناتور سيكستون للعالم أنكما زميلان عذريان. كانت عبارته التلفزيونية مقنعة في الواقع". أشارت تينش باعتداد بالنفس بطرف عينها: "حقيقة، يوجد لديّ شريط مسجل في مكتبي لو رغبت بإنعاش ذاكرتك؟".

لم تحتج غابرييل لأي مُذكِر. فهي تتذكر المؤتمر الصحفي بأكمله بشكل جيد جداً، فقد كان إنكار سيكستون صلباً كما كان صادراً من القلب.

"إنه من سوء الحظ". قالت تينش ولا يبدو على صوتها خيبة الأمل على الإطلاق: "لكن سيكستون قد نظر إلى الشعب الأميركي بعينه ثم أخبرهم كذبة مُريبة. إن الشعب لديه الحق أن يعلم وسيعرف ذلك. سأهتم بذلك شخصياً، ولكن السؤال الوحيد الآن هو كيف سيتم ذلك، نحن نعتقد أنه من الأفضل أن تصدر منك".

أُصيبت غابرييل بصدمة: "أتعتقدين حقاً أنني سأساعد في إعدام مرشحي بدون محاكمة؟".

تحجر وجه تينش: "أنا أحاول اختيار الأفضلية لك يا غابرييل، فأعطيك الفرصة لأن تجنبي الجميعَ الكثيرَ من الإحراجِ من خلال أن ترفعي رأسك عالياً وتقولي الحقيقة. كل ما أريده هو تصريح موقع تعترفين فيه بعلاقتك".

تلعثمت غابرييل: "ماذا!".

"بالتأكيد، إن تصريحاً موقعاً يمنحنا القوة التي نحتاج إليها لنتعامل مع السيناتور بهدوء، مجنبين البلد تلك الفوضى المروّعة. إن عرضي بسيط: وقعي التصريح لي، ولن ترى هذه الصور الضوء على الإطلاق".

"تريدين تصريحاً؟".

"عملياً، أريد شهادة خطية، لدينا هنا كاتب عدل في البناء يستطيع –".

"أنت مجنونة!" قالت غابرييل وهي تمشي مرة ثانية.

بقيت تينش إلى جانبها، ويبدو أنها أكثر غضباً الآن: "إن سيكستون سيهزم بطريقة أو بأخرى يا غابرييل، وأنا أعرض عليك فرصة للتخلص من هذا دون أن تري مؤخرتك العارية في جرائد الصباح! إن الرئيس رجل مستقيم ولا يرغب بنشر هذه الصور. لو قمت بإعطائي شهادة خطية فقط واعترفت بعلاقتك معه بلغتك الخاصة، فإن كل منا سيحتفظ بالقليل من الكرامة".

"أنا لست للبيع!".

"حسناً ولكن مرشحك كذلك بالتأكيد. إنه رجل خطير يقوم بالاعتداء على القانون".

"يعتدي على القانون؟ أنتم الذين تعتدون على المكاتب وتلتقطون صور مراقبة غير شرعية! ألم تسمعي بفضيحة البيت الأبيض؟".

"ليس لنا أية علاقة بجمع تلك القذارة. إن هذه الصور قد أتت من المصدر نفسه مع المعلومات عن تمويل الحملة من قبل (إس إف إف). لا بد أن شخصاً ما كان يراقبكما أنتما الاثنان عن قرب".

عبرت غابرييل المكتب الأمني حيث تلقت الإشارة الأمنية. مزقت تلك الإشارة وقذفتها إلى الحارس المشدوه. كانت تينش لا تزال تتبعها.

"يتوجب عليك أن تقرري بسرعة، آنسة آش". قالت تينش عندما اقتربتا من المخرج. "إما أن تحضري لي شهادة خطية تعترفين فيها أنك قد ضاجعت

السيناتور أو في الساعة الثامنة من هذه الليلة سيجبر الرئيس أن ينشر هذه الصور علنياً مع كل شيء - معاملات سيكستون المالية، وصورك والأعمال الأخرى. وصدقيني أنه عندما يرى الجمهور أنك تقفين بتفاهة وتتركين سيكستون يكذب حول علاقتكما، عندها سوف تصبحين في نار متقدة جنباً إلى جنب معه".

رأت غابرييل الباب فتوجهت إليه فوراً.

"على مكتبي في الساعة الثامنة مساءً يا غابرييل، كوني ذكية". قذفت تينش بمصنف الصور عندما كانت غابرييل في طريقها إلى الخارج: "احتفظي بهم، عزيزتي، لدينا الكثير منهم".

48

شعرت راشيل بقشعريرة متزايدة وهي تتحرك إلى الأسفل على اللوح الجليدي إلى الليل العميق. صور مزعجة دارت في مخيلتها - الحجر النيزكي، العوالق المتألقة، وماذا يمكن أن يحدث إذا كانت نورا مانغور قد أخطأت بالعينات الجليدية.

قالب صلب من جليد المياه العذبة، حاولت نورا أن تبرهن ذلك مذكرة إياهم أنها قد قامت بأخذ عينات في جميع أنحاء المنطقة، بالإضافة إلى أنها أخذت بعضاً منها مباشرة فوق الحجر النيزكي. ولو أن الجبل الجليدي يحتوي على فرج من المياه المالحة المليئة بالعوالق لكانت رأتها، أليس كذلك؟ رغم ذلك، كان حدس راشيل يدعوها إلى الحل الأبسط.

هناك عوالق متجمدة في هذا المنحدر الجليدي.

بعد عشر دقائق وأربعة أضواء، كانت راشيل والآخرون على بعد 250 ياردة تقريباً عن القبة الاصطناعية. ودون أي تحذير، قالت نورا متلعثمة: "هذه هي البقعة". قالت وهي تبدو كعرافة مائية تستنبئ بالعصا. قد أحست روحياً بالبقعة المناسبة لأن تثقب فيها بحثاً عن البئر.

التفتت راشيل ونظرت إلى المنحدر من خلفهم. لقد مضى فترة طويلة على اختفاء القبة الاصطناعية في الليل المظلم المضاء بنور القمر، ولكن خط الأضواء كان مرئياً بشكل جيد، فإن أبعدها كان يتلألأ معيداً طمأنينتهم مثل فحم باهت. لقد كانت الأضواء مصطفة بخط مستقيم رائع، مثل مجرى محسوب

بعناية. كانت راشيل متأثرة بمهارات نورا.

"سبب آخر يجعلنا نترك المزلجة تقودنا في البداية". قالت نورا بصوت عالٍ عند رؤيتها أن راشيل معجبة بذلك الخط من الأضواء. "أن مجاري المزلجة مستقيمة، وعندما ندع الجاذبية تقود المزلجة دون أن نتدخل، سنضمن أن نسلك طريقاً مستقيماً".

"حيلة بارعة". قال تولاند: "أتمنى أن يكون هناك شيء مثلها في البحار الواسعة".

هذه هي البحار الواسعة، فكرت راشيل وهي تتصور المحيط أسفلهم. وبجزء من الثانية، جذب أبعد الأضواء انتباهها. لقد اختفى، وكأن النور قد احتجب من قبل بشكل عابر. وبعد لحظة، ظهر النور من جديد، فشعرت راشيل بارتباك مفاجئ. "نورا"، صاحت وقد علا صوتها على صوت الرياح: "هل قلت إن هناك دبباً قطبية هنا؟".

كانت عالمة الجليد تحضر الضوء الأخير، فهي إما لم تسمعها أو تجاهلتها.

"الدبب القطبية"، صاح تولاند: "تأكل الفقمة، إنهم يهجمون على الإنسان فقط عندما يعتدي على مكانهم".

"ولكن هذا هو بلد الدب القطبي، صحيح؟" لم تستطع راشيل أن تتذكر أياً من القطبين يعيش فيه الدب وأياً منهما يعيش فيه البطريق.

"صحيح". صاح تولاند مجيباً: "في الواقع، إن الدبب القطبية هي التي تعطي للقطب اسمه. كلمة 'أركتوس' هي الاسم الإغريقي للدب".

"رائع". نظرت راشيل بارتباك إلى الظلام.

"إن الأنتاركتيكا ليس فيها دبب قطبية". قال تولاند: "لذا يدعونها باسم 'ضد - قطبي'".

"شكراً جزيلاً، مايك" صاحت راشيل: "كفى حديثاً عن الدبب القطبية".

ضحك هو: "صحيح، إني متأسف".

وضعت نورا الضوء الأخير داخل الثلج. وكما سبق، انغمروا أربعتهم بتوهج محمر فبدو متضخمين ببذاتهم الجوية السوداء. ومن وراء دائرة الضوء التي تشع نوراً، أصبحت بقية العالم غير مرئية على الإطلاق، فقد غمرهم غطاء دائري من السواد.

وبينما نظرت راشيل والآخرون، ثبتت نورا قدميها وحركت يديها بحذر لتلف المزلجة على بعد عدة ياردات من المنحدر إلى المكان الذي يقفون فيه. بعدها، تركت الحبل مشدوداً، وانحنت وفعّلت يدوياً مخالب الفرامل - وهي مسامير بأربع زوايا تعمقت داخل الجليد لتحافظ على ثبات المزلجة. وبعد أن انتهت، نهضت ونظفت نفسها، فسقط الحبل حول خصرها متدلياً.

"حسناً"، صاحت نورا: "حان الوقت للذهاب إلى العمل".

دارت عالمة الجليد إلى النهاية المتوهجة باتجاه الرياح للمزلجة وبدأت بفك تثبيت الحبال في الحلقات المعدنية ذات الشكل الفراشي، وهي التي تثبت القماش الواقي للعدة. فتحركت راشيل التي كانت تشعر بأنها قاسية بعض الشيء على نورا لمساعدتها من خلال فك تثبيت النهاية الخلفية للقماش.

"لا، من أجل إلهي!" صاحت نورا وقد قصفت وجهها نحو الأعلى. "لا تفعلي ذلك أبداً!".

تراجعت راشيل مرتبكة.

"لا تفكي تثبيت الجانب المعاكس للرياح!" قالت نورا: "ستتسببين بإحداث ضربة عنيفة للرياح! وستطير هذه المزلجة مثل مظلة في نفق رياح!".

تراجعت راشيل: "أنا آسفة. أنا...".

نظرت إليها: "لا يتوجب أن تكوني أنت وصبي الفضاء هذا هنا في الخارج".

لا أحد منا يتوجب أن يكون كذلك، فكرت راشيل.

هواة، اهتاجت نورا وهي تلعن المدير لإصراره على إرسال كوركي وراشيل معها. سيتسبب هذان المهرجان بمقتل أحدنا هنا في الخارج. إن آخر شيء أرادته نورا الآن هو أن تقوم بدور حاضنة أطفال.

"مايك". قالت هي: "أريد مساعدتك في رفع (جي بي آر) خارج المزلجة".

قام تولاند بمساعدتها في فك 'الرادار المخترق للأرض' ووضعه على الجليد. بدا ذلك الجهاز أشبه بثلاث شفرات مصغرة لمحراث الثلج، والتي تثبت بتوازن إلى هيكل من الألمنيوم. كان الجهاز بأكمله لا يزيد طوله على يارده واحدة (9 سم)، وكان متصلاً بواسطة أسلاك معدنية إلى مخفض إشارات كهربائية وبطارية ملاحية على المزلجة.

"هذا رادار؟" سأل كوركي بصياح يعلو صوت الرياح.

هزّت نورا رأسها موافقة من دون أن تتكلم. إن الرادار المخترق للأرض هو أكثر تجهيزاً لرؤية الجليد الملحي من بودس. فإن جهاز الإرسال الخاص بالـ (جي بي آر) هذا يرسل نبضات من الطاقة الكهرطيسية عبر الجليد، فترتد النبضات بشكل مختلف عن المواد التي تختلف في بنية بلوراتها. حيث إن المياه الصافية المتجمدة في مستوى معين تتراكب على شكل نظام شبكي، لكن المياه البحرية تتجمد في نظام أكثر تشابكاً أو تشعباً وذلك بسبب محتواها من الصوديوم، مسببة ارتداد النبضات بشكل شاذ، مما يقلل بشكل كبير من عدد الانعكاسات.

أشعلت نورا تلك الآلة ثم صاحت: "سأقوم بالتقاط صورة لمقطع عرضي لتحديد مواقع الصدى للصفيحة الجليدية حول حفرة الاستخراج. إن البرنامج الداخلي لهذه الآلة سيرسم صورة لمقطع عرضي للمنحدر الجليدي ومن ثم يقوم بطباعتها. وكل جليد بحري سيتسجل كالظل".

"ورقة مطبوعة؟" نظر إليها تولاند مستغرباً. "تستطيعين الطباعة هنا؟".

أشارت نورا إلى سلك من الآلة يتجه إلى جهاز آخر لا يزال محمياً تحت الغطاء: "ليس لدينا خيارٌ إلا الطباعة. فإن شاشات الكمبيوتر تستخدم الكثير من طاقة البطارية القيمة، لذا فإن علماء الجليد المدنيين يقومون بطبع معلوماتهم بواسطة طابعات تحويل الحرارة... لا تكون الألوان لامعة، ولكن الحبر الليزري يتكتل تحت درجة عشرين تحت الصفر. لقد تعلمت ذلك في ألاسكا بصعوبة.

طلبت نورا من الجميع الوقوف على جانب المنحدر من الآلة بينما كانت تحضر لتصف جهاز الإرسال فيتمكن من فحص منطقة حفرة الحجر النيزكي التي تبعد مسافة حوالى ثلاثة ملاعب كرة قدم. ولكن عندما نظرت نورا إلى الخلف عبر الظلام في الاتجاه العام الذي أتوا منه، لم تستطع رؤية أي شيء. "مايك، أحتاج إلى أن أرصف جهاز إرسال هذه الآلة مع موقع الحجر النيزكي، لكن هذا الضوء يمنعني من الرؤية. سأعود خلفاً إلى المنحدر لأتمكن من التخلص من هذا النور. سأمسك ذراعي بتراصف مع الأضواء، وأنت تقوم بضبط الاصطفاف على جهاز (جي بي آر)".

أومأ تولاند بالإيجاب جاثياً إلى الأسفل بجانب جهاز الرادار.

داست نورا بخفها المسماري في الجليد بقوة وانحنت إلى الأمام باتجاه

القبة الاصطناعية عكس الرياح التي تتحرك إلى أعلى المنحدر. إن الرياح السفلية اليوم أكثر قوة مما توقعته، كما أنها أحست بقدوم عاصفة. لم يهمهما ذلك، فسوف ينتهي كل شيء خلال بضع دقائق. سيرون أنني على حق. مشت نورا بتثاقل مسافة عشرين ياردة (18 متراً) إلى الخلف باتجاه القبة، إلى أن وصلت طرف الظلام، حتى اشتد الحبل المثبت حولها. نظرت نورا إلى المنحدر الجليدي وعندما تكيفت عيناها مع الظلام، استطاعت ببطء رؤية الأضواء على بعد درجات قليلة على يسارها. غيّرت وضعيتها إلى أن أصبحت بشكل تام على نفس الخط معهم، ومن ثم مدت ذراعيها كالبوصلة والتفتت بجسدها مشيرة إلى الاتجاه نفسه.

صاحت قائلة: "أنا على نفس الاستقامة معهم الآن!".

قام تولاند بضبط جهاز (جي بي آر) ولوح لها: "كل شيء مضبوط!".

أخذت نورا نظرة أخيرة إلى المنحدر ممتنة لطريق العودة المضيء. وبينما هي تنظر، حدث شيء غريب. للحظة، اختفى أحد الأضواء القريبة عن الرؤية بأكمله وقبل أن تقلق نورا على انطفائه، عاد الضوء ثانية. ولو أن نورا لم تكن كثيرة المعرفة، لظننت أن شيئاً ما قد مر بين الضوء وموقعها. ولكن بالتأكيد لم يكن هناك أحد خارجاً... إلا إذا بدأ المدير يشعر بالذنب وأرسل طاقم ناسا خلفهم. ولكن نورا شكت بذلك بطريقة ما. ربما ليس هناك شيء، قررت ذلك. عصفة من الرياح قد أطفأت الضوء للحظة.

عادت نورا إلى (جي بي آر): "كل شيء مصطف تماماً".

هزّ تولاند كتفيه: "أظن ذلك".

ذهبت نورا إلى آلة التحكم على المزلجة وضغطت زراً، فانبعث طنين حاد من (جي بي آر) ثم توقف: "حسناً، انتهى الأمر".

"هذا كل شيء؟" قال كوركي.

"العمل بأكمله هو التحضير للصورة، أما التقاط الصورة فيستغرق ثانية فقط".

على متن المزلجة، بدأت الطابعة المحولة للحرارة بالطنين والقرقعة. كانت الطابعة محصورة داخل غطاء بلاستيكي شفاف وكانت تحرر ببطء ورقة ثقيلة ملتفة. انتظرت نورا إلى أن انتهت الآلة من الطباعة، ومن ثم مدت يدها أسفل البلاستيك وأخذت الورقة. سيرون، فكرت بذلك وهي تحمل الورقة إلى

الضوء ليتمكن الجميع من رؤيتها. لن يكون هناك أية مياه مالحة.

احتشد الجميع بينما وقفت نورا أمام الضوء وهي تقبض علـى الورقة بإحكام بين قفازيها. أخذت نَفَساً عميقاً ومـن ثـم أسـدلت الورقـة لتتفحص المعلومات. جعلتها الصورة الموجودة على الورقة ترتد برعب.

"يا إلهي!" نظرت نورا وهي غير قادرة على تصديق ما كانت تنظر إليه، وكما كان متوقعاً، فإن الورقة المطبوعة أظهرت مقطعاً عرضياً واضحاً لحفرة الحجر النيزكي المملوءة بالمياه، ولكن الشيء الذي لم تكن نورا تتوقع رؤيتـه هو صورة غائمة رمادية لجسد يشبه إنساناً يطوف في منتصف المسافة أسـفل الحفرة. تجمد دمها: "يا إلهي... هناك جسد في حفرة الاستخراج".

نظر الجميع بصمت مصعوق.

كان الجسد الشبيه بالشبح يطوف ورأسه إلى الأسفل في الحفرة الضـيقة. منتفخةً حول الجثة كشيء يشبه الرداء كانت هالة مخيفة تشبه الكفن. أدركـت نورا الآن ما هي هذه الهالة. فقد استطاع (جي بي آر) أن يلتقط أثـراً باهتـاً لمعطف الضحية الثقيل، والذي كان معطفاً طويلاً من وبر الجمل الكثيف.

"إنه... مينغ". همست بذلك: "لا بد وأنه انزلق...".

لم تتخيل نورا مانغور أن رؤية جسد مينغ في حفرة الاستخراج سـيكون أقل الصدمتين اللتين تم الكشف عنهما من الورقة المطبوعـة. ولكـن عنـدما نظرت عيناها إلى أسفل الحفرة، رأت شيئاً آخر.

الجليد أسفل عمود الاستخراج...

نظرت نورا، كان ظنها في البداية أن خطأ ما قد حدث لجهـاز المسـح ولكن، بعد أن تفحصت الصورة عن قرب أكثر، بـدأ إدراك مقلـقٌ بالازديـاد عندها، كالعاصفة المتجمدة حولها. رفرفت أطراف الورقة بعنف بسبب الرياح بينما التفتت هي ونظرت بتركيز أكثر إلى الورقة المطبوعة.

لكن... هذا مستحيل!

فجأة، ظهرت الحقيقة بصخب واضح أمامها. شعرت بذلك الإدراك أنـه سيدفنها. نسيت كل شيء يتعلق بمينغ.

فهمت نورا الآن. المياه المالحة في الحفرة! سقطت على ركبتيهـا فـوق الجليد أمام الضوء. واستطاعت أن تتنفس بصعوبة بالغة، وهي لا تزال تقبض على الورقة بإحكام في يدها ثم بدأت ترتجف.

يا إلهي... إن ذلك لم يكن حتى ليخطر على بالي.

ثم، وباهتياج مفاجئ من الغضب، أدارت رأسها بقوة باتجاه قبة ناسا الاصطناعية: "أيها الكاذبون!" صرخت وكان صوتها ينتشر في الرياح: "تباً لكم من كاذبين!".

وفي الظلام، على بعد خمسين ياردة (45 متراً) فقط، أمسك دلتا واحد بجهاز 'كريب تالك' أمام فمه وقال كلمتين فقط إلى قائده: "إنهم يعرفون".

49

كانت نورا مانغور لا تزال جاثية على الجليد عندما قام مايكل تولاند المذهل بسحب ورقة الرادار المخترق للأرض من يديها المرتجفتين. وبعد أن ارتعش من رؤية جسد مينغ الطافي، حاول تولاند أن يجمع أفكاره وأن يكتشف معاني الصورة التي أمامه.

شاهد المقطع العرضي لحفرة الحجر النيزكي تنحدر من السطح إلى مسافة مئتي قدم (60 متراً) في الجليد. رأى جسد مينغ يطفو في الحفرة. اتجهت عيناه إلى الأسفل، أحس بوجود شيء خاطئ. أسفل حفرة الاستخراج مباشرة، هنالك عمود مظلم من جليد البحر يمتد باتجاه الأسفل إلى المحيط أدناه. ذلك العمود الشاقولي من مياه البحر كان كبيراً - يبلغ قطره قطر الحفرة نفسه.

"يا إلهي!" صاحت راشيل وهي تنظر من فوق أكتاف تولاند: "يبدو وكأن حفرة الحجر النيزكي تتابع طريقها عبر الرف الجليدي وصولاً إلى المحيط!".

وقف تولاند متحجراً وعقله غير قادر على قبول ما عرف أنه التفسير المنطقي الوحيد. كما بدا على كوركي الذعر نفسه.

صاحت نورا: "شخص ما قد حفر أسفل الرف الجليدي!" كانت عيناها جامحتين بسبب الغضب: "شخص ما قد أدخل عمداً تلك الصخرة من أسفل الجليد!".

رغم أن المثالية التي يتمتع بها تولاند أرادت أن ترفض كلمات نورا إلا أن العالِم في داخله عرف أنها يمكن أن تكون محقة من دون شك. إن الرف الصخري الجليدي في ميلني يطفو فوق المحيط تاركاً فسحة فارغة كبيرة تكفي لغواصة. ولأن كل شيء يكون أخف وزناً تحت الماء بشكل كبير، فباستطاعة غواصة صغيرة، لا تكون أكبر حجماً بكثير من غواصة تولاند البحثية المعدة

لشخص واحد والمسماة 'تريتون'، بسهولة أن تنقل الحجر النيزكي باستعمال أذرعتها الناقلة. فيمكن أن تكون الغواصة قد اقتربت من المحيط ثم غطست أسفل الرف الجليدي وثقبت باتجاه الأعلى إلى الجليد. وبعدها، استخدمت سا حمولة ممتداً أو بالوناً قابلاً للنفخ لدفع الحجر النيزكي إلى الحفرة. وحالما أصبح الحجر النيزكي في مكانه تكون قد بدأت مياه المحيط التي ارتفعت إلى الحفرة من خلف الحجر النيزكي بالتجمد. وعندما انغلقت الحفرة بشكل يكفي لتثبيت الحجر النيزكي في مكانه، قامت الغواصة بسحب ساعدها ثم اختفت تاركة الطبيعة الأم تحكم إغلاق ما تبقى من النفق وتمحي جميع آثار الخدعة.

"ولكن لماذا؟" سألت راشيل وهي تأخذ الورقة من تولاند وتتفحصها. "لماذا سيفعل شخص ما ذلك؟ هل أنت متأكدة من أن (جي بي آر) تعمل؟".

"بالطبع، أنا متأكدة! كما أن الورقة توضح بشكل واضح وجود العوالق المتلألئة في المياه!".

كان على تولاند أن يعترف أن منطق نورا كان مقبولاً تماماً ولكنه مخيف. فالسوطيات الدوارة المتلألئة قد تبعت غريزتها وسبحت باتجاه الأعلى إلى حفرة الحجر النيزكي فعلقت أسفله وتجمدت في الجليد. وبعدها، عندما قامت نورا بتسخين الحجر النيزكي، ذاب الجليد أسفله مباشرة، مطلقاً بذلك العوالق. ومرة أخرى، سبحت باتجاه الأعلى، ولكن هذه المرة وصلت إلى السطح داخل القبة الاصطناعية، وهناك ماتت في النهاية بسبب نقص المياه المالحة.

"هذا جنون!" صاح كوركي. "تمتلك ناسا حجراً نيزكياً في داخله مستحاثات. لماذا سيهتمون بالمكان الذي وجد فيه؟ لماذا يتكلفون عناء دفنه داخل الرف الجليدي؟".

"من يعرف بحق الجحيم؟" أجابته نورا بغضب: "لكن الأوراق المطبوعة من قبل (جي بي آر) لا تكذب. لقد تم خداعنا. إن هذا الحجر النيزكي ليس جزءاً من سقوط جينغرسول. لقد تم وضعه في الجليد مؤخراً، خلال السنة الماضية أو كان للعوالق أن تموت!" كانت قد بدأت بجمع معدات (جي بي آر) على المزلجة وتثبتها في الأسفل. "علينا العودة وإخبار أحد ما! إن الرئيس على وشك أن يصرح بجميع تلك المعلومات الخاطئة! لقد خدعتنا ناسا!".

"انتظري دقيقة". صاحت راشيل: "يتوجب علينا إجراء فحص آخر على

الأقل لنتأكد. لا شيء من هذا يبدو مفهوماً، من سيصدق ذلك؟".

"الجميع". قالت نورا وهي تجهز المزلجة: "عندما أصل إلى القبة الاصطناعية وأقوم بثقب عينة أخرى في أسفل حفرة الحجر النيزكي، وسيتبين أنها جليد من المياه المالحة. أضمن لك أن الجميع سيصدق هذا!".

حررت نورا الفرامل من المزلجة المجهزة وقامت بتوجيهها من جديد باتجاه القبة الاصطناعية. بدأت العودة إلى أعلى المنحدر، مثبتة خفها المسماري في الجليد وتسحب المزلجة من خلفها باطمئنان مفاجئ. كانت امرأة المهمات.

"هيا نذهب!" صاحت نورا، وهي تسحب المجموعة المربوطة بحبل معها وتتوجه إلى محيط الدائرة المضيئة. "لا أعلم ما الذي ستقوم به ناسا، لكنني بالتأكيد لا أريد أن يتم استخدامي كلعبة من أجل -".

ارتدت رقبة نورا مانغور إلى الخلف وكأنها اصطدمت في جبهتها بقوة هائلة ثم أطلقت من حنجرتها صيحة من الألم. ارتعشت ومن ثم انهارت إلى الخلف على الجليد. وعلى الفور تقريباً، أطلق كوركي صياحاً ودار بسرعة وكأن كتفه قد دفعت إلى الخلف. سقط على الجليد وهو يتلوى من الألم.

نسيت راشيل على الفور كل ما يتعلق بالورقة المطبوعة في يدها وميننغ والحجر النيزكي والنفق الغريب أسفل الجليد. شعرت فقط بقذيفة صغيرة قد مست أذنها، وقد اقتربت قليلاً من صدغها. وبالفطرة، انخفضت جاثية جاذبة تولاند إلى الأسفل معها.

"ما الذي يحدث؟" صاح تولاند.

عاصفة بَرَد. كان هذا كل ما استطاعت راشيل تصوره - كرات من الجليد تهب بقوة أسفل المنحدر الجليدي - ولكن من القوة التي قد ضُرب فيها كوركي ونورا، علمت راشيل أن هذه العاصفة تتحرك بسرعة مئات الأميال في الساعة. وبشكل مخيف، فالوابل المفاجئ للأشياء التي بحجم البلية تبدو أنها الآن تركز على راشيل وتولاند. تتقذف من حولهم، مرسلة أعمدة من جليد متفجر. تدحرجت راشيل على معدتها ثم ثبتت مقدمة خفها المسماري في الجليد واتجهت نحو الغطاء الوحيد المتوفر، المزلجة. وصل تولاند بعدها بلحظة، زاحفاً ومنحنياً إلى جانبها.

نظر تولاند إلى نورا وكوركي وهما غير محميين على الجليد: "اسحبيهما

بواسطة الحبل المربوط!" صاح وهو يمسك الحبل ويحاول السحب.

ولكن الحبل كان مقيداً حول المزلجة.

وضعت راشيل الورقة المطبوعة في جيب الفيلكرو داخل بذلتها 'مـارك IX' وزحفت على أطرافها الأربعة باتجاه المزلجة محاولة فك الحبل من ساقي المزلجة. كان تولاند خلفها مباشرة.

وفجأة بدأت عاصفة البَرَد تمطر بوابل باتجاه المزلجة، وكأن الطبيعة الأم قد تخلت عن كوركي ونورا وتوجهت مباشرة نحو راشيل وتولانـد. انـدفعت إحدى هذه القذائف إلى أعلى قماش المزلجة، منطمرة جزئياً داخلها، ومن ثـم ارتدت وحطت على كم معطف راشيل.

عندما رأتها راشيل تجمدت. خلال لحظة، تحول ذلك الذهول إلى ذُعر.

إن 'حبات البرد' هذه كانت مصنوعة يدوياً. كان شكل كرة الجليد علـى كمها خالياً من أي خلل وبحجم كرزة كبيرة ذات شكل مصقول وأملس، مشوهة فقط بخط لدرزة حول المحيط مثل كرات رصاص البندقية القديمة التي كانـت تصنع في المكبس. تلك الرصاصات الزائفة الكروية هي من دون شـك مـن صنع الإنسان.

رصاص جليدي...

بصفتها على إطلاع بالأمور العسكرية، كانت راشيل علـى علـم جيـد بالأسلحة التجريبية (آي إم) - ذخائر مرتجلة[30] - بنادق ثلجية تقـوم بإدمـاج الثلج إلى كرات جليدية، وبنادق صحراوية تصهر الرمال إلى قذائف زجاجية، وأسلحة تعتمد على المياه تقذف موجات من المياه السائلة بقوة يمكنها أن تكسر العظام. إن الأسلحة المرتجلة لها فوائد كبيرة تفـوق الأسـلحة التقليديـة، لأن أسلحة (آي إم) تستخدم مصادر متوفرة وذخائر تصنع ببساطة في المكان نفسه. إنها تزود الجنود بحشوات لا تنتهي من دون أن يتكلفوا عناء رصاص تقليـدي ثقيل. إن الكرات الجليدية التي تتقذف عليهم الآن، علمت راشيل، أنها تُضـغط 'عند الطلب' من خلال تعبئة الجليد في عَقب البندقية.

كما هو الحال غالباً في العالم الاستخباراتي، كلما علم الشـخص أكثـر، أصبح السيناريو أكثر إخافة. هذه اللحظة لم تكن مستثناة، فقد فضلت راشيل لو أنها تجهل الأمر لكانت في منتهى السعادة، ولكن معلوماتها عن أسلحة (آي إم)

---

30 يرتجل: يستعيض عن شيء ما باستعمال المواد الموجودة لصناعة مماثل لذلك الشيء.

أوصلتها على الفور إلى استنتاج واحد مخيف: إنهم يُهاجمون من قبل نوع من قوات العمليات الخاصة الأميركية. فهي القوات الوحيدة التي يحق لهـا حاليـاً استخدام أسلحة (آي إم) التجريبية في الميدان.

إن وجود وحدة عمليات عسكرية سرية جلبت خلال ثانية إدراكـاً أكثـر إخافة: إمكانية النجاة من هذا الهجوم هي قريبة من الصفر.

هذه الفكرة المروعة قد انتهت بإحدى هذه القذائف التـي وجـدت فتحـة فانطلقت بقوة من خلال جدار إحدى المعدات على المزلجة لتصطدم بمعـدتها. ورغم حشوة بذلتها، شعرت راشيل وكأن ملاكماً محترفاً خفياً قد ثقب أحشاءها. بدأت النجوم ترقص حول محيط رؤيتها وتأرجحت إلى الخلف، قابضة جهـازاً على المزلجة من أجل الحفاظ على توازنها. أسقط مايكل تولاند الحبل المربوط مع نورا واندفع ليساعد راشيل، ولكنه وصل متأخراً. سـقطت راشـيل إلـى الخلف، ساحبة كومة من المعدات معها. تشقلبت هي وتولاند على الجليد فـي كومة من الأجهزة الإلكترونية.

"إنها... رصاص". لفظت لاهثة، وقد كان الهواء يتـدافع لحظتهـا فـي رئتيها: "اهرب!".

50

كان قطار المترو الكهربائي النفقي في واشنطن يغادر الآن محطة المثلث الفيدرالي ولا يستطيع الانطلاق من البيت الأبيض بسرعة كافية لغابرييل آش. جلست متصلبة في زاوية مهجورة للقطار وهي ترى أشكالاً مظلمـة تتمـزق خارجاً في الضباب. كان الظرف الأحمر الكبير لمارجوري تينش يجلس فـي حضن غابرييل، يضغط عليها وكأنه وزن يبلغ عشرة أطنان.

يتوجب أن أتحدث إلى سيكستون! فكرت بذلك، وقد كانت سرعة القطـار تزداد الآن باتجاه بناء مكتب سيكستون. على الفور!

الآن، تحت ضوء القطار المتنقل المظلم، شعرت غابرييل وكأنها تعـاني نوعاً من نوبات عقاقير الهلوسة. أضواء صامتة كانت تضرب فوق رأسها مثل ومضات ضوئية بطيئة الحركة في حانة الرقص. كان النفق المضجر يحيط من جميع الجوانب مثل وادٍ ضيق يتعمق.

أخبرني أن هذا لا يحدث الآن.

نظرت إلى الظرف في حضنها.

فكت المشبك ومدت يدها إلى الداخل وأخرجت إحدى الصور. ومضت الأضواء الداخلية في القطار للحظة، ذلك الوهج المزعج أنار صورة مروّعة سيدجويك سيكستون يتمدد عارياً في مكتبه ووجهه الراضي ملتف باتجاه الكاميرا تماماً، بينما جسد غابرييل الداكن ممدود هو الآخر عارياً إلى جانبه.

ارتعشت ثم أعادت الصورة إلى الداخل وتعثرت وهي تعيد إغلاق الظرف.

لقد انتهى الأمر.

عندما خرج القطار من النفق وصعد إلى مساره فوق سطح الأرض جانب ساحة ليفانت، التقطت جهازها الخليوي واتصلت برقم الخليوي الخاص بالسيناتور، فأجابها البريد الصوتي. وبحيرة، اتصلت بمكتب السيناتور، فأجابتها السكرتيرة.

"أنا غابرييل، هل هو موجود؟".

بدا على السكرتيرة الانزعاج: "أين كنت؟ لقد كان يبحث عنك".

"كنت في لقاء واستغرق وقتاً طويلاً، أريد التحدث معه على الفور".

"يجب عليك الانتظار حتى الصباح، إنه في ويست بروك".

شقق الرفاهية في ويست بروك كان البناء الذي جعل فيه سيكستون مكان إقامته في واشنطن. "إنه لا يجيب على الخط الخاص؟" قالت غابرييل.

"لقد قطع الاتصالات لهذه الليلة على أنها (بي إي)؟" ذكّرتها السكرتيرة: "لقد غادر باكراً".

عبست غابرييل. حدث خاص. بسبب كل ذلك الاهتياج، نسيت غابرييل أن سيكستون قد منح نفسه الانفراد هذه الليلة في المنزل. وهو يدقق بشدة على ألا يزعجه أحد خلال أوقات (بي إي).

اقرعي الباب فقط إذا كان المبنى يحترق، هو يقول هذا. أما غير ذلك، فيستطيع الانتظار حتى الصباح. قررت غابرييل أن بناء سيكستون يحترق بالتأكيد. "أريد منك الوصول إليه على الفور".

"مستحيل".

"إنه أمر خطير، حقاً -".

"لا، أقصد أن ذلك مستحيل تماماً. فقد ترك البيجر على مكتبي وهو في طريق خروجه وأخبرني أنه لا يريد أن يزعجه أحد في هذه الليلة أبداً. لقد كان

صارماً". صمتت قليلاً: "أكثر من المعتاد".

تبأ. "حسناً، شكراً". أغلقت غابرييل الخط.

"ساحة ليفانت". أصدر ذلك صوت مسجل في سيارة النفق. "عقدة مواصلات لجميع المحطات".

أغلقت عينيها وحاولت غابرييل أن ترتب عقلها، ولكن الصور المدمرة تسارعت خلاله... الصور الفظيعة لها وللسيناتور... كومة الوثائق التي تزعم أن سيكستون يأخذ رشوة. حتى إن غابرييل لا تزال تستطيع سماع مطالب تينش المثيرة للأعصاب: "افعلي الشيء الصحيح. وقعي على شهادة خطية، اعترفي بالعلاقة".

عندما أطلق القطار صوتاً عالياً وهو يسرع في طريقه إلى المحطة، أجبرت غابرييل نفسها أن تتخيل ما الذي سيفعله سيكستون فيما لو انتشرت هذه الصور في الصحف، أول شيء اندفع في عقلها كان صدمةً وعاراً لها.

سيكذب سيكستون.

هل هذا بالفعل هو حدسها الأول الذي يتعلق بمرشحها؟

نعم، سيكذب... بذكاء.

عند صدور هذه الصور في الصحف من دون اعتراف لغابرييل بالعلاقة، فإن السيناتور سيدعي ببساطة أن هذه الصور هي تزوير فاحش. لقد كان هذا عصر تحرير الصور الرقمية؛ أي شخص يدخل على الإنترنت يعلم وجود صور مخادعة خالية من أي عيب، ومعاد معالجتها لرؤوس أشخاص مشهورين موضوعة رقمياً على أشخاص آخرين يكونون عادة من نجوم الفن الإباحي الذين يصورون مشاهد خليعة. لقد شهدت غابرييل قدرة سيكستون على الظهور أمام كاميرا التلفاز والكذب بشكل مقنع عن علاقتهما، لم يكن لديها أدنى شك في أن باستطاعته إقناع العالم بأن هذه الصور هي محاولة ضعيفة لإفساد مهنته. سيندفع سيكستون بغضب ساخط، وربما سيُلمح إلى أن الرئيس بنفسه قد أمر بهذا التزوير.

لا عجب أن البيت الأبيض لم يقم بنشرها حتى الآن. إن هذه الصور، أدركت غابرييل، يمكن أن تعطي عكس النتائج المرجوة تماماً مثل ذلك العمل الوضيع الذي اتهِما به في البداية. فبقدر الحيوية التي تبدو عليها هذه الصور، بقدر ما هي غير حاسمة على الإطلاق.

شعرت غابرييل بموجة مفاجئة من الأمل.

لا يمكن للبيت الأبيض أن يثبت أن أياً من هذه الصور حقيقية!

إن التكتيك المركز الذي استخدمته تينش ضد غابرييل كان قاسياً في سذاجته: اعترفي بعلاقتك أو شاهدي سيكستون يذهب إلى السجن. بصورة مفاجئة، بدا الأمر منطقياً. إن البيت الأبيض يحتاج من غابرييل إلى الاعتراف بالعلاقة أو لن يكون للصور أية قيمة. بصيص مفاجئ من الثقة أبهج مزاجها.

عندما توقف القطار متباطئاً وانزلقت الأبواب لتنفتح، بدا أن باباً آخر بعيداً قد انفتح في عقل غابرييل، مظهراً لها إمكانية مفاجئة ومشجعة.

ربما كل ما أخبرتني تينش عن الرشوة هو كذب.

ففي النهاية، ما الذي رأته غابرييل حقيقةً؟ لا شيء مقنع، مرة أخرى بعض الوثائق المصرفية المنسوخة وصور غير واضحة لسيكستون في المرآب. جميعها تحتمل التزييف. ربما تكون تينش قد أظهرت لغابرييل تسجيلات مالية مزيفة ببراعة مع الصور الجنسية الحقيقية، على أمل أن تصدق غابرييل أن الرزمة بأكملها صحيحة. إن هذا يدعى 'التوثيق جُملةً' ويستخدمه السياسيون في جميع الأوقات لبيع مفاهيم مشكوك بأمرها.

إن سيكستون بريء، قالت غابرييل لنفسها. لقد كان البيت الأبيض يائساً، فقرر أن يستعمل مقامرة وحشية من خلال إخافة غابرييل وجعلها تصرح علنياً بالعلاقة. يريدون من غابرييل أن تتخلى عن سيكستون علنياً - بشكل مُخزٍ. تخلصي من هذا المأزق، كانت تينش قد أخبرتها، لديك حتى الساعة الثامنة مساءً. آخر عمل علني للضغط علي. جميعها ملائمة، فكرت بذلك.

باستثناء شيء واحد...

اللغز الوحيد المربك هو أن تينش كانت ترسل لغابرييل رسائل ضد ناسا. هذا يقترح بالتأكيد أن ناسا أرادت من سيكستون ترسيخ موقفه ضدها ليتمكنوا من استخدام ذلك ضده. أو هل يمكن...؟ أدركت غابرييل أنه يمكن أن يكون لتلك الرسائل تفسير منطقي رائع.

ماذا لو كانت تلك الرسائل ليست من تينش حقيقةً؟

من الممكن أن تكون تينش قد التقطت خائناً من الطاقم يرسل لغابرييل تلك المعلومات، وقامت بفصله من الخدمة ومن ثم تدخلت وأرسلت الرسالة الأخيرة بنفسها، تدعو فيها غابرييل للقاء. يمكن أن تكون تينش قد ادّعت أنها هي من سرب جميع معلومات ناسا عمداً - من أجل خداعها.

أطلق القطار النفقي الهيدروليكي هسيسه الآن في ساحة ليفانت، وها هي الأبواب ستفتح.

نظرت غابرييل إلى الرصيف وعقلها يتسارع. لم يكن لديها أية فكرة فيما إذا كان لاشتباهاتها أية مصداقية أو أنها مجرد أفكار حالمة، ولكن مهما كان يحدث، فقد علمت أنه يتوجب عليها الحديث مع السيناتور على الفور - سواء أكانت الليلة (بي إي) أم غيرها.

51

القتال أو الهرب.

بصفته متخصصاً في علم الأحياء، كان تولاند على علم بالتغيرات الوظائفية الضخمة التي تحدث عندما يشعر الكائن الحي بخطر. يتدفق الإدرينالين في القشرة المخية، مسرّعاً نبضات القلب وآمراً الدماغ بالقيام بالقرارات البيولوجية الأقدم والأكثر بداهة - إما أن يشترك في القتال أو أن يهرب.

كان حدس تولاند قد أخبره بالفرار، ولكن عقله قد ذكره بأنه لا يزال مربوطاً بحبل إلى نورا مانغور. على أية حال، ليس هناك مكان للهرب إليه، حيث إن المخبأ الوحيد الذي يبعد أميالاً عنه كان القبة الاصطناعية، والمهاجمون، مهما كانوا، قد ثبتوا أنفسهم على قمة المنحدر الجليدي فقطعوا عليه ذلك الخيار. ومن خلفه، كانت صفيحة الجليد الضخمة تنتشر إلى سهل يبلغ طوله الميلين وتنتهي إلى منحدر عمودي إلى البحر القارس. الهرب إلى ذلك الاتجاه يعني الموت المؤكد. رغم وجود عوائق فعلية للهروب، علم تولاند أنه لا يمكنه ترك الآخرين. فلا تزال نورا وكوركي خارجاً في العراء، مربوطين إلى راشيل وتولاند.

بقي تولاند أسفلاً إلى جانب راشيل، بينما تابعت الطلقات الجليدية قذفهم إلى جانب مزلجة المعدات المنقلبة. سحب المعدات المبعثرة باحثاً عن أي سلاح أو بندقية نارية أو جهاز إرسال... أي شيء.

"اهرب!" صاحت راشيل وكان نَفَسها لا يزال مجهداً.

وبعدها، بشكل غريب، توقفت عاصفة البَرد ذات الطلقات الجليدية على نحو مفاجئ. أصبح الليل هادئاً فجأة رغم الرياح الساحقة... وكأن العاصفة قد توقفت بصورة غير متوقعة.

حدق تولاند بحذر حول المزلجة فرأى أحد المشاهد الأكثر رعباً في حياته.

منزلقة دون أي جهد من المحيط المظلم إلى النور، ثلاثة أشكال شبحية انبثقت وهبطت بصمت على زلاجاتها. ارتدت تلك الأجساد بزّات جوية بيضاء اللون بالكامل. لم يحملوا أية عصيّ للتزلج بل بنادق كبيرة لم تشبه أي من البنادق التي شاهدها من قبل. كانت الزلاجات غريبة الشكل، رغم حداثتها وقصرها، وهي أشبه بمزلجة مطولة.

بهدوء، كأنهم على علم مسبق بانتصارهم في هذه المعركة، هبطت تلك الأجساد وتوقفت إلى جانب ضحيتهم القريبة - نورا مانغور فاقدة الوعي، نهض تولاند مرتعشاً على ركبتيه وحدق من فوق المزلجة إلى المهاجمين. نظر الزوار إلى الخلف عبر نظارات الوقاية الإلكترونية الغريبة.

بدا عدم اهتمامهم واضحاً.

على الأقل لهذه اللحظة.

لم يشعر دلتا واحد بأي ندم وهو ينظر إلى المرأة الممتدة فاقدة الوعي على الجليد أمامه. لقد تدرب على أن ينفذ الأوامر وليس أن يستطلع الدوافع.

كانت تلك المرأة ترتدي بزّة حرارية سميكة سوداء اللون مع وجود لأثر ضربة على جانب وجهها. كان تنفسها قصيراً وغير طبيعي. فقد وجدت إحدى الرصاصات لنفسها هدفاً وصدمتها لتتركها مغمى عليها.

حان الوقت لإنهاء العمل الآن.

بينما جثا دلتا واحد بجانب تلك المرأة غير الواعية، قام زميلاه الآخران بتوجيه بنادقهما على الأهداف الأخرى - أحدهما على الرجل الصغير المغمى عليه والممدد على الجليد قربهم، والآخر على المزلجة المنقلبة حيث تختبئ الضحيتان الأخريان. بالرغم من أن رجاله كان باستطاعتهم بسهولة التقدم لإنهاء العمل، ولكن الضحايا الثلاث المتبقين كانوا غير مسلحين وليس لديهم أي مكان للهرب إليه، والإسراع بالانتهاء منهم في وقت واحد هو أمر غير مهم. لا تشتت تركيزك أبداً إلا إذا كانت الحاجة قاطعة. واجه خصماً واحداً في كل مرة. تماماً كما تم تدريبهم، فإن فريق دلتا فورس سيتخلص من هؤلاء واحداً واحداً فقط في كل مرة. لكن الأمر السحري، هو أنهم لن يتركوا أي أثر يكشف عن الطريقة التي ماتوا بها.

جاثياً إلى جانب المرأة المغمى عليها، خلع دلتا واحد قفازيه الحراريين

واغترف قبضة مليئة من الثلج، ثم فتح فم المرأة وبدأ بحشوه إلى أسفل حنجرتها. ملأ فمها بأكمله وهو يدك الثلج إلى أعمق ما يمكنه في أسفل قصباتها الهوائية. ستكون ميتة خلال ثلاث دقائق.

إن هذه التقنية المخترعة من قبل المافيا الروسية، كانت تدعى باسم 'بيلا سميرت' - الموت الأبيض. سوف تختنق الضحية لفترة طويلة قبل أن يذوب الثلج في حلقها. وحالما تموت، فإن جسدها سيبقى دافئاً كفاية ليتمكن من إذابة الانسداد. ولو تم الاشتباه بأي عمل غادر، فليس هناك سلاح للجريمة أو أي دليل على العنف واضح عندها. ربما سيكتشف ذلك أحدهم في النهاية، ولكن سيستغرق منهم وقتاً طويلاً. فالطلقات الجليدية ستتلاشى في هذه البيئة، وتندفن ضمن الجليد، أما أثر اللطمة على رأسها فسيظهر أنها سقطت بشكل مروع على الجليد - أمر ليس مستغرباً في مثل هذه الرياح الهوجاء العاصفة.

أما الثلاثة الآخرون فإنهم ضعفاء وسيتم قتلهم بالطريقة نفسها. ومن ثم يقوم دلتا واحد بإقحام جسدهم على المزلجة، وسحبهم إلى مئات الياردات (الأمتار) بعيداً عن المكان، وبعدها يقوم بإعادة ربط حبالهم وترتيب أجسادهم. بعد ساعات من الآن، سيتم العثور على أجسادهم الأربعة متجمدة في الثلج، ضحايا لفرط التعرض والبرودة. أما أولئك الذين سيعثرون عليهم، فسيكونون في حيرة حول ماذا كان هؤلاء يفعلون هنا، ولن يستغرب أحد موتهم. على كل حال، الأضواء التي كانت معهم احترقت بالكامل، والطقس محفوف بالمخاطر، وبالتالي أضاعوا الطريق في الرف الجليدي في ميلني وهذا كله يمكن أن يسبب موتهم بسرعة.

انتهى دلتا واحد من حشو حلق المرأة بالثلج. وقبل أن يلتفت إلى الآخرين، قام بفك رباطها. باستطاعته أن يعيد ربطه فيما بعد. ولكنه في هذه اللحظة لا يريد من الضحيتين الأخرين الموجودين خلف المزلجة أن يفكرا بسحبها إلى الأمان.

شاهد مايكل تولاند للتو جريمةً أكثر رعباً من الذي يمكن لعقله المظلم تخيله. وهكذا بعد أن تم قطع رباط نورا مانغور، التفت المهاجمون الثلاثة إلى كوركي.

يتوجب عليّ فعل شيء!

كان كوركي قد استعاد وعيه وهو يئن محاولاً النهوض، ولكن أحد الجنود

دفعه للخلف على ظهره ثم باعد ما بين رجليه وثبت ساعدي كوركي بواسطة الركوع عليهما. أطلق كوركي صيحة من الألم كبتتها على الفور الرياح الثائرة.

لا بد من وجود شيء ما هنا! سلاح! أي شيء!

جميع ما رآه كان معدات تشخيصية للجليد، معظمها قد تحطم ولم يعد يمكن تمييزه بسبب الطلقات الجليدية. وإلى جانبه، كانت راشيل تحاول بضعف النهوض مستخدمة الفأس الجليدي من أجل مساعدة نفسها. "اركض... مايك...".

نظر تولاند إلى الفأس الذي كان مربوطاً حول معصم راشيل. يمكن أن يكون سلاحاً. نوعاً ما. تساءل تولاند ما هي إمكانية نجاحه في جذب الرجال الثلاثة المسلحين بفأس صغير.

انتحار.

بينما تدحرجت راشيل وجلست، لمح تولاند شيئاً خلفها. حقيبة فينيليه كبيرة. داعياً القدر أن تحتوي تلك الحقيبة على بندقية نارية أو جهاز إرسال، تسلق بجهد من خلفها والتقط الحقيبة، فوجد داخلها غطاء كبيراً مطوياً بشكل مرتب من قماش مايلر... عديمة الفائدة. لقد كان تولاند يمتلك شيئاً مشابهاً لها في سفينة أبحاثه. كانت بالوناً صغيراً مضاداً للعواصف. صمم لينقل حمولات من معدات مراقبة العواصف، لا تكون أثقل وزناً من الحاسب الشخصي. إن بالون نورا لن يساعد هنا خاصة من دون صهريج من الهيليوم.

بتزايد أصوات كفاح كوركي، شعر تولاند بإحساس عدم الفائدة، لم يشعر به منذ عدة سنوات. يأس تام، ضياع تام، مثل كليشة حياة إنسان تعبر أمام عينيه قبل وفاته. فجأة، لمع عقل تولاند بشكل غير متوقع إلى ذكريات الطفولة الطويلة المنسية. للحظة، كان يبحر في سان بيدرو، يتعلم الطيران بالأشرعة مثل البحارة القدماء - معلقاً في حبل معقود يتدلى فوق المحيط، يغطس ضاحكاً في المياه، يرتفع وينخفض مثل طفل معلق بحبل في برج الجسر، تتحدد نهايته بموجات متلاطمة في إبحار الأشرعة ونزوات نسمات المحيط.

اختطفت عينا تولاند على الفور بالون المايلر في يده، مدركاً أن عقله لم يستسلم. ولكن كان يحاول تذكيره بحل! طيران الأشرعة.

كان كوركي لا يزال يكافح معتقله عندما فتح تولاند الحقيبة الواقية حول

البالون. لم يكن تولاند متوهماً بأن هذه اللحظة ليست سوى مقـامرة خاسـرة لكنه علم أن البقاء هنا هو الموت المحتم لكل منهم. أمسك بالكتلـة المطويـة المايلر. إن التحذير الموجز للحمولات يقول: تحذير: لا تستخدم عندما تكـون سرعة الرياح أكثر من 10 عقد.

تباً لذلك! متشبثاً بها بقوة ليمنعها من أن تنتشر. تسلق تولاند بجهـد إلـى راشيل التي كانت مستندة إلى جانبها. استطاع رؤية الارتباك في عينيها وقـد اقترب منها منادياً: "تمسكي بهذه!".

سلم تولاند لراشيل بيده القماشة المطوية ثم استخدم يده الأخـرى ليزلـق مشبك البالون عبر أحد المشابك الموجودة في عدّته. وبعدها، تـدحرج علـى جانبه ووضع المشبك عبر أحد المشابك الموجودة في عُدّة راشيل أيضاً.

أصبح تولاند وراشيل شخصاً واحداً.

متلاصقين عند الورك.

من بينهما تدلى الحبل الرخو فوق الجليد إلى كوركي المقاوم... وعلـى بعد عشرة ياردات (9 متر) من المشبك الفارغ جانب نورا مانغور.

لقد انتهى أمر نورا، قال تولاند لنفسه، لا يمكنك فعل شيء.

كان المهاجمون يجثمون فوق جسد كوركي المتلوي من الألم، يرزمـون قبضة من الثلج ويحضرونها لحشوها أسفل حلق كوركي. لقد علم تولاند أن لا وقت لديهم.

خطف تولاند البالون المطوي من راشيل. كان قماشه رقيقـاً كالمحـارم الورقية – وبالتالي فإنه غير قابل للتخريب. ها نحن الآن على وشـك القيـام بعمل عديم النفع. "تمسكي!".

"مايك"، قالت راشيل: "ماذا –".

قذف تولاند قماشة المايلر إلى الهواء فوق رؤوسهم. اختطفتهـا الريـاح العاصفة ونشرتها كمظلة في إعصار. امتلأ غمدها على الفور منتفخـاً ليفـتح مصدراً فرقعة عالية.

شعر تولاند بانتزاعة خاطفة لعدته، فعلم في تلك اللحظة أنه قد اسـتخف بقوة الرياح السفلية بصورة فادحة.

خلال أجزاء من الثانية، كان هو وراشيل معلقاً نصفهما في الهواء، وقـد .. سحبهما إلى أسفل المنحدر. وبعد لحظة، شعر تولاند برجة عندما شدَّ الحبل

من قبل كوركي مارلينسون. إلى الخلف مسافة عشرين ياردة (18 متراً)، كان صديقه الخائف قد سُحب من تحت مهاجميه المذهولين وقذف بأحدهم متشقلباً إلى الخلف. أطلق كوركي صيحة مروعة فقد كان هو الآخر يمر بسرعة عبر الجليد، متجاوزاً المزلجة المنقلبة بصعوبة بالغة ومن بعدها متأرجحاً إلى الداخل في محاولة للتخفيف من سرعته. انسحب حبل ثانٍ رخو إلى جانب كوركي... الحبل الذي كان مربوطاً إلى نورا مانغور.

لا يمكنك فعل شيء، قال تولاند لنفسه.

مثل كتلة متشابكة لدمى بشرية متحركة، انزلقت الأجساد الثلاثة إلى أسفل المنحدر. كانت الرصاصات الجليدية تطير معهم، ولكن تولاند علم أن المهاجمين قد أخفقوا فرصتهم. إلى الخلف، تلاشت أجساد الجنود المكتسية باللون الأبيض بعيداً، متقلصة خلف البقع المضيئة في وهج الأضواء.

شعر تولاند بأن الجليد يتسارع بعنف أسفل بدلته المبطنة. أما شعور الارتياح بنجاحه فقد تلاشى بسرعة، ولمسافة تبلغ أقل من ميلين أمامهم مباشرة، اقترب الرف الجليدي الميلني إلى نهاية مفاجئة على الجرف شديد التحدر – ومن خلفها... سقوط يبلغ مئة قدم (30 متراً) إلى الأمواج المميتة الساحقة للمحيط الأطلنطي.

52

كانت مارجوري تينش تبتسم وهي في طريقها إلى الأسفل باتجاه مكتب اتصالات البيت الأبيض، وهو منشأة للبث التلفزيوني المؤتمت، والمسؤول عن نشر مواد صحفية معدّة مسبقاً من قبل حجرة الاتصالات. لقد جرى لقاؤها مع غابرييل بشكل جيد سواء أكانت غابرييل قد أفزعت كفاية لتقدم شهادة خطية تعترف فيها بالعلاقة وهو أمر غير مؤكد أم لا، لكنه بالتأكيد يستحق المحاولة.

ستكون غابرييل ذكية فتقوم بمساعدته، فكرت تينش. ليس لدى تلك الفتاة المسكينة أية فكرة عن أن سيكستون على وشك الانهيار.

خلال الساعات القادمة، سيقوم مؤتمر الرئيس الصحفي النيزكي ببتر سيكستون من الأسفل عند ركبتيه. إن هذا أمر شيطاني. لو أن غابرييل آش تعاونت معنا، فسيكون ذلك ضربة مميتة ترسل بسيكستون زاحفاً بسبب خزيه. في الصباح، تكون باستطاعة تينش أن ترسل شهادة غابرييل إلى النشر مرفقة

بمشهد يوضح إنكار سيكستون لذلك.

لكمتان متتابعتان.

في النهاية، إن السياسة لا تتعلق فقط بالفوز بهذه الانتخابات، ولكن الأمر هو الفوز بشكل حاسم - إنه امتلاك القوة الدافعة لتنفيذ وجهة نظر الفائز. فقد عُرف تاريخياً بأن أي رئيس قد نجح بصعوبة بالرئاسة سينجز بشكل أقل؛ فإنه ضعيف خارج البوابة، ولن ينسى له مجلس الشيوخ ذلك على الإطلاق.

على نحو مثالي، فإن تدمير حملة السيناتور سيكستون ستكون شاملة - ضربتان طاعنتان تدمران كلاً من سياسته وأخلاقه. وقد عرفت هذه الخطة الاستراتيجية في واشنطن باسم 'تنوع البوكر'، وقد اختلست من فنون الحرب العسكرية: أجبر العدو أن يقاتل على جبهتين. فعندما يمتلك أحد المرشحين معلومة مضادة لخصمه، فهو عادة ينتظر الحصول على معلومة ثانية لينشرهما معاً في وقت واحد. إن ضربة مزدوجة الحواف تكون دائماً أكثر فعالية من ضربة واحدة، وخاصة عندما يكون الهجوم المزدوج مجسداً بمظهرين منفصلين لحملته - الأولى ضد سياسته والثانية ضد شخصيته. إن الدفاع ضد الهجوم السياسي يحتاج إلى المنطق، أما الدفاع ضد الهجوم الشخصي فيحتاج إلى العاطفة. إن تصارع كل منهما معاً هو عمل من المستحيل تزازنته

في هذه الليلة، سيجد السيناتور سيكستون نفسه يزحف إلى الهاوية بنفسه من الكابوس السياسي لانتصار ناسا المذهل، ولكن ذلك المأزق سيتعمق بشكل ملحوظ عندما يجد نفسه مجبراً على الدفاع عن موقفه ضد ناسا وهو في الوقت نفسه يُدعى 'بالكذّاب' من العضو الشهير في طاقمه.

عندما وصلت إلى أبواب مكتب الاتصالات، شعرت تينش بالنشاط من إثارة ذلك القتال. إن السياسة هي الحرب. أخذت نَفَساً عميقاً وتفحصت ساعتها فكانت 6:15 بعد الظهر. إن الرمية الأولى على وشك الإطلاق.

دخلت.

كان مكتب الاتصالات صغيراً، ليس بسبب نقص في المساحة، وإنما لنقص الضرورة. إنه أحد أكثر محطات الاتصالات الإعلامية فعالية في العالم، كما يوظف طاقماً يتألف من خمسة أشخاص فقط. في هذه اللحظة، كان الموظفون الثلاثة جميعهم يراقبون بانتباه صفوف الأجهزة الإلكترونية مثل سباحين ينتظرون طلقة البداية.

إنهم جاهزون. رأت تينش ذلك في نظراتهم المنذهلة.

لطالما أذهلها هذا المكتب الصغير، الذي ما إن يعطى ساعتين حتى يستطيع الاتصال بأكثر من ثلث العالم المتحضر. فمن خلال وسائل الاتصال الإلكترونية الموصولة واقعياً إلى عشرات الآلاف من مصادر الأخبار العالمية - ابتداءً من أكبر التكتلات التلفزيونية إلى أصغر الصحف المحلية - يستطيع مكتب اتصالات البيت الأبيض بواسطة لمس القليل من الأزرار أن يمتد ويلمس العالم بأسره.

إن الحواسيب التي تنشر الأخبار بوساطة الفاكس تقوم بإرسال موادها الصحفية إلى البريد الوارد للوسائل الإعلامية من محطات إذاعية وتلفزيونية وصحافة وشبكة الإنترنيت من مايني إلى موسكو، والكثير من برامج الرسائل الإلكترونية التي ترسل لخطوط الأخبار على الإنترنيت، وأنظمة الاتصالات الهاتفية الأتوماتيكية التي تتصل بآلاف مدراء الإعلام وتقدم البيانات صوتياً، بالإضافة إلى صفحات الإنترنيت المحتوية على الأخبار العاجلة التي تزود بتطوير متواصل ومصاغ مسبقاً لمحتوياتها. مصادر الأخبار 'القادرة على النقل المباشر' - (سي إن إن)، (إن بي سي)، (إي بي سي)، (سي بي إس)، ومؤسسات النشر الأجنبية - ستكون هي الأخرى قد انقض عليها من جميع الزوايا وتم وعدها بنقل تلفزيوني مباشر ومجاني. مهما تكن بقية الشبكات تعرض فإنها سوف تلاقي إيقافاً مؤلماً لتنقل الخطاب الرئاسي الطارئ.

اختراق كامل.

كضابط يتفحص جنوده، مشت تينش بخطى واسعة وبصمت إلى مكتب التحرير والتقطت إحدى الأوراق المطبوعة 'المطلوب نشرها بسرعة' والتي كانت الآن مُلقمة في جميع أجهزة الإرسال مثل خرطوشة في بندقية. عندما قرأتها تينش، كان عليها أن تضحك بهدوء لنفسها. فاعتماداً على المعايير العامة، كان ذلك الجزء المجهز للنشر ثقيل الوطأة - يشبه الإعلان أكثر من الإبلاغ - ولكن الرئيس كان قد أمر مكتب الاتصالات ببذل جميع الجهود لإتمامه، وهذا ما قدموه، نص رائع - غني بالكلمات الدلالية وخفيف المحتوى. تركيبة مميتة. حتى إن شبكات الأخبار التي تستخدم برامج مؤتمتة للكشف عن الكلمات الدلالية لتصنيف رسائلهم الواردة، ستجد العديد من العلاقات الدالة على ذلك في هذا:

من: مكتب اتصالات البيت الأبيض.

الموضوع: خطاب طارئ للرئيس.

إن رئيس الولايات المتحدة سيعقد مؤتمراً صحفياً مستعجلاً هذه الليلة في الساعة الثامنة، حسب التوقيت الشرقي المعياري للبيت الأبيض من غرفة الإيجاز. إن موضوع هذا البلاغ سريّ في الوقت الحالي. مصادر مباشرة صوتية ومرئية ستكون موفرة عبر المخارج المعتادة.

بعد أن وضعت الورقة على المكتب، نظرت مارجوري تينش حول مكتب الاتصالات وهزّت برأسها للطاقم متأثرة. بدا عليهم الحماس.

أشعلت سيجارة ونفختها للحظة، تاركةً التوقعات تتراكم. وأخيراً، ابتسمت قائلة: "سيداتي وسادتي، أديروا محركاتكم".

53

تلاشت جميع الحجج المنطقية من عقل راشيل. لم تكن تفكر بالحجر النيزكي أو الورقة الغامضة في جيبها أو مينغ أو حتى ذلك الهجوم المروع في الرف الجليدي. شيء وحيد تفكر به.

النجاة.

هناك، امتد الجليد ضبابةً أسفل منها كطريق أملس لا ينتهي، سواء أكان جسدها قد فقد الإحساس بسبب الخوف أم ببساطة صانته البزّة الواقية تلك، لم تكن راشيل تعلم. فإنها لا تشعر بأي ألم. لا تشعر بشيء.

حتى الآن.

ممتدة على جانبها وملتصقة بتولاند عند الخصر، كانت راشيل مستلقية وجهاً لوجه معه في عناق مربك. في مكان ما أمامهم، انتفخ البالون ممتلئاً بالرياح، وكأنه مظلة مثبتة على ظهر سيارة سباق سريعة. تدلى كوركي من خلفهم متمايلاً بشدة مثل مقطورة لجرار قد خرجت عن السيطرة. أما الأضواء التي أنارت المكان الذي تم مهاجمتهم عنده، فقد اختفت بأكملها في الأفق.

كان هسيس بزّاتهم 'مارك IX' المصنوعة من النيلون يرتفع عالياً وعالياً بتناغم خاص وذلك عندما واصلت سرعتهم بالازدياد. لم تعلم راشيل مقدار سرعتهم الآن. ولكن سرعة الرياح لم تكن تقل عن ستين ميلاً في الساعة، والطريق الأملس أسفلهم بدا أنه يمضي بسرعة أكثر فأكثر مع مرور كل ثانية. كان من الواضح أن بالون المايلر الكتيم لا ينوي أن يتمزق أو أن يتخلى عن مشابكه.

نحتاج إلى أن نتحرر، فكرت بهذا. كانوا يبتعدون عن أحد القوى المهلكة

– مباشرة باتجاه قوة أخرى. ربما يكون بعد المحيط أقل من ميل أمامهم الآن! التفكير بالمياه المتجمدة، أعاد إليها الذكريات المرعبة.

عصفت الرياح بقوة أكثر من قبل، وازدادت سرعتهم. وفي مكـان مـا خلفهم، أطلق كوركي صيحة ذعر. بهذه السرعة، علمت راشيل أن لديهم بعض الدقائق فقط إلى أن يتم سحبهم من فوق المنحدر إلى المحيط القارس.

كان تولاند بشكل واضح يشاركها الأفكار نفسها لأنه يصـارع مشابك الحمولة الموصولة إلى أجسادهم.

"لا أستطيع فك مشابك أنفسنا". صاح: "هناك الكثير من التوتر!".

تمنت راشيل هدوءاً لحظياً في الرياح والذي ربما سيمنح تولانـد بعض التوازن، ولكن الرياح السفلية كانت تسحبهم بقوة ثابتة قاسية. محاولة المساعدة، حرفت راشيل جسدها وقامت بدكّ حافظة خفها المسماري في الجليـد مرسلة قطعاً جليدية مثل ذيل الديك في الهواء. تباطأت سرعتهم على نحو ضئيل جداً.

"الآن". صاحت وهي ترفع قدمها.

للحظة واحدة، ارتخى قليلاً خط الحمولة على البالون. سحب تولاند نفسه إلى الأسفل محاولاً الاستفادة من الحبل الرخو ليناور مشابك الحمولة خارجـاً عن مشابكهم.

"مرة ثانية". صاح.

في هذه المرة، انحرف كل منهما تجاه بعضـهما الـبعض ودكـا نـاتئ أصابعهما في الجليد، مرسلان ريشة مزدوجة من الجليد في الهواء. هذا أبطـأ تلك الأداة الغريبة على نحو أكثر حدة.

"الآن!".

عند إشارة تولاند، أبطأ كلاهما. وبينما اندفع البالون إلـى الأمـام مـرة أخرى، أدخل تولاند إبهام يده بمزلاج المشبك وأدار القفل، محاولاً أن يحـرر المشبك. على الرغم من أنه أقرب في هذه المرة إلا أنه يحتاج إلى المزيد مـن الرخاوة. إن هذه المشابك، كانت نورا قد تباهت بذلك من قبل، هي من النـوع الأول، مشبك جوكر للأمان، وهي مزودة خصيصاً بحلقة إضافية من المعـدن لذلك فإنهم لن يتحرروا أبداً طالما هناك توتر في حركتهم.

نُقتل بمشابك الأمان، فكرت راشيل، ولم تجد السخرية الأقل إمتاعاً مـن ذلك.

"مرة أخرى!" صاح تولاند.

مستخدمة كل قوتها وأملها، التوت راشيل بأبعد مدى ممكن وأدخلت كل من مقدمات إصبعيها إلى الجليد. مقوسة ظهرها، حاولت أن تجعل وزنها بأكمله على إصبعيها، تبع تولاند حركاتها إلى أن أصبح كلاهما منزويين بحدة عند المعدة. كان مكان اتصالهما بالأحزمة يشد عُدتهما. دكّ تولاند أصابعه إلى الأسفل وانحنت راشيل أكثر.

أرسلت الاهتزازات أمواجاً صادمة باتجاه ساقيها. شعرت وكأن كاحليها على وشك الانكسار.

"توقفي... توقفي". لوى تولاند نفسه ليحرر مشبك 'الجوكر' عندما تناقصت سرعتهما: "على وشك...".

انكسر الخف المسماري لراشيل وتمزقت حوافظ أصابعها المعدنية من خارج حذائها، فتشقلبت باتجاه الخلف في الظلام مرتدة فوق كوركي. على الفور، ترنح البالون إلى الأمام مرسلاً براشيل وتولاند مؤرجحين يمنة ويسرة. فقد تولاند قبضته على المشبك. "تباً!".

بالون المايلر، وكأنه قد غضب بسبب إعاقته للحظة، اندفع إلى الأمام. وسحبهم بقوة أكبر، يجرهم إلى أسفل الجبل الجليدي باتجاه البحر. علمت راشيل أنهم يقتربون بسرعة إلى نهاية المنحدر، برغم أنهم واجهوا الخطر من قبل السقوط مسافة تبلغ مئة قدم (30 متراً) في المحيط القطبي. كان هناك ثلاثة مجارٍ ضيقة جليدية تقف في طريقهم، ورغم أنهم محميون بالبزّات المبطنة مارك IX فإن تجربة الانطلاق بسرعة عالية من أعلى الأكوام الجليدية ملأتها رعباً.

مكافحة عدتها بيأس، حاولت راشيل أن تجد طريقة لتحرر البالون. كأنها سمعت دمدمة إيقاعية على الجليد - مقطع موسيقي متلاحق لمعدن خفيف الوزن على صفيحة من الجليد الأعزل.

الفأس.

بسبب الخوف، كانت قد نسيت تماماً الفأس الجليدي المثبت على الحبل في حزامها. كانت أداة الألمنيوم خفيفة الوزن تتدلى جانب قدمها. نظرت إلى سلك الحمولة في البالون، من النايلون المجدول، سميك ومتين.

مدّت نفسها إلى الأسفل تتحسس لتجد الفأس المتدلي. التقطت مقبضه وسحبته باتجاهها، وهي تشد الحبل المرن. لا تزال على جانبها، جاهدت راشيل لترفع ساعديها من فوق رأسها واضعة طرف الفأس المسنن مواجه الحبل

السميك. وبشكل أخرق، بدأت بنشر السلك المشدود.

"نعم!" صاح تولاند محاولاً إيجاد فأسه.

منزلقة على جانبها، كانت راشيل شادة نفسها وساعداها من فوقها، تنشر ذلك السلك المشدود. كان الحبل قوياً وخطوط النايلون المستقلة تنسل ببطء. التقط تولاند فأسه، التوى، رفع ساعديه من فوق رأسه محاولاً النشر من الأسفل في المكان نفسه. كانت مزالجهما تقرقع ببعضهما بعضاً وهما يعملان مراداً مثل الخشّاب. بدأ الحبل بالتفسخ على الجانبين الآن.

سنفعل ذلك، فكرت راشيل، إن هذا الشيء سينقطع.

فجأة، قفزت الفقاعة الفضية من المايلر أمامهم إلى الأعلى وكأنها قد ارتطمت بتيار هوائي صاعد. أدركت راشيل برعب أنهم ببساطة يتبعون محيط اليابسة.

لقد وصلوا.

المجاري الجليدية.

ظهرت الجدران البيضاء للحظة فقط قبل أن يصبحوا فوقها. تلك الهبة الهوائية على جانب راشيل وهم يضربون بالمنحدر، كانت قد أخرجت الرياح من رئتيها وانتزعت الفأس من يدها. كمزلجة مائية سقطت من فوق من أثر قفزة، شعرت راشيل أن جسدها يقفز عالياً إلى وجه المجرى وينقذف. لقد تم شنقهما هي وتولاند فجأة إلى الأعلى في حالة من الفوضى. امتد الحوض بين المجريين بعيداً أسفل منهم، ولكن سلك الحمولة المهترئ ما زال متماسكاً رافعاً أجسادهم المتسارعة إلى الأعلى، وحاملهم بوضوح من فوق الحوض الأول. للحظة، لمحت ما تبقى أمامهم - مجريين آخرين - هضبة قصيرة - وبعدها السقوط إلى البحر.

وكأنها تريد أن تعطي صوتاً لخوف راشيل المصعوق، انطلقت صرخة كوركي مارلينسون عالية عبر الهواء. في مكان ما خلفهم، انطلق كوركي بصورة سَلِسة من فوق المجرى الأول. كانوا ثلاثتهم في الهواء، حاول البالون التمزق باتجاه الأعلى مثل حيوان وحشي يحاول أن يكسر قيود أسره.

فجأة، مثل طلقة نارية في الظلام، انطلق دوي فرقعة مفاجئ في السماء. انهار الحبل البالي وارتدت نهايته المتمزقة في وجه راشيل. على الفور، كانوا يسقطون. في مكان ما فوق، خرج بالون المايلر المنتفخ عن السيطرة... ملتفاً إلى البحر.

معقودين في المشابك والعدد، تشقلبت راشيل وتولاند خلفاً باتجاه الأرض. وبينما انبثقت أمامها الكومة البيضاء للمجرى الثاني، استعدت راشيل للاصطدام. متجاوزين بصعوبة بالغة أعلى المجرى الثاني، اصطدموا عند أسفل الاتجاه البعيد، تخمدت الصدمة جزئياً ببزّاتهم وبالمحيط المنحدر للمجرى. بينما تحول العالم من حولها إلى ضباب من الأيدي والأرجل والجليد، شعرت راشيل نفسها تنطلق بسرعة أسفل المنحدر إلى الحوض الجليدي المركزي. وبشكل فطري، مدت يديها ورجليها محاولة الإبطاء قبل أن تصطدم بالمجرى التالي. شعرت بهم يبطئون ولكن بشكل ضعيف جداً، وبدا أمامهم ثوانٍ قليلة قبل أن تنزلق هي وتولاند من أعلى المنحدر. في الأعلى، كان هناك لحظة أخرى من انعدام الوزن عندما عبروا القمة. وبعدها، مليئة بالرعب، شعرت راشيل أنهم قد بدأوا بالانزلاق المميت أسفل الانزلاق الآخر وخارجاً إلى الهضبة الأخيرة... آخر ثمانين (24 متراً) قدماً من الجبل الجليدي في ميلني.

بينما ينزلقون إلى أسفل المنحدر، استطاعت راشيل أن تشعر بمقاومة كوركي للحبل المربوط وعرفت أن جميعهم يبطئون. لقد عرفت أنه قد فات الأوان بتأخر قليل جداً، فنهاية المنحدر تتسارع باتجاههم ثم أطلقت راشيل صرخة عاجزة.

وبعدها حدث ذلك.

انزلق طرف الجليد من أسفلهم. آخر شيء تذكرته راشيل كان السقوط.

54

تقع شقق ويست بروك بليس في شارع (إن 2201) في الشمال الشرقي، ويرفع منزلتها أنها أحد العناوين اللائقة القليلة بلا شك في واشنطن. أسرعت غابرييل عبر الباب الدوار المطلي بالذهب إلى داخل الصالة الرخامية، حيث يتردد صدى صوت شلال يصم الآذان.

بدا الاستغراب على حارس الباب في المكتب الأمامي لرؤيتها: "آنسة اش؟ لم أكن أعلم أنك ستزوريننا الليلة؟".

"أنا على عجلة من أمري". وقعت غابرييل دخولها بسرعة. الساعة في الأعلى تشير إلى 6:22 بعد الظهر.

حكّ الرجل رأسه: "لقد أعطاني السيناتور قائمة، ولكنك لم تكوني –".

"إنهم دائماً ينسون الأشخاص الأكثر مساعدة لهم،" قدمت له ابتسامة

مستعجلة ومشت بسرعة متجاوزة إياه إلى المصعد.

بدا على الحارس الارتباك الآن: "يفضل أن أتصل به".

"شكراً". قالت غابرييل وهي تركب المصعد.

إن هاتف السيناتور مقطوع، قالت لنفسها.

قادت المصعد إلى الطابق التاسع، ثم خرجت وتوجهت إلى أسفل المدخل الأنيق. في نهايته، خارج مدخل سيكستون، استطاعت رؤية أحد حراس أمنه الشخصيين والضخمين - الحراس المعظمين - جالساً في الصالة يبدو عليه الملل. كانت غابرييل متفاجئة لرؤية حراسة أثناء الخدمة، ولكن من الواضح أنها لم تبلغ درجة مفاجأة الحارس لرؤيتها.

نهض واقفاً على قدميه عند اقترابها.

"أنا أعلم"، صاحت غابرييل وهي لا تزال في منتصف الرواق. "إنها ليلة (بي إي) ولا يريد أن يزعجه أحد".

هزّ الحارس رأسه مؤكداً: "لقد أعطاني أوامر صارمة جداً بأنه لا يريد زواراً -".

"إنه أمر طارئ".

قطع عليها المدخل بجسده: "إنه في لقاء خاص".

"حقاً؟" سحبت غابرييل الظرف من تحت ساعدها وأبرزت خاتم البيت الأبيض في وجهه.

"لقد كنت للتو في المكتب الرئاسي، وأريد إعطاء هذه المعلومات للسيناتور. مهما كان هؤلاء الأصدقاء القدامى الذين يتحدث معهم الليلة، فبإمكانهم التخلي عنه لدقائق قليلة. الآن، دعني أدخل".

صُعق الحارس قليلاً لرؤية طابع البيت الأبيض على الظرف.

لا تجعلني أفتحه لك، فكرت غابرييل.

"اتركي المصنف". قال لها: "سأوصله إليه".

"لن تفعل ذلك بحق الجحيم، لديّ أوامر مباشرة من البيت الأبيض لإيصاله إليه باليد. وإذا لم أتحدث إليه على الفور، نستطيع جميعاً منذ صباح الغد أن نبدأ البحث عن عمل، أتفهم هذا؟".

بدا الحارس متناقضاً بشدة، وأحست غابرييل أن السيناتور كان مشدداً في هذه الليلة، على غير المعتاد، على أنه لا يريد أية زوار. تحركت إلى الداخل

لتعزم الأمر، وهي تحمل ظرف البيت الأبيض مباشرة في وجهه، أخفضت غابرييل صوتها ليصبح همساً وقالت ستة كلمات يخافها حراس واشنطن جميعاً وبشدة.

"إنك لا تفهم خطورة هذا الموقف".

إن الحراس الشخصيين للسياسيين لا يفهمون أبداً خطورة الموقف، وهم يكرهون هذه الحقيقة. لقد كانوا قتلة محترفين، يبقون في الظلام، غير متأكدين على الإطلاق هل يصرون على تنفيذ الأوامر أم يخاطرون بخسارة عملهم بسبب التعنت وتجاهل بعض الأزمات الواضحة.

بلع الحارس ريقه بصعوبة ناظراً إلى ظرف البيت الأبيض مرة أخرى: "حسناً، لكنني سأخبر السيناتور أنك طلبتِ الدخول".

فتح قفل الباب، فاندفعت غابرييل بسرعة أمامه قبل أن يغيّر رأيه. دخلت الشقة وأغلقت الباب بهدوء خلفها. وأعادت قفله.

الآن، داخل الردهة، استطاعت غابرييل سماع الأصوات الضعيفة في حجرة سيكستون أسفل الردهة - أصوات رجال. إن ليلة (بي إي) لهذا اليوم لم تكن، من الواضح، اللقاء الخاص الذي حدده الاتصال الباكر الذي تلقاه سيكستون. وبينما توجهت غابرييل باتجاه الحجرة، مرت بخزانة مفتوحة حيث علق داخلها نصف دزينة من معاطف الرجال الثمينة - صوف وتويد مميزان - والعديد من الحقائب وضعت على الأرض. يبدو أن هناك عملاً في الردهة الليلة. كانت غابرييل تجتاز تلك الحقائب لولا أن جذبت عينيها إحداها. حيث حُفر على البطاقة الاسمية شعار مميز لشركة صواريخ بلون أحمر لامع.

وقفت قليلاً ثم انحنت لتقرأه:

سبيس أميركا، (آي إن سي).

محتارةً، تفحصت الحقائب الأخرى.

بيل أيروسبيس، مايكر كوزم، (آي إن سي)، شركة روتاري روكيت، كيستلر آيروسبيس.

علا صدى صوت تينش الخشن في عقلها، هل تعلمين أن سيكستون يقبل رشوات من شركات فضاء خاصة؟

بدأت ضربات قلب غابرييل تتسارع وهي تنظر أسفل الرواق المظلم باتجاه المدخل المقنطر الذي يوصل إلى حجرة سيكستون. علمت أنه يتوجب

عليها أن تحدث صوتاً عالياً تعلن فيه عن وجودها، ولكنها شعرت بنفسها تسير ببطء وبهدوء إلى الأمام. تحركت بخطوات إلى المدخل المقنطر ووقفت بصمت في الظلال... تستمع إلى المحادثة خلفها.

55

بينما جلس دلتا ثلاثة ليجمع جثة نورا مانغور والمزلجة، أسرع الجنديان الآخران أسفل المنحدر وراء فريستهم.

في أقدامهم، كانوا يرتدون زلاجات تدار بوساطة إلكتروتريد. وقد صممت هذه على غرار زلاجات فاست تراكس ذات المحـــرك، حيـــث إن زلاجات إلكتروتريد هي أساساً زلاجات بحجم صغير - كعربة ثلجية خاصة ترتدى في القدمين. يتم التحكم بسرعتها عبر رفع مقدمتي السبابة والإبهام معاً، والضـــغط على صفيحتي ضغط داخل قفاز اليد اليمنى. توجد أيضاً بطارية هلامية قوية مقولبة حول القدم، تقوم بدور مضاعف: دور عازل، وتسمح أيضاً للزلاجات بالجريان دون صوت. وببراعة، فإن الطاقة الحركية المولدة بالجاذبية ودوران الجنازير السريع عندما ينزلق مرتديها أسفل هضبة ما تتجمع تلقائياً لتعيد شحن البطاريات للانحدار التالي.

مبقياً الرياح خلف ظهره، جثم دلتا واحد منخفضاً ناظراً باتجاه البحر وهو يفحص الجبل الجليدي أمامه. إن نظام الرؤية الليلية لديه كان مختلفاً كثيراً عن نموذج باتريون المستخدم من قبل المارينز. فقد كان دلتا واحد ينظر عبر هيكل وجهي لا يستعمل الأيدي، ومزود بعدسات سداسية العنصـــر تقـــيس 40 × 40 مم، ومضاعف تكبير ثلاثي العنصر، وأشعة تحت الحمراء البعيدة المدى جداً. بدا العالم في الخارج وكأنه داخل خيمة شفافة من الأزرق المعتدل أكثـــر من كونه الأخضر المعتدل - إن مزيج الألوان هذا مصمم خصيصاً للمنـــاطق ذات الانعكاس العالي كالقطب.

عند اقترابه من المجرى الأول، كشفت نظارات دلتا واحد عـــن خطـــاً لامعة لجليد مبعثر حديثاً، يرتفع أعلى المجرى مثل سهم من النيون ليلاً. وعلى ما يبدو أن الفارّين الثلاثة إما لم يفكروا في فك مشابك شراعهم المؤقت أو أنهم لم يتمكنوا من ذلك. مهما كان السبب، إذا لم يتمكنوا من تحريرها عند المجرى الأخير، فإنهم الآن داخل مكان ما في المحيط. يعلم دلتـــا واحـــد أن ملابســـهم

الوافية ستطيل من العمر المتوقع الاعتيادي في المياه، لكن التيارات المائية القادمة من الشاطئ والقاسية ستسحبهم إلى البحر، وإن الغرق سيكون أمراً محتوماً.

رغم ثقته بذلك، تدرب دلتا واحد على ألا يفترض أبداً. لا بد له من رؤية الجثث. جاثماً إلى الأسفل، ضغط على أصابعه معاً وأسرع إلى أعلى المنحدر.

تمدد مايكل تولاند غير قادر على الحركة، يتفحص كدماته ورضوضه الكثيرة، لكنه لم يشعر بأي عظام متكسرة، كان يشك قليلاً بأن الهلام الذي ملأ بذلته (مارك IX) قد أنقذه من أية صدمات ثانوية. محاولاً فتح عينيه، تباطأت أفكاره وهو يركز، كل شيء بدا أرقاً هنا... أهدئ. الرياح لا تزال تعصف، لكنها أقل عنفاً الآن.

لقد تجاوزنا الحافة، أليس كذلك؟

مُركّزاً، وجد تولاند نفسه ممدداً على الجليد، مثنياً فوق راشيل سيكستون، تقريباً بزاوية قائمة. التوت مشابكهما المقفولة. استطاع أن يحس بأنفاسها تحته، لكنه لم يتمكن من رؤية وجهها، تدحرج مبتعداً عنها لكن عضلاته كانت تجيبه بصعوبة بالغة.

"راشيل...؟" لم يكن تولاند متأكداً من أن شفاهه تصدر صوتاً أم لا. تذكر تولاند الثواني الأخيرة لرحلتهم المعذبة - الحركة العلوية للبالون، انهيار سلك الحمولة، هبوط أجسادهم نحو الأسفل إلى الحافة البعيدة للمجرى، انزلاقهم أعلى وفوق الكومة الأخيرة مقذوفين باتجاه الحافة - إلى أن انتهى الجليد. سقط تولاند وراشيل، ولكن السقوط كان قصيراً على نحو مستغرب. بدلاً من الغطس في البحر، سقطا عشرة أقدام (3 أمتار) فقط قبل الاصطدام بلوح جليدي آخر والانزلاق إلى حاجز مع الحمل الثقيل لكوركي المربوط بالحبل.

رافعاً رأسه، نظر تولاند باتجاه البحر. على بعد ليس بالكثير، ينتهي الجليد بمنحدر عمودي، حيث تُسمع أصوات المحيط خلفه. عاد تولاند بنظره إلى أعلى المنحدر، مجهداً عينيه ليتمكن من الرؤية في الظلام. على بعد عشرين ياردة (18 متراً) إلى الخلف، التقت عيناه بحاجز عالٍ من الجليد بدا معلقاً فوقهم. عندها أدرك ما الذي حدث لهم. انزلقا بطريقة ما من المنحدر الرئيسي إلى مصطبة منخفضة من الجليد. هذا الجزء كان مسطحاً، كبيراً مثل

حلبة الجليد في لعبة الهوكي، وقد انهار جزئياً - مهيئاً نفسه للتشقق إلى المحيط في أي لحظة. الانشعاب الجليدي، فكر تولاند وهو ينظر إلى رصيف الجليد المهتز الذي يتمدد عليه الآن. كان لوحاً مربعاً عريضاً معلقاً خارج المنحدر كشرفة ضخمة، محاطة بجوانبها الثلاثة بجرف إلى المحيط. إن الصفيحة الجليدية هذه موصولة إلى المنحدر من خلفها فقط. استطاع تولاند رؤية أن هذا الارتباط ليس دائماً. إن الحد الذي تلتصق عنده المصطبة المنخفضة بالرف الجليدي الميلني كان معلماً بصدع انضغاطي مفتوح ويبلغ عرضه أربعة أقدام (1.2 متر) تقريباً. الجاذبية في طريقها للفوز بهذه المعركة.

الأمر الأكثر رعباً من رؤية الصدع بالنسبة لتولاند هو رؤيته لجسد كوركي مارلينسون الساكن منهاراً على الجليد. كان كوركي يمتد على بعد عشرة ياردات (9 متر) في نهاية الحبل الرخو المربوط معهم.

حاول تولاند الوقوف، ولكنه لا يزال موصولاً إلى راشيل. غيّر موقع نفسه، وبدأ بتحرير المشابك التي كانت تربطهم.

بدت راشيل ضعيفة وهي تحاول النهوض: "... إننا لم... نتجاوز المنحدر؟" كان صوتها مرتبكاً.

"لقد سقطنا على كتلة منخفضة من الجليد". قال تولاند، وقد تمكن أخيراً من تحرير نفسه منها: "يتوجب عليّ مساعدة كوركي".

بألم شديد، حاول تولاند الوقوف ولكن قدماه سقطتا واهنتين. أمسك بالحبل وسحب، فبدأ كوركي بالانزلاق باتجاههم عبر الجليد. بعد الكثير من السحب، كان كوركي ممدداً على الجليد يبعد أقداماً قليلة عنهم. بدا على كوركي الإرهاق، كما فقد نظارته الواقية وطبع على جبينه جرحاً قاسياً، وكان أنفه ينزف. هدأ قلق تولاند عندما تدحرج كوركي ونظر إلى تولاند بحملقة غاضبة، فكان يحسبه ميتاً.

"يا إلهي!" قال متمتماً: "ماذا بحق الجحيم كانت تلك الخدعة!".

شعر تولاند بموجة من الارتياح.

نهضت راشيل، مجفلة، نظرت حولها: "يجب أن... نخرج من هنا. إن كومة الجليد هذه تبدو أنها على وشك السقوط".

وافقها تولاند بقوة، السؤال الوحيد هو كيف ذلك.

لم يكن لديهم وقت كافٍ للتفكير بالحل. فالطنين المألوف ذو النبرة العالية

قد أصبح مسموعاً فوقهم على المنحدر. صوب تولاند نظره ليرى شخصين مكسوين بالأبيض يتزلجان دون أي جهد إلى الحافة ووقفا بانسجام. وقف الرجلان هناك للحظة محدقين إلى الأسفل بفريستهم المنهكة مثل محترفي لعبة الشطرنج وهم يستمتعان بإماتة الشاة قبل الضربة الأخيرة.

كان دلتا واحد متفاجئاً لرؤية أن الهاربين الثلاثة على قيد الحياة. لكنه علم أن هذا وضع مؤقت. لقد سقطوا على جزء من المنحدر كان قد بدأ مسبقاً بسقوطه الحتمي إلى البحر. كان بإمكانهم قتل هذه الفريسة بنفس الطريقة كتلك المرأة، ولكن حلاً أكثر نظافة كان قد قدّم نفسه. طريقة لا يمكن فيها العثور على أية جثة.

محدقاً باتجاه أسفل الحافة، ركز دلتا واحد نظره على الصدع العميق المفتوح والذي كان قد بدأ بالتمدد مثل إسفين بين الرف الجليدي والكتلة الجليدية الملتصقة. إن الجزء الجليدي الذي جلس عليه الهاربون الثلاثة كان مكاناً خطيراً لأن يُجلس عليه... جاهز للانفصال والهبوط إلى المحيط في أي يوم من الأيام.

لماذا لا يكون اليوم...

هنا على الرف الجليدي، كان الليل مقلقا بدوي مُصمّ كل عدة ساعات - صوت الصدوع الجليدية لأجزاء تنفصل عن المنحدر الجليدي وتهبط إلى المحيط. من سيلاحظ هذا؟

وهو يشعر بالاندفاع الدافئ المعتاد للأدرينالين الذي يصاحب التحضير للقتل، مد دلتا واحد يده إلى علبة الذخيرة وسحب منها شيئاً ثقيلاً على شكل ثمرة الليمون. أداة معروفة لدى فرق الاغتيال العسكرية، يدعى هذا الشيء باسم الضربة المتوهجة - قنبلة يدوية تحدث صدمة 'غير مميتة' تقوم بتشويش العدو لوقت مؤقت من خلال توليد موجة تسبب إضاءة معمية وصدمة تصم الآذان. لكن اليوم، علم دلتا واحد أن هذه القنبلة اليدوية ستكون بالتأكيد مميتة.

اتخذ لنفسه موضعاً بالقرب من الحافة وتساءل كم هو عمق الصدع قبل أن يتناقص تدريجياً ليصل إلى النهاية. عشرون قدماً؟ خمسون؟ علم أن هذا لا يهم. فخطته ستكون فعالة مهما كان ذلك.

بأداء هادئ اعتاد عليه من خلال تنفيذ عمليات إعدام لا تحصى، أدار دلتا واحد تأخيراً لعشر ثوانٍ في لولب مدرجة القنبلة، سحب دبوس الأمان ومن ثم

رمى بالقنبلة إلى الأسفل داخل الصدع. هبطت القنبلة إلى الظلام واختفت.

بعدها، عاد دلتا واحد ومساعده إلى الخلف على قمة المجرى وانتظرا. هذا سيكون مشهداً لا يمكن تفويته.

رغم حالة الهذيان التي في عقلها، كانت راشيل سيكستون تعلم جيداً ما الذي أسقطه المهاجمون داخل الصدع. وسواء أكان مايكل تولاند يعلم هو الآخر، أم أنه كان يقرأ الخوف في عينيها، لم يكن أمراً واضحاً ولكنها رأته قد بدأ يشحب، مطلقاً نظرة رعب إلى أسفل اللوح الضخم من الجليد الذي اندفعوا إليه، مدركاً بشكل واضح الأمر المحتوم.

كغيمة عاصفة أنيرت بومضة داخلية من البرق، تنور الجليد أسفل راشيل من الداخل. ذلك الوميض الأبيض الغريب انطلق في جميع الاتجاهات. ولمسافة مئة ياردة (90 متراً) من حولهم، لمع المنحدر الجليدي بالنور الأبيض، ومن ثم تلاه الارتجاج. لم يكن ملعلعاً مثل الهزة الأرضية بل كان موجة صدمة مصمة للآذان بقوة تخض الأمعاء. شعرت راشيل بتلك الصدمة تتمزق عبر الجليد إلى داخل جسدها.

على الفور، وكأن الإسفين قد تم سحبه من بين الرف الجليدي وركام الجليد الداعم له، بدأ المنحدر بالانفصال بصدع مثير للغثيان. تشابكت عينا راشيل بعيني تولاند بهيكل متجمد من الرعب. وأطلق كوركي صرخة في الجوار.

انهار السطح السفلي.

شعرت راشيل بانعدام الوزن للحظة، متأرجحة فوق ركام جليد يبلغ وزنه ملايين عديدة من الأرطال، ثم كانوا يركبون ذلك الجليد إلى الأسفل - هابطين إلى البحر القارس.

56

إن صوت الاحتكاك الجليدي المصم للآذان تجاه الجليد انقض على آذان راشيل عندما انزلق اللوح الضخم أسفل الرف الجليدي الميلني، مرسلاً قطعاً كبيرة من الرذاذ في الهواء. وبعد السقوط أطلق رُشاشاً إلى الأسفل، تباطأ. كان جسد راشيل الذي انعدم وزنه مسبقاً وارتطم أسفل بقمة الجليد. حطّ تولاند وكوركي بعنف في الجوار.

وبينما كانت القوة الدافعة إلى الأسفل تغطس تلك الكتلة بصورة أكثر عمق

في البحر، استطاعت راشيل رؤية سطح المحيط المزبد يتسارع إلى الأعلى بنوع من التباطؤ الساخر، مثل أرض أسفل شخص يقفز من مسافة عالية مربوطاً بحبل أمانٍ زاد طوله عن المطلوب عدة أقدام (أمتار) قليلة. يرتفع... يرتفع... ومن ثم يأتي. عاد إليها كابوس طفولتها. الجليد... المياه... الظلام. ذلك الرعب كان أساسياً تقريباً.

انزلقت قمة اللوح أسفل خط المياه، وصب المحيط القطبي القارس فوق الحواف كالوابل. وبينما اندفعت مياه المحيط في جميع الاتجاهات حولها، شعرت راشيل بنفسها قد علقت في الأسفل. انشد الجلد العاري في وجهها واحترق عندما ارتطم بالمياه المالحة. اختفت الأرضية الجليدية تحتها، ناضلت راشيل لتجد طريقها إلى السطح، طافيةً بفضل الجيل في بذلتها. ابتلعت ملء فمها مياهاً مالحة وهي تبقبق باتجاه السطح. استطاعت رؤية الآخرين وهم يتخبطون في الجوار، متشابكين بالحبال. تماماً عندما قومت راشيل نفسها، صاح تولاند:

"إنها تعود إلى الأعلى!".

بينما دوت كلماته فوق ذلك الاضطراب، شعرت راشيل بارتفاع غريب المياه من تحتها، كقاطرة ضخمة تقاوم لتتحرك في الاتجاه المعاكس. أصدر لوح الجليد صريراً قبل أن يتوقف أسفل المياه وقد بدأ يرتفع مباشرة من تحتهم. وفي الأعماق، رنت أصوات عميقة مثيرة للغثيان ومنخفضة التواتر باتجاه الأعلى عبر المياه عندما شقت الصفيحة العملاقة الغارقة طريقها عائدة تجاه المنحدر الجليدي.

انبثق اللوح بسرعة، متسارعاً في صعوده، منقضاً إلى الأعلى هرباً من الظلام. شعرت راشيل بنفسها ترتفع، تعكر ماء المحيط من حولها عندما التقى الجليد بجسدها. أخذت تتسلق ولكن دون فائدة، محاولة أن تجد توازناً لها عندما كان الجليد يسيّرها إلى الأعلى سوية مع ملايين الغالونات من المياه المالحة. طافيةً باتجاه الأعلى، تمايلت الصفيحة الضخمة فوق السطح، تتأرجح وتترنح، باحثة عن مركز ثقلها. وجدت راشيل نفسها تندفع في مياه غمرت خصرها عبر امتداد ضخم ومسطح. وعندما بدأت المياه تنسكب عن السطح، ابتلع التيار راشيل وسحبها إلى الحافة. منزلقة، امتدت منبسطة على معدتها، واستطاعت أن ترى الحافة وكأنها تتضخم بسرعة.

تمسكي! كان صوت والدتها يناديها بنفس الطريقة التي قام بها عندما

كانت راشيل طفلة تتخبط أسفل البركة الجليدية. تمسكي! إياك أن تنزلقي إلى الأسفل!

قذف الانتزاع العنيف في حزامها الهواء القليل الذي تبقى لراشيل في رئتيها، ثم دفعت بنفسها متوقفة على بعد ياردات (أمتار) قليلة عن الحافة. أصابتها تلك الحركة بالدوار وهي في مكانها. وعلى بعد عشرة ياردات (9 متر)، استطاعت رؤية جسد كوركي المنهك، لا يزال مربوطاً معها، يندفع هو الآخر متوقفاً. لقد تم سحبهم خارج الصفيحة في اتجاهات متعاكسة فساهمت القوة الدافعة بإيقافها. بينما جرت المياه بعيداً وأصبحت أكثر ضحالة، ظهر شكل داكن آخر في الأعلى على مقربة من كوركي. كان جاثياً على يديه ورجليه ومتمسكاً بحبل كوركي ويتقيأ مياهً مالحة.

إنه مايكل تولاند.

عندما تلاشى آخر أثر للمياه من أمامها منساباً من الجبل الجليدي العائم، تمددت راشيل بصمت مروع، مصغية إلى أصوات المحيط. بعدها، أخذت تشعر بهجوم البرد المهلك، فقوقعت نفسها على يديها وركبتيها. كانت تلك الكتلة الجليدية لا تزال تتمايل إلى الأمام والخلف، مثل مكعب جليد ضخم. بهذيان وألم، زحفت خلفاً باتجاه الآخرين.

هناك في الأعلى على المنحدر، حدّق دلتا واحد من خلال منظاره ذي الرؤية الليلية بالمياه المضطربة حول الكتلة الجليدية المسطحة التي ظهرت مجدداً في المحيط القطبي. ومع أنه لم يرَ أية جثث في الماء، لم يكن متفاجئاً فقد كان المحيط مظلماً وكانت بزّات فريسته الجوية وقلنسواتهم سوداء اللون.

بينما هو يحدق عبر سطح صفيحة الجليد الضخمة العائمة، وجد صعوبة في إبقاء التركيز عليها. فقد كانت تتراجع بسرعة إلى الوراء، متوجهة الآن إلى البحر بتيارات قوية آتية من الشاطئ. كان على وشك أن يعيد نظره إلى البحر عندما رأى شيئاً غير متوقع. ثلاث بقع من السواد على الجليد. هل هي أجسادهم؟ حاول دلتا واحد التركيز عليها.

"أترى شيئاً؟" سأله دلتا اثنان.

التزم دلتا واحد الصمت، مركزاً باستعمال عدساته المكبرة. في تلك الصورة الخافتة للكتلة الجليدية، كان مذهولاً لرؤية ثلاثة أشكال إنسانية جاثمة دون حركة على جزيرة الجليد. لم يعلم دلتا واحد فيما إذا كانوا على قيد الحياة

أم موتى. إن كانوا على قيد الحياة، فلا بد أنهم سيموتون خلال ساعات رغم بزّاتهم الجوية. لقد كانوا مبللين، وهناك عاصفة على وشك الحدوث، فسينجرفون باتجاه البحر إلى أحد أكثر المحيطات هلاكاً في هذا الكوكب. لن يتم العثور على أجسادهم أبداً.

"ظلالٌ فقط". قال دلتا واحد وهو يلتفت عن المنحدر. "هيا بنا نعود إلى القاعدة".

57

وضع السيناتور سيدجويك سيكستون كأس الشراب من نوع (كورفوازيير) على رف الموقد في شقته الواقعة في ويست بروك، ثم أنكى النار، مستجمعاً أفكاره. كان الرجال الستة في الحجرة معه يجلسون بصمت الآن... ينتظرون، فقد انتهى حديث الأمور التافهة، وحان الوقت لسيكستون أن يطرح محادثته. إنهم يعلمون ذلك، وهو يعلم ذلك أيضاً.

السياسة هي أشياء تُباع.

رسِّخ الحقيقة. دعهم يعلمون أنك تفهم مشاكلهم، قال هذا لنفسه.

"ربما تعلمون". قال سيكستون ملتفتاً نحوهم: "طوال الأشهر الماضية، التقيت مع العديد من الرجال في مثل مناصبكم". ابتسم ثم جلس، مشاركاً إياهم في المستوى. "لكن أنتم الرجال الوحيدون الذين قمت بإحضارهم إلى منزلي. أنتم رجال استثنائيون، ولي الشرف أن ألتقي بكم".

ثنى سيكستون يديه، وترك عينيه تجولان عبر الغرفة، محققاً بهما اتصالاً شخصياً مع كل فرد من ضيوفه. ومن ثم ركز بصره على الهدف الأول – الرجل الممتلئ الجسم الذي يرتدي قبعة راعي البقر.

"شركة الصناعات الفضائية في هيوستن". قال سيكستون: "أنا مسرور لمجيئك".

أجابه التكساسي ببرودة: "إنني أكره هذه البلدة".

"لا ألومك فقد كانت واشنطن ظالمة لك".

نظر التكساسي خارجاً من أسفل إطار قبعته، لكنه لم يقل شيئاً.

"منذ اثنتي عشرة سنة مضت". بدأ سيكستون حديثه: "قدّمتَ عرضاً إلى

حكومة الولايات المتحدة. اقترحت أن تبني لهم محطة فضاء للولايات المتحدة بمبلغ خمسة بلايين دولار فقط".

"نعم، فعلت هذا، وما زلت احتفظ بالتصاميم الخاصة بذلك".

"لكن ناسا أقنعت الحكومة أن محطة الفضاء الأميركية يجب أن تكون مشروعاً لناسا".

"صحيح، فقد بدأت ناسا بالبناء منذ عقد مضى تقريباً".

"عقد، وليس فقط محطة ناسا تلك غير قادرة على العمل الكامل بعد، بل إن المشروع قد كلف حتى الآن عشرين ضعف عرضكم. وبصفتي أحد دافعي الضرائب الأميركية فأنا سئمت ذلك".

علا ضجيج من الاتفاق حول الغرفة. ترك سيكستون عينيه تتحركان معيداً اتصاله مع المجموع.

"أنا أعلم جيداً". قال سيكستون مخاطباً جميع الأشخاص الآن: "أن العديد من شركاتكم قد عرضت إطلاق مكوكات فضاء خاصة لقاء مبلغ زهيد يقدر بخمسين مليون دولار لكل رحلة".

المزيد من الإيماءات الموافقة.

"ولكن ناسا قامت بقطع ذلك عليكم من خلال وضع ثمن يبلغ ثمانية وثلاثين مليون دولار فقط للرحلة الواحدة... رغم أن تكلفة الرحلة الحقيقية هي اكثر من مئة وخمسين مليون دولار!".

"إنها الطريقة التي يبعدوننا فيها عن الفضاء". قال أحد الرجال. "لا يمكن للقطاع الخاص أن يتنافس مع شركة تعرض تقديم رحلات مكوكية بخسارة تبلغ نسبتها أربعمئة بالمئة. ولا تزال قادرة على البقاء عاملة".

"لا يتوجب عليكم ذلك أيضاً". قال سيكستون.

إيماءات الموافقة في كل مكان.

التفت سيكستون الآن إلى المقاول المتجهم جانبه، الرجل الذي قرأ سيكستون ملفه باهتمام، كالعديد من المقاولين الممولين لحملة سيكستون. كان هذا مهندساً عسكرياً في السابق، أصيب بخيبة أمل من جراء الرواتب المنخفضة وبيروقراطية الحكومة، فتخلى عن منصبه العسكري ليبحث عن فرصته في الفضاء.

"شركة كيستلر آيروسبيس". قال سيكستون مؤرجحاً رأسه بخيبة أمل. "لقد

عملت شركتك على تصميم وتصنيع صاروخ يمكنه إطلاق حمـولات بتكلفـة زهيدة قدرها ألفي دولار لكل رطل، مقارنة مع تكلفة ناسا البالغة عشـرة آلاف دولار لكل باوند". صمت سيكستون قليلاً ليتمكن من التأثير: "ورغم ذلك، فليس لديك أي زبائن".

"لماذا يكون لديّ أية زبائن؟" أجابه الرجل: "لقد قامـت ناسـا الأسـبوع الماضي بقطع الطريق علينا من خلال تقدير كلفة قدمته لموتـورولا بثمانمئـة واثني عشر دولاراً فقط لكل رطل وذلك لإطلاق قمر صناعي إذاعـي. وقـد أطلقت الحكومة ذلك القمر الصناعي بخسارة تبلغ نسبتها تسعمئة بالمئة".

أومأ سيكستون برأسه. لقد كان دافعو الضرائب يقدمون المساعدة الماليـة دون علم لوكالة أقل فعالية بعشرات المرات عن منافسيها. "لقد أصـبح أمـراً واضحاً على نحو مؤلم". قال بصوت مكتئب: "إنهم يستبعدون أعمال الفضـاء الخاصة من خلال تقدير ثمن الخدمات بأقل من قيمة السوق".

"إنها تطبيق سياسة شركات وال مارتينغ[31] في الفضاء". قال التكساسي.

يا للتشابه الرائع، فكر سيكستون، عليّ أن أتذكر ذلك. إن وال مـارتينغ مشهورة بالانتقال إلى المناطق الجديدة وبيع السلع بقيمة أخفـض مـن قيمـة السوق، وبذلك تسوق المنافسة المحلية بأكملها خارج العمل.

"لقد سئمت وتعبت". قال التكساسي: "من أن أدفـع الملايـين كضـرائب تجارية وتقوم الولايات المتحدة باستخدام ذلك المال لسرقة زبائني".

"إنني أسمعك". قال سيكستون: "وأفهم ذلك".

"إن النقص في الرعاية المشتركة هو الذي يقتل شركة روتاري روكيت". قال ذلك رجل يرتدي بشكل أنيق: "إن القوانين ضد الرعاية هي الجاني!".

"لا يمكنني الموافقة أكثر من ذلك". كان سيكستون مصدوماً ليعلم أن هناك طريقة أخرى ترسخ فيها ناسا احتكارها على الفضاء من خلال الموافقة علـى أمور رسمية فيدرالية تحظر الإعلان على المركبات الفضائية. فعوضـاً عـن السماح للشركات الخاصة بالتمويل الآمن عبر الرعاية المشـتركة وشـعارات الشركات الإعلانية - كالطريقة التي يقوم بها سائقو سيارات السباق المحترفون - يُسمح للمركبات الفضائية بعرض اسـم الشـركة وكلمـة (الولايـات المتحـدة الأميركية) فقط. في دولة تصرف حوالى 185 بليون دولار سنوياً على الإعـلان،

---

31 شركات وال مارتينغ: أقوى شركات بيع المفرق في العالم.

لا يجد أي دولار واحد للدعاية طريقه إلى خزائن الشركات الفضائية الخاصة.

"إنها سرقة"، قال أحد الرجال فجأة: "إن شركتي تأمل أن تبقى تعمل مدا تكفيها لإطلاق النموذج الأولي لمكوك سياحي هو الأول في هذا البلد في أيار/مايو القادم. ونتوقع تغطية إعلامية ضخمة. فقد عرضت علينا شركة نايكي المتحدة سبعة ملايين دولار كرعاية لقاء طباعة شعار نايك وعبارة: فقط قم بذلك! على جانب المكوك. كما عرضت شركة بيبسي أن تدفع ضعفي ذلك المبلغ لكتابة بيبسي: اختيار الجيل الجديد. ولكن تبعاً للقانون الفيدرالي، فإننا سنمنع من إطلاق هذا المكوك إذا حمل أي إعلانات عليه".

"هذا صحيح". قال السيناتور سيكستون: "ولو تم انتخابي، فإنني سأعمل على إلغاء القانون المضاد للرعاية. هذا وعد. يجب أن يكون الفضاء مفتوحاً للإعلان بنفس الطريقة التي فتح فيها كل إنش مربع (6.5 سنتيمتر مربع) على الأرض للإعلان".

نظر سيكستون إلى جمهوره الآن، وعيناه مثبتتان، وصوته يزداد رزانة: "يجب أن ندرك جميعاً، على أية حال، أن العقبة الأكبر في خصخصة ناسا هي ليست القوانين، ولكنها الإدراك الشعبي. فلا يزال معظم الأميركيين يحملون وجهة نظر رومانسية تجاه برنامج الفضاء الأميركي، ولا يزالون يؤمنون بأن ناسا هي وكالة حكومية ضرورية".

"إنها أفلام هوليود اللعينة!" قال أحد الرجال: "كم هي الأفلام التي صنعتها هوليود لتتحدث عن إنقاذ ناسا للعالم من كويكب قاتل، بحق الله؟ إنها الدعاية!".

لقد علم سيكستون أن الإفراط في أفلام ناسا الصادرة عن هوليود هي ببساطة مسألة اقتصاد. فبعد الفيلم الأكثر شعبية (توب غن) - كان الممثل توم كروز هو الطيار المشهور الذي عرض ما يشبه إعلاناً مدته ساعتان للقوات الأميركية الجوية - أدركت ناسا الإمكانية الحقيقية لهوليود على أنها مصدر تأثير شعبي، فبدأت ناسا بصمت تعرض لشركات الأفلام الوصول بحرّية إلى جميع منشآت ناسا المثيرة - منصات الإطلاق، التحكم بالمهمات، والمنشآت التدريبية. فقفز المنتجون، الذين اعتادوا على دفع مبالغ ضخمة للمواقع عندما يريدون تصوير فيلم في أي مكان آخر، وانتهزوا تلك الفرصة لتوفير الملايين في تكاليف الميزانية من خلال إنتاج أفلام مثيرة عن ناسا على مناطق 'مجانية'. وبالتأكيد، تحصل هوليود على الإذن فقط في حال موافقة ناسا على النص المكتوب.

"غسيل دماغ شعبي". قال أحد الإسبان الأميركيين: "لا تبلغ تلك الأفلام إلا نصف رداءة الأعمال الإعلامية المثيرة. إرسال مواطن كبير في السن إلى الفضاء؟ ناسا تخطط الآن لإرسال طاقم مكوك من الإناث فقط؟ كل ذلك من أجل الدعاية!".

تنهد سيكستون وقد تحول صوته إلى مأساوي: "صحيح، وأعلم أنه لا ينبغي عليّ ألاّ أذكركم ما الذي حدث في الثمانينات من القرن الماضي، عندما أفلست وزارة التعليم ونوهت إلى أن ناسا كانت تضيّع الملايين التي يمكن أن تنفق على التعليم. عندها دبّرت ناسا عملاً إعلانياً ليثبت أن ناسا هي صديقة التعليم؛ فأرسلوا بمدرّسة في مدرسة شعبية إلى الفضاء". صمت سيكستون قليلاً: "جميعكم تذكرونها كريستا ميك أوليف".

ساد الصمت في الغرفة.

"سادتي"، قال سيكستون وقد توقف فجأة إلى جانب النار: "أعتقد أن الوقت قد حان ليفهم الأميركيون الحقيقة، من أجل منفعة مستقبلنا جميعاً. حان الوقت ليفهم الأميركيون أن ناسا لا تقودنا نحو السماء، ولكنها تقيّد الاكتشافات الفضائية. لا يختلف الفضاء عن أية صناعة أخرى، وإن إبقاء القطاع الخاص مقيداً هو شيء يقترب من كونه عملاً إجرامياً. لننظر إلى صناعة الحاسوب التي نرى فيها انفجاراً من التقدم نتمكن بصعوبة بالغة من الإطلاع عليه من أسبوع لآخر! لماذا؟ لأن صناعة الحاسوب هي نظام السوق الحر. إنها تكافئ بفعالية ورؤية ذات فائدة. تخيلوا لو أن صناعة الحاسوب هي إدارة حكومية؟ لكنا لا نزال في العصور المظلمة. نحن راكدون في أمور الفضاء. يجب علينا أن نضع استكشاف الفضاء بأيدي القطاع الخاص إلى حيث ينتمي. وسيدخل الأميركيون بالنمو والأعمال والأحلام المحققة. أؤمن أنه يجب علينا أن نترك نظام السوق الحرة ليسرع بنا إلى المرتفعات الجديدة في الفضاء. لو تم انتخابي، فإنني سأجعل مهمتي الشخصية فك أقفال أبواب الحواجز الأخيرة وتركها مفتوحة على مصراعيها".

رفع سيكستون كأس الكونياك.

"أصدقائي، لقد قدمتم إلى هنا هذا المساء لتقرروا إذا كنت الشخص الذي يستحق ثقتكم. وآمل أن أكون في الطريق إلى كسبها. بالطريقة نفسها التي يعمل المستثمرين يبنون الرئاسة. بالطريقة نفسها، يتوقع مالكو الأسهم

المشتركون العائدات، فأنتم بصفتكم مستثمرين سياسيين، تتوقعون العائدات أيضاً. إن رسالتي لكم ستكون هذه الليلة بسيطة: استثمروا من خلالي، ولن أنساكم على الإطلاق. أبداً، إن مهماتنا هي واحدة ومتشابهة".

مدّ سيكستون كأسه باتجاههم لتكون شرب النخب.

"بمساعدتكم، أصدقائي، سأكون قريباً في البيت الأبيض... وستتمكنون من إطلاق أحلامكم".

على بعد خمسة عشر قدماً، وقفت غابرييل آش في الظلال بصلابة. من تلك الحجرة، علا الصوت المتناغم للكؤوس الكريستالية وفرقعة الموقد أيضاً.

58

مذعوراً، اندفع التقني الشاب لناسا بسرعة عبر القبة الاصطناعية. شيء فظيع قد حدث! وجد المدير إيكستروم وحيداً بالقرب من منطقة المؤتمر.

"سيدي". قال التقني لاهثاً، وهو يركض بسرعة. "هناك حادث!".

التفت إيكستروم وقد بدا محلقاً بعيداً وكأن أفكاره كانت مشغولة بعمق بقضايا أخرى. "ماذا قلت؟ حادث؟ أين؟".

"في حفرة الاستخراج، لقد طفت جثة للتو. إنه الدكتور وايلي مينغ". كان وجه ايكستروم شاحباً. "دكتور مينغ؟ لكن...".

"لقد سحبناه خارجاً، لكن هذا كان متأخراً. إنه ميت".

"يا إلهي! كم مضى على وجوده هناك؟".

"نظن أنه من حوالى ساعة. يبدو وكأنه سقط هناك، وغرق إلى الأسفل، ولكن عندما انتفخ جسده، طفا ثانية".

تحولت بشرة إيكستروم المحمرة إلى قرمزية: "تباً لذلك؟ من يعلم عن هذا أيضاً؟".

"لا أحد سيدي، اثنان منا فقط. ولكن اعتقدنا أنه من الأفضل إخبارك قبل –".

"قمتم بالعمل الصواب؟" أطلق إيكستروم تنهدة مثقلة: "أبعدوا جثة الدكتور مينغ على الفور، ولا تقولوا أي شيء".

شعر التقني بالحيرة: "لكن سيدي، أنا –".

وضع إيكستروم يداً ضخمة على كتف الرجل: "استمع إليّ جيداً. إن هذا حادث مفاجئ، حادث آسف عليه كثيراً. بالتأكيد سأعالج الأمر بشكل ملائم

عندما يحين الوقت. لكن الآن، الوقت غير مناسب".

تريد مني إخفاء الجثة؟".

اتجهت عينا إيكستروم الباردتان النورماديتان إلى الأسفل: "فكر بهذا، نستطيع إخبار الجميع، ولكن ما الذي سيحققه هذا؟ لقد بقي على المؤتمر الصحفي ساعة الآن. وإعلان حادث مميت الآن سيقوم بتعتيم الاكتشاف، وسيكون له تأثير مهلك على المعنويات. لقد قام الدكتور مينغ بخطأ طائش ولا أريد أن أجعل ناسا تدفع ثمنه. فلقد حصل أولئك العلماء المدنيون على كفايتهم من الأضواء ولا أريد لأي من أخطائهم اللامبالية أن تطلق الظلّ على لحظة مجدنا الشعبي. سيبقى حادث الدكتور مينغ سراً حتى انتهاء المؤتمر الصحفي. أتفهم ذلك؟".

أومأ الرجل برأسه شاحباً: "سأبعدُ جثته".

59

قضى مايكل تولاند في البحر أوقاتاً كافية لتعلمه أن المحيط يبتلع الضحايا من دون تردد أو ندم. بينما هو يتمدد منهكاً على الصفيحة الجليدية الواسعة، استطاع للتو أن يستوعب الحد الشبحي للرف الجليدي الشاهق في ميلني وهو يتراجع إلى الوراء في الأفق. كان يعلمِ أن التيار المائي القوي في القطب والمتدفق من جزر إليزابيث يأخذ شكلاً لولبياً في حلقة ضخمةَ حول قمة الجليد القطبية وسينتهي أخيراً في شمال روسيا. هذا لا يهم، فسيستغرق ذلك أشهراً من الآن.

ربما قد تبقى لنا ثلاثون دقيقة... خمس وأربعون على الأكثر.

من دون تلك المادة العازلة الواقية لبزّاتهم الممتلئة بالهلام، علم تولاند أنهم كانوا قد توفوا مسبقاً. حمداً لله، فإن بزّات مارك IX قد حافظت عليهم جافين - المظهر الأكثر أهمية للبقاء على قيد الحياة في الطقس القارس. لم يبقِ الهلام الحراري حول أجسادهم في حمايتهم من السقوط، بل إنه يساعد أجسادهم الآن في الاحتفاظ بالحرارة القليلة المتبقية عندهم.

قريباً سيصابون بانخفاض الحرارة في أجسادهم. سيبدأ ذلك بفقد غامض للإحساس في أطرافهم حيث ينسحب الدم إلى صميم الجسد ليحمي الأعضاء الداخلية الحرجة. سيتبع ذلك هلوسات هذيانية، بينما تتباطأ سرعة التنفس

خادعة الدماغ في حاجته للأكسجين. بعدها، سيقوم الجسد بمحاولة أخيرا للحفاظ على حرارته المتبقية من خلال إغلاق جميع الفعاليات باستثناء القلب والتنفس. سيلحق هذا فقدان الوعي. وفي النهاية، ستتوقف مراكز القلب والتنفس في الدماغ عن العمل بأكملها.

التفت تولاند بنظره نحو راشيل، متمنياً لو أن بإمكانه القيام بأي شيء لإنقاذها.

إن الخدر الذي انتشر عبر جسد راشيل سيكستون كان أقل ألماً مما كانت قد تخيلته. كأنه عقار مخدّر للترحيب. مورفين الطبيعة. أضاعت نظارتها في الانهيار، واستطاعت فتح عينيها بصعوبة بالغة بسبب البرودة.

استطاعت رؤية تولاند وكوركي على الجليد بالقرب منها. كان تولاند ينظر إليها، وعيناه مليئتان ندماً. كوركي يتحرك بألم واضح. وعظم وجنته الأيمن مخدوش وملطخ بالدم.

ارتجف جسد راشيل كثيراً عندما كان عقلها يبحث عن الأجوبة. من؟ لماذا؟ امتزجت أفكارها بثقل متزايد داخلها. لم يكن هناك شيء منطقي، شعرت بجسدها ينغلق ببطء خامداً بتأثير قوة خفية تسحبها للنوم. قاومت ذلك. اشتعل في داخلها غضب ناري الآن، وحاولت أن تثير ذلك اللهب.

لقد حاولوا قتلنا! حدقت إلى البحر المُهدد وشعرت بأن المهاجمين قد نجحوا بذلك. نحن ميتون الآن. رغم أنها تعلم الآن بأنه من الممكن ألا تعيش لتعلم الحقيقة بأكملها حول تلك اللعبة المميتة التي تم لعبها على الرف الجليدي في ميلني، إلا أن راشيل توقعت من الذي سيُلام لذلك.

المدير إيكستروم هو الذي سيكسب الكثير من ذلك. هو الشخص الذي أرسلهم خارجاً إلى الجليد، كما أنه يمتلك روابط مع البنتاغون والعمليات الخاصة. ولكن ما الذي سيجنيه أي شخص من ذلك؟

تذكرت راشيل فجأة زاك هيرني، متسائلة فيما إذا كان الرئيس شريكاً في المؤامرة أو أنه رهان لا يعلم بذلك؟ إن هيرني لا يعلم شيئاً، إنه بريء، قالت لنفسها. من الواضح أن الرئيس قد خدع من قبل ناسا. لقد تبقى لهيرني ساعة فقط ليصرح بإعلان ناسا. سيقوم بذلك مزوداً بدعم كبير من البرنامج الوثائقي الذي يحتوي على مصادقات من العلماء المدنيين الأربعة.

العلماء المدنيون الأربعة الميتون.

لا يمكن لراشيل أن تفعل شيئاً الآن لإيقاف المؤتمر الصحفي، ولكنها

أقسمت أنه مهما كان المسؤول عن هذا الاعتداء فينبغي ألاّ ينجو بفعلته.

مستجمعةً قوتها، حاولت راشيل النهوض. شعرت بأعضائها وكأنها من المرانيت، وجميع مفاصلها صرخت ألما عندما أحنت قدميها ويديها. وببطء، سحبت نفسها على ركبتيها، مثبتة نفسها على الجليد المنبسط. فشعرت بدوخة في رأسها. كان المحيط مضطرباً من حولها. يتمدد تولاند قريباً، ينظر إليها بعينين فضوليتين. شعرت راشيل أنه ربما فكر بأنها جاثية تصلي. لكنها لم تكن كذلك بالتأكيد، رغم أنه قد يكون للصلاة فرصة جيدة لإنقاذهم كتلك التي كانت على وشك أن تحاول به.

تلمّست راشيل بيدها اليمنى عبر خصرها ووجدت الفأس الجليدي ما زال معلقاً بحزامها. التقطت أصابعها المتيبسة على المقبض. عكست الفأس واضعة إياه كشكل T مقلوبة. ومن ثم، وبكامل قوتها، دفعت مؤخرته باتجاه الأسفل إلى الجليد. طب. مرة ثانية. طب. كان الدم مثل دبس بارد يجري في عروقها. طب. نظر تولاند إليها بارتباك واضح. دفعت راشيل الفأس إلى الأسفل مرة أخرى. طب.

حاول تولاند النهوض بمساعدة مرفقه: "را... شيل؟".

لم تجبه. فإنها تحتاج إلى كامل قوتها. طب. طب.

"لا أعتقد..." قال تولاند: "أنه على هذا البعد... ستتمكن... الـ (إس إي إي) من سماعك...".

التفتت راشيل متفاجئة فقد نسيت أن تولاند هو عالم محيطات وربما يعلم عن الذي تفعله. فكرة جيدة... لكنني لا أنادي (إس إي إي).

تابعت الطرق.

إن (إس إي إي) هي مختصر لـ 'المجموعة الصوتية تحت المحيطية'. وهي من بقايا آثار الحرب الباردة، وتستخدم الآن من قبل علماء المحيطات حول العالم للاستماع إلى الحيتان، لأن الأصوات تحت الماء يمكن نقلها لمئات الأميال، فبإمكان شبكة (إس إي إي) المؤلفة من تسعة وخمسين ميكروفوناً تحت الماء في أنحاء العالم الاستماع إلى نسبة كبيرة مفاجئة من محيطات الكوكب. لسوء الحظ، فإن هذا الجزء النائي في المحيط القطبي ليس ضمن تلك النسبة، ولكن راشيل تعلم أن هناك آخرين يستمعون إلى قاع المحيط - آخرين يعلم القليل من سكان الأرض عن وجودهم.

تابعت الطرق. كانت رسالتها بسيطة وواضحة.

طب. طب. طب.

طب... طب... طب.

طب. طب. طب.

لم تكن راشيل متوهمة بأن أفعالها هذه قد تنقذ حياتهم، فقد كانت تشعر ببرد عميق يسيطر على جسدها وشكت بأن هناك نصف ساعة قد تبقت لها. إن النجاة هي خارج حدود الإمكانية الآن. لكن هذا لم يتعلق بالنجاة.

طب. طب. طب.

طب... طب... طب...

طب. طب. طب.

"ليس هناك... وقت..." قال تولاند.

إنه ليس... بخصوصنا. إنه بخصوص المعلومات في جيبي... فكرت راشيل.

تصورت راشيل ورقة (جي بي آر) المطبوعة وهي دليل الجريمة في جيب الفيلكرو داخل بزّة مارك IX. أريد إيصال هذه الورقة إلى أيدي مكتب الاستطلاع... وسريعاً.

رغم حالتها الهذيانية، كانت راشيل متأكدة أنه سيتم استقبال رسالتها. ففي منتصف الثمانينات من القرن الماضي، قام مكتب الاستطلاع بإبدال (إس إي إي) بمجموعة أقوى منها بثلاثين ضعفاً. تغطية عالمية كاملة: الساحر الكلاسيكي. الأمر الذي كلف مكتب الاستطلاع اثني عشر مليون دولار ليصغي إلى قاع المحيط. ففي الساعات القليلة المقبلة، ستقوم كمبيوترات كراي الخارقة في نقطة المراقبة التابعة لمكتب الاستطلاع والوكالة الاستخباراتية القومية في مين ويز هيل في بريطانيا بالتقاط تسلسل غير عادي في أحد المستقبلات تحت الماء في المحيط القطبي، ثم تفك شفرة تلك الضربات على أنها طلب نجدة، ثم يمسحون الإحداثيات ويرسلون بطائرة إنقاذ من قاعدة ثيول الجوية في غرين لاند. ستجد الطائرة ثلاثة أجساد على الكتلة الجليدية. مجمدة. ميتة. أحدهم سيكون موظفة في مكتب الاستطلاع... وستكون حاملة لقطعة غريبة من ورقة حرارية في جيبها.

ورقة مطبوعة من (جي بي آر).

الوصية الأخيرة لنورا مانغور.

عندما يدرس المنقذون هذه الورقة، سيكتشفون نفق الإدخال الغامض أسفل

الحجر النيزكي. ومن هناك، لا تعلم راشيل ما الذي سيحدث، ولكن على الأقل، لن يموت السر معهم هنا على الجليد.

60

عند انتقال كل رئيس إلى البيت الأبيض، يتضمن ذلك جولة خاصة على ثلاثة مستودعات محميّة بشدة، تحتوي على مجموعة ثمينة من أثاث البيت الأبيض السابق: مكاتب، أوانٍ فضية، خزن صغيرة، أسرّة وأشياء أخرى كان يستعملها الرؤساء السابقون منذ عهد جورج واشنطن. وخلال الجولة يُدعى الرئيس المنتقل ليختار أياً من هذه المواريث التي يحبها كي يستخدمها كأثاث داخل البيت الأبيض خلال فترة حكمه. لكن السرير في غرفة نوم لينكولن هو القطعة الثابتة الوحيدة الدائمة داخل البيت الأبيض. وبصورة ساخرة، فإن لينكولن لم ينم فيه على الإطلاق.

إن المكتب الذي يجلس عليه زاك هيرني في الوقت الحالي داخل المكتب الرئاسي كان من قبل لمحبوبه هاري ترومان. ذلك المكتب، رغم صغر حجمه حسب المعايير العصرية، يقوم بدور مُذكّر يومي لزاك هيرني بأن المسؤولية كاملاً تقع هنا، وبأنه هو المسؤول المطلق عن أية عيوب في إدارته. وقد قبل هيرني بهذه المسؤولية على أنها شرف له، وفعل ما بوسعه لغرس الحافز في طاقمه للقيام بكل ما يلزم لإنهاء العمل.

"سيدي الرئيس؟" نادت السكرتيرة وهي تنظر إلى المكتب: "لقد تم اتصالك".

لوح هيرني: "شكراً لك".

أخذ هاتفه وفضل لو أن هناك بعض الخصوصية لهذه المحادثة، ولكنه بالتأكيد لن يحصل على أي منها الآن. فهناك مختصتان بالمكياج تحومان حوله كالبعوض، تظهران وتزينان شعر وجهه. مباشرة أمام مكتبه، كان طاقم التلفزيون يتجهز، وحشد هائل من المستشارين ورجال الإعلان يعدون حول مكتبه، يناقشون الخطة الاستراتيجية بحماسة.

الوقت المتبقي: ساعة واحدة.

ضغط هيرني على الزر المضيء في هاتفه الخاص. "لورانس؟ أنت هناك؟".

"أنا هنا". بدا صوت مدير ناسا متلفاً وبعيداً.

"كل شيء جيد هناك؟".

"لا تزال الرياح تعصف، ولكن أخبرني رجالي أن خطوط الأقمار الصناعية لن تتأثر. نحن مستعدون للانطلاق، ساعة واحدة وبدأ العدّ".

"ممتاز، أتمنى أن تكون المعنويات عالية".

"عالية جداً. إن طاقمي مهتاج بشدة. وحقيقة، لقد تناولنا بعض المشروب المفضل للتو".

ضحك هيرني: "مسرور لسماع ذلك. أردت الاتصال لأشكرك قبل القيام بهذا. إن الليلة ستكون إحدى الليالي الرائعة".

صمت المدير، ويبدو أنه غير واثق على غير عادته: "ستكون كذلك سيدي، لقد انتظرنا وقتاً طويلاً من أجلها".

تردد هيرني: "يبدو أنك مرهق".

"أحتاج إلى ضوء الشمس وإلى سرير حقيقي".

"ساعة واحدة فقط. ابتسم للكاميرات واستمتع بهذه اللحظة. وبعدها سنرسل طائرة لإحضارك إلى واشنطن".

"أتشوق لهذا". صمت الرجل مرة أخرى.

وكمفاوض ماهر، كان هيرني مدرّباً ليستمع، ليصغي إلى ما يتم قوله بين السطور. شيء ما في صوت المدير بدا غريباً بعض الشيء. "أنت متأكد من أن كل شيء على ما يرام هناك؟".

"من دون شك، جميع الأنظمة تعمل". بدا أن المدير متلهف لتغيير الموضوع: "هل رأيت المشهد النهائي لبرنامج مايكل تولاند؟".

"شاهدته للتو". قال هيرني: "وقد قام بعمل رائع".

"نعم. لقد قمت بدعوة جيدة في إحضاره إلى هنا".

"أما زلت غاضباً مني لاستخدام المدنيين؟".

"بالتأكيد، نعم". تذمر المدير بصورة ودية، يصاحب صوته القوة المعتادة.

هذا جعل هيرني بحالٍ أفضل. إن إيكستروم على ما يرام، فكر هيرني، متعبٌ بعض الشيء. "حسناً، سأراك بعد ساعة بواسطة الأقمار الاصطناعية، سنقدم إليهم شيئاً ليتحدثوا عنه".

"صحيح".

"لورانس؟" أصبح صوت هيرني منخفضاً ورزيناً الآن. "يا له من عمل قمت به هناك. لن أنسى ذلك أبداً".

خارج القبة الاصطناعية، مقارعاً الرياح، ناضل دلتا ثلاثة ليرتب ويعيد

حزم مزلجة المعدات المنقلبة الخاصة بنورا مانغور. وحالما أعاد جميع المعدات على متنها، ثبت غطاءها الفينيلي ووضع جسد مانغور الميت فوقه وربطها إلى الأسفل. وعندما أصبح مستعداً لسحب المزلجة خارج المسار، أتى شركاؤه يتزلجون إلى أعلى المنحدر باتجاهه.

"تغيير الخطط". صاح دلتا واحد بصوت أعلى من صوت الرياح. "لقد سقط الثلاثة الآخرون على الحافة".

لم يكن دلتا ثلاثة مستغرباً. يعلم هو الآخر ما يعني هذا، فإن خطة دلتا فورس لخلق حادث من خلال ترتيب الأجساد الأربعة على الرف الجليدي لم تعد خياراً قابلاً للتطبيق، وترك جسد وحيد سيؤدي إلى طرح أسئلة تفوق الإجابات. "هل آخذها من هنا؟" سأله.

هزّ دلتا واحد رأسه موافقاً: "سأستعيد الأضواء وأنتما تتخلصان من المزلجة؟".

بينما تتبع دلتا واحد بحذر أثر طريق العلماء، جامعاً كل أثر أخير يدل على وجود أي شيء لشخص هنا، قام دلتا ثلاثة وزميله بالتحرك أسفل المنحدر مع مزلجة المعدات المُساقة. وبعد المناضلة للمرور فوق المجاري، وصلا أخيراً إلى الجرف في نهاية الرف الصخري لميلني، ثم دفعا، فانزلقت نورا مانغور والمزلجة بصمت من الحافة، هابطة إلى المحيط القطبي.

"تخلص من دون أي أثر". فكر دلتا ثلاثة.

عند توجههم إلى القاعدة، كان مسروراً لرؤية أن الرياح تزيل الآثار التي شكلتها زلاجاتهم.

61

لقد مضى على تمركز الغواصة النووية 'شارلوت' في المحيط القطبي خمسة أيام الآن. ووجودها هنا هو أمر بالغ السرية.

من صنف لوس أنجلوس، صممت 'شارلوت' لكي 'تَستمع وليس لأن تُسمع'. فإن محركات عنفاتها التي تزن اثنين وأربعين طناً قد تم إيقافها على نوابض لتخمد أية اهتزاز قد تحدثه. رغم حاجتها للانسلال، فإن هذه الغواصة تشغل حجماً تحت الماء يفوق معظم غواصات الاستطلاع الأخرى. يبلغ امتدادها أكثر من 360 قدماً (108 متر) من الرأس حتى المؤخرة، ولو تم وضع

غطائها في ملعب كرة القدم للاتحاد القومي، فسوف تحطم كلا المرميين وزيادة. وهي أطول بسبع مرات من أول غواصة من صنف هولاندة للبحرية الأميركية، كما تشغل الغواصة 6.927 طناً من الماء عند غطسها بأكملها، وبإمكانها أن تنطلق بسرعة مذهلة تبلغ خمساً وثلاثين عقدة.

إن عمق الإبحار الطبيعي لتلك المركبة هو إلى الأسفل تماماً من طبقة التغير الحراري للماء، وهي مدروج حراري طبيعي تقوم بتشويه انعكاسات السّونار[32] القادمة من الأعلى وتجعل الغواصة محجوبة عن الرادار السطحي، بطاقم يبلغ 148 شخصاً، وعمق غوص هائل يفوق ألف وخمسمئة قدم (450 متراً)، وتمثل أحدث التقنيات المائية. بالإضافة إلى أنها حصان العمل في المحيطات لبحرية الولايات المتحدة. وإن نظام الأكسجة التبخيري بالتحليل الكهربائي التابع لها، ومفاعليها النوويين والاحتياطات المهندَسة، كل هذا منحها إمكانية أن تبحر حول العالم إحدى وعشرين مرة من دون أن تصعد إلى السطح. الفضلات البشرية للطاقم، كما في معظم السفن البحرية، تُضغط إلى كتل تزن ستين باونداً (27 كيلوغراماً) ثم تُطرح إلى المحيط - كان يُشار لتلك الكتل الضخمة من البراز، على سبيل المزاح، باسم 'روث الحوت'.

التقني الجالس أمام شاشة المُذبذب في غرفة السّونار هو واحد من الأفضل في العالم. كان عقله قاموساً للأصوات وأشكال الأمواج. فهو يستطيع التمييز بين أصوات الكثير من مراوح الغواصات الروسية والمئات من الأحياء البحرية، حتى البراكين الصغيرة جداً تحت الماء إلى بُعد يصل اليابان.

لكنه في هذه اللحظة، كان يستمع إلى صدى متكرر غير واضح. هذه الأصوات، رغم سهولة تمييزها إلا أنها غير متوقعة على الإطلاق.

"لن تصدق ما الذي يأتي عبر اسطوانات الاستماع". قال لمساعده المسؤول عن الكاتالوج معطياً إياه سماعات الرأس.

وضع مساعده السماعات فعبرت على وجهه نظرة شكوكية: "يا إلهي، إنها واضحة كضوء الشمس. ماذا نفعل؟".

كان رجل السونار قد بدأ اتصاله بالكابتن مسبقاً.

عند وصول كابتن الغواصة إلى غرفة السونار، قام التقني بوصل مزود سونار مباشرة إلى مجموعة صغيرة من مكبرات الصوت.

---

32 السّونار: جهاز لاكتشاف وجود الأشياء تحت الماء بواسطة موجات صوتية تنعكس إليه منها.

استمع الكابتن من دون أن يظهر أي تعابير.

طب. طب. طب.

طب... طب... طب...

أبطأ. أبطأ. أصبح الصوت أقل إحكاماً ويزداد ويزداد خفوتاً. "ما هي الإحداثيات؟" سأل الكابتن.

تنحنح التقني: "في الواقع، سيدي إنها قادمة من السطح، على بعد يقارب ثلاثة أميال عن يميننا".

62

في المدخل المظلم، خارج حجرة السيناتور سيكستون، كانت قدما غابرييل آش ترتجفان. لم يكن ذلك بسبب التعب الشديد من الوقوف من دون حراك فقط، بل بسبب خيبة الأمل مما سمعته. كان اللقاء في الغرفة المجاورة مستمراً. ولكن غابرييل لم ترد أن تستمع لأي كلمة أخرى، فقد بدت الحقيقة واضحة بشكل مؤلم.

السيناتور سيكستون يأخذ رشوة من وكالات الفضاء الخاصة. لقد كانت مارجوري تينش تقول الحقيقة.

إن رد الفعل المفاجئ الذي أصابها هو الشعور بالخداع. لقد آمنت بسيكستون وحاربت من أجله. كيف يمكنه القيام بهذا؟ لقد رأت غابرييل السيناتور يكذب علانية من وقت لآخر ليحمي حياته الخاصة، ولكن ذلك كان السياسة. أما هذا فإنه خرق القانون.

إنه لم يُنتخب بعد، ومسبقاً يبيع البيت الأبيض!

علمت غابرييل أنها لن تستطيع دعم السيناتور بعد الآن. إن الوعد بتحرير مشروع قانون خصخصة ناسا يمكن أن يتم باستخفاف مُزدرٍ لأمرين: القانون والنظام الديمقراطي. حتى لو اعتقد السيناتور بأنه من مصلحة الجميع بيع ذلك القرار بسرعة، ومُقدماً، فإن هذا يغلق الباب على ضوابط وحسابات الحكومة، متجاهلاً المناقشات المحتمل أن تكون مقنعة من الكونغرس والمستشارين والمصوتين وأعضاء الهيئة التشريعية. والأمر الأهم، هو أنه بضمان خصخصة ناسا، يكون سيكستون قد مهد الطريق لمفاسد لا تنتهي بسبب تلك المعرفة المتقدمة – أشيعها تجارة المطلعين على المعلومات الداخلية – بحيث يتم تفضيل الطاقم الداخلي الغني على حساب المستثمرين الشعبيين الشرفاء.

شاعرة بالحاجة إلى التقيؤ، تساءلت غابرييل ما الذي يتوجب عليها فعله.

رنّ هاتف إلى جوارها بحدة، مبدداً صمت المدخل، فالتفتت غابرييل مجفلة. كان الصوت قادماً من الخزانة الموجودة في الردهة - خليوي في جيب أحد معاطف الزوار.

"معذرة أصدقائي". قال متشدقاً رجل من تكساس في الحجرة: "إنه أنا".

استطاعت غابرييل سماع الرجل ينهض، إنه قادم من هذا الطريق! منعطفة، اندفعت بسرعة على السجادة في الطريق الذي قدمت منه، وفي منتصف المدخل، انعطفت نحو اليسار متجهة نحو المطبخ المظلم حال خروج الرجل من الحجرة ووصوله المدخل. تجمدت غابرييل دون حراك في الظلال.

مشى بخطى واسعة دون أن يلاحظها.

فوق صوت قلبها الذي يخفق بقوة، استطاعت غابرييل سماعه يُحدث حفيفاً في الخزانة. وأخيراً، أجاب على الهاتف الرنان. "نعم؟... متى؟... حقاً؟ سنفتحه. شكراً". أنهى الرجل محادثته وتوجه عائداً إلى الحجرة منادياً وهو في طريقه. "هاي! أديروا التلفاز. يبدو أن زاك هيرني يقدم مؤتمراً صحفياً مستعجلاً هذه الليلة. الساعة الثامنة. في جميع القنوات، إما أنه يصرح بالحرب ضد الصين أو أن محطة الفضاء العالمية قد سقطت للتو في المحيط".

"ألن يكون هذا شيئاً لنشرب نخبه الآن". قال أحدهم.

ضحك الجميع.

شعرت غابرييل بالمطبخ يدور حولها. الساعة الثامنة مساءً، مؤتمر صحفي؟ يبدو أن تينش لم تخدعني في النهاية. لقد أعطت غابرييل فرصة حتى الساعة الثامنة لتقدم الشهادة التي تعترف فيها بالعلاقة. أبعدي نفسك عن السيناتور قبل فوات الأوان، كانت تينش قد قالت لها ذلك. افترضت غابرييل أن الموعد الأخير هو تسريب البيت الأبيض المعلومات لجرائد الغد. ولكن الآن، يبدو أن البيت الأبيض ينوي نشر الادعاءات بأنفسهم. مؤتمر صحفي عاجل؟ كلما فكرت غابرييل بهذا أكثر، بدا أكثر غرابة. سينقل هيرني هذه الأوساخ مباشرة؟ شخصياً؟

علا صوت التلفاز في الحجرة مدوياً. كان صوت المعلق ينفجر إثارة: "لم يقدم البيت الأبيض أية معلومات عن موضوع خطاب الرئيس المفاجئ لهذه الليلة، ولكن الاحتمالات كثيرة، حيث يعتقد بعض المحللون الآن، معتمدين على غياب الرئيس في الآونة الأخيرة عن قافلة الحملة، أن زاك هيرني يحضر

أعلن أنه لن يستمر في الدورة القادمة".

ابتهاج متألق انبثق في الحجرة.

يا له من سخف! فكرت غابرييل. مع جميع القذارات التي يحملها البيت الأبيض على سيكستون، فإنه من المستحيل للرئيس أن يستسلم الليلة. إن هذا المؤتمر الصحفي يدور حول أمر آخر. كانت غابرييل تمتلك إحساساً ضئيلاً بشبيها لما سيكون هذا.

بإلحاح متزايد، تفحصت ساعتها، أقل من ساعة واحدة. يجب عليها أن تقرر، وهي تعلم تماماً من الذي تحتاج إلى أن تكلمه. أمسكت بالظرف تحت ساعدها، وخرجت بهدوء من الشقة.

وفي المدخل، بدا على الحارس الارتياح: "لقد سمعت بعض الابتهاج في الداخل. يبدو وكأنك كنت ضربة موفقة".

ابتسمت بفظاظة وتوجهت نحو المصعد.

خارجاً في الشارع، أحست بالليل المحيط مريراً على غير المعتاد. مشيرة إلى سيارة أجرة، ركبتها ثم حاولت أن تأكد لنفسها أنها تعلم تماماً ما الذي يجب عمله.

"أستديوهات تلفزيون (إي بي سي)" قالت للسائق: "وبسرعة".

63

كان مايكل تولاند ممدداً على جانبه فوق الجليد، أسند رأسه إلى ساعده الممدودة والتي لم يكن يشعر بها أبداً. رغم شعوره بثقل أجفان عينه، جاهد لإبقائهما مفتوحين. من مكان الرؤية الغريب هذا، التقط تولاند النظرات الأخيرة لعالمه - الآن بحر وجليد فقط - بإمالة جانبية غريبة. بدا أن هذه النهاية مناسبة ليوم لم يكن أي شيء فيه كما بدا.

هدوء مخيف كان قد بدأ يستقر فوق الرمث الجليدي الطائف. كوركي وراشيل صامتان، كما توقف الدقّ أيضاً. فكلما طافوا أبعد عن المنحدر، أصبحت الرياح أكثر هدوءاً. سمع تولاند جسده يصبح أكثر هدوءاً أيضاً. ومن خلال القلنسوة الضيقة فوق أذنيه، استطاع سماع أنفاسه مضخمة في رأسه. كانت تصبح أكثر بطءاً... أكثر سطحية. لم يعد جسده قادراً على مصارعة الإحساس الضاغط الذي صاحب هروب دمه من أطرافه كطاقم هجر سفينته، متدفقاً بفطرته إلى الأعضاء الحيوية في محاولة أخيرة لإبقاء وعيه.

معركة خاسرة، علم ذلك.

على نحو غريب، لم يعد هناك ألم أبداً. لقد مرّ بهذه المرحلة، فقد تحول إحساسه الآن إلى الانتفاخ، فاقداً الإحساس، طافياً. عندما بدأت أولى العمليات الانعكاسية عنده - طرف العين - بالتوقف، أصبحت الرؤية عنده غير واضحة، حيث كان الخلط المائي في عينيه والشاغل للفراغ بين القرنية وعدسة العين يتجمد تكراراً. حدق تولاند عائداً بنظراته إلى الرف الجليدي في ميلني، الآن هو شكل أبيض باهت تحت ضوء القمر الغائم.

شعر بنفسه تعترف بالخسارة. وهو يتأرجح على حافة الوجود والانعدام، نظر إلى أمواج المحيط في الأفق. عصفت الرياح بشدة من حوله.

بعدها، بدأ تولاند بالهلوسة، وبغرابة، في الثواني الأخيرة قبل فقدانه الوعي، لم يُهلوس بالنجاة، لم يهلوس بأفكار دافئة ومريحة، ولكن كانت أوهامه الأخيرة من النوع المرعب.

شيء ضخم انبثق من المياه بجانب الكتلة الجليدية، خارقاً السطح بهسهس مشؤوم. كوحش بحري أسطوري، اقترب - أملس، أسود وميت مصحوب بزبد البحرِ من حوله. أجبر تولاند نفسه على فتح عينيه، فوضحت الرؤية عنده قليلاً. كان ذلك الوحش قريباً، يصطدم بالجليد كقرشٍ ضخمٍ يدفع قارباً صغيراً. جلد ذلك الشيء الضخم الذي ارتفع أمامه كان مضيئاً قليلاً ورطباً.

عندما تحولت الصورة الباهتة إلى سواد، كان كل ما تبقى هو الأصوات. معادن تصطدم ببعضها بعضاً، أسنان تصرّ على الجليد، تقترب أكثر ساحبة الأجساد بعيداً.

راشيل...

شعر تولاند بنَفَسه ينسحب بقساوة.

وبعدها انعدمت الصورة بأكملها.

64

كانت غابرييل آش تمشي بأسرع ما يمكن عندما دخلت غرفة الإنتاج في الطابق الثالث لوكالة الأخبار (أي بي سي)، مع ذلك فقد كانت تتحرك ببطء أكثر من أي شخص آخر في الغرفة. حيث كانت الحماسة في غرفة الإنتاج في حالة مثارة بشدة خلال الأربع والعشرين ساعة من اليوم، ولكن في هذه اللحظة، كانت شبكة الحجرات أمامها تبدو وكأنها سوق الأموال في أوج

سرعته. محررون هائجون يصرخون لبعضهم البعض من فوق قمم حجراتهم، ومراسلون يلوحون بأوراق الفاكس يركضون من حجرة إلى أخرى ليتبادلوا الآراء ووجهات النظر، ومتدربون هائجون يستنشقون مواد روحية بين المهمة والأخرى.

لقد أتت غابرييل إلى (أي بي سي) لرؤية يولاندا كول.

عادة ما يمكن أن توجد يولاندا في منطقة الإنتاج الفاخرة - المكاتب الخاصة ذات الجدران الزجاجية والمخصصة فقط لصناع القرار الذين يتطلبون في الواقع بعض الهدوء ليتمكنوا من التفكير. لكن، في هذه الليلة، كانت يولاندا خارجاً في ميدان العمل، في الوسط. عندما رأت غابرييل، أطلقت صرختها المعتادة الممتلئة بالحيوية.

"غابرييل!" كانت يولاندا ترتدي دثاراً زاهي اللون ونظارات ذَبليّة[33]. وكما تفعل دائماً، كانت ترتدي عدة أرطال من المجوهرات الرخيصة المبهرجة. تهادت يولاندا في مشيتها وهي تلوح: "العناق!".

يولاندا كول هي محررة للقناة الأخبارية (أي بي سي) في واشنطن منذ ست عشرة سنة. بوجه بولندي مليء بالنمش، كانت يولاندا قصيرة وثخينة، امرأة بسيطة يدعوها الجميع بمحبة: 'الأم'. إن حضورها الرزين ومزاجها الجيد قد أخفيا قساوة ذكاء الشارع عندها للحصول على القصة. كانت غابرييل قد التقت بيولاندا في منتدى تعليمي يدعى 'النساء في السياسة' حضرته بعد مدة قصيرة من وصولها إلى واشنطن. تحدثتا عن خلفية غابرييل وتحديات كونها امرأة في (دي سي)، وأخيراً عن إيفليس بريزلي - حبّ تفاجأتا عند اكتشاف تقاسمه. كانت يولاندا قد تبنت غابرييل تحت جناحها وساعدتها على إقامة العلاقات ولا تزال غابرييل تقف كل شهر أو ما يقارب لتلقي عليها التحية.

عانقتها غابرييل مطولاً، فقد عملت حماسة يولاندا على تنشيط مزاجها.

خطت يولاندا إلى الخلف ثم تفحصت غابرييل: "تبدين وكأنك بلغت المئة سنة يا فتاة! ما الذي حدث لك؟".

أخفضت غابرييل صوتها: "إنني في مشكلة يا يولاندا".

"ليس هذا ما يُقال عنك فيبدو أن رجلك في القمة".

"هل هناك أي مكان نتحدث فيه بخصوصية؟".

---

[33] ذبلية: مصنوعة من عظم ظهر السلحفاة.

"الوقت غير مناسب، عزيزتي، إن الرئيس سيقيم مؤتمراً صحفياً بعد حوالى نصف ساعة، ولا نزال لا نملك أية معلومات عما سيتحدث به. يجب عليّ القيام بتعليق بارع وأنا أسير تائهة".

"أنا أعلم عما يدور هذا المؤتمر".

أخفضت يولاندا نظارتها، ناظرة بشك: "غابرييل، إن مراسلنا داخل البيت الأبيض لم يعلم بأي شيء حتى الآن. وتقولين إن حملة سيكستون لديها معلومات مسبقة؟".

"لا، أقول إنني أنا لديّ علم مسبق؟ أعطني خمس دقائق وسأخبرك كل شيء".

نظرت يولاندا إلى الظرف الأحمر من البيت الأبيض في يد غابرييل: "إن هذا خاص بالبيت الأبيض، من أين حصلت عليه؟!".

"في لقاء خاص مع مارجوري تينش عصر هذا اليوم".

حدقت بها يولاندا للحظة طويلة: "اتبعيني!".

داخل الحجرة الزجاجية الخاصة بيولاندا، أفضت غابرييل إلى صديقتها الموثوقة معترفة بليلة واحدة من العلاقة مع سيكستون وحقيقة أن تينش تمتلك دليلاً مصوراً لذلك.

قدمت يولاندا لها ابتسامة عريضة، وهزّت برأسها ضاحكة. يبدو أنها قضت في صحافة واشنطن وقتاً طويلاً جعلها لا تتصدم بأي شيء. "أوه، غابرييل، لديّ شعور داخلي بأنك وسيكستون على علاقة. وهذا غير مفاجئ. لديه سمعة عن ذلك وأنت فتاة جميلة. إن أمر الصور سيئ جداً ولكنني لا أقلق حيالهم".

لا تقلقين حيالهم؟ قالت غابرييل لنفسها.

وضحت غابرييل أن تينش قد اتهمت سيكستون أنه يأخذ رشاوى غير شرعية من شركات الفضاء، وبأن غابرييل قد استرقت السمع للتو لاجتماع سري مع (إس إف إف) يثبت صحة هذه الحقيقة! مرة أخرى، كانت تعابير يولاندا لا تدل إلا على القليل من المفاجأة أو القلق - إلى أن أخبرتها غابرييل ما تفكر القيام به.

بدا على يولاندا القلق الآن: "غابرييل، لو قمت بتسليم وثيقة رسمية تقولين فيها إنك قد ضاجعت سيناتور الولايات المتحدة ثم وقفت جانباً بينما هو يكذب حول ذلك، فإن هذا هو شأنك الخاص. ولكنني أحذرك من أن هذه خطوة سيئة جداً لك. يجب أن تفكري كثيراً ومطولاً حول الذي يمكن أن يعنيه هذا لك".

"أنت لا تستمعين. ليس لديّ الوقت الكافي لذلك!".

"أنا استمع يا حبيبتي، سواء أكانت الساعة تمر أم لا، هناك أشياء محددة لا تقومين بها على الإطلاق. لا يمكنك بيع سيناتور في الولايات المتحدة بفضيحة جنسية. هذا انتحار، أنا احذرك يا فتاة! لو قمت بإذلال مرشح رئاسي، عندها يفضل أن تركبي سيارتك وتقودي إلى أبعد ما تستطيعين عن (دي سي). سوف تصبحين امرأة مُعلّمة. يُنفق الكثير من الناس الكثير من الأموال لوضع المرشحين في القمة، حيث يتم المخاطرة هناك بفقدان أموال كثيرة وسلطة - السلطة التي يقتل الناس من أجلها".

التزمت غابرييل الصمت الآن.

"شخصياً". قالت يولاندا: "أعتقد أن تينش كانت تعتمد عليك على أمل أن تشعري بالذعر وتقومي بشيء أخرق - كالهرب من هذا المأزق والاعتراف بالعلاقة". أشارت يولاندا إلى الظرف الأحمر في يدي غابرييل: "هذه الصور لك ولسيكستون لا تعني الإيقاع بكما إلا إذا قمت أنت أو هو بالاعتراف بصحتها. إن البيت الأبيض يعلم أنه لو كشف هذه الصور، فإن سيكستون سيدعي فقط أنها زائفة ويرميها في وجه الرئيس".

"لقد فكرت بذلك. ولكن لا تزال قضية الارتشاء في تمويل الحملة -".

"حبيبتي، فكري ملياً بها. بما أن البيت الأبيض لم يعلن عن ادعاءات الرشوة هذه بعد، فربما هم لا ينوون ذلك. إن الرئيس جادّ بعدم القيام بحملات سلبية. وإن تخميني بأنه قرر عدم إفشاء فضيحة صناعة الفضاء وأرسل تينش وراءك بمخادعات على أمل إخافتك من إخفاء أمر الجنس هذا، وجعلك تطعنين مرشحك في الظهر".

فكرت غابرييل بهذا. إن يولاندا على حق، ولكن لا يزال هناك شيء غريب. أشارت غابرييل عبر الزجاج إلى غرفة الأخبار المهتاجة: "يولاندا، إن فتيانك متشوقون لمؤتمر الرئيس الصحفي الكبير، ولو أن الرئيس لا يريد كشف أمر الرشوة أو الجنس، لماذا يكون كل هذا؟".

بدا على يولاندا الصدمة: "انتظري! أتعتقدين أن هذا المؤتمر الصحفي هو عنك وعن سيكستون؟".

"أو عن الرشوة أو عن الاثنين معاً. لقد أخبرتني تينش أن أمامي حتى الساعة الثامنة من مساء هذه الليلة لأوقع الاعتراف أو سيقوم الرئيس بإعلان -".

هزّت ضحكة يولاندا زجاج الحجرة بأكمله: "من فضلك! انتظري! إنك تقتلينني!".

لم تكن غابرييل في مزاج جيد للمزاح: "ماذا!".

"اسمعي يا غابرييل". تدبرت يولاندا قولها من بين الضحك: "ثقي بهذا، لقد مضى على تعاملي مع البيت الأبيض ست عشرة سنة حتى الآن. ومن المستحيل أن يكون زاك هيرني قد جمع الإعلام العالمي بأكمله ليخبرهم باشتباهه بأن سيكستون يقبل تمويلاً مالياً مشبوهاً به لحملته أو أنه يمارس الجنس معك. هذا النوع من المعلومات يتم تسريبها عادة. إن الرؤساء لا يحصلون على الشعبية بمقاطعة جدول البرامج المنتظمة ليشكوا أو ينوهوا حول الجنس أو حول مخالفات مزعومة لقوانين تمويل غامضة للحملات".

"غامضة؟" أجابت غابرييل بحدة: "بيع قرار مسبق لمشروع قانون فضائي بالملايين مقابل أموال دعائية وكل هذا قضية غامضة!".

"هل أنت واثقة من أن هذا الذي يفعله؟" تصلبت نبرة صوت يولاندا الآن، "هل أنت متأكدة من ذلك لدرجة تجعلك تسقطين تنورتك على شاشة التلفاز القومي. فكري بهذا، الأمور تحتاج إلى الكثير من الأحلاف لإنهائها هذه الأيام، إن تمويل الحملة أمر معقد. ربما كان لقاء سيكستون شرعياً تماماً".

"إنه يخرق القانون". قالت غابرييل، أليس كذلك؟

"أو أن مارجوري تينش جعلتك تصدقين هذا. إن المرشحين يقبلون دائماً تبرعات سرية من الشركات الكبيرة. ربما يكون هذا غير مناسب، ولكنه ليس بالضرورة غير شرعي. في الحقيقة، إن معظم القضايا القانونية لا تتعامل مع المصدر الذي قدمت منه الأموال بل مع كيف يختار المرشح طريقة إنفاقها".

ترددت غابرييل وهي تشعر بالحيرة الآن.

"غابرييل، لقد تلاعب بك البيت الأبيض عصر هذا اليوم. وقد حاولوا أن يقلبوك ضد مرشحك، وحتى الآن، استجبت لخداعهم. ولو كنت أبحث عن شخص لأثق به، فأعتقد أنني سألازم سيكستون قبل القفز لأنضم لطاقم شخص مثل مارجوري تينش".

رنّ هاتف يولاندا، أجابته مومئة، موافقة ثم تدون ملاحظاتها. "ممتع"، قالت في النهاية: "سأكون هناك، شكراً".

أغلقت يولاندا الهاتف والتفتت وعلى وجهها حاجبان مقوسان: "غابرييل،

يبدو أنه قد تم تحريرك من هذا المأزق. تماما كما توقعت".

"ما الذي يجري؟".

"ليس لديّ معلومات دقيقة بعد، ولكن يمكنني أن أقول لك - إن مؤتمر الرئيس الصحفي لا يخص أية فضائح جنسية أو مصاريف حملة".

شعرت غابرييل بوميض من الأمل وأرادت تصديقها كثيراً: "كيف عرفت ذلك؟".

"شخص من الداخل سرب لنا المعلومات بأن المؤتمر الصحفي يتعلق بناسا".

تروعت غابرييل فجأة: "ناسا؟".

غمزتها يولاندا: "يمكن أن تكون هذه ليلتك المحظوظة، أنا أراهن بأن الرئيس هيرني يشعر بضغط شديد من السيناتور سيكستون، لذلك قرر أنه ليس لدى البيت الأبيض خيار سوى إنهاء محطة الفضاء العالمية. وهذا يفسر تلك التغطية الإعلامية الشاملة".

مؤتمر صحفي لإنهاء محطة الفضاء؟ لم تستطع غابرييل التصديق.

نهضت يولاندا: "لهذا كان هجوم تينش عصر اليوم؟ ربما كانت المحاولة الأخيرة للحصول على دعم ضد سيكستون قبل أن يصرح الرئيس بالأخبار السيئة. لا شيء كفضيحة جنسية تبعد الأنظار عن إخفاق رئاسي آخر. على أية حال، غابرييل. لديّ عمل يجب القيام به. وإن نصيحتي لك - أحضري لنفسك كوباً من القهوة، واجلسي هنا، أشعلي التلفاز واخرجي سالمة من هذه المشكلة مثلنا تماماً. بقي أمامنا عشرون دقيقة حتى وقت العرض. أنا أنصحك بأنه من المستحيل أن يغطس الرئيس في سلة القمامة هذه الليلة، فإن العالم بأسره يشاهده. مهما كان الذي سيقوله فإن له أهمية خاصة".

ثم قدمت لها غمزة تجدد طمأنينتها: "أعطني الظرف الآن".

"ماذا؟".

مدّت يولاندا يدها طالبةً إياه: "سيتم القفل على هذه الصور هنا في مكتبي إلى أن ينتهي كل شيء. أريد التأكد من أنك لن تقومي بعمل أحمق".

وبتردد، أعطتها غابرييل الظرف.

قفلت يولاندا على الصور بحذر في درج مكتبها ووضعت المفاتيح في جيبها: "ستشكرينني يا غابرييل، أقسم لك". جعدت شعر غابرييل مازحة وهي في طريقها إلى الخارج.

"اجلسي هنا حتى يحين الوقت المناسب. أعتقد أن الأخبار الجيدة في الطريق".

جلست غابرييل وحيدة في الحجرة الزجاجية، محاولة أن تجعل من موقف يولاندا المتفائل عوناً لها. ولكن، كل ما استطاعت غابرييل التفكير به هو ابتسامة الرضا عن النفس التي ظهرت على وجه مارجوري تينش عصر هذا اليوم. لم تستطع غابرييل أن تتخيل ما الأمر الذي على وشك أن يخبره الرئيس للعالم، ولكن من المؤكد أنه ليس من صالح السيناتور سيكستون.

65

شعرت راشيل سيكستون وكأنه يتم حرقها وهي على قيد الحياة.

إنها تمطر ناراً!

حاولت فتح عينيها، ولكن كل ما استطاعت رؤيته كان أشكالاً ضبابية وأضواءً مبهرة. لقد كانت تمطر في جميع الأمكنة من حولها، أمطارٌ حارة محرقة، تضرب جلدها العاري. كانت ممددة على جنبها، فاستطاعت أن تشعر بآجر حار أسفل جسدها. انكمشت على نفسها بشكل الوضعية الجنينية، محاولة بذلك أن تحمي نفسها من السائل المغلي الذي يسقط عليها من الأعلى. شمت رائحة مواد كيميائية، ربما يكون الكلور. حاولت أن تزحف بعيداً ولكنها لم تستطع، فقد ضغطتْ على كتفها أيدي قوية مثبتة إياها إلى الأسفل.

دعني أذهب! أنا احترق!

بالفطرة، جاهدت مرة أخرى لتهرب، فتم ردها ثانية، كانت الأيدي القوية أكثر صرامة. "ابقي حيث أنت". قال ذلك صوت رجل بلهجة أميركية... احترافية: "سينتهي هذا قريباً".

ما هو الذي سينتهي؟ تساءلت راشيل... الألم؟ حياتي؟ حاولت أن تركز رؤيتها لكن الأضواء في المكان كانت مزعجة. أحست أن الغرفة صغيرة، ضيقة، وأسقفها منخفضة.

"أنا أحترق!" كانت صرخة راشيل همساً.

"أنت على ما يرام". قال ذلك الصوت: "إن هذه المياه فاترة، ثقي بي".

أدركت راشيل أنها عارية تقريباً ترتدي ملابسها الداخلية المشبعة بالمياه فقط. لم تعبر عن أي إحراج، فقد كان عقلها مليئاً بالكثير من الأسئلة الأخرى.

كانت الذكريات تتدافع إليها كالوابل. الرف الجليدي، الـرادار المختـرق للأرض، الهجوم، من هم؟ أين أنا؟ حاولت أن تجمع الأجزاء سوية، لكن عقلها كان بليداً كمجموعة من المسننات المعاقة، من خارج ذلك التشوش المتلخـبط، جاءها تفكير واحد: مايكل تولاند... أين هم؟

حاولت راشيل أن تركّز نظرها المرهق، لكنها لم ترَ إلا رجـالاً يقفـون حولها، كانوا جميعاً يرتدون بزّات القفز الزرقاء نفسها. أرادت التحدث ولكـن فمها رفض أن يتفوّه بكلمة واحدة. فالإحساس بالاحتراق في جلدها قد تلاشـى الآن إلى أمواج عميقة مفاجئة من الألم الخفيف المتواصل الذي انتشـر عبـر عضلاتها كرعشات زلزالية.

"دعي ذلك يحدث"، قال الرجل من فوقها: "يحتاج الدم إلى أن يجري عائداً في جهازك العضلي". تحدث كأنه طبيب: "حاولي تحريك عضلاتك بقـدر مـا تستطيعين".

شعرت بالألم يعبر جسدها وكأن كل عضلة كانـت تُضـرب بمطرقـة. تمددت هناك على الآجر، صدرها يتقلص وتستطيع أن تتنفس بصعوبة بالغة.

"حركي قدميك ويديك". أصرّ الرجل على ذلك: "لا يهم، ما الذي تشعرين به".

حاولت راشيل، فكانت كل حركة كأنها سكينة تُدفع في مفاصلها. ثم تدفق الماء الذي يزداد سخونة مرة أخرى وعاد الاحتراق واستمر الألـم السـاحق. وبتلك اللحظة نفسها التي فكرت أنها لن تستطيع أن تصمد لأي لحظة أخـرى، شعرت بأحدهم يعطيها حقنة. بدا أن الألم قد هدأ بسرعة، أقـل وأقـل عنفـاً، متحرراً. تباطأت الرعشات. شعرت بنفسها تتنفس مرة أخرى. كـان إحسـاس جديد ينتشر عبر جسدها الآن، لسعة غريبة من الدبابيس والإبر. في كل مكـان تطعنها – بشكل أكثر وأكثر حدة. وخز من ملايين الإبر الصـغيرة، تـزداد حدة كلما تحركت. حاولت أن تبقى دون حراك، ولكن تدفق المياه تابع ضربها. كان الرجل فوقها ممسكاً بذراعيها يحركهما.

يا إلهي! إن هذا يؤلم! كانت راشيل منهكة جداً لتقاومه. دموع من الإجهاد والألم انصبت على وجهها، أغلقت عينيها بإحكام، حاجزة العالم خلفهما.

في النهاية، بدأت الدبابيس والإبر بالتبدد، وتوقف المطر مـن الأعلـى. عندما فتحت راشيل عينيها، كانت رؤيتها أوضح.

عندها تمكنت من رؤيتهم.

تمدد كوركي وتولاند بجانبها، يرتعشان وهما نصف عــاريين ومشــبعين بالماء. أحست راشيل من نظرات الألم على وجهيهما أنهما قد تحملا التجربــة نفسها. كانت عينا مايكل تولاند البنيتان محتقنتين بالدم وكامدتين. عنــدما رأى راشيل، استطاع أن يقدم إليها ابتسامة ضعيفة وكانت شفاهه الزرقاء ترتجف.

حاولت راشيل الجلوس منتصبة لتتمكن من فهم محيطهم الغريــب. كــان ثلاثتهم ممددين بالتواء مرتجف لأعضاء نصف عاريــة علــى أرض غرفــة استحمام صغيرة.

66

رفعتها أيدٍ قوية.

شعرت راشيل بالغرباء الأقوياء يجففون جسدها ويلفونه بأغطية، وقد تــم وضعها على سرير طبي، ثم تدليكها بقوة من ذراعيها وساقيها وقدميها. حقنــة أخرى بيدها.

"أدرينالين". قال شخص ما.

شعرت راشيل بأن هذا الدواء يعبر أوردتها بقوة الحيــاة التــي تــنعش عضلاتها. رغم أنها لا تزال تشعر بضيق تجويف جليدي كطبل في أحشائها.

أحست أن الدم يعود ببطء إلى أطرافها.

عودة من الموت.

حاولت تركيز رؤيتها. كان كوركي وتولاند ممددين جانبهــا، يرتعشــان بالأغطية بينما الرجال يدلكون جسديهما ويحقنوهما أيضاً. لم تكن راشيل علــى شك بأن هذا الحشد من الرجال الغامضين هم الذين أنقذوا حياتهم للتو. فقد كان العديد منهم مبللاً، ومن الواضح أنهم قد قفزوا داخل مكان الاستحمام بلباســهم الكامل للمساعدة. من هم أو كيف تمكنوا من الوصول إلى راشيل والآخرين في الوقت المناسب، لم يكن يهمها الآن، فلن يحقق ذلــك أي اخــتلاف فــي هــذه اللحظة. نحن على قيد الحياة.

"أين... نحن؟" تدبرت راشيل قولها، وقد سببت محاولة الكــلام البســيطة ألماً ساحقاً في الرأس.

أجابها الرجل الذي يدلكها: "أنت على أرضية المركب الطبيــة لصــنف لوس أنجلوس".

"على أرض المركب!" صاح بذلك شخص ما.

أحست راشيل باضطراب مفاجئ من حولها، وحاولت الجلوس. ساعدها رجل يرتدي الأزرق، فسندها إلى الأعلى ثم لفّ البطانية حولها. فركت راشيل عينيها فرأت شخصاً يمشي مسرعاً إلى الغرفة.

كان القادم الجديد رجلاً أميركياً قوياً من أصل إفريقي، وسيماً وذا سلطة. كان لباسه الرسمي كاكي اللون. "استرح". صرح بهذا وهو يتحرك باتجاه راشيل. واقفاً فوقها ومحدقاً إليها بعينين سوداوين قويتين: "هارولد براون"، قال بصوت عميق وآمر: "كابتن شارلوت، سفينة الولايات المتحدة. من أنت؟".

سفينة الولايات المتحدة، شارلوت، فكرت راشيل. بدا الاسم مألوفاً لها بنحو غامض: "سيكستون..." أجابته: "أنا راشيل سيكستون".

بدا على الرجل الحيرة، فاقترب منها، متفحصاً إياها بعناية: "أستحق اللعنة، أنه أنت إذاً".

شعرت راشيل بالضياع. إنه يعرفني؟ كانت متأكدة من أنها لا تعرف ذلك الرجل، رغم أن عينيها انحدرتا بالنظر من وجهه إلى الشارة المخيطة على صدره، فرأت الشعار المألوف للنسر القابض على المرساة والمحاط بعبارة: أسطول الولايات المتحدة.

فهمت الآن لماذا علمت بالاسم: 'شارلوت'.

"مرحباً بك على متن السفينة". قال الكابتن: "لقد قمت باختصار عدد من التقارير الاستطلاعية لهذه السفينة. أنا أعلم من أنت".

"ولكن ما الذي تفعله في هذه المياه". تلعثمت بقولها.

تصلّب وجهه نوعاً ما: "بصراحة آنسة سيكستون، كنت على وشك أن أسألك السؤال نفسه".

جلس تولاند ببطء، فاتحاً فمه ليتحدث. أسكتته راشيل بهزّة صلبة من رأسها. ليس هنا. ليس الآن. لم تكن راشيل تشك بأن أول شيء يريد كوركي وتولاند التحدث عنه هو الحجر النيزكي والهجوم، ولكن هذا بالتأكيد لم يكن موضوعاً يمكن الحديث عنه أمام طاقم الغواصة البحرية. ففي عالم الاستخبارات، بصرف النظر عن الأزمات، يبقى التصريح أمراً أساسياً: يبقى وضع الحجر النيزكي أمراً سرياً تماماً.

"أريد التحدث مع مدير مكتب الاستطلاع 'ويليام بيكرينغ'". قالت للكابتن: "سرياً وعلى الفور".

قوّس الكابتن حاجبيه، من الواضح أنه غير معتاد على تلقي الأوامر في سفينته هو.

"لديّ معلومات سرية يتوجب إخبارها له".

تفحصها الكابتن للحظة طويلة: "دعينا نعد لك حرارة جسدك، ثم سأضعك في اتصال مباشر مع مدير مكتب الاستطلاع".

"إنه أمر عاجل، سيدي، أنا -" توقفت راشيل فترة قصيرة فقد رأت عيناها للتو الساعة على الحائط فوق خزانة الأدوية.

الساعة 19:51

طرفت غابرييل عينيها محدقة: "هل... هذه الساعة صحيحة؟".

"أنت على مركبة بحرية سيدتي، جميع ساعاتنا دقيقة".

"وهل هذا... التوقيت الشرقي؟".

"7:51 مساءً، التوقيت الشرقي، نحن خارج نورفولك".

يا إلهي، فكرت بهذا مذهولة. إنها 7:51 فقط؟ كان لراشيل الانطباع بأنه قد مضت ساعات منذ أن أغمي عليها. إنها لم تجتز الساعة الثامنة بعد؟ إن الرئيس لم يصرح عن الحجر النيزكي بعد! ما زلت أملك الوقت لإيقافه! انزلقت على الفور من السرير، تلف جسدها بالغطاء. شعرت بقدميها غير ثابتتين: "يجب أن أتحدث مع الرئيس على الفور".

بدا على الكابتن الارتباك: "رئيس من؟".

"رئيس الولايات المتحدة!".

"ظننت أنك أردت التحدث مع ويليام بيكرينغ".

"ليس لديّ الوقت. يجب أن أتحدث مع الرئيس".

لم يتحرك الكابتن وقد كان جسده الضخم يعيق طريقها: "أظن أن الرئيس على وشك أن يقدم مؤتمراً صحفياً مباشراً بالغ الأهمية وأشك بأنه يجيب على مكالماته الشخصية".

وقفت راشيل باستقامة إلى أقصى ما يمكنها على قدميها المرتجفتين وثبتت عينيها على الكابتن: "سيدي، ليس لديك الترخيص لأقدم لك شرحاً عن الموقف. ولكن الرئيس على وشك القيام بخطأ رهيب. لديّ معلومات يحتاج إلى سماعها بشدة. الآن. يجب أن تثق بي".

نظر الكابتن إليها للحظة طويلة، وبعبوس، نظر إلى الساعة مرة أخرى:

تسع دقائق؟ لا أستطيع توفير اتصال سري بالبيت الأبيض في تلك المدة القصيرة. كل ما يمكنني تقديمه هو اتصال لاسلكي، غير سري، ويجب أن نتصل بالهوائي في الأعماق. وهذا سيستغرق بضع -".

"افعل ذلك! الآن!".

67

لوحة مفاتيح هواتف البيت الأبيض كانت تقع في الطابق السفلي للجناح الشرقي. ثلاثة عمال للمقسم دائماً في الخدمة. في هذه الأثناء، جلس عاملان فقط في مكان التحكم. أما العاملة الثالثة فكانت مسرعة باتجاه غرفة التقارير. كانت تحمل في يدها هاتفاً لاسلكياً. حاولت إيصال المكالمة إلى المكتب الرئاسي ولكن الرئيس كان في طريقه مسبقاً إلى المؤتمر الصحفي. كما حاولت الاتصال بمساعديه على هواتفهم الجوالة، ولكن قبل اللقاءات التلفزيونية، تقفل جميع أجهزة الخليوي في غرفة التقارير وحولها كي لا يتم مقاطعة الأحداث.

الإسراع بهاتف لاسلكي مباشر باتجاه الرئيس في وقت كهذا بدا أمراً مثيراً للأسئلة في أحسن أحواله. ولكن عندما تتصل وسيطة البيت الأبيض من مكتب الاستطلاع وتدّعي أن لديها معلومات طارئة يجب إعلامها للرئيس قبل النقل المباشر، فلا شك عندها أن يتوجب على العاملة الإسراع بذلك. أما السؤال الآن فهو فيما إذا كانت ستصل هناك في الوقت المناسب.

في مكتب طبي صغير على متن سفينة الولايات المتحدة، شارلوت، ثبتت راشيل سيكستون سماعة الهاتف على أذنها وانتظرت لتتكلم مع الرئيس. جلس كوركي وتولاند إلى جانبها. لا يزال القلق بادياً عليهما. كان لكوركي جرح بخمس قطب وعميق على وجنته. كما تمّ تزويد الثلاثة بملابس داخلية حرارية من نوع 'تنسيوليت' وبزّات بحرية سميكة كاملة لجسدهم وجوارب صوفية كبيرة وجزمات خاصة بالمراكب. وبكوب ساخن من القهوة البالية لقدّمها في يدها، بدأت راشيل تشعر بأنها إنسان تقريباً مرة أخرى.

"ما هذا التأخير؟" قال تولاند: "إنها السابعة وست وخمسين!".

لم تستطع راشيل تخيل ذلك، فقد وصلت بنجاح إلى أحد عاملي البيت الأبيض؛ شرحت من تكون وأن هذا أمر طارئ. بدا أن العاملة متعاطفة؛ أمرت راشيل أن تنتظر؟ ويفترض الآن أن تجعل أولويتها هي إيصال راشيل بالرئيس.

أربع دقائق، فكرت راشيل. أسرعي!

مغلقة عينيها، حاولت راشيل أن تجمع أفكارها. لقد كان يوماً كالجحيم. لا على متن غواصة نووية، قالت لنفسها، وهي تعلم أنها محظوظة لكونها في أي مكان على الإطلاق. حسب ما قاله كابتن الغواصة، فقد كانت شارلوت في جولتها الروتينية في بحر بيرينغ منذ يومين والتقطت أصواتاً غريبة تحت الماء آتية من الرف الجليدي في ميلني – ثقب وضجيج وطائرات نفاثة والعديد من أزمات الاتصالات المشفرة. عندها تمّ إعادة توجيههم وإخبارهم الجلوس بهدوء والاستماع. ومنذ ساعة أو ما يقارب، سمعوا صوت انفجار في الرف الجليدي فتحركوا للتحري عن الأمر. كان ذلك عندما سمعوا طلب راشيل النجدة.

"لقد بقي ثلاث دقائق!" بدا على تولاند القلق وهو يراقب الساعة. كانت راشيل بالتأكيد عصبية المزاج. لماذا استغرق هذا وقت طويل؟ لماذا لم يتلق الرئيس مكالمتي؟ لو أن زاك هيرني صرح بالمعلومات كما هي – دفعت راشيل بالأفكار من عقلها وهزّت السماعة.

أجب!

بينما عاملة البيت الأبيض في طريقها مسرعة إلى مدخل المنصة لغرفة التقارير، التقت مع حشد متجمع من أعضاء الطاقم. كان كل واحد منهم يتحدث بالإثارة ويقوم بالتحضيرات النهائية. استطاعت رؤية الرئيس على بعد عشرين ياردة (18 متراً) ينتظر عند المدخل. كان أخصائيو التجميل لا يزالون يزينونه.

"أريد العبور!" قالت العاملة محاولة الدخول بين الحشد. "مكالمة للرئيس. عفواً، أريد الدخول بسرعة!".

"النقل المباشر بعد دقيقتين!" صاح وسيط الإعلام.

قابضة على الهاتف، تمكنت العاملة من إيجاد طريقها باتجاه الرئيس: "مكالمة للرئيس". لهثت بذلك: "أريد العبور بسرعة!".

حاجز معيق اعترض طريقها، مارجوري تينش، تكشّر وجه المستشارة الطويل بها باستهجان: "ما الذي يجري؟".

"لديّ أمر طارئ!" كانت العاملة تلهث: "... مكالمة هاتفية للرئيس!".

بدا على تينش الشك: "ليس الآن، ألا تعلمين!".

"إنها من راشيل سيكستون وقالت إنه أمر مستعجل".

العبوس الذي أحزن وجه تينش بدا أنه بسبب الحيرة أكثر من كونه

المنصب. نظرت تينش إلى الهاتف اللاسلكي: "إنه خط منزلي. إنه ليس سرياً".

"لا، سيدتي، إن المكالمة القادمة عامة على أية حال، فإنها على اتصال لاسلكي. تريد التحدث مع الرئيس على الفور".

"النقل المباشر بعد تسعين ثانية!".

كانت عينا تينش الباردتان محدقتين، ثم مدت يداً تشبه يد العنكبوت: أعطني الهاتف".

كان قلب العاملة يطرق بسرعة الآن: "تريد الآنسة سيكستون التحدث مع الرئيس هيرني مباشرة. وأخبرتني أن أؤجل المؤتمر الصحفي إلى أن تتحدث معه. أؤكد -".

خطت تينش باتجاه العاملة، وكان صوتها كهمس مضطرب: "دعيني أخبرك كيف يعمل هذا. أنت لا تتلقين الأوامر من ابنة خصم الرئيس، تتلقينها مني. أستطيع أن أؤكد لك أن هذا سيصل إلى الرئيس بنفس السرعة التي يمكنك إيصاله له بعد أن أعلم ما الذي يجري".

نظرت العاملة باتجاه الرئيس الذي كان محاطاً بتقني المايكرفونات ومصففي الشعر والعديد من أعضاء الطاقم الذين يتحدثون إليه للقيام بالتنقيح الأخير قبل الخطاب.

"ستون ثانية!" صاح المراقب التلفزيوني.

على متن شارلوت، كانت راشيل سيكستون تمشي بسرعة واهتياج في ذلك المكان الضيق عندما سمعت طقطقة خط الهاتف.

أتى صوت خشن: "مرحباً؟".

"الرئيس هيرني؟" قالت راشيل بسرعة.

"مارجوري تينش". صحح لها ذلك الصوت. "أنا المستشارة الأعلى مقاماً للرئيس. ومهما تكونين فأنا أحذرك من أن الهواتف المازحة للبيت الأبيض لخرق الـ -".

"يا إلهي! إن هذه ليست مزحة! أنا راشيل سيكستون، وسيطتكم في مكتب الاستطلاع و -".

"أنا أعلم من تكون راشيل سيكستون، سيدتي. وأشك أنك أنت هي. تتصلين بالبيت الأبيض على خط غير سرّي وتخبرينني أن أقاطع البرنامج الإذاعي الضخم للرئيس. إن هذا الوقت غير ملائم على الإطلاق لشخص أن -".

"اسمعي". اهتاجت راشيل: "لقد قدمت موجزاً لكامل طاقمك منذ بضع ساعات عن الحجر النيزكي. وكنت تجلسين في الصف الأمامي، وشاهدتني أقدم الإيجاز على تلفاز موضوع على مكتب الرئيس. هل من أسئلة؟".

صمتت تينش للحظة: "آنسة سيكستون، ما الذي يعنيه هذا؟".

"يعني أنه يتوجب عليك إيقاف الرئيس! جميع معلوماته عن الحجر النيزكي خاطئة! لقد علمنا للتو أن الحجر النيزكي قد أُدخل من أسفل الرف الجليدي. لا أعلم من قبل من ولا أعلم لماذا! ولكن الأشياء ليست كما تبدو هناك! إن الرئيس على وشك المصادقة على بعض المعلومات الخاطئة بصورة خطيرة، وأنا أنصحك بشدة -".

"انتظري دقيقة لعينة واحدة!" أخفضت تينش صوتها: "هل تدركين ما الذي تقولينه؟".

"نعم! أشك في أن مدير ناسا قد قام بتأليف خديعة ضخمة وأن الرئيس هيرني على وشك الوقوف في المنتصف. يتوجب عليك تأجيل المؤتمر عشر دقائق على الأقل لأتمكن من أن أشرح له ما الذي يجري هنا. شخص ما حاول قتلي بحق الله!".

أصبح صوت تينش بارداً: "آنسة سيكستون، دعيني أُحذرك. إذا كان لديك أفكار جديدة حول دورك في مساعدة البيت الأبيض في هذه الحملة، فيتوجب أن تكوني فكرت بهذا منذ وقت طويل، قبل أن تقومي شخصياً بالمصادقة على معلومات الحجر النيزكي للرئيس".

"ماذا!" هل هي تستمع!

"أنا مشمئزة من عرضك هذا، وإن استخدامك لخط غير سرّي هو عمل رخيص. كما أنك تشيرين إلى أن معلومات الحجر النيزكي خاطئة؟ من هو ذلك الموظف الاستخباراتي الذي يستخدم هاتفاً لاسلكياً ليتصل بالبيت الأبيض ويتحدث عن معلومات سرية؟ من المؤكد أنك تأملين بأحدهم لاعتراض هذه الرسالة".

"لقد تم قتل نورا مانغور هناك! والدكتور مينغ ميت هو الآخر. يجب عليك تحذير -".

"توقفي هنا! لا أعرف ما الذي تنوين العبث به، ولكن أريد تذكيرك وتذكير أي شخص تمكن من اعتراض هذه المكالمة الهاتفية - أن البيت

الأبيض يمتلك شهادات مسجلة على شريط فيديو من قبل أشهر علماء ناسا ، جميعهم يؤكدون أن معلومات الحجر النيزكي صحيحة. لا أستطيع أن أتخيل لماذا تغيرين القصة فجأة. مهما كان السبب، اعتبري نفسك مطرودة من منصبك كوسيطة للبيت الأبيض منذ هذه اللحظة، ولو حاولت إفساد هذا الاكتشاف بأي ادعاء سخيف من سلوك غير أخلاقي أؤكد لك أن ناسا والبيت الأبيض ستقاضيك لهذا الافتراء بسرعة كبيرة قبل أن تتمكني من حزم أمتعتك للذهاب إلى السجن".

فتحت راشيل فمها لتتحدث ولكنها لم تستطع إخراج أية كلمة.

"لقد كان زاك هيرني كريماً معك"، قالت تينش بحدة: "وبصراحة إن هذه هي آثار الشهرة الرخيصة لسيكستون. توقفي عن هذا حالاً أو سنرفع دعوة ضدك. أقسم لك".

انقطع الاتصال.

كانت راشيل لا تزال مشدوهة عندما طرق الكابتن على الباب.

"آنسة سيكستون؟" قال الكابتن محدقاً للداخل: "لقد تمكنا من تلقي إشارة ضعيفة من الراديو الكندي القومي. لقد بدأ الرئيس زاك هيرني للتو بمؤتمره الصحفي".

68

واقفاً على المنصة في غرفة التقارير داخل البيت الأبيض، أحسّ زاك هيرني بحرارة أضواء الإعلام وعلم أن العالم بأسره يشاهده. لقد أحدثت الحملة الموجهة المنجزة من قبل مكتب الإعلام في البيت الأبيض انتشاراً سريعاً لضجة إعلامية. فإن هؤلاء الذين لم يسمعوا بالخطاب من خلال التلفاز أو الراديو أو أخبار الإنترنيت فإنهم من دون شك قد سمعوا بها من جيرانهم أو زملائهم في العمل أو عائلاتهم. عند حلول الساعة الثامنة مساءً، كان كل شخص لا يعيش في كهف يتحزر عن موضوع خطاب الرئيس. في الحانات وغرف المعيشة حول العالم، اتكأ الملايين باتجاه أجهزتهم التلفزيونية بتساؤل قلق.

من خلال لحظات كهذه - مواجهاً للعالم - كان يشعر زاك هيرني حقيقة بأهمية مكتبه. فإن أي شخص يدّعي بأن السلطة لا تسبب الإدمان، لم يجرب

ذلك حقاً. عندما بدأ خطابه، أحس بأن هناك شيئاً خاطئاً. لم يكن رجلاً يعاني من رهاب الأضواء، ومع ذلك فإن شعور الخشية الذي يضيّق في صميمه كان يروّعه.

إنها عظمة الجمهور، قال لنفسه. برغم ذلك فإنه يعلم أن هناك شيئاً آخر، غريزته، شيء كان قد رآه.

لقد كان شيئاً صغيراً، ومع ذلك...

أجبر نفسه على أن ينساه، ومع ذلك لازمه.

تينش.

منذ لحظات مضت، عندما كان هيرني يحضر للخطاب، رأى مارجوري تينش في المدخل المضاء باللون الأصفر تتحدث على هاتف لاسلكي. كان هذا أمراً غريباً بحد ذاته. ولكنه ازداد غرابة بوجود عاملة مقسم البيت الأبيض واقفة إلى جانبها بوجه مصفر من توقع حدوث شيء سيئ. لم يستطع هيرني سماع محادثة تينش الهاتفية، ولكنه استطاع رؤيتها تتشاجر. كانت تينش تجادل بعنف وغضب من النادر أن يراه الرئيس - حتى من تينش. توقف لحظة ثم نظر إلى عينيها، مثيراً الفضول.

قدمت له تينش علامة الموافقة. لم يرَ هيرني أن تينش تقدم لأي شخص علامة بالموافقة على الإطلاق. كانت هذه هي آخر صورة في عقل هيرني عندما أُعطي الإشارة بالبدء على المنصة.

على البساط الأزرق في منطقة الإعلام داخل القبة الاصطناعية لناسا على جزيرة إيلزمير، كان المدير لورانس إيكستروم جالساً في مركز طاولة الاجتماعات، محاطاً بأشهر موظفي وعلماء ناسا. وعلى الشاشة الكبيرة المواجهة لهم يتم نقل عبارة الافتتاح الرسمي للرئيس مباشرة. ما تبقى من طاقم ناسا كانوا مجتمعين حول أجهزة نقل أخرى، يتزاحمون باهتياج عندما بدأ القائد الأعلى مؤتمره الصحفي.

"مساء الخير". قال هيرني ويبدو عليه الصلابة على غير عادته. "إلى أبناء بلدنا وإلى أصدقائنا حول العالم...".

حدق إيكستروم بالصخرة الضخمة المتفحمة البارزة أمامه بشكل جلي. ثم تحركت عيناه إلى شاشة البدء، حيث شاهد نفسه محاطاً بموظفيه الصارمين، تجاه خلفية لعلم أميركا الضخم وشعار ناسا. لقد حول زاك هيرني هذا الشيء

أعماله إلى عرض سياسي خيالي. لم يكن لهيرني الخيار. لا يـزال إيكسـتروم يظهر بنفسه وكأنه واعظ على شاشة التلفاز، يدعو الإله من أجل الجماهير.

بعد حوالى خمس دقائق، سيقوم الرئيس بتقديم إيكستروم وطـاقم حملـة ناسا. وبعدها، بواسطة قمر اتصال صناعي مثير من قمة العالم، ستنضم ناسـا لمشاركة الرئيس هذا الخبر مع العالم. وبعد تقرير موجز للطريقة التي تم فيها هذا الاكتشاف، وما الذي يعنيه لعلوم الفضاء، وبعض التهاني المتبادلة، ستسلم ناسا والرئيس الدورَ إلى العالم المشهور، مايكـل تولانـد، الـذي سيسـتغرق برنامجه الوثائقي أقل من خمس عشرة دقيقة. وفيما بعد، بمصـداقية وحماسـة تبلغ القمة، سيودعهم الرئيس وإيكستروم واعدينهم بالمزيد من المعلومات التـي ستأتي في الأيام القادمة من خلال مؤتمرات صحفية لا تنتهي لناسا.

بينما جلس إيكستروم ينتظر دوره، شعر بعار عميق مترسخ داخله، لقـد علم أنه سيشعر بذلك. لقد توقع هذا.

لقد كذب... وصادق على كلام غير صحيح.

ولكن، بطريقة ما، بدا ذلك الكذب غير مهم الآن. لدى إيكسـتروم شـيء أهم في عقله.

في اضطراب غرفة الإنتاج لمحطة (أي بي سي)، وقفت غابرييل جنبـاً إلى جنب مع العديد من الغرباء. جميع الأعناق ترتفع باتجاه صـف الشاشـات التلفزيونية المدلى من السقف. ساد الهدوء عند اقتـراب اللحظـة. أغمضـت غابرييل عينيها، تصلي لتفتحهما فلا ترى صور جسدها العاري.

كان الهواء داخل حجرة السيناتور سيكستون مليئاً بالإثارة. جميع ضيوفه كانوا واقفين الآن تلتصق أعينهم بشاشة التلفاز الكبيرة.

وقف زاك هيرني أمام العالم. وبشكل لا يصدق، كانت تحيته مرتبكة. بدا عليه الشك للحظة.

يبدو عليه القلق، فكر سيكستون. لم يبدُ عليه القلق من قبل على الإطلاق.

"أنظروا إليه"، همس أحدهم: "لا بد أنها أخبار سيئة".

محطة الفضاء؟ تساءل سيكستون.

نظر هيرني مباشرة إلى الكاميرا ثم أخذ نفساً عميقاً: "أصدقائي، لقد كنت محتاراً لعدة أيام مضت عن كيفية تقديم هذا الإعلان بأحسن أشكاله...".

بثلاثة كلمات بسيطة، أوصاه سيكستون، لقد قمنا بنسفها.

تحدث هيرني للحظة عن مقدار أسفه لتصبح ناسا قضية في الانتخابات، وكيف، بسبب ذلك، شعر أنه يتوجب عليه بدء حديثه بعبارة تتضمن الاعتذار.

"لقد كنت أفضّل أية لحظة أخرى في التاريخ لأقوم بهذا الإعلان، فإن الأعباء السياسية الحالية تميل لأن تحدث الشكوكين أكثر من الحالمين، ومع ذلك، بصفتي رئيسكم، ليس لديّ الخيار سوى مشاركتكم بما علمته مؤخراً". ثم ابتسم: "يبدو أن سحر الكون شيء لا يعمل وفق جداول الإنسان... حتى ولو كان الرئيس".

بدا على جميع من كان في حجرة سيكستون الارتداد في الوقت ذاته. ماذا؟

"منذ أسبوعين"، قال هيرني: "عبر 'جهاز تفحص كثافة القطب الجديد لناسا' فوق الرف الصخري الجليدي في ميلني على جزيرة إيلزمير، منطقة نائية بعيدة تقع فوق خط العرض الثمانين في أعلى المحيط القطبي".

تبادل سيكستون والآخرون نظرات الاستغراب.

"هذا القمر الصناعي التابع لناسا"، تابع هيرني حديثه: "كشف عن صخرة ضخمة عالية الكثافة مدفونة على عمق مئتي قدم (60 متراً) أسفل الجليد"، ابتسم هيرني للمرة الأولى الآن، وقد اعتاد على الأجواء: "ومن خلال معلومات تلقتها، توقعت ناسا على الفور أن بودس قد وجدت حجراً نيزكياً".

"حجر نيزكي؟" قال سيكستون مهتاجاً وهو يقف: "هل هذه هي الأخبار؟".

"أرسلت ناسا فريقاً إلى الرف الجليدي لتأخذ عينات مركزية، فكان عندها أن قامت ناسا..." صمت الرئيس: "بصراحة، لقد قاموا بالاكتشاف العلمي لهذا القرن".

مشى سيكستون خطوة تعبر عن الشك باتجاه التلفاز. لا... تحرك ضيوفه بارتباك.

"سيداتي وسادتي"، صرح هيرني: "منذ عدة ساعات، قامت ناسا بسحب الحجر النيزكي الذي يبلغ وزنه ثمانية أطنان من الجليد القطبي والذي يحتوي على..." صمت الرئيس مرة أخرى معطياً العالم بأكمله فرصة للانحناء إلى الأمام. "حجر نيزكي يحتوي على مستحاثات لشكل حياة. العديد منها. دليل واضح لحياة خارج الأرض".

وعند الإشارة، أضاءت صورة لامعة الشاشةَ خلف الرئيس - مستحاثة مصورة بدقة رائعة لمخلوق ضخم يشبه الحشرة مدفون في صخرة متفحمة.

في حجرة سيكستون، وثب المقاولون الستة بذعر مشدوه، أما سيكستون فتجمد في مكانه.

"أصدقائي"، قال الرئيس: "يبلغ عمر المستحاثة 190 مليون سنة. وقد تم اكتشافها داخل شظية من حجر نيزكي يدعى 'سقوط جينغرسول' الذي ارتطم بالمحيط القطبي منذ حوالى ثلاثة قرون تقريباً. وقد اكتشف قمر ناسا 'بودس' الجديد والمثير هذه الشظية من الحجر النيزكي مدفونة في الرف الجليدي. لقد اهتمت ناسا وإدارتنا هذه بعناية فائقة خلال الأسبوعين الماضيين لتثبت صحة كل جزء من هذا الاكتشاف العظيم قبل أن تصرح عنه. وخلال النصف ساعة القادمة ستصغون إلى العديد من العلماء المدنيين والعلماء التابعين لناسا. بالإضافة إلى عرض برنامج وثائقي قصير تمّ تحضيره من قبل الوجه المألوف الذي أثق بأن الجميع يعرفه. ولكن، قبل أن أتحدث أكثر، لا بد أن أرحب، مباشرة عبر قمر صناعي من فوق المنطقة القطبية الشمالية بالرجل الذي كانت قيادته وبصيرته وعمله الدؤوب، هي المسؤولة فقط عن هذه اللحظة التاريخية، إنه لشرف عظيم أن أقدم مدير ناسا لورانس إيكستروم".

التفت هيرني إلى الشاشة بإشارة رائعة.

تلاشت صورة الحجر النيزكي فجأة إلى مجموعة تبدو ملكية من علماء ناسا يجلسون على طاولة طويلة، وهم يحيطون بالجسد المهيمن للورانس إيكستروم.

"شكراً لك سيدي". كان مظهر إيكستروم صارماً وفخوراً عندما نهض ونظر مباشرة إلى الكاميرا. "إنه يمنحني الفخر العظيم أن أشارك معكم هذه - ساعة ناسا الأروع".

تحدث إيكستروم بحماسة عن ناسا وعن الاكتشاف، وبلحن قصير من الفخر القومي والفرح بالنصر، انتقل بهدوء رائع إلى البرنامج الوثائقي المقدم من قبل العالم المدني - مايكل تولاند المشهور.

وبينما هو يشاهد، سقط السيناتور سيكستون على ركبتيه أمام التلفاز، ممسك أصابعه بقوة شعر رأسه الفضي. لا! يا إلهي، لا!

69

كانت مارجوري تينش شاحبةً وهي تغادر بسرعة من الاضطراب المبتهج خارج غرفة البث، وتتقدم بسرعة عائدة إلى زاويتها الخاصة في الجناح الغربي. لم تكن في مزاج جيد للاحتفال. فقد كان اتصال راشيل سكستون الهاتفي هو الأكثر فجائية.

والأكثر إحباطاً.

أغلقت تينش باب مكتبها بقوة وتوجهت إلى منضدتها، ثم اتصلت بعاملة مقسم البيت الأبيض: "ويليام بيكرينغ من مكتب الاستطلاع".

أشعلت تينش سيجارة ومشت عبر الغرفة بينما تنتظر العاملة لتتعقب لها بيكرينغ. من الطبيعي أن يكون قد ذهب إلى المنزل في المساء، ولكن مع هذه النهاية الكبيرة للبيت الأبيض بالمؤتمر الصحفي هذا المساء، خمنت تينش أن يكون بيكرينغ في مكتبه طوال الليل، ملتصقاً بشاشة التلفاز، ومتسائلاً ما الذي يحتمل أن يكون قد حدث في هذا العالم ولا يعلم عنه مدير مكتب الاستطلاع مسبقاً.

لعنت تينش نفسها لأنها لم تثق بغريزتها عندما قال الرئيس إنه يريد إرسال راشيل سيكستون إلى ميلني. لقد كانت تينش قلقة، وتشعر بأن هذه مجازفة غير ضرورية. ولكن الرئيس كان مقتنعاً، وأقنع تينش أن طاقم البيت الأبيض قد ازداد شكه خلال الأسابيع الماضية، كما أنه سيشك باكتشاف ناسا عند سماعه إياها من الداخل. وكما وعد هيرني، فإن شهادة راشيل سيكستون قد أسكتت المشتبهين ومنعت أية مناقشة شكوكية من الداخل، بالإضافة إلى أنها أجبرت طاقم البيت الأبيض على التحرك إلى الأمام بجبهة موحدة. يجب على تينش الاعتراف بأن هذا كان أمراً لا يُثمّن. ولكن راشيل سيكستون بدلت موقفها.

لقد اتصلت بي تلك الساقطة من خط غير آمن.

كان من الواضح أن راشيل تريد تدمير مصداقية هذا الاكتشاف، ولكن عزاء تينش الوحيد هو علمها أن الرئيس قد سجل تصريح راشيل السابق على شريط فيديو. شكراً لله، على الأقل، فكر هيرني بالحصول على هذا الضمان الصغير. فقد بدأت تينش تخشى بأنهم سيحتاجون إليه.

ولكن، في هذه الأثناء، كانت تينش تحاول إيقاف النزيف بطريقة أخرى. راشيل سيكستون امرأة ذكية، فلو أنها تنوي حقيقة الصدام مع البيت الأبيض وناسا مباشرة، فمن المؤكد أنها ستستعين ببعض الأحلاف الأقوياء وإن خيارها المنطقي الوحيد سيكون ويليام بيكرينغ. إن تينش تعلم مسبقاً شعور بيكرينغ عن ناسا، لذلك أرادت الوصول إلى بيكرينغ قبل راشيل.

"آنسة تينش". صوت واضح على الهاتف قال هذا: "ويليام بيكرينغ هنا. إلى من أدين بهذا الشرف؟".

استطاعت تينش سماع صوت التلفاز من الخلفية - تعليـق ناسـا. كمـا استطاعت الشعور مسبقاً بأن نبرة صوته لا تزال مضـطربة إثـر المـؤتمر الصحفي. "هل لديك دقيقة أيها المدير؟".

"توقعت أن تكوني مشغولة بالاحتفال، فإنها ليلتك تماماً. يبدو أن الـرئيس وناسا يعودون إلى المعركة".

سمعت تينش دهشة شديدة الوضوح في صوته، ممزوجة بمسحة من الحدّة لا شك في أن هذه الأخيرة هي سبب أسطورة هذا الرجـل لكرهـه سـماع الأخبار المثيرة في نفس الوقت كبقية العالم.

"أنا أعتذر". قالت تينش محاولة البدء بحديثها مباشرة: "إن البيت الأبيض وناسا كانا مجبران على تركك دون علم".

"أنت على علم"، قال بيكرينغ: "إن مكتب الاستطلاع قد كشف عن نشـاط ناسا هناك منذ عدة أسابيع وقام بالاستعلام عن الأمر".

عبست تينش، إنه غاضب جداً: "نعم، أعلم ذلك، ولكن -".

"لقد أخبرتنا ناسا أنه ليس هناك شيء مهم، وقالوا إنهم يقومون بنوع مـن التدريبات البيئية الشديدة لاختبار المعدات وهذا النوع من الأعمـال". صـمت بيكرينغ: "ونحن صدقنا هذه الكذبة".

"دعنا لا نسميها كذبة". قالت تينش: "ولكنها أكثـر مـا تكـون تضـليل ضروري. وعند اعتبار أهمية هذا الاكتشاف. فأنا أثق بأنك تتفهم أن ناسا تريد الاحتفاظ بالأمر بهدوء".

"ربما من العامة".

إن التهجم ليس أمراً يقوم به رجال مثل ويليام بيكرينـغ، ولكـن تيـنش احست أن هذا الأمر على وشك أن يجعله كذلك: "لديّ دقيقة واحدة فقط". قالت تينش وهي تعمل للاحتفاظ بموقفها المسيطر: "اعتقدت أنه يجب عليّ الاتصـال بك وتحذيرك".

"تحذيري؟" تعاظم استياؤه في تلك اللحظة: "هـل قـرر زاك هيرنـي أن يوظف مديراً جديداً في مكتب الاستطلاع يكون صديقاً لناسا؟".

"بالطبع لا، إن الرئيس يفهم أن ملاحظاتك النقدية ضد ناسا هـي قضـية تتعلق ببساطة بالأمن فقط. وهو يعمل على إصلاح الأمر. أنا في الواقع أتصل بخصوص إحدى موظفيك". صمتت قليلاً: "راشيل سيكستون، هل سمعت منهـا هذا المساء؟".

"كلا، لقد أرسلتها إلى البيت الأبيض صباح اليوم بطلب من الرئيس. ومن الواضح أنكم جعلتموها مشغولة. فإنها لم تتصل بي حتى الآن".

كانت تينش مرتاحة لاتصالها ببيكرينغ أولاً. أخذت رشفة من سيجارتها وتحدثت بكل ما تمكنت من الهدوء: "أتوقع بأنك ربما ستتلقى مكالمة من الآنسة سيكستون في وقت ما قريباً".

"جيد، فقد كنت أتوقع واحدة. أريد إخبارك بأنه عندما بدأ الرئيس مؤتمره الصحفي، كنت قلقاً بأن زاك هيرني ربما قد أقنع الآنسة سيكستون لتشارك علانية، وأنا مسرور لأنه امتنع عن ذلك".

"إن زاك هيرني رجل شريف". قالت تينش: "وهذا الشيء الذي لا يمكنني أن أقوله عن راشيل سيكستون".

كان هناك صمت طويل على الهاتف: "أتمنى أنني قد أسأت فهم هذا".

تنهدت تينش بعمق: "لا، سيدي، أخشى أنك لم تسئ الفهم. أفضل ألا أتحدث عن التفاصيل على الهاتف، ولكن يبدو أن راشيل سيكستون قد قررت تشويه مصداقية إعلان ناسا. لا أعلم لماذا، ولكنها بعد أن عرضت وصادقت على معلومات ناسا باكراً عصر هذا اليوم، قامت فجأة بالتراجع والتحدث عن ادعاءات لا يمكن تخيلها من خيانة وغدر قامت به ناسا".

بدا على بيكرينغ التوتر الآن: "عفواً؟".

"نعم، أمر مزعج، أكره أن أكون الشخص الذي يخبرك بأن الآنسة سيكستون قد اتصلت بي قبل دقيقتين من المؤتمر الصحفي وحذرتني بأن ألغي الأمر بأكمله".

"بالاعتماد على ماذا؟".

"اعتمادات سخيفة، بصراحة. قالت إنها قد وجدت أخطاءً خطيرة في المعلومات".

كان صمت بيكرينغ الطويل مثيراً للقلق أكثر مما أحبت تينش: "أخطاء؟" قال أخيراً.

"يا له من سخف، حقاً، بعد يومين كاملين من تجارب ناسا و -".

"أجد أنه من الصعب تصديق أن شخصاً كراشيل سيكستون قد أخبرتك بتأجيل مؤتمر الرئيس الصحفي دون أن يكون عندها سبب واضح لذلك".

بدا على بيكرينغ القلق: "ربما كان يتوجب عليك الإصغاء لها".

"عفواً، أرجوك". قالت تينش بسرعة وهي تسعل: "لقد شاهدت المؤتمر الصحفي، لقد تم إثبات صحة معلومات الحجر النيزكي وأعيد إثبات صحته أيضاً من قبل عدد لا ينتهي من المختصين بما في ذلك المدنيين. ألا يبدو أنه أمر مثير للشك بأن راشيل سيكستون - ابنة الرجل الذي يزعجه هذا التصريح - قد قامت فجأة بتغيير موقفها؟".

"يبدو مثيراً للشك آنسة تينش فقط لأنني على علم تماماً بأن الآنسة سيكستون ووالدها لا يتوادان لبعضهما بعضاً تقريباً. لا أستطيع تخيل لماذا ستقوم راشيل سيكستون، بعد سنوات من الخدمة عند الرئيس، فجأة بتغيير موقفها وتقول الكذب من أجل دعم والدها".

"الطموح، ربما؟ لا أعلم حقيقة. ربما فرصة أن تكون الابنة الأولى..." تركت تينش الأمر معلقاً.

تصلبت نبرة صوت بيكرينغ لحظتها: "أنك تعتمدين على أسس ضعيفة، آنسة تينش، ضعيفة جداً".

عبست تينش. ما الذي توقعته بحق الجحيم؟ إنها تتهم عضواً بارزاً من طاقم بيكرينغ بالخيانة ضد الرئيس. لا بد أن يتخذ هذا الرجل موقفاً دفاعياً.

طلب بيكرينغ: "أريد التحدث مع الآنسة سيكستون بنفسي، ضعيها على الخط".

"أخشى أن هذا مستحيل". أجابته تينش: "إنها ليست في البيت الأبيض".

"أين هي؟".

"لقد أرسلها الرئيس إلى ميلني هذا الصباح لتتفحص المعلومات الجديدة. ولم تعد بعد".

بدا الآن على بيكرينغ شدة الغضب: "لم يتم إعلامي بذلك أبداً -".

"ليس لديّ الوقت الكافي للكبرياء المخدوش الآن أيها المدير، لقد اتصلت بك فقط من أجل الوساطة. أردت تحذيرك من أن راشيل سيكستون قد قررت أن تتخذ طريقتها الخاصة بخصوص إعلان الليلة. وإنها ستبحث عن أنصار لها. فلو اتصلت بك، يجب أن تعلم بأن البيت الأبيض يمتلك شريط فيديو سجله اليوم باكراً. قامت فيه بالتصديق على معلومات الحجر النيزكي أمام الرئيس ومجلس وزرائه والطاقم بأكمله. ولو حاولت الآن، لأي دوافع كانت، راشيل سيكستون أن تلطخ سمعة الاسم الفاضل لزاك هيرني أو لناسا، عندها أقسم لك

أن البيت الأبيض سيقوم بما يتوجب عليه فعله بمعاقبتها بقسوة وبكثرة،
انتظرت تينش لحظة للتأكد من أن قصدها قد تم استيعابه: "أتوقع منك أن ترد
على كياسة هذه المكالمة من خلال إعلامي مباشرة فيما إذا اتصلت بك راشيل
سيكستون. إنها تهاجم الرئيس مباشرة، لذلك ينوي البيت الأبيض احتجازها
للاستجواب قبل أن تقوم بأي ضرر خطير. سأكون بانتظار مكالمتك أيها
المدير. هذا كل شيء. ليلة هنيئة".

أغلقت مارجوري تينش الهاتف وهي متأكدة من أن أحداً لم يتحدث إلى
ويليام بيكرينغ بهذه الطريقة في حياته من قبل. على الأقل، علم الآن أنها جادة.

في الطابق الأعلى لمكتب الاستطلاع، وقف ويليام بيكرينغ أمام نافذته
وحدق إلى مساء فيرجينا. لقد كانت مكالمة مارجوري تينش مزعجة حقاً. أخذ
يعض شفته وهو يحاول جمع الأجزاء في عقله.

"أيها المدير؟" قالت سكرتيرته وهي تطرق الباب بهدوء: "لديك مكالمة
أخرى".

"ليس الآن". قال بيكرينغ ذاهلاً.

"إنها راشيل سيكستون".

التفت بيكرينغ بسرعة. من الواضح أن تينش عرّافة: "حسناً، صليها إلى
حالاً".

"في الواقع سيدي، إنه اتصال سمعي ومرئي مشفر. هل تريد تلقيه في
غرفة المؤتمرات؟".

اتصال سمعي ومرئي: "من أين تتصل؟".

أخبرته السكرتيرة.

حدّق بيكرينغ. مرتبكاً، أسرع إلى أسفل الصالة باتجاه غرفة المؤتمرات
فهذا شيء يتوجب عليه رؤيته.

70

إن 'الغرفة الهادئة' في شارلوت – صممت على غرار البناء المشابه في
مخابر بيل – وهي تعرف رسمياً باسم الحجرة عديمة الصدى. هي غرفة
سمعية صافية لا تحتوي على أية سطوح متوازية أو عاكسة، تمتص الصوت
بكفاءة تبلغ 99.4 بالمئة. وبسبب الطبيعة الإيصالية السمعية للمعادن والمياه،
فإن المحادثات على متن الغواصات دائماً ما تكون عرضة للاعتراض من قبل

استراق السمع المجاورين أو الميكرفونات المتطفلة الماصة والموصولة إلى ... خارجية. كانت الغرفة الهادئة هذه، في الواقع، حجرة صغيرة داخل الغواصة لا يمكن من خلالها تسريب أي صوت على الإطلاق. جميع الأحاديث داخل هذه العلبة العازلة كانت سرية بأكملها.

تبدو هذه الحجرة مثل خزانة تبريد قد تمّ تغطية سقفها وجدرانها وأرضيتها بشكل كامل بأوراق إسفنجية لها نتوءات إلى الداخل في جميع الاتجاهات. إنها تذكر راشيل بكهف ضيق تحت الماء حيث أصبحت رواسبه الكلسية شديدة، تنمو من جميع الأسطح. لكن الأمر الأكثر إثارة هو انعدام الأرضية الواضحة.

الأرضية عبارة عن شبكة متصالبة من الأسلاك الخفيفة الوزن المتشابكة والمحكمة، والتي تمتد أفقياً عبر الغرفة كشبكة الصيد، تمنح قاطنيها بذلك إحساساً بأنهم معلقون في منتصف الحائط. خيوط الشبكة مكسوة بالمطاط وصلبة في الأسفل. عندما نظرت راشيل إلى الأسفل عبر الأرضية المشبكة، شعرت وكأنها تعبر جسراً وترياً معلقاً فوق صورة لمنظر طبيعي تخيلي تجزيئي. وأسفل ذلك بمسافة ثلاثة أقدام، توجهت غابة من الإبر الإسفنجية إلى الأعلى مهددة.

لحظة دخول راشيل، شعرت بانعدام الحياة المربك في الهواء، وكأن كل جزء من الطاقة قد تم امتصاصه. شعرت بأذنيها وكأنهما مملوءتان قطناً، وكان نفسها هو الوحيد المسموع داخل رأسها. صاحت بأعلى صوتها ولكن التأثير كان يشبه التحدث داخل الوسادة. فقد امتصت الجدران كامل الارتداد، تاركة الأصداء الوحيدة التي يمكن إدراكها هي تلك التي داخل رأسها.

لقد غادر الكابتن الآن، مغلقاً الباب المحشو خلفه. كان كوركي وتولاند وراشيل يجلسون في مركز الغرفة أمام طاولة صغيرة على شكل حرف U والتي تقف على ركائز معدنية طويلة تنحدر عبر الشبكة. وعلى الطاولة، تم تثبيت عدة ميكرفونات على شكل عنق الإوزة، وسماعات رأس، وجهاز للفيديو مزود في أعلاه بكاميرا بحجم عين السمكة. بدا وكأنها ندوة صغيرة للأمم المتحدة.

وكونها تعمل في المجتمع الاستخباراتي الأميركي – المصنعين الأوائل في العالم لميكرفونات الليزر النفاذ وأجهزة استراق السمع تحت الماء ذات شكل القطع المكافئ، وأجهزة استماع أخرى عالية الحساسية – فإن راشيل تعلم جيداً أن هناك أماكن قليلة على الأرض فقط يستطيع الشخص من خلالها القيام

بمحادثة آمنة حقاً. إن 'الغرفة الهادئة' هذه هي من الواضح أحد هذه الأماكن، تمكّن الميكرفونات والسماعات الموجودة على الطاولة من اتصال لقائي وجهاً لوجه حيث يتمكن المشاركون خلالها من التحدث بحرية وهم يعلمون أنه لا يمكن لأصداء أصواتهم التسرب من الغرفة. وإن أصواتهم، بعد دخولها الميكرفونات ستكون مشفرة بشكل كامل عند رحلتها الطويلة عبر الغلاف الجوي.

"تفقد مستوى الصوت". برز صوت فجأة داخل سماعاتهم، هذا ما جعل كوركي وراشيل وتولاند يقفزون.

"هل تسمعيني آنسة سيكستون؟".

انحنت راشيل إلى المايكرفون: "نعم، شكراً لك". كائناً من تكون.

"لديّ المدير بيكرينغ على الخط لك. وهو يتلقى الاتصال السمعي البصري، سأنهي مشاركتي الآن. ستتلقين سيل المعلومات بعد لحظة".

سمعت راشيل اشتباك الخط، كان هناك هسيس من الشواش وبعدها سلسلة سريعة من القرقعة وأصوات البيب داخل سماعاتهم. وبوضوح مفاجئ، أقلعت شاشة الفيديو الواقعة أمامهم ورأت راشيل المدير بيكرينغ في غرفة مؤتمرات مكتب الاستطلاع. كان وحيداً ورأسه مشدوداً إلى الأعلى، ثم نظر إلى عيني راشيل.

شعرت بارتياح غريب عند رؤيته.

"آنسة سيكستون". قال بتعابير مرتبكة ومضطربة: "ما الذي يجري بحق الجحيم؟".

"الحجر النيزكي، سيدي". قالت راشيل: "أظن أننا نواجه مشكلة خطيرة".

71

داخل 'الغرفة الهادئة' في شارلوت، قامت راشيل سيكستون بتقديم مايكل تولاند وكوركي مارلينسون إلى المدير، ثم تولت السيطرة وبدأت بتقرير سريع عن سلسلة أحداث اليوم التي لا تصدق.

جلس مدير مكتب الاستطلاع دون حراك وهو يستمع.

حدثته راشيل عن العوالق المضيئة في حفرة الاستخراج وعن رحلتهم إلى الرف الجليدي واكتشاف عمود الإدخال أسفل الحجر النيزكي وأخيراً، عن الهجوم المفاجئ عليهم من قبل فريق عسكري تشتبه بكونه العمليات الخاصة.

عُرف عن ويليام بيكرينغ مقدرته على الاستماع إلى المعلومات المزعجة من دون أن تطرف عينه، ومع ذلك كانت نظرته تزداد اضطراباً أكثر فأكثر مع كل تطور للأحداث في قصة راشيل. أحست بعدم التصديق وبعدها بالغضب عند حديثها عن جريمة قتل نورا مانغور ونجاتهم من الموت المؤكد. رغم أن راشيل أرادت أن تعبر عن شكها بتورط مدير ناسا إلا أنها تعلم بأن بيكرينغ لا يرهب باتهام أحد دون دلائل. أخبرت بيكرينغ القصة بحقائق واقعية متجردة. وعندما أكملت حديثها ببراعة، لم يجبها بيكرينغ لعدة ثوانٍ.

"آنسة سيكستون"، قال أخيراً: "جميعكم..." تحرك بنظره إلى كل واحد منهم: "لو كان ما تقولونه صحيحاً، ولا أستطيع الاعتقاد بسبب يدفعكم إلى الكذب أنتم الثلاثة، فأنتم محظوظون جداً لبقائكم على قيد الحياة".

هزّ الجميع رؤوسهم بصمت. لقد طلب الرئيس مساعدة أربعة علماء مدنيين... اثنين منهم قد توفيا الآن.

أطلق بيكرينغ تنهدة حزينة، وكأنه لا يمتلك أية فكرة عما سيقوله بعد ذلك. فإن هذه الأحداث صعبة الفهم بشكل واضح. "هل هناك أية طريقة"، سأل بيكرينغ: "أن يكون عمود الإدخال، الذي تقولون إنكم تشاهدونه في الورقة المطبوعة من جهاز (جي بي آر)، هو ظاهرة طبيعية؟".

هزّت راشيل رأسها: "إنه مضبوط تماماً". فتحت ورقة (جي بي آر) المشبعة بالماء وثبتتها أمام الكاميرا. "خالية من أي عيب".

تفحص بيكرينغ الصورة، مقطباً وجهه بالموافقة: "لا تدعي هذه تضيع من يديك".

"لقد اتصلت بمارجوري تينش لأحذرها أن توقف الرئيس". قالت راشيل: "ولكنها أسكتتني".

"أعلم ذلك، لقد أخبرتني بهذا".

نظرت راشيل مذهولة: "اتصلت بك مارجوري تينش؟" كان هذا سريعاً.

"للتو فقط. لقد كانت قلقة جداً. تشعر بأنك تحاولين القيام بنوع من الخديعة لتشوهي سمعة الرئيس وناسا. ربما لمساعدة والدك".

نهضت راشيل ولوحت بالورقة وأشارت إلى مرافقيها الاثنين الآخرين: "لقد كنا على وشك أن نقتل! هل هذا يبدو كنوع من الخديعة؟ ولماذا سأقوم -".

رفع بيكرينغ يديه مستسلماً: "هدئي من روعك، إن الآنسة تينش لم تخبرني أنكم ثلاثة".

لم تستطع راشيل تذكر فيما إذا كانت تينش قد منحتها الوقت الكافي لتذكر كوركي وتولاند.

"ولم تخبرني أيضاً أن معك دليل عملي". قال بيكرينغ: "لقد كنت أشك بادعاءاتها قبل الحديث معك، ولكنني مقتنع الآن من أنها مخطئة. أنا لا أشك بادعاءاتك ولكن السؤال الآن ما الذي يعنيه كل هذا".

ساد صمت طويل.

لم يبدُ على ويليام بيكرينغ القلق الكثير، ولكنه هزّ برأسه مظهراً عليه الضياع: "دعينا نفترض لحظة أن شخصاً ما قد قام فعلاً بإدخال الحجر النيزكي أسفل الجليد. هذا يطرح المشكلة الواضحة 'لماذا'. لو أن ناسا قد وجدت حجراً نيزكياً يوجد فيه مستحاثات. لماذا سيقومون أو يقوم أي شخص آخر بالاهتمام بالمكان الذي تم فيه اكتشافه؟".

"يبدو"، قالت راشيل: "أن هذا الإدخال قد تم ليجعل 'بودس' تكتشف ذلك، وليبدو الحجر النيزكي شظية من اصطدام معروف".

"سقوط جينغرسول". لقنها كوركي.

"ولكن ما هي قيمة ارتباط الحجر النيزكي بالاصطدام المعروف؟" سأل بيكرينغ ويبدو عليه الغضب تقريباً: "أليست هذه المستحاثات اكتشافاً مذهلاً في أي مكان أو أي زمان؟ مهما كان الحدث الذي يرتبط معه؟".

هزّ الثلاثة رؤوسهم موافقين.

تردد بيكرينغ ويبدو عليه الاستياء: "إلا إذا كان... طبعاً...".

رأت راشيل القوة تتوجه في عيني المدير. لقد وجد أبسط تفسير لوضع الحجر النيزكي متزامناً مع حدث جينغرسول، ولكن التفسير الأبسط هذا هو الأكثر إزعاجاً.

"إلا إذا"، تابع بيكرينغ: "كان يقصد إعطاء مصداقية من هذا الإدخال الدقيق لمعلومات خاطئة بأكملها". تنهد ثم التفت إلى كوركي: "دكتور مارلينسون، ما هو احتمال أن يكون هذا الحجر النيزكي مزيفاً؟".

"مزيف، سيدي؟".

"نعم، مزيف أو مُصطنع؟".

"حجر نيزكي مزيف؟" أطلق كوركي ضحكة حرجة: "مستحيل تماماً! لقد تم فحص هذا الحجر النيزكي من قبل عدد لا ينتهي من المختصين بمن فيهم أنا

لمسي. فحوصات كيميائية ومراسم طيف وتـأريخ باسـتعمال الإسـترونيوم – والروبيديوم. إنه لا يشبه أي نوع من الصخور التي تمّ مشاهدتها من قبل على الأرض. إن الحجر النيزكي أصلي. وسيوافق على ذلك أي عالم يبحـث فـي الأمور الفضائية".

بدا أن بيكرينغ أخذ يتفكر بهذا لوقت طويل، وهو يمـس ربطـة عنقـه بلطف: "ولكن، عند النظر إلى المقدار الذي ستجنيه ناسا من هـذا الاكتشـاف الآن، وإشارات التلاعب الواضحة مع الدليل، وتعرضكم للقتل... سيكون عندها أول استنتاج منطقي أتوصل إليه هو أن الحجر النيزكي خدعة تم تنفيذها جيداً".

"مستحيل!" بدا على كوركي الغضب الآن: "بكامل الاحترام سيدي، إن هذا الحجر النيزكي ليس كبعض تأثيرات هوليود الخاصة التي يمكن استحضـارها في مختبر لخداع باقة من العلماء الفيزيائيين المُسلّمين بـذلك. إنهـا عناصـر كيميائية معقدة ببنى بلورية فريدة ونسب عبقرية فريدة أيضاً".

"أنا لا أتحداك، دكتور مارلينسون. أنا فقط أتتبع سلسـلة منطقيـة مـن الأحداث. فعند النظر إلى أن أحداً ما يريد قتلكم لمنعكم مـن كشـف أن هـذا الحجر النيزكي قد تم إيصاله أسفل الجليد، فأنا عندها أميل إلى التفكيـر بكـل أنواع الاحتمالات الوحشية. ما هو الشيء الخاص الذي يجعلك متأكداً مـن أن هذه الصخرة هي حجر نيزكي حقاً؟".

"بشكل نوعي؟" فرقع صوت كوركي داخل السماعات: "قشرة الانصـهار الخالية من أي خلل ووجود الحبيبات المعدنية ونسبة النيكل غير الموجودة فـي أي شيء آخر على الأرض. ولو أنك تقترح بأن أحدهم قد خدعنا بتصنيع هذه الصخرة في المختبر، عندها كل ما أستطيع قوله هو إن هذا المختبر يبلغ عمره 190 مليون سنة". بحث كوركي في جيبه وأخـرج صـخرة تشـبه القـرص الليزري، ثم ثبتها أمام الكاميرا: "لقد قمنا بتأريخ عينات كهذه كيميائيـاً بطـرق كثيرة. إن تأريخ الإسترونيوم – روبيديوم ليس شيئاً يمكنك تزييفه!".

بدا على بيكرينغ الدهشة: "لديك عينة؟".

هزّ كوركي كتفيه لامبالياً: "إن ناسا تمتلك الكثير منها هنا وهناك".

"تقصد أن تخبرني"، قال بيكرينغ ملتفتاً إلى راشيل الآن: "بأن ناسـا قـد اكتشفت حجراً نيزكياً يعتقدون باحتوائه على حياة، ويتركون الناس تتجول مـع هذه العينات؟".

"إن الفكرة"، قال كوركي: "إن هذه العينة التي في يدي أصـلية". أمسـك

بالحجر قريباً إلى الكاميرا. "يمكنك إعطاء هذه إلى عالم صخور أو عالم جيولوجيا أو عالم فلك على الأرض، سيقومون بفحوصاتهم وسيخبرونك بشيئين: الأول، إن هذه عمرها 190 مليون سنة. والثاني، أنها تختلف كيميائياً عن أي نوع من الصخور يوجد على الأرض".

انحنى بيكرينغ إلى الأمام، متفحصاً المستحاثة الموجودة داخل الصخرة. بدا عليه التجمد لحظتها، وتنهد أخيراً: "أنا لست عالماً، ولكن كل ما أستطيع قوله هو لو أن هذا الحجر النيزكي أصلي، والذي يبدو كذلك، أريد أن أعلم لماذا لم تقدمه ناسا إلى العالم بقيمته الأصلية؟ لماذا يقوم شخص ما بوضعه بعناية أسفل الجليد وكأنه يريد إقناعنا بأنه أصلي؟".

في تلك اللحظة، داخل البيت الأبيض، كان أحد ضباط أمن الرئيس يتصل بمارجوري تينش.

أجابت المستشارة الأعلى مقاماً عند الرنة الأولى: "نعم؟".

"آنسة تينش". قال الضابط: "لديّ المعلومة التي طلبتها من قبل. إن المكالمة الهاتفية التي وجهتها لك راشيل سيكستون في وقت مبكر هذا المساء. لدينا أثرها".

"أخبرني".

"قوات أمن الرئيس أخبرتنا بأن الإشارة جاءت على متن الغواصة البحرية 'سفينة الولايات المتحدة شارلوت'".

"ماذا!".

"لا يملكون الإحداثيات، سيدتي، ولكنهم متأكدون من شيفرة تلك المركبة".

"أوه، بحق الله!" أغلقت تينش السماعة دون أي كلمة أخرى.

72

الخصائص السمعية المكتومة للغرفة الهادئة في شارلوت، بدأت تُشعر راشيل بالغثيان قليلاً. على الشاشة، تحولت نظرة ويليام بيكرينغ القلق إلى مايكل تولاند الآن: "أنت هادئ، سيد تولاند".

نظر تولاند إلى الأعلى، كطالب تمت مناداته دون توقع. "سيدي؟".

"لقد قمت للتو بتقديم برنامج وثائقي مقنع على شاشة التلفاز". قال بيكرينغ: "ما هي ردة فعلك على الحجر النيزكي الآن؟".

"حسناً سيدي". قال تولاند، وعدم ارتياحه واضح: "عليّ أن أوافق الدكتور مارلينسون، وأؤمن بأن المستحاثات والحجر النيزكي موثوقة. أنا لست ماهراً خبيراً بالتقنيات التأريخية وإن تحديد عمر الصخرة قد تم إثبات صحته من خلال فحوصات عديدة. ومحتويات النيكل أيضاً. لا يمكن أن تكون هذه المعلومات مزيفة. هناك من دون شك، توجد الصخرة البالغة من العمر 190 مليون سنة والتي تعرض نسب للنيكل غير أرضية وتحتوي على العديد من المستحاثات المثبتة والتي يعود تكوينها أيضاً إلى 190 مليون سنة. لا أستطيع التفكير بأي تفسير آخر محتمل سوى أن ناسا قد وجدت حجراً نيزكياً أصلياً".

صمت بيكرينغ الآن، كانت تعابيره تشير وكأنه في مأزق، نظرة لم ترها راشيل من قبل على ويليام بيكرينغ.

"ما الذي يجب علينا فعله، سيدي؟" سألت راشيل: "من الواضح أنه يتوجب علينا تحذير الرئيس بأن هناك خطأ في المعلومات".

عبس بيكرينغ: "دعينا نأمل أن الرئيس لا يعلم بهذا مسبقاً".

شعرت راشيل بكتلة ارتفعت في حلقها، كان تضمين بيكرينغ واضحاً. يمكن أن يكون الرئيس هيرني متورطاً. شكت راشيل بذلك، ولكن الرئيس وناسا لديهما الكثير ليكسباه من وراء ذلك.

"لسوء الحظ"، قال بيكرينغ: "باستثناء ورقة (جي بي آر) التي تكشف عن عمود الإدخال، تشير جميع المعلومات إلى اكتشاف موثوق لناسا". صمت بكآبة: "وقضية أنكم تعرضتم للقتل..." نظر إلى راشيل: "لقد أشرتِ إلى العمليات الخاصة!".

"نعم سيدي". أخبرته ثانيةً عن الذخائر المرتجلة ووسائلهم.

بدا على بيكرينغ الكآبة أكثر فأكثر في تلك اللحظة. أحست راشيل بأن رئيسها كان يتأمل بعدد الأشخاص الذين يمكنهم الوصول إلى قوى القتل العسكرية الصغيرة. وبالتأكيد، يمكن للرئيس ذلك، ومارجوري تينش أيضاً بصفتها المستشارة الأعلى مقاماً، ومن المحتمل مدير ناسا لورانس إيكستروم من خلال علاقاته في البنتاغون. لسوء الحظ، كلما فكرت راشيل بالأعداد الهائلة للاحتمالات، أدركت أن قيادة هذه القوى المسؤولة عن الهجوم يمكن أن تكون من قبل أي شخص ذي نفوذ سياسي عالٍ واتصالات مناسبة لذلك.

"أستطيع الاتصال بالرئيس فوراً". قال بيكرينغ: "ولكن لا أظن أن ذلك من

الحكمة، على الأقل حتى نعلم من المتورط في الأمر. إن قدرتي على حمايتكم تصبح محدودة حال اتصالنا بالبيت الأبيض، بالإضافة إلى أنني لا أعلم ما الذي سأقوله له. إذا كان الحجر النيزكي حقيقياً، وهذا ما تشعرون به جميعكم، عندها لا يكون ادعاؤكم عن عمود الإدخال والهجوم مقبولاً. عندها يمتلك الرئيس الحق بأكمله عن سؤالي عن صحة ادعائي". صمت وكأنه يقوم بإحصاء الخيارات: "بصرف النظر عن... مهما تكن الحقيقة أو أياً يكون اللاعبين، فإن بعض الأشخاص ذوي السلطة العليا سيتضررون في حال التصريح علانية عن هذه المعلومات. أقترح بأن نحضركم إلى مكان آمن فوراً، قبل أن نبدأ بإحداث أية قلقلة بالاستفسار عن الأمر".

يحضرنا إلى الأمان؟ فاجأ ذلك التعليق راشيل: "أظن أننا آمنون تقريباً هنا في الغواصة النووية، سيدي".

بدا على بيكرينغ الشك بالأمر: "لن يبقى وجودكم في تلك الغواصة أمراً سرياً لوقت طويل. سأقوم بإخراجكم فوراً. بصراحة، سأشعر بالارتياح أكثر عند جلوسكم أنتم الثلاثة هنا في مكتبي".

73

ربض السيناتور سيكستون وحيداً على الأريكة يشعر وكأنه لاجئ. إن شقته في منطقة ويست بروك والتي كانت منذ ساعة فقط مليئة بالأصدقاء الجدد والمؤيدين بدت الآن مهجورة، مبعثرة بكؤوس المشروب المفضل وبطاقات الزيارة التجارية المتروكة من قبل رجال اندفعوا تماماً خارجين.

كان السيناتور يجثم الآن بعزلة أمام تلفازه، لا يريد أي شيء أكثر من إغلاقه، ولكنه غير قادر على سحب نفسه من التحليلات الإعلامية اللانهائية. هذه هي واشنطن، لم يستغرق الأمر وقتاً طويلاً للمحللين بالاندفاع إلى تضخيمهم العلمي والفلسفي الزائف وتوجيهه على الأمور البشعة – السياسة.

مثل أسياد التعذيب يضعون الحموض على جروح سيكستون، كان مذيعو الأخبار يعرضون ويعيدون عرض ما هو واضح.

"منذ ساعات مضت، كانت حملة سيكستون تحلق"، قال أحد المحللين: "الآن، مع اكتشاف ناسا، ارتطمت حملة السيناتور بالأرض".

أجفل سيكستون باحثاً عن زجاجة المشروب المفضل، ثم مسرفاً في

الشرب من الزجاجة. لقد علم أن هذه الليلة ستكون الأطول والأوحش في حياته. لقد احتقر مارجوري تينش لخداعه. احتقر غابرييل آش لذكرها ناسا في البداية، احتقر الرئيس لكونه محظوظاً واحتقر العالم الذي يسخر منه.

"من الواضح أن هذا أمر مدمر للسيناتور"، كان المحلل يقول هذا: "إن الرئيس وناسا قد حققا نصراً لا يقدر لهذا الاكتشاف. إن أخباراً كهذه ستعيد الحياة لحملة الرئيس بغض النظر عن موقف سيكستون لناسا، ولكن بقبول سيكستون اليوم أنه سيعمل على إلغاء ناسا فور احتياجه... حسناً، هذا التصريح الرئاسي هو بمثابة ضربتين مفاجئتين ساحقتين لن يشفى منهما السيناتور أبداً".

لقد تمّ خداعي، قال سيكستون لنفسه، لقد خدعني البيت الأبيض اللعين.

كان المحلل يبتسم الآن: "المصداقية بأكملها التي كانت ناسا قد ضيّعتها عند الأميركيين مؤخراً قد عادت للتو بدرجة عظيمة. هناك شعور حقيقي بالفخر القومي هناك في الشوارع الآن".

"كما يجب أن يكون، إنهم يحبون زاك هيرني، وقد كانوا يفقدون ثقتهم. عليك أن تعترف أن الرئيس هيرني كان مستلقياً ويتلقى الضربات العنيفة مؤخراً، ولكنه ظهر بعدها برائحة كالزهور".

فكر سيكستون بمقابلة (سي إن إن) عصر اليوم وإذلال نفسه، معتقداً أنه ربما يتقيأ. كل هذه الإعاقة التي شكلها بحذر شديد تجاه ناسا خلال الأشهر الماضية لم تنته بتوقف صارخ وحسب، بل بدت وكأنها مرساة حول عنقه. بدا وكأنه غبي. لقد سُخر منه بوقاحة من قبل البيت الأبيض. لقد أصبح للتو الشخصية الكرتونية المرعبة في صحف الغد. سيصبح اسمه النهاية المضحكة لجميع النكات في البلد، وبالتأكيد لن يعود هناك تمويل مالي للحملة من (إس إف إف). لقد تغير كل شيء. جميع الرجال الذين كانوا في شقته قد شاهدوا للتو أحلامهم تسقط أسفل المرحاض. كما أن خصخصة الفضاء قد ارتطمت للتو بجدار قرميدي.

وهو يأخذ رشفة من المشروب المفضل، نهض السيناتور ومشى بترنح إلى مكتبه. نظر إلى سماعة الهاتف المغلقة وهو يعلم أن هذا عمل ماسوشي لضرب النفس بالسوط. قام ببطء بوضع سماعة الهاتف في حاملها وبدأ يحصي الثواني.

واحد... اثنان... رنّ الهاتف. ترك الآلة تجيب.

"السيناتور سيكستون، أنا جودي أوليفر من (سي إن إن)، أرغب بإعطائك

الفرصة بالرد على اكتشاف ناسا هذا المساء. اتصل بي من فضلك". أغلقت الهاتف.

بدأ سيكستون بالعدّ مرة أخرى واحد... بدأ الهاتف بالرنين، تجاهله، تاركاً الآلة تجيب، مراسل آخر.

حاملاً زجاجة المشروب المفضل، تجول سيكستون باتجاه الباب المنزلق لشرفته. دفعه إلى الجانب ثم خطى خارجاً إلى الهواء المعتدل منحنياً خلف الحاجز. حدق عبر المدينة إلى واجهة مبنى البيت الأبيض المضيئة في الأفق. بدت الأضواء تتلألأ بمرح بسبب الرياح.

أوغاد، فكر بهذا. لقد مضى قرون على بحثنا عن دليل لحياة في السماوات. نجدها الآن في نفس السنة اللعينة مع انتخاباتي؟ إن هذا لم يكن أمراً حسناً. إنه استبصار لعين. من خلال نوافذ جميع الشقق التي امتدت مسافة يتمكن سيكستون من رؤيتها، كان لديها أجهزة تلفاز دائرة. تساءل سيكستون أين هي غابرييل هذه الليلة. كان هذا خطأها بأكمله. لقد أشبعته بإخفاق لناسا تلو إخفاق آخر.

رفع الزجاجة ليتناول رشفة أخرى.

غابرييل اللعينة... هي السبب في جعلي بهذه الورطة.

بعيداً عبر المدينة، واقفة في جلبة غرفة الإنتاج في (أي بي سي)، شعرت غابرييل آش بالخدر. لقد أتى إعلان الرئيس غير متوقعٍ، تاركاً إياها معلقة في حالة من الذهول الغامض. نهضت، غير قادرة على الحركة في مركز أرضية الغرفة، محدقة بإحدى شاشات التلفاز بينما يثور الصخب من حولها.

جلبت الثواني الأولية للإعلان صمتاً كاملاً إلى غرفة الأخبار. استمر ذلك لحظات فقط قبل أن ينفجر المكان إلى كرنفال مُصمّ للآذان من المذيعين المتدافعين. كان هؤلاء الناس محترفين. ليس لديهم وقت للتأملات الشخصية. سيكون هناك وقت لذلك بعد إنهاء العمل. في هذه اللحظة، يريد العالم أن يعرف المزيد ويجب أن تزودهم (أي بي سي) بذلك. فإن هذه القصة تمتلك كل شيء – علم، تاريخ، ودراما سياسية – تزويد عاطفي وافر. لن ينام أحد من الصحافة هذه الليلة.

"غابرييل؟" كان صوت يولاندا متعاطفاً: "هيا بنا إلى مكتبي قبل أن يدرك أحد من أنت ويبدأ باستجوابك عن الذي يعنيه هذا لحملة سيكستون".

شعرت غابرييل بنفسها تتوجه عبر الضباب إلى مكتب يولاندا ذي

الجدران الزجاجية. أجلستها يولاندا وقدمت لها كأساً من الماء. حاولت أن أجبرها على الابتسام: "أنظري إلى الجانب المشرق يا غابرييل، إن حملة مرشحك قد تدمرت، ولكن أنت لم يصبك شيء على الأقل".

"شكراً لك. رائع".

تحولت نبرة صوت يولاندا الآن إلى الجدية: "غابرييل، أعلم أنك في أسوأ حالاتك. لقد تم للتو صدم مرشحك بشاحنة من نوع ماك، ولو سألتني عن ذلك، فأعتقد أنه لن يصحو منها. على الأقل ليس في الوقت المناسب لإحداث تغيير مهم. ولكن على الأقل، لم يبرز أحد صورتك على شاشة التلفاز. بشكل جدي، إن هذه الأخبار جيدة. لن يحتاج هيرني إلى فضيحة جنسية الآن. إنه يتطلع لأمور أكثر رئاسية الآن من أن يتحدث عن الجنس".

بدا أن هذا عزاء صغير لغابرييل.

"بخصوص ادعاءات تينش عن تمويل مالي غير شرعي للحملة..." هزّت يولاندا رأسها: "لديّ شك بذلك، إنه أمر مسلّم به أن هيرني جاد بأمر عدم إدارته لحملة سلبية. وأمر مسلّم به أن استجوابات الرشوة سيكون أمراً سيئاً للبلد. ولكن هل هيرني حقيقة وطني لدرجة أنه يضيع الفرصة لتحطيم خصمه، ببساطة ليحمي الأخلاق الوطنية؟ باعتقادي إن تينش قد بالغت بحقيقة أموال سيكستون هادفة بذلك إخافتك. لقد غامرت بذلك على أمل أن تتخلي عن مرشحك وتقدمي للرئيس فضيحة جنسية مجانية. عليك الاعتراف يا غابرييل بأن هذه الليلة ستكون ليلة لعينة لأخلاق سيكستون ليتم استجوابها!".

أومأت غابرييل بغموض. فضيحة جنسية ستكون ضربة ثنائية لن تشفى منها حملة سيكستون أبداً... على الإطلاق.

"لقد تفوقت عليها يا غابرييل، قدمت تينش الطعم لك ولكنك لم تقتربي منه. لقد أنهيت ذلك بنجاح. سيكون هناك انتخابات أخرى".

أومأت غابرييل بغموض، غير متأكدة من الذي ستصدقه بعد الآن.

"يجب عليك الاعتراف"، قالت يولاندا: "لقد تلاعب البيت الأبيض بسيكستون بصورة ذكية – لقد قاموا بإغوائه إلى أعماق ناسا، جعلوه يتورط بالأمر، وأقنعوه بلطف أن يضع جميع بيوضه في سلة ناسا".

إنه خطأي بأكمله، فكرت غابرييل.

"وهذا الإعلان الذي شاهدناه للتو، يا إلهي، إنه مميز! لنضع أهمية ذلك

الاكتشاف بأكملها جانباً. إن طرق تقديمه كانت رائعة. نقل مباشر من القطب؟ برنامج مايكل تولاند؟ يا إلهي، كيف يمكنكم المنافسة؟ لقد استحوذ زاك هيرني على الأمر هذه الليلة، هناك سبب ليكون هذا الشخص رئيساً".

وسيكون كذلك لأربع سنوات أخرى...

"عليّ أن أعود للعمل، يا غابرييل". قالت يولاندا: "اجلسي هنا لأطول فترة تريدينها، استريحي هنا". توجهت يولاندا إلى الباب: "حبيبتي، سأعود بعد عدة دقائق".

وحيدة الآن، ارتشفت غابرييل الماء، ولكن طعمه كان فاسداً. كل شيء كان كذلك. هذا كله خطأي، فكرت محاولة إراحة ضميرها من خلال تذكير نفسها بجميع مؤتمرات ناسا الصحفية الكئيبة خلال السنة الماضية – إخفاقات محطة الفضاء، تأجيل مركبة الفضاء X-33، وجميع السفن الفضائية الفاشلة في كوكب المريخ، والإنقاذات المالية المتتابعة للميزانية. تساءلت غابرييل ما الذي كان يمكنها فعله بدلاً عن ذلك.

لا شيء، قالت لنفسها، لقد قمت بكل شيء بشكل صحيح.

لقد أعطى الأمر عكس النتائج المتوقعة ببساطة.

74

الهيلكوبتر (سي هاوك) الضخمة والتابعة للبحرية كانت تندفع بسرعة في مهمة سرية من القاعدة العسكرية الجوية (ثيول) في شمال غرين لاند. بقيت تحلق منخفضة خارج مجال الرادار وهي تطير كالقذيفة عبر الرياح العاصفة على عرض سبعين ميلاً من البحر الواسع. بعدها، كتنفيذ للأوامر الغريبة التي قد تلقوها، صارع الطيارون الرياح وأحضروا الطائرة إلى مكان للتحويم فوق مجموعة محددة مسبقاً من الإحداثيات في المحيط الفارغ.

"أين هو مكان اللقاء؟" صاح مساعد الطيار مرتبكاً. لقد تم إخبارهم بإحضار الهيلكوبتر مزودة برافعة إنقاذ. لذلك هو يتوقع عملية بحث واسترجاع.

"أنت متأكد من أن هذه هي الإحداثيات الصحيحة؟" تفحص البحر المتلاطم الأمواج بالمنوار. ولكن لم يكن هناك شيء أسفلهم سوى –.

"تباً!" ارتد عائداً إلى كرسيه مندفعاً إلى الداخل.

انبثق جبل المعدن الأسود أمامهم من الأمواج دون أي تحذير. غواصة

ضخمة غير معلمة ألقت بثقل الموازنة وانبثقت فوق غيمة من الفقاعات.

تبادل الطياران ضحكات قلقة: "أعتقد أن هؤلاء هم".

تطبيقاً للأوامر التي تلقوها، تمت الإجراءات تحت صمت لاسلكي كامل. فتحت المداخل المزدوجة الجناح على قمة الغواصة ثم أطلق جندي بحري إشارات لهم بواسطة ضوء ذي كثافة عالية. تحركت الطائرة فوق الغواصة وأنزلت ثلاثة أجهزة إنقاذ مؤلفة أساساً من ثلاث حلقات مطاطية على سلك يمكن إعادة شده. وخلال ستين ثانية، كان 'المتدلون' الثلاثة غير المعروفين يتأرجحون أسفل الهيلكوبتر يصعدون ببطء بواسطة قوة الدوارات.

عندما سحبهم مساعد الطيار إلى متن الطائرة – رجلين وامرأة – أشار الطيار بضوئه إلى العاصفة بـ 'كل شيء على ما يرام'. خلال ثوان، اختفت المركبة الضخمة أسفل البحر المُشتت بالرياح، ماحية كل أثر على أنها كانت هنا.

بوجود الركاب بأمان على متنها، توجه طيار الهيلكوبتر إلى الأمام، منحنياً برأس الهيلكوبتر ومسرعاً إلى الجنوب لإكمال مهمته. كانت العاصفة تطبق عليهم بسرعة، ولكن يجب إحضار هؤلاء الثلاثة الغرباء بأمان إلى القاعدة العسكرية في ثيول ليتم نقلهم إلى مكان أبعد بواسطة طائرة نفاثة. لم يكن الطيار يعلم إلى أين سيتم توجيههم. كل ما يعرفه هو أن الأوامر كانت من سلطة عليا، فهو يقوم بنقل حمولة ثمينة جداً.

75

عندما انفجرت عاصفة ميلني أخيراً، تاركة قوتها بأكملها تعصف على قبة ناسا الاصطناعية، ارتعدت القبة وكأنها أصبحت جاهزة لتغادر الجليد وتنطلق إلى البحر. سُحبت بإحكام الأسلاك المعدنية المثبتة تجاه أوتاد القبة. فكانت تهتز كأوتار الغيتار العملاقة مطلقة لحناً كئيباً. أصدرت المحركات في الخارج ضجيجاً مسببة ارتجاجاً في الأضواء، مهددة بذلك أن تطمر الغرفة الضخمة بظلام دامس.

مشى مدير ناسا لورانس إيكستروم بخطى واسعة عبر مدخل القبة، وتمنى لو أنه سيخرج من هذا المكان اللعين هذه الليلة، ولكن هذا لن يحدث. سيبقى ليوم اخر ليقدم مؤتمرات صحفية إضافية في مكان الحدث في الصباح وليشرف على التحضيرات لنقل الحجر النيزكي إلى واشنطن. لم يرغب بأي شيء آخر

في هذه الأثناء سوى القليل من النوم، فإن مشاكل هذا اليوم غير المتوقعة لــ استغرقت منه الكثير.

مع ذلك، عادت أفكار إيكستروم مرة أخرى إلى وايلــي مينــغ، راشيل سيكستون ونورا مانغور ومايكل تولاند وكوركي مارلينسون. لقد بدأ بعض من طاقم ناسا بملاحظة فقدان العلماء المدنيين.

اهدأ، قال إيكستروم لنفسه، كل شيء تحت السيطرة.

تنفس بعمق، مذكراً نفسه بأن كل شخص على هذا الكوكب مُثــار حــول ناسا والفضاء الآن. فإن الحياة خارج الأرض لم تكن موضــوعاً مثيــراً منــذ 'حادث روزويل' المشهور عام 1947 – التحطم المزعوم لسفينة فضاء غريبة في روزويل، نيومكسيكو، والتي أصبحت الآن مزاراً لملايــين البــاحثين فــي مؤامرة الصحون الطائرة الغريبة حتى اليوم.

خلال سنوات عمل إيكستروم في البنتاغون، علم أن حادث روزويل لــم يكن سوى حادث عسكري خلال عملية سرية تــدعى مشــروع 'مونغــول' - اختبار طيران لبالون تجسس، صُمِّم لرصد اتصالات اختبارات روسيا الذرية. النموذج الأولي هذا انحرف عن مساره خلال تجريبه واصطدم في صحراء نيو مكسيكو. لسوء الحظ، وجد الحُطام شخص مدني قبل رجال الجيش.

دون أي اشتباه، تعثر صاحب المرعى ويليام برازيل صدفةً بحقل حطــام من المطاط الصناعي الممتاز ومعادن خفيفة الوزن لا تشبه أي شيء قــد راه من قبل فاتصل بالشريف على الفور. نشرت الصحف قصة الحطام الغريــب، فازداد الاهتمام الشعبي فوراً. تحمس الصحفيون بسبب إنكار القوات المســلحة أن هذا الحطام لهم، فبدأوا تحقيقاتهم. عندها أصبحت الحالة السرية لمشــروع 'مونغول' في خطر شديد. تماماً عندما بدا أن القضية الحساسة لبالون التجسس على وشك أن تكشف، حدث شيء رائع.

توصل الإعلام إلى استنتاج غير متوقع، فقرروا أن الأجزاء الصغيرة من هذه المادة المستقبلية لا بد أنها أتت من مصدر فضائي – مخلوقات أكثر تطورا من الإنسان من الناحية العلمية. ومن الواضح أن إنكار القوات المسلحة لهــذا الحادث هو شيء واحد فقط -- غطاء لاتصال سرّي مع الغرباء! رغم حيرتهــا من هذه الفرضية الجديدة، بدا أن القوات المسلحة غير مستعدة لــرفض هــذا المعروف الذي قُدم إليها، بل تمسكت بقصة الغرباء هذه وطافت بهــا، حيــث كانت اشتباهات العالم بزيارة الغرباء إلى نيو مكسيكو أمراً أقل تهديداً للسلامه

القومية من الروسيين لمشروع مونغول.

ولكي تدعم قصة الغرباء المتخذة كغطاء، قام المجتمع الاستخباراتي بحجب حادث 'روزويل' بسرية وبدأوا بتنظيم 'تسريبات أمنية' – إشاعات عن اتصالات غريبة، وإنقاذ لسفن فضائية بالإضافة إلى قصة الهنغار 18 الغامض في قاعدة الطيران العسكرية راين باترسون في دايتون حيث تخبئ الحكومة أجساداً للغرباء في الجليد. صدق العالم هذه القصة وانتشرت حمى روزويل حول العالم. ومنذ تلك اللحظة، كلما شاهد مدني بشكل خاطئ طيارة عسكرية متطورة تابعة للولايات المتحدة، يقوم المجتمع الاستخباراتي ببساطة بإعادة رواية المؤامرة القديمة.

إنها ليست طائرة، إنها سفينة فضاء للغرباء!

كان إيكستروم مندهشاً بأن هذه الخديعة البسيطة لا تزال تعمل حتى اليوم. ففي كل مرة يقدم فيها الإعلام تقريراً عن انفجار مفاجئ في الأحداث لرؤية صحون طائرة غريبة، يتوجب على إيكستروم عندها الضحك. ومن المصادفات أن مدنياً محظوظاً استطاع إلقاء نظرة خاطفة على إحدى طائرات مكتب الاستطلاع السبع والخمسين السريعة التحرك وهي طائرة استطلاع غير مزودة بطيارين تعرف باسم الصقور العالمية – مستطيلة الشكل، طائرة ذات تحكم عن بعد لا تشبه أي شيء في السماء.

وجد إيكستروم الأمر مثيراً للشفقة بأنه لا زال هناك عدد لا يحصى من السياح يقومون برحلات إلى صحراء نيو مكسيكو لمراقبة السماء في الليل مع كاميرات الفيديو. أحياناً، قد يكون أحدهم محظوظاً ويستطيع مشاهدة 'دليل حقيقي' لصحن طائر – أضواء مشعة تتحرك في السماء تكون أكثر قدرة على المناورة وأسرع من أي طائرة إنسانية قد وصفت من قبل. إن الشيء الذي لا يدركه هؤلاء الناس بالتأكيد هو وجود تأخر مقداره اثنتي عشرة سنة بين ما يمكن أن تبنيه الحكومة وبين ما يعلم عنه الشعب. هؤلاء المحدقون بالصحون الطائرة كانوا ببساطة يلقون نظرة سريعة على طائرات الولايات المتحدة للجيل القادم والتي يتم تطويرها هنا في المنطقة 51 – حيث إن العديد فيها هو نتاج الأفكار البارعة لمهندسي ناسا. وبالطبع، لم يقم الموظفون الاستخباراتيون أبداً بتصحيح سوء الفهم هذا، فمن الواضح أن قراءة العالم لرؤية صحن طائر هو أفضل من إعلامهم عن الإمكانيات الحقيقية لطيران القوات الأميركية المسلحة.

ولكن كل شيء تغير الآن، فكر إيكستروم. إن أسطورة الحياة خارج

الأرض ستصبح حقيقة مثبتة للأبد.

"أيها المدير؟" أسرع تقني ناسا عبر الجليد من خلفه: "لديك اتصال أمني طارئ في علبة الاتصالات المعدنية".

تنهد إيكستروم ملتفتاً. ما الذي يمكن أن يكون الآن بحق الجحيم؟ توجه إلى حجرة الاتصالات.

أسرع التقني في جانبه: "إن الشباب المسؤولين عن الرادار في علبة الاتصالات كانوا قلقين سيدي".

"نعم؟" كانت أفكار إيكستروم لا تزال بعيدة.

"الغواصة الضخمة المقابلة للشاطئ هنا؟ كنا نتساءل لماذا لم تذكرها لنا".

نظر إيكستروم إليه: "عفواً؟".

"الغواصة، سيدي؟ كان على الأقل بإمكانك إخبار الفتية على الرادار. إن موضوع السرية الشاطئية الإضافية أمر مفهوم. ولكنه جعل فريق الرادار دون استعداد بأي هجوم محتمل".

توقف إيكستروم قليلاً: "أية غواصة؟".

توقف التقني أيضاً الآن، من الواضح أنه لم يتوقع موقف المدير المفاجئ: "إنها ليست جزءاً من عمليتنا؟".

"لا! أين هي؟".

ابتلع ريقه بصعوبة: "على بعد ثلاثة أميال. التقطنا ذلك بواسطة الرادار مصادفة. صعدت إلى السطح لبضع دقائق فقط. صورة على شاشة الرادار كبيرة بعض الشيء. لا بد وأنها ضخمة الجسد. توقعنا أنك قد طلبت من البحرية الوقوف هنا ومراقبة هذه العملية دون إخبار أي أحد منا".

حدق به إيكستروم: "أنا بالتأكيد لم أفعل ذلك!".

اضطرب صوت التقني الآن: "حسناً، سيدي، أظن أن عليّ إعلامك بأن الغواصة قد التقت للتو مع طائرة قبالة الساحل مباشرة. يبدو وكأنه تبادل بالأفراد. حقيقة، كنا مندهشين لرؤية أي شخص قد يحاول القيام بتبادل عمودي رطب – جاف في مثل هذا النوع من الرياح".

شعر إيكستروم بعضلاته تتيبس. ما الذي تفعله غواصة هنا بحق الجحيم مباشرة قبالة شاطئ جزيرة إيلزمير دون علمي؟ "هل رأيتم في أي اتجاه حلقت إليه الطائرة بعد اللقاء؟".

"عائدة باتجاه قاعدة الطيران ثيول. أفترض من أجل نقل متواصل إلى القاعدة الأساسية".

لم يقل إيكستروم أي شيء طوال طريقه إلى علية الاتصالات. وعندما دخل الظلام الضيق، كان للصوت الأجش على الهاتف خشونة مألوفة.

"تواجه مشكلة". قالت تينش وهي تسعل أثناء حديثها: "إنها تتعلق براشيل سيكستون".

76

لم يكن السيناتور سيكستون متأكداً من المدة التي مضت عليه وهو يحدق بالفضاء عندما سمع الطرق. وعندما أدرك أن هذا النبض في أذنيه لم يكن بسبب الكحول ولكن من شخص أمام باب شقته، نهض من على الأريكة، ووضع زجاجة المشروب المفضل جانباً ثم توجه نحو الردهة.

"من هناك؟"صاح سيكستون ولم يكن في مزاج لاستقبال الزوار.

نادى صوت حارسه الشخصي بهوية ضيف لم يكن سيكستون يتوقعه. صحا سيكستون على الفور. لقد كان هذا سريعاً. كان سيكستون قد تمنى ألا يتوجب عليه الخوض في هذه المحادثة حتى الصباح.

آخذاً نفساً عميقاً ومسوّياً شعره، فتح سيكستون الباب. كان الوجه أمامه مألوفاً جداً – قاسياً ومشدود الجلد رغم بلوغ هذا الرجل حوالى السبعين سنة من العمر. لقد التقى سيكستون به هذا الصباح في شاحنة فورد ويند ستار البيضاء الصغيرة في كراج وقوف سيارات الفندق. ألم يكن هذا في الصباح فقط؟ تساءل سيكستون. يا إلهي، كم تغيرت الأشياء منذ ذلك الوقت.

"أيمكنني الدخول؟" سأله الرجل ذو الشعر الداكن.

خطى سيكستون جانباً، سامحاً لرئيس مؤسسة الفضاء الرائدة بالعبور.

"هل تم اللقاء بشكل جيد؟" سأله الرجل بينما كان سيكستون يغلق الباب.

هل تم بشكل جيد؟ تساءل سيكستون فيما إذا كان هذا الرجل يعيش في شرنقة: "كان كل شيء رائعاً إلى أن ظهر الرئيس على التلفاز".

أومأ الرجل بنفسه ويبدو عليه الاستياء: "نعم، نصر ساحق، إنها ستؤثر سلباً على قضيتنا بشكل كبير".

تؤثر سلباً على قضيتنا؟ ها هو الرجل المتفائل. بسبب نصر ناسا هذه

الليلة، سيكون هذا الفتى ميتاً ومدفوناً قبل أن تحصل مؤسسة الفضاء هذه على أهدافها في الخصخصة.

"لسنوات خلت، كنت أتوقع الحصول على دليل". قال الرجل العجوز: "لم أعلم كيف أو أين، ولكن عاجلاً أم آجلاً كان يتوجب علينا أن نعلم بذلك من دون شك".

كان سيكستون مذهولاً: "أنت غير مندهش؟".

"إن رياضيات هذا الكون تتطلب بالفعل أشكالاً لحياة أخرى". قال الرجل متوجهاً إلى حجرة سيكستون: "أنا لست مندهشاً من ظهور هذا الاكتشاف. عقلياً، أنا مثار جداً. أما روحياً، فأنا مرتعب. وسياسياً، أنا قلق. ليس هناك توقيت أسوأ من هذا".

تساءل سيكستون لماذا أتى هذا الرجل. إنه بالتأكيد لم يأت ليرفع من معنوياته.

"وكما تعلم". قال الرجل: "إن الشركات الأعضاء في (إس إف إف) قد أنفقت الملايين لفتح حدود معرفة الفضاء أمام المواطنين من القطاع الخاص. ومؤخراً، توجه الكثير من ذلك المال إلى حملتك".

شعر سيكستون أنه في موقف دفاعي فجأة: "لا أملك التحكم بإخفاق الليلة، لقد أغراني البيت الأبيض وجعلني أهاجم ناسا!".

"نعم، لقد لعب الرئيس اللعبة بشكل جيد، ورغم ذلك، يمكن ألا تخسر هذا بأكمله". كان هناك ومضة غريبة من الأمل في عيني ذلك الرجل العجوز.

إنه خرِف، فكر سيكستون. لقد خسرنا كل شيء حتماً. جميع المحطات على التلفاز تتحدث الآن عن دمار حملة سيكستون.

وصل الرجل إلى الحجرة وجلس على الأريكة وثبت عينيه المتعبتين على السيناتور. "أتذكر". قال الرجل: "المشاكل التي واجهتها ناسا في البداية مع برنامج كشف الشذوذات داخل القمر الصناعي لبودس؟".

لم يستطع سيكستون تخيل إلى أين سيؤدي هذا. ما هو الفرق بحق الجحيم الذي سيقدمه هذا الآن؟ لقد وجدت بودس حجراً نيزكياً لعيناً مليئاً بالمستحاثات!

"إذا كنت تذكر". قال الرجل: "إن البرنامج لم يكن يعمل بشكل جيد في البداية وقد استفدت من ذلك كثيراً في الإعلام".

"كما يجب أن أفعل!" قال سيكستون وهو يجلس قبالة الرجل. "لقد كان إخفاقاً آخر لناسا!".

هزّ الرجل رأسه: "أوافقك على هذا. ولكن بعد فترة وجيزة، عقدت ناسا مؤتمراً صحفياً تعلن فيه أنها قد وصلت إلى طريقة للالتفاف حول ذلك – نوع من التحديث ليصحح هذا البرنامج".

في الواقع، لم يشاهد سيكستون ذلك المؤتمر، ولكنه سمع أنه كان قصيراً ومباشراً وذا أهمية إخبارية ضعيفة – رئيس مشروع بودس يقدم وصفاً تقنياً مُملاً عن أن ناسا قد تغلبت على خلل صغير في برنامج بودس الكاشف عن الشذوذات وكل شيء يسير بنجاح وفعالية.

"لقد كنت أشاهد بودس باهتمام منذ ذلك الإخفاق". قال الرجل ثم أخرج شريط فيديو ومشى إلى تلفاز سيكستون. وضع الشريط في جهاز الفيديو. "لا بد أن يسترعي هذا انتباهك".

بدأ الفيديو بالعرض، فأظهر غرفة مؤتمرات ناسا في مركز القيادة في واشنطن. رجل يرتدي لباساً رسمياً كان يقف على المنصة ويحيي الجمهور. كان العنوان الفرعي أسفل المنصة:

كريس هاربر، مدير القسم القمر الصناعي الماسح لكثافة القطب في المدار (بودس)

كان كريس هاربر طويلاً ومثقفاً ومهذباً، يتحدث بوقار هادئ يتميز به الأميركيون ذوو الأصل الأوروبي الذين يتمسكون إلى الآن بجذورهم بفخر. كانت لهجته واسعة المعرفة ومُحسنة. كان يخاطب الصحافة بثقة بالنفس مقدماً إليهم بعض الأخبار السيئة عن بودس.

"رغم أن قمر بودس لا يزال في المدار ويعمل بشكل جيد إلا أننا نواجه عوائق صغيرة في أجهزة الكمبيوتر على متنه. خطأ برمجي صغير أتحمل مسؤوليته بالكامل. وبالتحديد، مرشحة منفذ الأشعة تحت الحمراء السريع. وهذا يعني أن برنامج مراقبة الشذوذات لا يعمل بشكل جيد. نحن نعمل على إصلاحه".

تنهد الحشد وعلى ما يبدو أنه كان معتاداً على إخفاقات ناسا: "ما الذي يعنيه هذا لفعالية القمر الصناعي الحالية؟" سأله أحد الأشخاص.

اعتبر هاربر السؤال احترافياً. جريء وعملي. "تخيل زوجاً رائعاً من العينين من دون عقل يؤدي وظيفة. حقيقة، إن القمر بودس يرى بشكل تام،

ولكنه لا يعلم ما الذي ينظر إليه. إن مهمة بودس هي رؤية الجيوب الذائبة في القطب المتجمد، ولكن من دون عمل الكمبيوتر بتحليل معلومات الكثافة التي يتلقاها البودس من الماسح. لا يمكن لبودس أن يدرك أين هي النقط المهمة. يجب علينا إصلاح الوضع بعد أن تتمكن مهمة المكوك القادمة من تعديل الكمبيوتر على متنه".

همهمات من خيبة الأمل انبثقت في الغرفة.

نظر الرجل العجوز إلى سيكستون: "إنه يقدم الأخبار السيئة بشكل جيد، أليس كذلك؟".

"إنه من ناسا". دمدم سيكستون: "هذا هو ما يفعلونه عادة".

تبددت صورة شريط الفيديو للحظة ثم انتقلت إلى مؤتمر صحفي آخر لناسا.

"هذا المؤتمر الصحفي الثاني"، قال الرجل العجوز لسيكستون: "قُدم قبل أسابيع قليلة فقط في وقت متأخر في المساء. شاهده القليل من الناس. وفي هذه المرة يعلن الدكتور هاربر عن أخبار جيدة".

بدأ عرض الفيلم وفي هذه المرة بدا على كريس هاربر عدم الترتيب والاضطراب. "أنا مسرور لإعلاني"، قال هاربر ولا يبدو عليه السرور على الإطلاق: "أن ناسا قد وجدت التفافا حول مشكلة برنامج قمر بودس". تلعثم عند شرحه هذا الحل – "شيء كإعادة توجيه المعلومات الأولية من بودس وإرسالها عبر كمبيوترات هنا على الأرض بدلاً من الاعتماد على كمبيوتر بودس على متنها". بدا على الجميع التأثر بذلك، حيث كان الأمر بأكمله معقولاً ومثيراً. وعندما انتهى هاربر من كلامه، منحه جميع من في الغرفة تصفيقاً مليئاً بالاستحسان.

"إذاً يمكننا توقع معلومات قريباً". سأله أحد الحضور.

أومأ هاربر وهو يتبلل عرقاً: "بعد عدة أسابيع". المزيد من التصفيق، ازدادت الأيدي تصفيقاً حول الغرفة.

"هذا كل ما لديّ الآن". قال هاربر يبدو عليه الشحوب وهو يجمع أوراقه: "إن بودس تعمل بشكل فعال وجيد. سنحصل على المعلومات قريباً". ثم هرب من المنصة فعلياً.

عبس سيكستون وكان عليه الاعتراف بأن هذا أمر غريب. لماذا يبدو كريس هاربر مرتاحاً كثيراً عند تقديمه الأخبار السيئة، وغير مرتاح على

الإطلاق عند تقديمه الأخبار الجيدة؟ يجب أن يكون العكس. لم يشاهد سيكستون هذا المؤتمر حقيقة عندما تمت إذاعته، رغم أنه سمع عن إصـــلاح البرنـــامج. الإصلاح في هذا الوقت بدا إنقاذاً غير مهم بالنسبة لناســـا، فقــد بقــي إدراك الجماهير للوضع غير متأثر – إن بودس هو مشروع آخر لناسا كان قد توقف عن العمل ومن ثم تم إصلاحه على نحو أخرق من خلال حلٍّ أقل من المثالي.

أطفأ الرجل العجوز التلفاز: "زعمت ناسا أن الدكتور هــاربر لــم يكــن بصحة جيدة في تلك الليلة". صمت قليلاً: "أميل إلى الاعتقاد بأن هــاربر كــان يكذب".

يكذب؟ حدق به سيكستون، وأفكاره المشوشة غير قادرة على جمــع أيــة أساس منطقي للسبب الذي يدفع هاربر ليكذب عن البرنامج. مــع ذلــك، قــال سيكستون الكثير من الكذب في حياته بما يكفيه أن يميز كذاباً قليلِ الخبرة عندما يراه. يتوجب عليه الاعتراف أن الدكتور هاربر بالتأكيد كان مثيراً للشك.

"ربما لا تدرك؟" قال الرجل العجوز: "هذا الإعلان الصغير الذي سمعت كريس هاربر يقدمه هو المؤتمر الصحفي الأكثر أهمية في تاريخ ناسا". صمت قليلاً: "إن الإصلاح الملائم هذا الذي شرحه للتو هو الذي سمح لبودس أن يجد الحجر النيزكي".

احتار سيكستون. وأنت تظن أنه يكذب عن ذلك؟ "ولكن إذا كان هــاربر يكذب، وإذا كان برنامج بودس لا يعمل بالفعل، إذاً كيف تمكنت ناسا من إيجاد الحجر النيزكي بحق الجحيم؟".

ابتسم الرجل العجوز: "تماماً".

77

الأسطول العسكري الأميركي 'المستولى عليه' من الطائرات التي أُعيــد امتلاكها خلال اعتقالات تجار المخدرات كان مؤلفاً من اثنتي عشــرة طــائرة نفاثة خاصة بما في ذلك ثلاث طائرات من طراز جي 4 أُعيد ترميمهــا لنقــل الأشخاص العسكريين المهمين جداً. منذ نصف ساعة، غــادرت إحــدى هــذه الطائرات مدرج ثيول، وجاهدت بطريقها عبر العاصفة وهي تنطلــق بســرعة الآن باتجاه الجنوب في خضم الليل الكندي في طريقها إلى واشنطن. على متنها يوجد راشيل سيكستون ومايكل تولاند وكوركي مارلينسون وقد استحوذوا على الحجرة ذات المقاعد الثمانية لأنفسهم، ويبدون فيها كفريق رياضي أشعث فــي

بزّات القفز وقبعاتهم الزرقاء من غواصة شارلوت.

رغم ضجيج محركات غرومان، كان كوركي نائماً في المؤخرة. أما تولاند فقد جلس قرب الكرسي الأمامي بادياً عليه الإرهاق وهو يحدق من خارج النافذة إلى البحر. كانت راشيل بجواره، تعلم أنها لن تستطيع النوم. ولو تعاطت عقاراً مهدئاً، فإن عقلها يتحرك باضطراب خلال لغز الحجر النيزكي. والأمر الأكثر حداثة، حول حديث الغرفة الهادئة مع بيكرينغ. فقبل إنهاء الحوار، أعطى بيكرينغ لراشيل معلومتين إضافيتين مزعجتين.

الأولى، ادعاء مارجوري تينش أنها تمتلك سجل فيديو لراشيل وهي تقوم بالإبلاغ الخاص لطاقم البيت الأبيض وإن تينش تهدد باستعمال هذا الشريط كدليل في حال حاولت راشيل التراجع عن إثباتها صحة معلومات الحجر النيزكي. كان هذا الخبر مُقلقاً بشكل خاص لأن راشيل قد أخبرت زاك هيرني بشكل واضح بأن تعليقاتها للطاقم ستكون داخلية فقط. وعلى ما يبدو أن زاك هيرني قد تجاهل طلبها.

أما الجزء الثاني من الأخبار المزعجة فهو بخصوص مقابلة (سي إن إن) التي قام بها والدها باكراً عصر اليوم. يبدو أن مارجوري تينش قد ظهرت بشكل نادر وأغوت والد راشيل بذكاء ببلورة موقفه ضد ناسا. وبشكل أكثر تحديداً، قامت تينش بإقناعه بمهارة أن يصرح بوحشية عن شكه بإمكانية وجود حياة خارج الأرض على الإطلاق.

سأقطع يدي؟ هذا ما قال بيكرينغ أن والدها سيفعله في حال وجدت ناسا حياة خارج الأرض. تساءلت راشيل كيف تمكنت تينش من إغوائه بتلك الملاحظة الإعلانية الصغيرة. فمن الواضح أن البيت الأبيض كان يجهز لهذه المرحلة بحذر – ينظم دون شفقة أحجار الدومينو ويحضر لانهيار سيكستون الكبير. إن الرئيس ومارجوري تينش، وكأنهما ثنائي في فريق مصارعة سياسي، كانا يناوران من أجل الضربة. فبينما بقي الرئيس مُبجلاً خارج الحلبة، دخلت تينش إليها تدور وتجهز السيناتور بخبث لضربة عنيفة رئاسية على جسده.

قال الرئيس لراشيل إنه طلب من ناسا تأخير إعلان الاكتشاف ليتمكن من توفير الوقت لإثبات صحة المعلومات. أدركت راشيل الآن أن هناك فوائد أخرى للانتظار. إن الوقت الإضافي هذا سيمنح البيت الأبيض الوقت الكافي لتوزيع حبل يقوم السيناتور من خلاله بشنق نفسه.

لم تشعر راشيل بأي تعاطف تجاه والدها، ولكنها أدركت الآن أن وراء المظهر الخارجي الدافئ والغامض للرئيس زاك هيرني يختبئ مُحتال داهية. إنك لم تصبح الرجل الأكثر قوة في العالم من دون غريزة القتل تلك. ولكن السؤال الآن فيما إذا كان ذلك المحتال مُتفرجاً بريئاً – أم أحد اللاعبين.

نهضت راشيل تمطّ رجليها. وبينما عبرت ممشى الطائرة، شعرت بالإحباط لأن أجزاء هذا اللغز بدت متناقضة جداً. فبيكرينغ من خلال صفته المميزة في المنطق البسيط، استنتج أن الحجر النيزكي لا بد أن يكون مزوراً. ولكن كوركي وتولاند، من خلال توثيقهما العلمي، أصرا أن يكون الحجر النيزكي أصلياً. أما راشيل فهي تعلم فقط ما الذي رأته – صخرة متفحمة مليئة بالمستحاثات قد سُحبت من الجليد.

الآن، وهي تعبر بجانب كوركي، نظرت إلى عالم الفيزياء الفلكية وقد أصيب بشدة خلال مهمته على الجليد. حيث بدأ الانتفاخ على جبينه ينخفض الآن، كما بدت القطب بحالة جيدة. كان نائماً يشخر، ويداه السمينتان تتشبثان بإحكام على عينة الحجر النيزكي القرصية الشكل وكأنها لعبة تعطيه الشعور بالأمان.

انحنت راشيل وأزلقت بلطف عينة الحجر النيزكي بعيداً عنه. أمسكتها وبدأت تتفحص المستحاثات مرة أخرى.

تخلصي من كل الافتراضات، قالت لنفسها وهي تجبرها على إعادة تنظيم أفكارها.

أعيدي تأسيس سلسلة البراهين. هذه كانت عادة قديمة خاصة بمكتب الاستطلاع، حيث إن إعادة بناء الدليل من الصفر هي عملية تعرف باسم 'البداية من العدم' – شيء يقوم به جميع المحللين عندما لا تتناسب أجزاء اللغز معاً.

أعيدي تجميع الدليل.

ثم بدأت بالمشي مرة أخرى.

هل يمثل هذا الحجر دليلاً على حياة خارج الأرض؟

إن الدليل، كما تعلم هي هو استنتاج مبني على عدد من الحقائق الهرمية، أساس واسع من المعلومات الموافق عليها والتي من خلالها تتم الإثباتات بشكل أكثر نوعية.

خلصي من جميع الافتراضات الأساسية. ابدأي مرة ثانية

ماذا لدينا؟

صخرة.

تأملت بذلك للحظة. صخرة، صخرة مع مخلوقات متحجرة.

ماشية عائدة إلى مقدمة الطائرة، جلست على مقعدها بجانب مايكل تولاند

"مايك، هيا نلهو بلعبة".

التفت تولاند عن النافذة ويبدو أنه كان بعيداً متعمقاً بأفكاره. "لعبة؟".

أعطته عينة الحجر النيزكي، "دعنا نفترض أنك ترى هذه الصخرة المتحجرة للمرة الأولى. لم أخبرك أي شيء عن مصدرها أو عن طريقة اكتشافها. ما الذي ستقوله عنها؟".

أطلق تولاند تنهدة حزينة: "من الممتع أنك سألتني عن هذا. فلقد كان لدي للتو تفكير أكثر غرابة...".

على بعد مئات الأميال خلف راشيل وتولاند، كانت هناك طائرة غريبة المظهر بقيت على ارتفاع منخفض وهي تشق طريقها إلى الجنوب فوق المحيط القاحل. وعلى متنها، كان فريق دلتا فورس صامتاً فقد تم سحبهم من الموقع بسرعة، بطريقة لم يشهدوها من قبل.

كان قائدهم غاضباً جداً.

فقد قام دلتا واحد مبكراً بإخبار القائد أن هناك أحداثاً غير متوقعة جرت على الرف الجليدي، لم تترك لفريقه خياراً إلا استخدام القوة – القوة التي تتضمن قتل المدنيين الأربعة بمن فيهم راشيل سيكستون ومايكل تولاند.

كانت ردة فعل القائد هي الصدمة. القتل، رغم أنه الملاذ الأخير المرخص به، لم يكن من الواضح جزءاً من خطة القائد على الإطلاق.

بعد ذلك، تحول استياء القائد من القتل إلى غضب فوري عندما علم أن عملية القتل لم تتم حسب المخطط.

"لقد أخفق فريقك!" اهتاج القائد ونبرة صوته الخنثوية تخفي غضبه بصعوبة بالغة. "ثلاثة من أهدافك الأربعة لا يزالون على قيد الحياة!".

مستحيل! فكر دلتا واحد: "ولكننا شهدنا –".

"لقد قاموا باتصال مع غواصة وهم الآن في طريقهم إلى واشنطن

ماذا؟!

تحولت نبرة صوت القائد إلى المُهلكة: "استمع جيداً، أنا على وشك منحك تعليمات جديدة. وفي هذه المرة لن تخفق!".

78

كان السيناتور سيكستون يشعر حقيقة بومضة من الأمل وهو يمشي مع زائره غير المتوقع عائداً نحو المصعد. رئيس (إس أف أف)، كما توضح بعد ذلك، لم يأتِ لمعاقبة سيكستون بل لمنحه خطاباً مشجعاً وإخباره أن المعركة لم تنته بعد.

صدع محتمل في درع ناسا.

إن شريط الفيديو لمؤتمر ناسا الغريب قد أقنع سيكستون أن الرجل العجوز على حق - مدير مهمة بودس كريس هاربر كان يكذب. ولكن لماذا؟ وإذا لم تقم ناسا بإصلاح برنامج بودس على الإطلاق، فكيف وجدت الحجر النيزكي؟

يتجهان إلى المصعد، قال الرجل العجوز: "إن كل ما يلزم في بعض الأوقات لحل اللغز هو خيط واحد. ربما نستطيع إيجاد طريقة لإنهاء نصر ناسا من الداخل أو نلقي ظلاً من الريبة. من يعلم إلى أين سيؤدي؟" ثبت الرجل العجوز عينيه المتعبتين على سيكستون: "أنا لست على استعداد للاستلقاء والموت، أيها السيناتور، وأنا واثق من أنك لست كذلك أيضاً".

"بالطبع لا". قال سيكستون وهو يجمع التصميم في صوته.

"لقد أنجزنا الكثير".

"لقد كذب كريس هاربر حول إصلاح بودس". قال الرجل وهو على متن المصعد: "ونريد أن نعرف لماذا".

"سأحصل على تلك المعلومات بأسرع ما يمكن". أجابه سيكستون. فلدي الشخص المناسب، قال لنفسه.

"جيد، إن مستقبلك يعتمد على ذلك".

وبينما كان سيكستون يتوجه عائداً إلى شقته، كانت خطوته أكثر خفة بمقدار قليل وكان رأسه أكثر صفاءً بشكل طفيف. لقد كذبت ناسا حول بودس. السؤال الوحيد الآن هو كيف سيتمكن سيكستون من إثبات ذلك.

لقد تحولت أفكاره مسبقاً إلى غابرييل آش. أينما كانت الآن لا بد وأنها

تشعر بأسوأ حالاتها. من دون شك أن غابرييل قد شاهدت المؤتمر الصحفي وهي تقف الآن على سطح صخرة في مكان ما تتجهز للقفز. فإن اقتراحها لجعل ناسا القضية الكبرى في حملة سيكستون قد تبين أنه الخطأ الأعظم في مهنة سيكستون.

إنها تدين لي، فكر سيكستون. وهي تعلم ذلك.

لقد أثبتت غابرييل مسبقاً أن لديها قدرة خاصة للحصول على أسرار ناسا. لديها مصدر خاص، فكر سيكستون. لقد كانت تحصل على معلومات داخلية لأسابيع. إن لغابرييل اتصالات لم تقل لأحد عنها. اتصالات تستطيع انتزاع معلومات بودس من خلالها. علاوة على ذلك، إن غابرييل ستكون الليلة متحمسة، فعليها دين لا بد أن تفي به، حيث يتوقع سيكستون بأنها ستقوم بأي شيء من أجل استعادة عطفه.

عندما وصل سيكستون إلى باب شقته، أومأ حارسه الشخصي: "مساء الخير، سيناتور. أظن أنني قمت بالشيء الصحيح عندما سمحت لغابرييل بالدخول مبكراً. لقد قالت إنه أمر مهم تريد التحدث بشأنه".

صمت سيكستون: "عفواً؟".

"الآنسة آش؟ لقد كان لديها معلومات مهمة لك باكراً هذا المساء. هذا هو سبب سماحي لها بالدخول".

شعر سيكستون بجسده يتصلب. نظر إلى باب شقته. ما الذي يتحدث عنه هذا الفتى بحق الجحيم؟

تحولت تعابير الحارس إلى واحدة من الارتباك والقلق. "سيناتور، هل أنت على ما يرام؟ تتذكر ذلك، صحيح؟ لقد وصلت غابرييل خلال اجتماعك، وتحدثت معك، أليس كذلك؟ لا بد أنها قامت بذلك، فقد قضت في الداخل مدة قصيرة".

حدق سيكستون للحظة طويلة، وهو يشعر بنبضات قلبه ترتفع فجأة. هذا الأبله سمح لغابرييل بالدخول إلى شقتي خلال اجتماع خاص مع (إس إف إف)؟ لقد توقفت لفترة ما في المداخل ثم غادرت دون التحدث بأي كلمة؟ استطاع سيكستون تخيل ما يمكن أن تكون غابرييل قد سمعته. كاتماً غضبا، أجبر نفسه على الابتسام للحارس. "أوه! نعم متأسف. فأنا متعب. وقد شربت كثيراً أيضاً. لقد تحدثنا أنا والآنسة آش بالفعل. لقد قمت بالشيء الصحيح".

بدا على الحارس الارتياح.

"هل قالت لك إلى أين ستذهب عندما غادرت؟".

هزّ الحارس رأسه: "لقد كانت مسرعة جداً".

"حسناً، شكراً".

دخل سيكستون شقته وهو يستشيط غضباً. كم كانت أوامري صارمة؟ لا أريد أية زوار! عليه الافتراض لو أن غابرييل كانت في الداخل لأية فترة من الزمن ومن ثم انسلت خارجاً دون التفوه بأي كلمة، فلا بد أنها سمعت أشياءَ لا يفترض بها أن تسمعها ولماذا هذه الليلة دون جميع الليالي؟

علم سيكستون أنه لا يمكنه التضحية بثقة غابرييل آش، فيمكن أن تصبح النساء حاقدات وحمقاوات عندما تشعرن بالخدعة. يحتاج سيكستون إلى أن يعيدها، هذه الليلة أكثر من أي ليلة أخرى، يحتاج إليها في مخيمه.

79

في الطابق الرابع لأستديوهات تلفزيون (أي بي سي)، جلست غابرييل وحيدة في مكتب يولاندا الزجاجي تحدق إلى السجادة البالية. هي دائماً تشعر بالفخر بنفسها أنها تمتلك غريزة جيدة تعرف من خلالها من الذي يمكنها الوثوق به. الآن، وللمرة الأولى منذ سنوات، تشعر غابرييل بالوحدة، غير متأكدة من الطريق الذي تلتفت إليه.

صوت الخليوي صرف نظرها عن السجادة، وبتردد التقطته: "غابرييل آش".

"غابرييل، إنه أنا".

ميزت نبرة صوت السيناتور سيكستون على الفور، رغم أنه بدا هادئاً بشكل مفاجئ نظراً إلى ما تم كشفه للتو.

قال لها: "لقد كانت ليلة كالجحيم هنا، لذا دعيني أتحدث معك. أنا متأكد من أنك شاهدت مؤتمر الرئيس، يا إلهي، لقد لعبنا الأوراق الخاطئة. أنا مستاء لذلك، وربما أنت تلومين نفسك. لا تفعلي ذلك، فمن كان يتوقع حدوث هذا؟ إنه ليس خطأك. على أية حال، استمعي. أظن أن هناك طريقة لنقف على أقدامنا من جديد".

نهضت غابرييل غير قادرة على تخيل ما الذي يتحدث عنه سيكستون. إن

ردة الفعل هذه لم تكن تتوقعها.

"لقد كنت في اجتماع الليلة"، قال سيكستون: "مع ممثلين من شركات فضاء خاصة و -".

"كنت كذلك؟" قالت غابرييل دون تفكير، وهي منذهلة لسماعه يعترف بذلك: "أقصد... لم أعلم هذا".

"نعم، ليس هناك شيء مهم. لقد كنت أريد حضورك ولكن هؤلاء الفتية شديدو الحساسية حول الخصوصية، وبعضهم يريد أن يهب بعض الأموال لحملتي وهذا شيء لا يحبون الإعلان عنه".

شعرت غابرييل بتجردها بالكامل: "ولكن... أليس هذا عملاً غير شرعي؟".

"غير شرعي، لا أبداً! جميع التبرعات لا تتجاوز مستوى الألفي دولار- شيء تافه. هؤلاء الفتية لا يقدمون أي شيء تقريباً ولكنني أصغي لأوجاعهم على أية حال. اعتبري ذلك استثماراً للمستقبل. أنا متحفظ بشأنهم لأنه، وبصراحة، لن يظهر الأمر بالصورة الحسنة. فلو علم البيت الأبيض بالأمر، فإنهم سيهولونه بشدة. على أية حال، استمعي، إن هذا ليس موضعنا. لقد اتصلت لأخبرك أنه بعد اجتماع هذه الليلة، كنت أتحدث إلى رئيس (إس إف إف)...".

لثوانٍ عدة، رغم أن سيكستون لا يزال يتحدث، كل ما استطاعت غابرييل سماعه هو الدماء المندفعة بخجل إلى وجهها. فمن دون أي تحدٍ صغير منها اعترف السيناتور بهدوء بلقاء الليلة مع شركات الفضاء الخاصة. أمر شرعي تماماً. وبالتفكير بماذا كانت تريد فعله! حمداً لله أن يولاندا قد أوقفتها. لقد كدت لأظهر كل شيء لمارجوري تينش.

"... ولذلك أخبرت رئيس (إس إف إف)". كان السيناتور يقول: "إنه ربما يمكنك الحصول على هذه المعلومات من أجلنا".

عاد تآلف غابرييل: "حسناً".

"إن المصدر الذي كنت تحصلين من خلاله على معلومات ناسا الداخلية خلال الأشهر القليلة الماضية؟ أفترض أنك لا تزالين تستطيعين الاتصال به".

مارجوري تينش، انكمشت غابرييل وهي تعلم أنه لا يمكنها إخبار السيناتور على الإطلاق بأن المعلومات كانت خدعة بأكملها: "إم... أعتقد ذلك" كذبت غابرييل.

جيد، هناك معلومات خاصة أريد منك الحصول عليها. الآن".

وبينما هي تستمع، أدركت غابرييل للتو كم كانت تستخف بسوء من السيناتور سيدجويك سيكستون مؤخراً. فإن بعضاً من رونق ذلك الرجل قد بلي منذ أن بدأت تتبع مهنته. ولكن هذه الليلة، عاد كل شيء. مواجهاً لكل ما بدا أنه الموت المحتم لحملته، كان سيكستون يضع خطة لشن الهجوم المعاكس. ورغم أنها كانت هي من قادته إلى هذا الطريق المشؤوم، فهو لم يكن يعاقبها. بدلاً عن ذلك، كان يمنحها الفرصة لإصلاح الأمر.

إصلاح الأمر هو كل ما كانت ترغب به.

مهما كلفها ذلك.

80

حدق ويليام بيكرينغ خارج نافذة مكتبه إلى الخط البعيد لأضواء السيارات الأمامية على طريق ليسبرغ. هو عادةً ما يفكر بها عندما يقف هنا وحيداً في قمة العالم.

كل هذه القوة... ولم أستطع إنقاذها.

ابنة بيكرينغ، ديانا، كانت قد توفيت في البحر الأحمر خلال إقامتها على متن سفينة بحرية صغيرة، تتدرب لتصبح ربّان سفينة. كانت سفينتها ترسو في ميناء آمن في ظهر يوم مشرق عندما تحرك ببطء زورق يدوي الصنع مليء بالمتفجرات يقوده إرهابيان انتحاريان عبر الميناء وانفجر عند تماسه جسم السفينة. في ذلك اليوم قُتلت ديانا بيكرينغ وثلاثة عشر شخصاً شاباً من الجنود الأميركيين.

كان ويليام بيكرينغ مدمّراً عندها. سيطر عليه الكرب لأسابيع، وعندما تم تعقب أثر الهجوم الإرهابي إلى خلية معروفة، كانت تلاحقها (سي آي أي) بشكل غير ناجح لسنوات، تحول حزن بيكرينغ إلى غضب شديد، فاندفع نحو مركز قيادة (سي آي أي) وطلب الردود.

كانت الردود صعبة الفهم.

يبدو أن (سي آي أي) كانت متجهزة للتحرك إلى هذه الخلية منذ أشهر ولكنها كانت تنتظر ببساطة صوراً عالية الدقة من قمر صناعي للتمكن من تخطيط هجوم مضبوط على الملجأ الجبلي للإرهابيين. كان من المفترض أن

تؤخذ هذه الصور عبر قمر مكتب الاستطلاع الصناعي الذي بلـغ تكلفتـه 1.2 بليون دولار والذي يطلق عليه الاسم المشفر 'فورتيكس 2'، وهو نفس القمـر الصناعي الذي انفجر على منصة الإطلاق من خلال عربة الإطــلاق التابعـة لناسا. وبسبب حادث ناسا هذا، تم تأجيل هجوم (سي آي أي). عنـدها توفيـت ديانا بيكرينغ.

كان عقل بيكرينغ يخبره أن ناسا لم تكن المسؤول المباشر عن ذلك، ولكن قلبه وجد أن ذلك أمرٌ من الصعب العفو عنه. إن التحقيقات لانفجار الصاروخ كشف أن مهندسي ناسا المسؤولين عن نظام تزويد الوقود قـد أُجبـروا علـى استخدام مواد رديئة من أجل عدم تخطي الميزانية.

"من أجل رحلات غير مزودة بملاحين"، وضح لورانس إيكسـتروم فـي مؤتمر صحفي: "تناضل ناسا من أجل الجدوى الاقتصادية بالدرجـة الأولـى. وفي هذه الحالة، كانت النتائج ليست للأفضل على نحو معترف به. إننا سنبحث في الأمر".

ليست للأفضل، لقد ماتت ديانا بيكرينغ.

علاوة على ذلك، بسبب أن قمر التجسس كان سرياً، لم يعلم الشـعب على الإطلاق أن ناسا قد حطمت مشروع مكتب الاستطلاع الذي كلفها 1.2 بليون دولار، بالإضافة إلى أرواح عدد ضخم من الأميركيين بشكل غيـر مباشر.

"سيدي؟" علا صوت السكرتيرة من خلال جهاز الهاتف الداخلي مُروّعـة إياه: "الخط الأول، إنها مارجوي تينش".

هزّ بيكرينغ نفسه ليخرج من دواره ثم نظر إلى الهاتف. مرة أخرى؟ بدا أن الضوء الوامض على الخط الأول ينبض بإلحاح غاضب. عـبس بيكرينـغ وأجاب على المكالمة.

"بيكرينغ هنا".

كان صوت تينش يهتاج بجنون: "ماذا أخبرتك؟".

"عفواً؟".

"لقد اتصلت بك راشيل سيكستون. ماذا أخبرتك؟ لقد كانـت علـى مـتن الغواصة، يا إلهي! فسّر لي ذلك!".

علم بيكرينغ أن إنكار الحقيقة ليس هو الخيار. لقد كانت تينش تقـوم

بواجبها وقد تفاجأ من أنها كشفت أمر شارلوت، ولكن يبدو أنها كانت تتطفل من أجل الحصول على بعض الإجابات: "الآنسة سيكستون، اتصلت بي، نعم".

"وقد قمت بتجهيز وسيلة تلتقطها ولم تتصل بي؟".

"لقد قمت بتجهيز وسيلة نقل. هذا صحيح". بقي ساعتان إلى أن تصل راشيل سيكستون ومايكل تولاند وكوركي مارلينسون إلى قيادة الطيران المجاورة في بولينغس.

"ومع ذلك اخترت ألا تعلمني بذلك؟".

"لقد قدمت راشيل سيكستون اتهامات مقلقة جداً".

"فيما يخص مصداقية الحجر النيزكي... والاعتداء على حياتها؟".

"والعديد من الأشياء".

"من المؤكد أنها تكذب".

"أتعلمين أنها بصحبة اثنين يؤكدان قصتها؟".

صمتت تينش: "نعم، أمر مقلق كثيراً، إن البيت الأبيض قلق جداً بسبب ادعاءاتهم".

"البيت الأبيض؟ أم أنت شخصياً؟".

تحولت نبرة صوتها إلى حادة كالشفرة: "كما تعلم أيها المدير، ليس هناك فرق هذه الليلة".

لم يكن بيكرينغ متأثراً، فهو لم يكن غريباً عن تهديدات السياسيين والطاقم الداعم الذين يحاولون تثبيت أقدامهم في المجتمع الاستخباراتي. والقليل منهم يقدم واجهة قوية مثل مارجوري تينش. "هل يعلم الرئيس باتصالك بي؟".

"بصراحة أيها المدير، أنا منذهلة من أنك تفكر بهذا الهذيان الطائش؟".

إنك لم تجيبي على سؤالي. "أنا لا أجد أي سبب منطقي يدفع هؤلاء الأشخاص للكذب. ويتوجب عليّ الافتراض بأنهم إما يقولون الحقيقة أو أنهم قد ارتكبوا خطأً بريئاً".

"خطأ؟ ادعاءات بالهجوم؟ أخطاء في معلومات الحجر النيزكي لم ترها ناسا؟ أرجوك! إن هذه خدعة سياسية واضحة".

"إذا كان الأمر كذلك، فقد فاتتني الدوافع".

تنهدت تينش بشدة وأخفضت صوتها: "أيها المدير، هناك قوى في العمل هنا ربما لا تكون على علم بها. يمكننا التحدث عنها فيما بعد بالتفصيل، ولكن في هذه الأثناء أريد أن أعلم أين هي الآنسة سيكستون والآخرون. أريد إنهاء هذا قبل أن يقوموا بأي تخريب تدوم آثاره. أين هم؟".

"هذه معلومات لا أكون مرتاحاً لإطلاعك عليها. سأتصل بك بعد وصولهم".

"لا، سأكون هناك للترحيب بهم عند وصولهم".

أنت وكم عدد موظفي الأمن معك؟ تساءل بيكرينغ. "لو أنني أعلمتك بوقت وصولهم ومكانه، هل سنتمكن جميعاً من الحديث سوية كالأصدقاء أو أنك تنوين إحضار جيش خاص ليأخذهم إلى السجن؟".

"لقد أظهر هؤلاء الأشخاص تهديداً مباشراً للرئيس، ويمتلك البيت الأبيض الحق بسجنهم واستجوابهم".

علم بيكرينغ أنها محقة، فاستناداً إلى العنوان 18، الفصل 3056 من دستور الولايات المتحدة، يسمح لموظفي الأمن السريين في الولايات المتحدة حمل أسلحة نارية، واستخدام القوة المميتة، والقيام باعتقالات غير مسموح بها، ببساطة لشكهم بأن الشخص قد اقترف أو ينوي القيام بجريمة أو أي عمل عدواني ضد الرئيس. فإن هذه القوات تمتلك سلطة مطلقة. لديهم محتجزون نظاميون بمن فيهم متسكعون تعوزهم الأخلاق خارج البيت الأبيض وأطفال مدارس كانوا قد أرسلوا رسائل إلكترونية فيها مزحات مهددة.

لم يكن لبيكرينغ أي شك في أن تلك القوة يمكنها تبرير سحب راشيل سيكستون والآخرين إلى الدور الأسفل في البيت الأبيض وإبقائهم هناك لوقت غير محدد. ستكون لعبة خطيرة، ولكن تينش تدرك بشكل واضح أن المخاطرة هائلة. السؤال هو ما الذي سيحدث لو أن بيكرينغ سمح لتينش أن تتولى السيطرة؟ لم يكن لديه أية نوايا ليعلم ذلك.

"سأقوم بما هو ضروري"، وضحت تينش: "لحماية الرئيس من الاتهامات الباطلة. فإن التضمين المجرد للعبة غادرة ستسبب الارتياب الخطير على البيت الأبيض وناسا. لقد أساءت راشيل سيكستون استعمال الثقة التي منحها إياها الرئيس، ولا أنوي أن أرى الرئيس يدفع الثمن".

"ولو أنني طلبت للآنسة سيكستون أن تُمنح الفرصة من أجل تقديم قضيتها

إلى الهيئة الرسمية للتحقيق؟".

"عندما تكون قد تجاهلت أمراً رئاسياً مباشراً ومنحتها المنصة التي من خلالها تقوم بمأزق سياسي لعين! أسألك مرة أخرى، أيها المدير، إلى أين طلبت الطيران بهم؟".

أخذ بيكرينغ شهيقاً طويلاً. سواء أخبر مارجوري تينش أن الطائرة ستتوجه إلى قاعدة طيران بولينغ أم لم يخبرها، فإنه يعلم أن لديها وسائل لتعلم بذلك. والسؤال هو هل ستقوم بذلك أم لا. أحس من خلال التصميم في صوتها أنها لن تهدأ. لقد كانت مارجوري تينش خائفة.

"مارجوري"، قال بيكرينغ بوضوح لا يمكن الخطأ فيه: "إن أحداً ما يكذب علي. أنا متأكد من هذا. إما راشيل سيكستون والعالمين المدنيين – أو أنت. وأعتقد أنه أنت".

انفجرت تينش: "كيف تجرؤ –".

"إن إهانتك ليس لها أي أثر علي، لذا وفريها. إنك ستكونين حكيمة عندما تعلمين أنني أملك دليلاً مثبتاً أن ناسا والبيت الأبيض قد أعلنا أموراً كاذبة هذه الليلة".

صمتت تينش فجأة.

تركها بيكرينغ تترنح للحظة: "أنا لا أبحث عن انهيار سياسي مثلك الآن. ولكن كان هناك كذب. كذب لا يمكن تحمله، ولو أردت مساعدتي، يجب أن تبدأي بأن تكوني صادقة معي".

بدا أن تينش قد تم إغواؤها ولكنها قلقة: "إذا كنت متأكداً من أن هناك كذباً. لماذا لم تتول أمره؟".

"إنني لا أتدخل بالقضايا السياسية".

دمدمت تينش بشيء وكأنها تقول: "هراء".

"أتريدين القول يا مارجوري أن تصريح الرئيس هذه الليلة كان صحيحاً بأكمله؟".

ساد صمت مطول على الهاتف.

علم بيكرينغ أنه تمكن منها: "اسمعي، نعلم كلانا أن هذا قنبلة موقوتة تنتظر الانفجار. ولكن الوقت ليس متأخراً جداً، فهناك تسويات يمكننا القيام بها".

لم تتحدث تينش أي شيء لعدة ثوانٍ، ولكنها تنهدت أخيراً: "يجب أن نلتقي".

لحظة الهبوط، فكر بيكرينغ.

"لديّ شيء أريد أن أريه لك". قالت تينش: "وأظن أنه سيسقط بعض النور على هذه القضية".

"سآتي إلى مكتبك".

"لا"، قالت بسرعة: "إن الوقت متأخر، وإن وجودك هنا سيثير التساؤلات، أفضل إبقاء الأمر بيننا".

قرأ بيكرينغ ما بين السطور، إن الرئيس لا يعلم أي شيء عن هذا. "إذاً، أرحب بمجيئك هنا".

بدا على تينش الارتياب: "لنلتقِ في مكان سري".

لقد توقع بيكرينغ ذلك تماماً.

"إن النصب التذكاري فرانكلين ديلانو روزيفلت (إف دي آر) قريب إلى البيت الأبيض. سيكون فارغاً في هذا الوقت من الليل".

فكر بيكرينغ بذلك، يقع ذلك النصب التذكاري في منتصف الطريق بين النصبين التذكاريين لنيكسون وجيفرسون، في مكان هو الأكثر أمناً في البلدة.

وبعد حيرة طويلة، وافق بيكرينغ.

"ساعة واحدة"، أنهت تينش كلامها: "تعال وحدك".

مباشرة بعد إنهاء المكالمة، اتصلت مارجوري تينش بمدير ناسا إيكستروم. كان صوتها بائساً وهي تقدم الأخبار السيئة.

"يمكن أن يكون بيكرينغ مشكلة".

81

كانت غابرييل آش مفعمة بأمل جديد وهي تقف في مكتب يولاندا كول في غرفة إنتاج (أي بي سي) وتتصل بعاملة مقسم الهاتف.

لو تم إثبات صحة الادعاءات التي قدمها لها سيكستون، فسيكون لها تأثيرات فظيعة. كذبت ناسا حول بودس؟ لقد شاهدت غابرييل ذلك المؤتمر الصحفي الذي يتحدث عنه وتذكرت أنه كان غريباً، ومع ذلك فقد نسيت كل شيء يتعلق به حيث لم تكن بودس قضية مهمة في الأسابيع القليلة الماضية.

ولكن هذه الليلة، أصبحت بودس هي القضية.

يحتاج سيكستون الآن إلى معلومات داخلية، يريدها بسرعة، إنه يعتمد على 'مزود غابرييل بالمعلومات' للحصول عليها. وقد أكدت غابرييل للسيناتور أنها ستفعل ما بوسعها. إن المشكلة بالتأكيد، أن مزود معلوماتها كان مارجوري تينش، وهي لن تقدم أية مساعدة على الإطلاق. لذا، لا بد أن تحصل غابرييل على المعلومات بطريقة أخرى.

"عاملة المقسم". قال صوت على الهاتف.

أخبرتهم غابرييل ما الذي تريده. عادت العاملة بثلاث نتائج للبحث عن اسم كريس هاربر في واشنطن. حاولت غابرييل الاتصال بهم جميعاً.

الرقم الأول كان مؤسسة قانونية. والثاني لم يجبها، أما الثالث فيرن الآن.

أجابت امرأة عند الرنة الأولى: "مكان إقامة هاربر".

"سيدة هاربر؟" قالت غابرييل بأكثر ما أمكنها من اللباقة: "أتمنى أنني لم أوقظك؟".

"لا، أبداً! لا أعتقد أن هناك أحداً نائماً هذه الليلة". بدا عليها الإثارة. استطاعت غابرييل سماع صوت التلفاز خلفها. تغطية عن الحجر النيزكي. "أظن أنك تتصلين من أجل كريس؟".

تسارعت نبضات قلب غابرييل: "نعم سيدتي".

"إن كريس ليس هنا، لقد أسرع إلى العمل حال انتهاء الرئيس من خطابه". ضحكت المرأة بخفوت: "بالطبع، أشك في أن أي عمل يجري هناك، إنه أشبه بحفلة. لقد كان التصريح أمراً مفاجئاً له، تعلمين ذلك، وللجميع أيضاً. لقد كان هاتفنا يرن طوال الليل. أراهن أن طاقم ناسا بأكمله هناك".

"في مجمع شارع (إي)؟" سألت غابرييل وهي تفترض أن المرأة تقصد مركز قيادة ناسا.

"صحيح، خذي معك قبعة حفلات".

"شكراً، سأتعقبه إلى هناك".

أقفلت غابرييل الخط وأسرعت إلى طابق غرفة الإنتاج ووجدت يولاندا التي كانت قد أنهت للتو تجهيز طاقم من خبراء الفضاء الذين هم على وشك تقديم برنامج وثائقي متحمس عن الحجر النيزكي.

ابتسمت يولاندا عند رؤية غابرييل وهي تأتي: "تبدين بحالة أفضل، أبدأت

ترين فوائد هذه المحنة؟".

"لقد تحدثت للتو مع السيناتور. لم يكن اجتماعه اليوم كما توقعت".

"أخبرتك أن تينش تتلاعب بك. كيف تلقى السيناتور خبر الحجر النيزكي؟".

"أفضل مما توقعت".

بدا على يولاندا الاستغراب: "توقعت أنه قفز أمام باص الآن".

"يظن أن هناك مشكلة صغيرة في معلومات ناسا".

أطلقت يولاندا شخيراً مريباً: "هل شاهد المؤتمر الصحفي نفسه الذي رأيناه للتو؟ كم هي الإثباتات والتأكيدات التي يحتاج إليها أي شخص أكثر من ذلك؟".

"أنا سأذهب إلى ناسا لأتفحص شيئاً ما هناك".

ارتفع حاجبا يولاندا المُزَجّجان[34] ليشكلا قوسين تحذيريين: "مساعدة السيناتور المعتمدة ستذهب إلى مركز قيادة ناسا؟ الليلة؟ أتستطيعين القول إن هذا 'رجم جماعي بالحصا'؟!".

أخبرت غابرييل يولاندا عن شك سيكستون بأن مدير بودس 'كريس هاربر' كان يكذب حول إصلاح برنامج كشف الشذوذات.

من الواضح أن يولاندا لم تصدق الأمر: "لقد قمنا بتغطية ذلك المؤتمر الصحفي، يا غابرييل، وأعترف أن هاربر لم يكن على طبيعته في تلك الليلة، ولكن ناسا قالت بأنه مريض بشدة".

"إن السيناتور سيكستون مقتنع بأنه كان يكذب. والبعض مقتنع أيضاً، رجال لهم سلطة".

"لو أن برنامج تعقب الشذوذات لم يكن قد تم إصلاحه. إذاً كيف تمكن بودس من رؤية الحجر النيزكي؟".

هذه هي وجهة نظر سيكستون تماماً، فكرت غابرييل: "لا أعلم، ولكن السيناتور يريد مني إحضار بعض الإجابات له".

هزّت يولاندا رأسها: "إن سيكستون يرسلك إلى عش الدبور بسبب حلم خيالي يائس. لا تذهبي. أنت لا تدينين له بشيء".

---

34 المزجج: المرسوم بخط القلم.

"لقد قمت بإفساد حملته بالكامل".

"إن الحظ البغيض هو الذي أفسد حملته".

"ولكن إن كان السيناتور محقاً وكان مدير بودس يكذب بالفعل –".

"عزيزتي، لو كان مدير بودس يكذب للعالم بأسره، ما الذي سيجعله يخبرك الحقيقة!".

فكرت غابرييل بذلك وبدأت تُصيغ خطتها: "لو أنني وجدت قصة هناك، سأتصل بك".

ضحكت يولاندا بشك: "لو أنك وجدت قصة هناك، سأقطع يدي!".

82

امح كل شيء تعرفه عن عينة الحجر هذه.

كان مايكل تولاند يجاهد مع اجتراره الأفكار المزعجة عن الحجر النيزكي. ولكن الآن، مع أسئلة راشيل الاستجوابية، كان يشعر بارتباك يزداد لهذه القضية. نظر إلى شريحة الصخرة في يده.

تظاهر أن شخصاً قد أعطاك إياها دون أي توضيح عن مكان وجودها أو عما تكون. ما هو تحليلك لها؟

علم تولاند أن سؤال راشيل كان مرهقاً ولكنه يثبت فعاليته كتدريب تحليلي. من خلال إبعاد أية معلومات كانت قد قدمت إليه عند وصوله إلى القبة الاصطناعية، عليه الاعتراف بأن تحليله للمستحاثات كان منحازاً بشكل عميق لفرضية واحدة – أن هذه الصخرة التي وجدت المستحاثات بداخلها هي حجر نيزكي.

ماذا لو لم يتم إخباري أنها حجر نيزكي؟ سأل نفسه. رغم أنه ما زال غير قادر على فهم أية تفسيرات أخرى، سمح تولاند لنفسه بإزالة افتراض أن 'الحجر النيزكي' هو أمر مفترض مسبقاً، وعندما فعل ذلك، كانت النتيجة مقلقة إلى حد ما. الآن، كان تولاند وراشيل، منضماً إليهما المترنح كوركي مارلينسون، يتناقشون الأفكار.

"إذاً"، أعادت راشيل وكان صوتها حاداً: "مايك، إنك تقول لو أن شخصاً ما قد أعطاك هذه الصخرة المتحجرة دون أي توضيح عما تكون، ستستنتج أنها من الأرض".

أجابها تولاند: "بالطبع، ما الأمر الآخر الذي سأستنتجه؟ إنه قفزة عظيمة جداً لأن تجزم أنك وجدت حياة خارج الأرض من أن تجزم أنك وجدت مستحاثة لنوع من الكائنات الأرضية التي لم يتم اكتشافها بعد. فإن العلماء يكتشفون الكثير من الأنواع الجديدة كل عام".

"قملة يبلغ طولها قدمين (60 سنتيمتراً)؟" سأل كوركي ويبدو عليه الشك: "تفترض وجود حشرة بذلك الحجم على الأرض؟".

"ربما ليس الآن"، أجابه تولاند: "ليس من الضروري أن تكون تلك الكائنات تعيش حالياً، إنها متحجرة، وتبلغ من العمر 190 مليون سنة. تقريباً بنفس العصر الجوراسي. كما أن العديد من المستحاثات القبل تاريخية هي كائنات أكبر من المعتاد تبدو مذهلة عندما نكشف بقاياها المستحاثية – زواحف مجنحة ضخمة وديناصورات وطيور".

"لستُ العالم الفيزيائي هنا يا مايك"، قال كوركي: "ولكن هناك خطأً كبيراً في حجتك تلك. إن المخلوقات ما قبل تاريخية التي ذكرتها للتو – ديناصورات وزواحف وطيور – جميعها تمتلك هياكل عظمية داخلية وهذا ما يعطي القدرة على النمو إلى حجوم كبيرة رغم الجاذبية الأرضية. ولكن هذه المستحاثة..." أخذ العينة ورفعها إلى الأعلى: "هذه الفتية تمتلك هيكلاً عظمياً خارجياً. إنها من مفصليات الأرجل، حشرات، وأنت بنفسك قلت إن حشرة بهذا الكبر لا يمكنها أن تتطور إلا في بيئة منخفضة الجاذبية وإلا فإن جهازها الهيكلي الخارجي سينهار بسبب وزنه".

"صحيح"، قال تولاند: "هذه الكائنات كانت لتنهار بسبب وزنها لو أنها مشت على الأرض".

تجعد حاجب كوركي لسماعه هذا الكلام المزعج: "حسناً، مايك، إلا إذا كان أحد رجال الكهوف يدير مزرعة قمل مضادة للجاذبية. لا أستطيع تخيل كيف أمكنك استنتاج أن حشرة يبلغ طولها قدمين (60 سنتيمتراً) هي أرضية في أصلها".

ابتسم تولاند عند تفكيره أن كوركي قد أغفل نقطة أساسية بسيطة: "في الواقع، هناك احتمال آخر". ركّز تولاند نظره على صديقه: "كوركي، أنت معتاد على النظر إلى الأعلى، أنظر إلى الأسفل. هناك بيئة ضخمة ضد الجاذبية هنا على الأرض. وهي هنا منذ العصور القبل تاريخية".

حدق إليه كوركي: "عن ماذا تتحدث بحق الجحيم؟".

بدا على راشيل الاستغراب أيضاً.

أشار تولاند خارج النافذة إلى البحر المضاء بنور القمر وهو يتلألأ أسفل الطائرة: "المحيط".

أطلقت راشيل صفيراً منخفضاً: "بالطبع".

"المياه هي بيئة منخفضة الجاذبية". شرح لهم تولاند: "كل شيء يزن أقـل تحت الماء. كما يحتوي المحيط على بنى هشة ضخمة لا يمكن أن توجد علـى الأرض أبداً – قنديل البحر والحبار الضخم والأنقليس الشريطي".

قبل كوركي بذلك، ولكن قليلاً: "حسناً، ولكن المحيط ما قبل التاريخي لـم يحتو أبداً على حشرات عملاقة".

"بالتأكيد، كان يحتوي. ولا يزال في الواقع، إن الناس تأكلها كـل يـوم. وإنها طعامهم الشهي في كثير من البلدان".

"مابك، من يأكل حشرات بحرية ضخمة بحق الجحيم!".

"أي شخص يأكل السرطان البحري والسلطعون والقريدس".

نظر كوركي إليه.

"القشريات هي في الواقع حشرات بحرية عملاقة". وضح تولاند: "إنهـا تحت رتبة من شعبة المفصليات – القمل والسلطعون والعنكبـوت والحشـرات والجندب والعقرب وسرطان البحر – جميعها من قرابة واحدة. جميعها كائنات ذات زوائد ممفصلة وهياكل عظمية خارجية".

بدا على كوركي الشحوب فجأة.

"من وجهة نظر تصنيفية، تبدو مشابهة كثيراً للحشرات". شرح تولانـد: "إن ملك السراطين يشبه ثلاثيات الفص العملاقة. ومخالب السرطان تشبه تلـك الموجودة عند عقرب كبير".

أصيب كوركي بالغثيان: "حسناً، لقد تناولت آخر شطيرة سرطان بحـري لي".

بدا على راشيل الانفتان: "إذاً، تبقى مفصليات الأرجـل صـغيرة علـى اليابسة بسبب أن الجاذبية تصطفيهم بصورة طبيعية لأن تكون صغيرة. ولكـن في المياه تعوم أجسادهم لذلك يمكنهم النمو إلى حجم كبير جداً".

"بالطبع"، قال تولاند: "يمكن أن يصنف ملك السراطين الألسـكي بشـكل خاطئ على أنه عنكبوت ضخم في حال كنا نملك دلائل مستحاثية محدودة".

بدا أن إثارة راشيل تتلاشى الآن إلى القلق: "مايك، باستثناء قضية أن الحجر النيزكي يبدو أصلياً، أخبرني هذا مرة أخرى: هل تعتقد أن المستحاثات التي رأيناها في ميلني من المحتمل أن تكون من المحيط؟ محيط على الأرض؟".

شعر تولاند بتوجه نظرها وأحس بالأهمية الحقيقية لسؤالها: "قرضياً، يجب أن أقول نعم، على أرض المحيط يوجد شُعب يبلغ عمرها 190 مليون سنة. وهو نفس عمر المستحاثات. ونظرياً، يمكن أن يكون المحيط يحتوي على أشكال حياة تبدو كهذه".

"أوه! عفواً!" سخر كوركي: "لا أستطيع تصديق ما أسمعه هنا. باستثناء قضية موثوقية الحجر النيزكي؟ إن قضية الحجر النيزكي لا تقبل الجدل. حتى ولو كانت الأرض تحتوي على محيط يبلغ عمر أرضيته نفس عمر الحجر النيزكي، فنحن متأكدون تماماً أنه لا يوجد أرضية لمحيط تحتوي على قشرة خارجية متفحمة، ومحتويات نيكل مميزة وحبيبات معدنية صغيرة. أنت تلهث بكلام زائف".

علم تولاند أن كوركي على حق، ولكن تخيله أن المستحاثات هي مخلوقات بحرية قد سلبت من تولاند بعضاً من رهابه لها، حيث بدت الآن أكثر ألفة.

"مايك"، قالت راشيل: "لماذا لم يذكر أي من علماء ناسا أن هذه المستحاثات ربما تكون مخلوقات بحرية؟ حتى ولو كانت من محيط على كوكب آخر؟".

"في الواقع، لسببين، العينات المتحجرة الأوقيانوسية – وهي من أرضية المحيط – تميل لأن تعرض وفرة من تمازج الكائنات. فإن أي شيء يعيش في حجم يبلغ ملايين الأقدام (الأمتار) المربعة من الحياة فوق أرضية المحيط سوف يموت في النهاية ويغطس إلى القعر. وهذا يعني أن أرضية المحيط سوف تصبح مقبرة للكائنات من كل بيئة على مستوى العمق والضغط والحرارة. أما العينة في مليني فقد كانت نظيفة – نوع واحد فقط. عندها بدت وكأنها شكل أكثر احتمال لوجوده في الصحراء. نوع من حيوانات متشابهة دُفنت بعاصفة رملية، مثلاً".

أومأت راشيل: "وما هو السبب الآخر الذي افترضتم لأجله أنها من

الأرض أكثر مما تكون من البحر؟".

هزّ تولاند كتفيه مستهجناً: "الحدس الداخلي. لطالما اعتقد العلماء أن الفضاء، في حال كونه مأهولاً، فسيكون مأهولاً بالحشرات. ومما لاحظناه في الفضاء، هناك الكثير من الغبار والصخور أكثر من المياه".

صمتت راشيل.

ولكن..." أضاف تولاند، حيث جعلته راشيل يفكر الآن: "سأعترف أن هناك أجزاءً عميقة جداً في أرضية المحيط يدعوها علماء المحيطات باسم 'الأقاليم الميتة'، نحن في الواقع لا نفهمها، ولكن هي مناطق تكون فيها تيارات المحيط ومصادر الطعام غير مساعدة على أي نوع من الحياة هناك. فقط أنواع قليلة من القمّامات[35] التي تعيش في الأسفل. لذلك، من وجهة النظر تلك، أفترض أن مستحاثة من نوع واحد ليست خارج نطاق الموضوع".

"مرحباً؟" دمدم كوركي: "تذكر القشرة المتفحمة؟ محتويات النيكل المتوسطة؟ الحبيبات المعدنية؟ نحن حتى لا نتحدث عنها؟".

لم يجبه تولاند.

"قضية محتويات النيكل هذه"، قالت راشيل لكوركي: "اشرح لي هذا مرة أخرى. إن محتويات النيكل في الصخور الأرضية إما أن تكون بنسب عالية جداً أو بنسب منخفضة، ولكن في الأحجار النيزكية تكون المحتويات ضمن إطار متوسط محدد؟".

هزّ كوركي رأسه: "بالتحديد".

"إن محتويات النيكل في هذه العينة هي بالتحديد ضمن الحدود المتوضعة من القيمة".

"قريبة جداً، نعم".

بدا على راشيل الاستغراب: "انتظر لحظة، قريبة؟ ما الذي يفترض أن يعنيه هذا؟".

بدا على كوركي الغضب: "كما شرحت مسبقاً، إن جميع معادن الأحجار النيزكية مختلفة. فكلما وجد العلماء أحجاراً نيزكية جديدة، وجب علينا تحديث حساباتنا لتصبح كما نفترضه محتويات نيكل مقبولة للأحجار النيزكية".

---

[35] القمّامات: حيوانات تقتات بالقمامة.

بدا على راشيل الذهول وهي تمسك بالعينة: "إذاً، هذا الحجر النيزكي أجبركم على إعادة تقييم ما تعتبرونه محتويات نيكل مقبولة في الحجر النيزكي؟ فهي تقع خارج الإطار المتوسط الموضوع لمحتوى النيكل؟".

"بشكل قليل جداً". أجابها كوركي بسرعة.

"لماذا لم يذكر أحدكم هذا؟".

"إنه شيء لا علاقة به بالموضوع. إن الفيزياء الفلكية هي علم ديناميكي يتم تحديثه باستمرار".

"خلال تحليل مهم بشكل لا يصدّق؟".

"أنظري". قال كوركي بغضب: "أؤكد لك أن محتويات النيكل في هذه العينة قريبة جداً إلى الأحجار النيزكية الأخرى أكثر مما تكون إلى أية صخرة أرضية".

التفتت راشيل إلى تولاند: "هل علمت عن هذا؟".

قدم تولاند إيماءة لامبالية. فإنها لم تكن قضية مهمة في ذلك الوقت. "لقد تم إخباري بأن هذا الحجر النيزكي يعرض محتويات نيكل أعلى بقليل من أي محتويات شوهدت في أحجار نيزكية من قبل، ولكن لم يبدُ الاهتمام على اختصاصيي ناسا".

"لسبب واضح!" تدخل كوركي: "إن الدليل المعدني هنا ليس أن محتويات النيكل تشبه تلك الخاصة بالحجر النيزكي بشكل حاسم، ولكن لأنها لا تشبه أية أحجار أرضية بشكل حاسم".

هزّت راشيل رأسها: "عفواً، حسب علمي إن هذا نوع من المنطق الخاطئ الذي يسبب القتل للناس. فالقول إن الصخرة لا تشبه صخوراً أرضية لا يثبت أنها حجر نيزكي. إنها تثبت فقط أنها لا تشبه أي شيء رأيناه على الأرض".

"ما الاختلاف بحق الجحيم!".

أجابته راشيل: "لا شيء، في حال أنك رأيت جميع الصخور على الأرض".

صمت كوركي للحظة ثم قال أخيراً: "حسناً، تجاهلي أمر محتويات النيكل إذا كان الأمر يجعلك غاضبة. لا يزال لدينا القشرة الخارجية المتفحمة المثالية والحبيبات المعدنية".

"بالتأكيد"، قالت راشيل ويبدو عليها عدم التأثر: "اثنان من ثلاثة ليس أمراً سيئاً".

83

إن هيكل بناء قيادة أركان ناسا المركزي هو على شكل مستطيل زجاجي ضخم يقع في (300 شارع E) في واشنطن دي سي. ومزوّد بأكثر من مئتي ميل من الكابلات الناقلة للمعلومات والآلاف من أطنان معالجات الكمبيوتر. لقد كان مأوى لـ 1.134 عاملاً مدنياً يشرفون على ميزانية ناسا السنوية البالغة 15 بليون دولار وعلى العمليات اليومية لاثنتي عشرة قاعدة تابعة لناسا في أميركا.

رغم أن الوقت كان متأخراً، لم تكن غابرييل مستغربة على الإطلاق أن ترى ردهة البناء مليئة بالناس، تغطية واضحة لطاقم من الإعلاميين المهتاجين والأكثر اهتياجاً منهم هم موظفو ناسا. أسرعت غابرييل إلى الداخل. كان المدخل يشبه المتحف، يحتوي بشكل مثير على هياكل مطابقة بحجمها الكامل لأجهزة نقل فضائية للمهمات المشهورة وأقمار صناعية معلقة في السقف. كان طاقم التلفاز مسيطراً تماماً على الطابق الرخامي الثمين، ويتبعون موظفي ناسا المشدوهين القادمين عبر الباب.

راقبت غابرييل الحشد، ولكنها لم ترَ أي شخص يشبه مدير مهمة بودس كريس هاربر. فقد كان نصف الأشخاص في الردهة يحملون بطاقات مرور إعلامية ونصفهم الآخر يحمل بطاقات صور تابعة لناسا حول أعناقهم. لم تكن راشيل تحمل أياً منها. وقع نظرها على امرأة تحمل بطاقة تابعة لناسا فأسرعت خلفها.

"مرحباً، أنا أبحث عن كريس هاربر؟".

نظرت المرأة إلى غابرييل باستغراب، وكأنها علمت أنها من مكان ما ولكن لم تستطع تحديده بالضبط: "لقد رأيت الدكتور هاربر يمر من هنا منذ فترة قصيرة. أعتقد أنه توجه إلى الأعلى. هل أعرفك من قبل؟".

"لا أعتقد ذلك"، قالت غابرييل وهي تلتفت بعيداً: "كيف أصعد إلى الأعلى؟".

"هل تعملين لصالح ناسا؟".

"لا".

"إذاً، لا يمكنك الصعود".

"أوه، إذاً هل هناك هاتف يمكنني استخدامه لـ -".

"هاي!" قالت المرأة وقد بدأ عليها الغضب فجأة: "أنا أعرف من أنت. لقد شاهدتك على التلفاز مع السيناتور سيكستون، لا أصدق أن لديك الجرأة لـ -".

كانت غابرييل قد ذهبت مختفية عبر الزحام. ومن خلفها، استطاعت سماع المرأة وهي تخبر الآخرين بغضب أن غابرييل كانت هنا.

رائع، بعد ثانيتين من دخولي الباب أصبحتُ على قائمة المجرمين المطلوبين.

أبقت غابرييل رأسها منخفضاً وهي تسرع إلى الجانب البعيد للردهة. كان هناك لوحة توجيهية للبناء على الحائط، تفحصت غابرييل القوائم، وهي تبحث عن كريس هاربر. لم تجد أي شيء. فاللوحة التوجيهية تلك لا تحوي أية أسماء على الإطلاق. لقد تم ترتيبها حسب الأقسام.

بودس؟ تساءلت وهي تفحص القائمة بحثاً عن أي شيء له علاقة بفاحص كثافة القطب في المدار. لم ترَ شيئاً. لقد كانت خائفة من أن تنظر إلى الخلف فتتوقع أن ترى طاقماً من موظفي ناسا الغاضبين قد قدموا لرجمها بالحجارة. كل ما استطاعت رؤيته على القائمة ويبدو ذا علاقة بعيدة هو في الطابق الرابع:

مشروع علم الأرض، الطور II نظام مراقبة الأرض (إي أو أس)

حافظت على تواريها بعيدة عن الازدحام شقت غابرييل طريقها باتجاه الفجوة التي جمعت عدداً من المصاعد ونافورة مياه. بحثت عن زر استدعاء المصعد، ولكنها لم ترَ سوى شرائح. تباً. إن المصاعد تعمل تحت تحكم أمني يتم العبور من خلال بطاقات هوية مشفرة للموظفين فقط.

جماعة من الشبان كانوا مسرعين نحو المصاعد يتحدثون بحيوية. كانوا يحملون بطاقات ناسا حول أعناقهم. انحنت غابرييل بسرعة على النافورة وهي تراقب ما وراءها. رجل ذو وجه مليء بالبثور أدخل بطاقته في الشق وفتح المصعد. لقد كان يضحك ويهزّ رأسه بإثارة.

"لا بد أن الفتية في (إس إي تي آي)[36] قد أصيبوا بالجنون". قال عندما

---

36 إس إي تي آي: البحث عن حياة خارج الأرض.

كان الجميع يدخل المصعد.

"إن عرباتهم ذات الهوائيات كانت تتعقب آثار الحقول الرملية بقوة مئتي ميللي جانسكي لمدة عشرين سنة. وكان الدليل الحقيقي مدفوناً في الجليد هنا في الأرض خلال المدة كلها!".

انغلقت أبواب المصعد واختفى الرجال.

نهضت غابرييل ممررة يدها على فمها متسائلة ما الذي ستفعله. بحثت حولها عن هاتف داخلي للبناء، فلم تجد شيئاً. تساءلت لو كان بإمكانها سرقة بطاقة دخول، ولكن شيئاً ما أخبرها أن هذا أمر غير حكيم. مهما كان ما ستفعله، علمت أن عليها فعله بسرعة. لم تستطع سوى رؤية المرأة التي تحدثت إليها مسبقاً في الردهة وهي تتحرك عبر الزحام مع ضابط أمن يعمل لناسا.

رجل أنيق وأصلع قدم قرب الحافة مندفعاً بقوة باتجاه المصعد. انحنت غابرييل مرة ثانية خلف النافورة. لم يلحظها الرجل. نظرت إليه غابرييل بصمت وهو ينحني إلى الأمام ويدخل بطاقة هويته إلى الشق. ففتح زوج آخر من أبواب المصعد وخطى الرجل إلى الداخل.

استجمعي قواك، قالت غابرييل وهي تفكر. الآن أو أبداً.

عندما كانت أبواب المصعد تنغلق، اندفعت غابرييل من خلف النافورة وركضت إلى هناك مدخلة يدها وممسكة الباب. فارتدت الأبواب لتفتح. ثم دخلت وكان وجهها يلمع من الإثارة: "لم تر هذا من قبل؟" تحدثت باندفاع إلى الرجل الأصلع المندهش: "يا إلهي، إنه جنوني!".

نظر إليها الرجل باستغراب.

"لا بد أن الفتية في (إس إي تي آي) قد أصيبوا بالجنون". قالت غابرييل: "إن عرباتهم ذات الهوائيات كانت تتعقب آثار الحقول الرملية بقوة مئتي ميللي جانسكي لمدة عشرين سنة. وكان الدليل الحقيقي مدفوناً في الجليد هنا في الأرض خلال المدة كلها!".

بدا على الرجل الاستغراب: "حسناً... نعم، إنه..." نظر إلى رقبتها ومن الواضح أنه أصيب بالقلق فهو لم يرَ البطاقة: "عفواً، هل أنت -".

"إلى الطابق الرابع من فضلك. لقد أتيت بسرعة كبيرة وتذكرت بصعوبة بالغة أن أرتدي ملابسي الداخلية!" ثم ضحكت وهي تسرق نظرة إلى هوية الرجل: جيمس ثيزن، الإدارة المالية.

"هل تعملين هنا؟" بدا على الرجل الارتياح: "آنسة...؟".

تركت غابرييل فمها يتدلى: "جيم! إنني مستاءة! فلا شيء كإحساس المرأة أنها غير جديرة بالتذكر!".

شحب الرجل للحظة ويبدو عليه الارتباك ثم مرر يده المحرجة عبر رأسه: "أنا متأسف، ربما بسبب كل تلك الإثارة، تعلمين، أعترف بأنك أنت أيضاً تبدين مألوفة كثيراً. ما هو البرنامج الذي تعملين عليه؟".

تباً. أظهرت غابرييل ابتسامة واثقة: "إي أو أس".

أشار الرجل إلى الزر المضيء للطابق الرابع: "ذلك واضح، أقصد بالتحديد، أي مشروع؟".

شعرت غابرييل بأن نبضات قلبها تخفق بسرعة. استطاعت التفكير بواحد فقط. "بودس".

بدا على الرجل الدهشة: "حقاً؟ اعتقدت أنني قابلت كل شخص في فريق الدكتور هاربر".

أومأت محرجة: "يبقيني كريس مختبئة بعيداً، فأنا المبرمجة الغبية التي قامت بخطأ في مسرد الفوكسل في برنامج الشذوذات".

الآن كان دور الرجل ليترك فكه يتدلى: "هذا كانت أنت؟".

عبست غابرييل: "لم أستطع النوم لأسابيع".

"ولكن الدكتور هاربر تولى مسؤولية ذلك بأكمله!".

"أعلم ذلك. إن كريس هو ذلك النوع من الرجال الذي يمكنه على الأقل حل الموضوع. ياله من بلاغ هذه الليلة، أليس كذلك؟ هذا الحجر النيزكي، أنا ما زلت مندهشة!".

توقف المصعد عند الطابق الرابع، فأسرعت غابرييل خارجه: "سعيدة لرؤيتك، جيم، بلغ تحياتي للفتية في الميزانية!".

"بالتأكيد"، تمتم الرجل عندما كانت الأبواب تنغلق: سعدت برؤيتك مرة ثانية".

84

يقضي زاك هيرني حياته، مثل أغلبية الرؤساء من قبله، معتمداً على أربع أو خمس ساعات من النوم في الليل. ولكن خلال الأسابيع القليلة الماضية لم يتمكن من النوم إلا ساعات أقل من ذلك. وعندما بدأت إثارة أحداث هذا

المساء تتلاشى ببطء، أحس هيرني بذلك الوقت المتأخر ينحل في أطرافه.

كان هو وبعض من طاقمه أصحاب المستوى الرفيع في غرفة روزيفلت يستمتعون بنخب الاحتفال ويشاهدون عرضاً متكرراً للمؤتمر الصحفي، ومقتطفات من برنامج تولاند الوثائقي، بالإضافة إلى خلاصات نقدية لشبكة التلفزة. أما في هذه اللحظة، فيظهر على الشاشة مراسلة متحمسة لشبكة تلفزيونية تقف أمام البيت الأبيض وتحمل ميكرفوناً ثم أعلنت:

"وراء المضاعفات الخادرة للعقل عند الجنس البشري بأكمله، أحدث اكتشاف ناسا هذا بعض المضاعفات السياسية المؤلمة هنا في واشنطن. حيث إن العثور على مستحاثات الحجر النيزكي هذه قد أتت في الوقت المناسب لصالح الرئيس الذي يخوض المعركة". ازداد صوتها حدة: "وفي أسوأ وقت بالنسبة للسيناتور سيكستون". انقطع البث من أجل إعادة عرض الحوار، السيئ السمعة الآن، الذي تم عرضه باكراً هذا اليوم على قناة (سي إن إن).

صرح سيكستون خلاله: "بعد خمس وثلاثين سنة، أعتقد أنه من الواضح أننا لن نعثر على حياة خارج الأرض!".

"وماذا لو كنت مخطئاً؟" أجابته مارجوري تينش.

تدورت عينا سيكستون: "أوه، بحق السماء، آنسة تينش، لو كنت مخطئاً، عندها سأقطع يدي؟".

ضحك الجميع في غرفة روزيفلت. إن إحراج تينش للسيناتور كان مناورة قاسية وظالمة عند مشاهدتها لمرة أخرى ولكن المشاهدين لاحظوا ذلك بصعوبة بالغة، فإن نبرة صوت السيناتور المتعجرفة عند إجابته كانت تحمل طابع الاعتداد بالنفس كثيراً فبدا أن سيكستون نال تماماً ما يستحق.

نظر الرئيس حول الغرفة بحثاً عن تينش، فإنه لم يرها من قبل المؤتمر الصحفي، ولم تكن هنا الآن. غريب، فكر بذلك. إن هذا الاحتفال لها كما هو لي.

كان التقرير الأخباري على شاشة التلفاز ينتهي الآن، مركزاً مرة أخرى على التقدم السياسي الكبير للبيت الأبيض وتراجع السيناتور سيكستون بشكل كارثي.

يا للاختلاف الذي يحدث في يوم واحد، فكر الرئيس. في مجال السياسة، يمكن أن يتغير عالمك بلحظة.

عند حلول الفجر سيدرك كم هو مقدار صحة هذه الكلمات.

85

يمكن أن يكون بيكرينغ عقبة، كانت تينش قد قالت ذلك.

كان المدير إيكستروم منشغلاً كثيراً بتلك المعلومات الجديدة ليلاحظ أن العاصفة خارج القبة الاصطناعية تزداد عنفاً الآن. كما ازداد تناغم صوت الأسلاك العاصفة وكان طاقم ناسا يتخبط بعصبية ويتحدث عوضاً عن الذهاب للنوم. كانت أفكاره ضائعة بعاصفة مختلفة، عاصفة انفجارية تتجمع في واشنطن. لقد أحضرت الساعات القليلة الماضية الكثير من المشاكل. والتي كان يحاول إيكستروم معالجتها كلها. ولكن المشكلة التي لاحت الآن أعظم من جميع المشاكل الأخرى مجتمعة.

يمكن أن يكون بيكرينغ عقبة.

لم يستطع إيكستروم أن يفكر بأي شخص آخر على الأرض يمكن أن يعارض أقل من ويليام بيكرينغ. فقد مضى سنوات الآن وبيكرينغ يسخر من إيكستروم وناسا محاولاً ضبط سياسة السرية والحصول على أولويات لمشاريع مختلفة واستنكار نسب الإخفاقات المتزايدة التي تقع بها ناسا.

لقد علم إيكستروم أن اشمئزاز بيكرينغ من ناسا يتجاوز كثيراً خسارته المؤخرة لبلايين الدولارات في القمر الصناعي (سيجنيت إن آر أو) في انفجار محطة انطلاق ناسا أو تسربات المعلومات السرية عند ناسا أو المعركة الدائرة حول تجنيد ناسا لملاك فضائي رئيسي. إن شكاوى بيكرينغ من ناسا هي دراما مستمرة من خيبة الأمل والاستياء.

إن الطائرة الفضائية (X-33) التابعة لناسا والتي يفترض أن تكون المكوك البديل، قد فات على موعدها خمس سنوات، الأمر الذي يعني أن الكثير من صيانة القمر الصناعي لمكتب الاستطلاع وبرامج الإطلاق قد أهملت أو أجلت. ومؤخراً، وصل غضب بيكرينغ حول (X-33) إلى درجة عالية من الاهتياج عندما اكتشف أن ناسا قد ألغت المشروع بأكمله مبتلعة مبلغاً يقدر بـ 900 مليون دولار.

وصل إيكستروم إلى مكتبه، سحب الستارة جانباً ثم دخل. جلس على مكتبه واضعاً رأسه بين يديه. يتوجب عليّ اتخاذ بعض القرارات. فالأمر الذي ابتدأ بيوم رائع أصبح كابوساً فاشلاً من حوله. حاول أن يضع نفسه في أفكار ويليام بيكرينغ، ما الذي سيفعله هذا الرجل بعد ذلك؟ يتوجب عليه أن يغفر

لخيارات صنعت في حالة من اليأس. عليه أن يرى الضرر الذي لا يمكن إصلاحه من تلويث لحظة النصر هذه.

ما الذي سيفعله بيكرينغ بالمعلومات التي يمتلكها؟ هل سيسمح للأمر بالمتابعة أم سيجعل ناسا تدفع ثمن عيوبها.

عبس إيكستروم فهو لا يعلم أي منها سيحدث.

رغم كل شيء، إن لويليام بيكرينغ قضايا أكثر عمقاً مع ناسا... مرارة شخصية قديمة تتجاوز بعمقها السياسة.

86

كانت راشيل هادئة تحدق مشدوهة إلى الحجرة على متن (جي 4) عندما كانت الطائرة تتوجه جنوباً على طول الساحل الكندي لخليج سانت لورانس. جلس تولاند بالجوار يتحدث إلى كوركي. رغم أن أكثرية الأدلة تقترح أن الحجر النيزكي أصلي، فإن اعتراف كوركي بأن محتويات النيكل هي خارج القيم المتوسطة المحددة مسبقاً قد جعلت شك راشيل الأولي يضطرم من جديد. وبالتالي، فإن زرع الحجر النيزكي بصورة سرية أسفل الجليد لم يبدُ سوى أنه جزء من حيلة محبوكة بشكل ذكي. ومع ذلك، فإن الدليل العلمي المتبقي أشار إلى تأييد صحة الحجر النيزكي.

التفتت راشيل من النافذة تنظر إلى الأسفل باتجاه عينة الحجر النيزكي ذات الشكل المدور في يدها. أومضت الحبيبات المعدنية الصغيرة، حيث مضى على كوركي وتولاند في مناقشة هذه الحبيبات المعدنية مدة الآن، يتحدثان بمصطلحات علمية تفوق عقل راشيل – مستويات متوازنة من الزيتونين ومواد زجاجية شبه مستقرة وإعادة التجانس التحولي. ولكن النتيجة كانت واضحة: اتفق كوركي وتولاند أن هذه الحبيبات المعدنية قد تقرر بأنها نيزكية. لا يوجد أي تلاعب بتلك المعلومات.

قلّبت راشيل العينة في يدها وهي تمرر إصبعها فوق الحافة التي كانت قشرة الانصهار واضحة عليها. بدا التفحم جديداً نسبياً – بالتأكيد ليس بعمر ثلاثمئة سنة – رغم أن كوركي قد أوضح أن ذلك الحجر النيزكي قد أُحكم عليه الإغلاق في الجليد وتفادى التعرض لأي من العوامل الجوية، وبدا هذا كلاماً منطقياً. فقد شاهدت راشيل مسبقاً برامج على شاشة التلفاز حيث بقي الإنسان

مطموراً في الجليد لمدة أربع آلاف سنة وبقي جلده ذلك مثالياً تقريباً.

وبينما هي تتفحص قشرة الانصهار، راودها تفكير غريب – لقد تم حذف جزء واضح من المعطيات. تساءلت راشيل فيما إذا كان ذلك خطأً غير مقصود في جميع المعلومات التي قُدمت إليها أو أن شخصاً ما قد نسي ببساطة أن يذكر ذلك.

التفتت فجأة إلى كوركي: "هل قام أحدكم بتأريخ قشرة الانصهار؟".

نظر إليها كوركي ويبدو عليه الارتباك: "ماذا؟".

"هل قام أحدكم بتأريخ الاحتراق، أعني بكلامي، هل نحن نعلم حقيقةً أن الاحتراق على الصخرة قد حدث في الوقت نفسه عند سقوط جينغرسول؟".

"عفواً؟" قال كوركي: "إن هذا أمر من المستحيل تأريخه، إن التأكسد يعيد تصفير جميع الواسمات المشعة. فضلاً عن ذلك، فإن نسب التناقص التلقائي الإشعاعي بطيئة جداً لنتمكن من قياس أي شيء يبلغ عمره أقل من خمسمئة سنة".

فكرت راشيل بذلك للحظة. فقد فهمت الآن لماذا لم يكن تأريخ الاحتراق جزءاً من المعلومات. "إذاً، حسب معرفتنا، يمكن أن تكون هذه الصخرة قد حُرقت في العصور الوسطى أو في الأسبوع الماضي، صحيح؟".

ضحك تولاند بينه وبين نفسه: "لم يقل أحد إن العلم يستطيع الإجابة على كل شيء".

تركت راشيل عقلها يتجول بصوت مسموع: "إن قشرة الانصهار هي بالأساس احتراق شديد فقط. وبالحديث من الناحية التقنية، يمكن أن يكون الاحتراق على هذه الصخرة قد حدث في أي وقت في نصف القرن الماضي بعدة طرق مختلفة".

"خطأ". قال كوركي: "يتم الاحتراق بعدة طرق مختلفة؟ لا. لقد تم الاحتراق بطريقة واحدة. من خلال السقوط عبر الغلاف الجوي".

"أليس هناك أي احتمال آخر؟ ماذا عن الاحتراق في الفرن؟".

"الفرن؟" قال كوركي: "لقد تم فحص هذه العينات بواسطة مجهر إلكتروني. حتى أنظف الأفران على الأرض كانت ستترك فضلات وقود على الحجر بأكمله – وقود نووي، كيميائي، مستحاثي. إنسَ ذلك. وماذا عن الخطوط المتشكلة إثر اندفاعها عبر الغلاف الجوي؟ لا يمكنك الحصول عليها في الفرن".

كانت راشيل قد نسيت أمر الخطوط المتوهجة على الحجر النيزكي. لقد ظهرت تماماً أنه قد سقط عبر الهواء. "ماذا عن البركان؟" تجرأت وقالت ذلك: "إن المقذوفات البركانية تخرج بصورة عنيفة بسبب الهيجان؟".

هزّ كوركي رأسه: "إن الاحتراق نظيف تماماً".

حدقت راشيل بتولاند.

أومأ عالم المحيطات: "عفواً. لدي بعض الخبرة عن البراكين، سواء أكانت فوق الماء أم تحته. إن كوركي محق. حيث يخترق مقذوفات البراكين العديد من السموم – ثاني أكسيد الكربون وثاني أكسيد الكبريت، كبريت الهيدروجين وحمض كلور الماء. وكان من الممكن الكشف عنها كلها في الفحوصات الإلكترونية. إن قشرة الانصهار تلك، سواء أحببنا ذلك أم لا، هي نتيجة لاحتراق نظيف متفحم عبر الغلاف الجوي".

تنهدت راشيل ناظرة خارج النافذة. احتراق نظيف. التصقت تلك العبارة بها. التفتت إلى تولاند: "ماذا تقصد باحتراق نظيف؟".

هزّ كتفيه: "ببساطة إننا لا نرى تحت المجهر الإلكتروني بقايا لعناصر وقود، عندها نعلم بأن الحرارة هي بسبب طاقة حركية واحتكاك أكثر مما تكون بسبب عناصر كيميائية أو نووية؟".

"طالما أنكم لم تعثروا على أية عناصر وقود غريبة، ما الذي وجدتموه؟ بالتحديد، ما هي مكونات قشرة الانصهار؟".

قال كوركي: "وجدنا بالضبط ما كنا نتوقع أن نجده: عناصر جوية صافية؛ نتروجين، أكسجين وهيدروجين. لا يوجد أي نفط، أي كبريت أو أية حموض بركانية أو أي شيء مميز. كل ما نراه عندما تسقط النيازك عبر الغلاف الجوي".

انحنت راشيل عائدة إلى مقعدها، وكانت أفكارها تتركز الآن.

أما كوركي فقد انحنى إلى الأمام لينظر إليها: "أرجوك، لا تخبريني أن نظريتك الجديدة هي أن ناسا قد التقطت صخرة مليئة بالمستحاثات ووضعتها في مكوك فضائي وأرسلتها لتندفع بسرعة باتجاه الأرض على أمل ألا يلاحظ أحد تلك القذيفة أو حفرة القنبلة الكبيرة أو الانفجار؟".

لم تفكر راشيل بذلك رغم أنه بدا فرضية ممتعة. ليست معقولة ولكن ممتعة على أية حال. كانت أفكارها أقرب ما تكون إلى النتيجة النهائية. جميعها

عناصر جوية طبيعية، احتراق نظيف، خطوط ناتجة عن الاندفاع عبر الهواء. ثم انطلق ضوء باهت في الزاوية البعيدة لعقلها فقالت: "نسب العناصر الجوية التي قمتم بمشاهدتها، أكانت النسب نفسها تماماً التي ترونها في كل الأحجار النيزكية الأخرى داخل القشرة المتفحمة؟".

بدا أن كوركي قد تملّص قليلاً من هذا السؤال: "لماذا تسألين؟".

شاهدته راشيل يتردد فأحست بأن نبضات قلبها تتسارع: "كانت النسب خاطئة، أليس كذلك؟".

"هناك تفسير علمي لذلك".

كان قلب راشيل يطرق فجأة: "هل من الممكن أنكم رأيتم نسبة عالية غير اعتيادية لأحد العناصر بالتحديد؟".

تبادل كوركي وتولاند نظرات الدهشة: "نعم"، قال كوركي: "ولكن –".

"أكان هو الهيدروجين المتأين؟".

تدورت عينا عالم الفيزياء الفلكية: "كيف عرفت ذلك؟!".

كما بدا على تولاند الدهشة أيضاً.

نظرت راشيل إلى كل منهما: "لماذا لم يذكر أي منكما ذلك؟".

"لأن هناك تفسيراً علمياً رائعاً لهذا!" صرح كوركي.

"كلي آذان صاغية". قالت راشيل.

قال كوركي: "لقد كان هناك هيدروجين متأين فائض لأن الحجر النيزكي قد مر قرب القطب الشمالي حيث تسبب مغناطيسية الأرض تركيزاً عالياً غير عادي لأيونات الهيدروجين".

عبست راشيل: "للأسف، لديّ تفسير آخر".

87

كان الطابق الرابع في المقر الرئاسي لناسا أقل فخامة من الردهة – ممرات طويلة بسيطة بأبواب لمكاتب تبتعد عن بعضها البعض مسافات متساوية على طول الجدران. كان الممر فارغاً. إشارات مصفحة تمتد في جميع الاتجاهات.

لاندسات ←

← تيرا

أكديما ←

جاسون 1 ←

← إكوا

← بودس

تبعت غابرييل الإشارة الخاصة ببودس. وهي تشق طريقها عبر سلسلة من الممرات الطويلة والتقاطعات، وصلت إلى مجموعة أبواب فولاذية ضخمة: كانت الصفيحة تقول:

فاحص كثافة القطب في المدار (بودس)

مدير القسم، كريس هاربر

كانت الأبواب مقفلة، أما العبور فكان مؤمّناً عن طريق بطاقات مشفرة ولوحة أرقام لإدخال التعريف الشخصي (بين). وضعت غابرييل أذنها على الباب المعدني البارد. وللحظة، اعتقدت أنها سمعت كلاماً. مجادلة. ربما ليس كذلك. تساءلت فيما إذا كان عليها فقط أن تطرق الباب إلى أن يسمح لها شخص من الداخل بالدخول.

للأسف، إن خطتها للتعامل مع كريس هاربر تتطلب حذقاً أكثر بقليل من الطرق على هذه الأبواب. نظرت حولها باحثة عن مدخل آخر لكنها لم ترَ أياً منها. كانت هناك فجوة معدات التنظيف على مقربة من الباب، خطت غابرييل إلى الأمام باحثة في الكوّة المعتمة عن أي حلقة للمفاتيح أو بطاقة دخول. لم تجد شيئاً. فقط مكانس ومماسح.

عائدة إلى الباب، وضعت أذنها على المعدن مرة أخرى. وفي هذه المرة سمعت بالتأكيد أصواتاً يزداد علوها، وخطوات. انفتحت مزلجة الباب من الداخل.

لم تجد غابرييل وقتاً لتختبئ حيث فُتح الباب المعدني. قفزت إلى الجانب لاصقة نفسها إلى الحائط خلف الباب عندما أسرع مجموعة من الأشخاص عبره وهم يتحدثون بصوت مرتفع وبدا عليهم الغضب.

"ما هي مشكلة هاربر بحق الجحيم؟ اعتقدت أنه فرح كثيراً!".

"في ليلة كهذه"، قال شخص آخر وهم يمرون: "يريد أن يكون وحده؟

يجب أن يكون في الاحتفال!".

وبينما كانت المجموعة تبتعد عن غابرييل، بدأ الباب الضخم بالدوران لينغلق على مفاصل هوائية، كاشفاً عن مكانها. حافظت على صلابتها إلى أن تابع الرجال طريقهم أسفل الردهة. انتظرت أطول فترة ممكنة إلى أن كان الباب المفتوح على مسافة إنشات (سنتيمترات) قليلة عن الانغلاق. اندفعت غابرييل إلى الأمام بقوة وأمسكت مقبض الباب تاركة إنشات (سنتيمترات) قليلة فقط. وقفت دون حراك عندما التفت الرجال إلى الزاوية أسفل الردهة، حيث كانوا منشغلين كثيراً بحوارهم فلم ينظروا إلى الخلف.

سحبت غابرييل الباب وقلبها يطرق بسرعة ثم خطت إلى منطقة مضاءة بشكل خافت وأغلقت الباب بهدوء.

كان المكان منطقة عمل كبيرة مكشوفة ذكرتها بمختبر الفيزياء في الكلية: أجهزة كمبيوتر، أقسام للعمل، معدات إلكترونية. وبينما اعتادت عيناها على الظلام، استطاعت غابرييل رؤية المخططات وأوراق الحسابات مبعثرة في كل مكان. كانت المنطقة بأكملها مظلمة باستثناء مكتب في الجانب البعيد للمختبر حيث يشع ضوء من أسفل الباب. مشت غابرييل بهدوء إليه. كان الباب مغلقاً ولكنها استطاعت رؤية رجل من خلال النافذة جالساً أمام جهاز الكمبيوتر. عرفت ذلك الرجل من المؤتمر الصحفي لناسا. كانت اللافتة على الباب تقول:

كريس هاربر مدير القسم، بودس

بعد أن وصلت إلى هذه المسافة، شعرت غابرييل بالخوف، متسائلة فيما إذا كان بإمكانها تجاوز تلك العقبة، فذكرت نفسها بالدرجة التي كان سيكستون فيها واثقاً من أن كريس هاربر كان يكذب. سأراهن بحملتي على ذلك، كان سيكستون قد قال ذلك. يبدو أن هناك أشخاصاً آخرين يشعرون بالشيء نفسه، آخرين ينتظرون غابرييل لتكشف الحقيقة ليتمكنوا من الإحاطة بناسا محاولين الحصول على أية انطلاقة صغيرة بعد تطورات الليلة المهلكة. بعد التلاعب الذي قامت به إدارة تينش وهيرني بغابرييل هذا اليوم، كانت متحمسة للمساعدة.

رفعت غابرييل يدها لتطرق الباب ولكنها ترددت فقد كان صوت يولاندا ينسحب عبر دماغها. لو أن كريس هاربر كذب إلى العالم عن بودس، ما الذي يجعلك تعتقدين أنه سيخبرك أنت الحقيقة؟

الخوف، قالت غابرييل لنفسها، الأمر الذي كانت هي نفسها ستقع ضحية له هذا اليوم. لديها خطة تتضمن تكتيكاً كانت قد رأت السيناتور يستخدمه في مناسبات عدة ليخيف خصومه السياسيين ويحصل على المعلومات. لقد تعلمت غابرييل الكثير تحت وصاية سيكستون، ولم يكن كل ذلك مستحسناً أو أخلاقياً. ولكنها في هذه الليلة تحتاج إلى جميع الميزات. فلو أنها تمكنت من إقناع كريس هاربر بالاعتراف أنه قد كذب – لأي سبب كان – عندها ستفتح غابرييل باباً صغيراً من الفرصة لحملة سيكستون. وفوق كل هذا، فإن سيكستون هو نوع من الرجال الذي إذا أعطي مسافة إنش (صغيرة) للمناورة، يستطيع أن يتسلل بطريقه خارج أي عقبات.

خطةُ غابرييل للتعامل مع هاربر كانت شيئاً يدعوه سيكستون بـ 'البرز في الرماية' – طريقة للاستجواب اخترعت من قبل السلطات الرومانية القديمة للحصول على الاعترافات من المجرمين الذين يشكون بكذبهم. كانت تلك الطريقة بسيطة بشكل مضلل.

طالب بالمعلومات التي تريد الاعتراف بها.

ومن ثم ادع شيئاً أسوأ منها.

الهدف هو إعطاء الخصم فرصة الاختيار بين أخف الضررين – وفي هذه الحالة: الحقيقة.

الحيلة هي التحلي بالثقة، الشيء الذي لا تشعر به غابرييل في هذه اللحظة. وهي تأخذ نفساً عميقاً مرت غابرييل عبر المخطوطة في عقلها. ومن ثم طرقت باب المكتب بثبات.

"أخبرتكم أنني مشغول!" صاح هاربر بلهجته الإنكليزية المعروفة.

طرقَت مرة أخرى بشكل أقوى.

"أخبرتكم أنني غير مهتم بالنزول إلى الأسفل".

وفي هذه المرة قرعت الباب بشدة بقبضتها.

جاء كريس هاربر وسحب الباب بعنف ليفتحه: "تباً لكم ألا –" توقف فجأة لرؤية غابرييل.

قالت وهي تملأ صوتها قوةً: "دكتور هاربر".

"كيف صعدت إلى هنا؟".

كان وجه غابرييل متجهماً: "أتعرف من أنا؟".

"بالطبع، فقد مضت أشهر ومديرك يقوم بنقد مشروعي. كيف وصلت إلى هنا؟".

"أرسلني السيناتور سيكستون".

تفحصت عينا هاربر المختبر خلف غابرييل: "أين هو مرافقك؟".

"هذا ليس من شأنك، فإن للسيناتور اتصالات ذات نفوذ".

"في هذا المبنى؟" بدا على هاربر الريبة.

"إنك شخص غير شريف، دكتور هاربر، وأخشى أن السيناتور قد استدعى هيئة قضائية سيناتورية خاصة للبحث في كذبك".

ظهر الشحوب على وجه هاربر: "عن ماذا تتحدثين؟".

"الأشخاص الأذكياء مثلك لا يمتلكون موهبة التظاهر بالغباء، دكتور هاربر، أنت في مأزق وقد أرسلني السيناتور إلى هنا ليعرض عليك اتفاقاً. لقد أصيبت حملة السيناتور بضربة هائلة هذه الليلة. ولم يبقَ له أي شيء يخسره، وهو مستعد ليدمرك معه في حال احتاج إلى ذلك".

"ما هذا الذي تتحدثين عنه بحق الجحيم؟!".

أخذت غابرييل نفساً عميقاً وبدأت بتمثيليتها: "لقد كذبت في مؤتمرك الصحفي حول برنامج الكشف عن الشذوذات في بودس. أنت تعلم ذلك. والعديد من الأشخاص يعلمون ذلك. لكن ليست هذه هي القضية". قبل أن يتمكن من فتح فمه للنقاش، اندفعت غابرييل متابعة حديثها: "يمكن للسيناتور أن يعلن عن كذبك الآن، ولكنه غير مهتم للأمر. إنه يهتم بالقصة الأكبر. وأعتقد أنك تعلم ما الذي أتحدث عنه".

"لا، أنا -".

"إليك عرض السيناتور، سيبقي فمه مغلقاً حول الكذب المتعلق بالبرنامج إذا قمت بإعطائه اسم موظف ناسا الكبير الذي تقوم معه باختلاس الأموال".

بدت عينا كريس هاربر متصالبتين للحظة: "ماذا؟ أنا لا أختلس!".

"أقترح عليك مراقبة ما تقوله سيدي، لقد مضى على اللجنة السيناتورية أشهرٌ الآن وهي تجمع الوثائق. أتعتقد حقاً أنه يمكنكما الإفلات دون أن يتم كشفكما؟ التلاعب بأوراق بودس وإعادة توجيه أموال ناسا المخصصة إلى الحسابات الشخصية؟ الكذب والاختلاس يمكن أن يضعك في السجن دكتور هاربر".

"إني لم أقم بأي شيء كهذا!".

"أتقول إنك لم تكذب حول بودس".

"لا، أنا أقول إنني لم أختلس أية أموال على الإطلاق!".

"إذاً، أنت تقول إنك بالفعل كذبت حول بودس".

حدق هاربر غير قادر على الكلام بشكل واضح.

"انسَ أمر الكذب". قالت غابرييل ملوحة بذلك خارجاً: "إن السيناتور سيكستون ليس مهتماً بقضية كذبك في المؤتمر الصحفي. لقد اعتدنا على ذلك. لقد وجدتم الحجر النيزكي يا شباب، ولا يهتم أي شخص بالطريقة، إن قضيته هي الاختلاس. إنه يريد أن يُسقط شخصاً رفيع المستوى من ناسا. فقط أخبرني من الذي تعمل معه، وسينحرف الاستجواب عنك بأكمله. يمكنك أن تبسط الأمر وتخبرنا من هو الشخص الآخر أو أن السيناتور سيقوم بتتكيد الأمر ويبدأ الحديث عن برنامج كشف الشذوذات والخدع الحاسوبية المزيفة".

"أنت تخدعينني، ليس هناك أية أموال مختلسة".

"أنت كاذب فظيع دكتور هاربر، لقد رأيت الوثائق، اسمك موجود على جميع الأوراق المشتركة بالجريمة وبشكل متكرر".

"أقسم أنني لا أعلم شيئاً عن أي اختلاس!".

أطلقت غابرييل تنهدة محبطة: "ضع نفسك في مكاني، دكتور هاربر. أستطيع الوصول إلى استنتاجين من ذلك: إما أنك تكذب عليّ بنفس الطريقة التي كذبت فيها في ذلك المؤتمر الصحفي أو أنك تقول الحقيقة، وإن شخصاً ما أقوى سلطة يوقعك في المشكلة على أنك كبش الفداء لأعماله السيئة هو".

بدا أن هذا الافتراض قد جعل هاربر يصمت.

نظرت غابرييل إلى ساعتها: "إن عرض السيناتور سار لمدة ساعة. يمكنك إنقاذ نفسك بإعطائه اسم المسؤول التنفيذي المشترك معك في اختلاس أموال دافعي الضرائب. هو لا يهتم بشأنك. يريد الصيد الكبير. فمن الواضح أن الشخص يمتلك نفوذاً هنا في ناسا. فقد تدبر هو أو هي إخفاء هويته بعيداً عن أوراق الوثائق، سامحاً بذلك أن يجعلك أنت كبش الفداء".

هزّ هاربر رأسه: "أنت تكذبين".

"أترغب بقول ذلك في المحكمة؟".

"بالتأكيد، سأنكر الأمر كله".

"تحت القسم!" ردّت عليه غابرييل باشمئزاز: "وأفترض أنك ستكذب أيضاً

حول وضع إصلاح برنامج بودس". كان قلب غابرييل يطرق بقوة وهي تحدق مباشرة بعيني الرجل: "فكر جيداً حول خياراتك هنا دكتور هاربر، إن السجون الأميركية هي الأكثر بُغضاً".

نظر هاربر إلى الخلف بغضب، لقد أجبرته غابرييل على قبول الجريمة. وللحظة، فكرت غابرييل أنها رأت بصيصاً من الاستسلام ولكن عندما تحدث هاربر كان صوته كالفولاذ.

"آنسة آش"، صرح وغليان الغضب في عينيه: "أنت تتشبثين بشيء غير موجود. أنا وأنت نعلم أنه ليس هناك أي اختلاس يتم في ناسا. وإن الكاذب الوحيد هنا هو أنت".

شعرت غابرييل بعضلاتها تتصلب، فقد كانت نظرة الرجل غاضبة وحادة. أرادت الالتفات والهرب. لقد حاولت خداع عالم صواريخ. ما الذي تتوقعه بحق الجحيم؟! أجبرت نفسها على إبقاء رأسها عالياً: "كل ما أعرفه"، قالت متظاهرة بالثقة المطلقة وغير مبالية بموقفها: "هو وثائق الجريمة التي شاهدتها – دليل قاطع على أنك أنت وشخص آخر تختلسان أموال ناسا. وطلب مني السيناتور ببساطة أن آتي إلى هنا الليلة وأعرض عليك الخيار بالتخلي عن شريكك بدلاً من مواجهة التحقيق وحدك. سأخبر السيناتور أنك تفضل أن تجرب حظك مع المحكمة حيث يمكنك إخبارها بما قلته لي – أنت لا تختلس الأموال ولم تكذب بأمر برنامج بودس". ثم قدمت إليه ابتسامة متجهمة: "ولكن بعد ذلك المؤتمر الصحفي غير المقنع الذي قدمته منذ أسبوعين، أشك بأنك ستفعل ذلك".

التفتت غابرييل ومشت بخطىً واسعة عبر مخبر بودس المظلم. تساءلت فيما إذا كانت تشاهد الجزء الداخلي من السجن بدلاً عن هاربر.

حافظت غابرييل على رأسها عالياً وهي تمشي منتظرة هاربر أن يناديها، ولكن ساد الصمت. اندفعت بطريقها عبر الأبواب المعدنية إلى أن وصلت خارج المدخل، على أمل أن تكون المصاعد في الأعلى لا تحتاج إلى بطاقات مشفرة مثل الردهة. لقد كانت تائهة، فرغم جهودها العظيمة، لم يكن هاربر متأثراً. ربما كان يقول الحقيقة في المؤتمر الصحفي الخاص ببودس، فكرت غابرييل.

سمعت صوتاً عالياً أسفل الصالة عندما كانت الأبواب المعدنية تفتح من خلفها. "آنسة آش"، نادى صوت هاربر: "أقسم أنني لا أعلم بأمر أي اختلاس، إنني رجل شريف!".

شعرت غابرييل أن قلبها يطلق نبضة، أجبرت نفسها على أن تحافظ على مشيتها. هزت كتفيها لامبالية كالمعتاد وصاحت: "لكنك كذبت في مؤتمرك الصحفي".

ساد الصمت، ولكن غابرييل استمرت في المشي إلى المدخل.

"انتظري!" صاح هاربر. قدم مهرولاً من خلفها وكان وجهه شاحباً. "بشأن أمر الاختلاس هذا". قال مخفضاً صوته: "أعتقد أنني أعرف من الذي ورطني به".

وقفت غابرييل متجمدة في طريقها متسائلة فيما إذا كانت سمعته بشكل صحيح. التفتت بما أمكنها من بطء ولامبالاة: "أتتوقع أن أصدق أن شخصاً ما يريد توريطك؟".

تنهد هاربر: "أقسم أنني لا أعلم شيئاً عن الاختلاس، ولكن إذا كان هناك دليل ضدي...".

"ركام منه".

تنهد هاربر: "لقد تم تلفيقه بأكمله ليقوموا بتشويه سمعتي لو احتاج الأمر. هناك شخص واحد من المحتمل أنه قام بذلك".

"من؟".

نظر هاربر إلى عينيها: "إن لورانس إيكستروم يكرهني!".

كانت غابرييل مذهولة: "مدير ناسا؟".

أومأ هاربر بتجهم: "هو من أجبرني على الكذب في ذلك المؤتمر الصحفي".

88

رغم استخدامهم لنظام الدفع الذي يعمل على معلق سائل غاز الميتان في طائرة أورورا بمنتصف طاقتها، كان فريق دلتا فورس يندفع بسرعة عبر الظلام تبلغ ثلاثة أضعاف سرعة الصوت - أكثر من ألفي ميل في الساعة. وكان الارتجاف المتكرر للمحركات النبضية الموجية الانفجارية من خلفهم يعطي الرحلة إيقاعاً منوماً. على بعد مئة قدم (30 متراً) أسفلهم، كان المحيط يتحرك باهتياج عنيف، مثاراً بالأثر الخلائي الذي تخلفه أورورا والتي تسحب من ورائها ذيلاً يبلغ طوله خمسين قدماً (15 متراً) يتجه نحو السماء كأشرعة طويلة متوازية خلف الطائرة.

هذا هو سبب التخلي عن طائرة (إس آر – 71 بلاك بيرد)، فكر دلتا واحد.

كانت الأورورا واحدة من الطائرات السرية التي ينبغي ألا يعلم أحد بتواجدها، ولكن الجميع علم بها. حتى قناة 'ديسكفري' قد غطّت أحداث الأورورا واختبارها في بحيرة كروم في نيفادى. سواء أكان ذلك التسريب الأمني بسبب 'الزلازل السماوية' التي يُسمع صوتها حتى لوس أنجلوس، أم من قبل مشاهد غير جدير بذلك رآها عند التنقيب عن حقول النفط في البحر الجنوبي، أم عبر جندي إداري أخرق ترك وصفاً عن أوراق الأورورا في النسخة العامة لميزانية البنتاغون، لم يعلم أحد عن ذلك، ولم يهمّهم الأمر تقريباً. كانت الكلمة علنية: القوات العسكرية في الولايات المتحدة تمتلك طائرة يفوق طيرانها سرعة الصوت بـ 6 مرات، وإنها لم تعد على لوحات التصميم. إنها فوق في السماوات.

مصممة من قبل مصنع لوك هيد، بدت الأورورا أشبه بكرة القدم الأميركية المسطحة. يبلغ طولها 110 أقدام (33 متراً) وعرضها ستون قدماً (18 متراً)، محاطة بشكل أملس بغشاء أخضر شفاف من الآجر الحراري فتكون بذلك أشبه بمكوك فضائي. إن السرعة هي بصورة أساسية نتيجة نظام الدفع الغريب والجديد الذي يعرف باسم المحرك النبضي الموجي الانفجاري، الذي يقوم بحرق الهيدروجين السائل والرذاذي النظيف وتترك آثاراً لبخار نبضي في السماء. ولهذا السبب، إنها لا تطير إلا في الليل.

هذه الليلة، ومع متعة السرعة العظيمة، كان دلتا فورس يعبرون الطريق الطويل عائدين إلى موطنهم عبر المحيط الواسع. رغم ذلك، كانوا يلحقون بفريستهم. فبهذه السرعة، سيتمكنون من الوصول إلى الشاطئ الشرقي في غضون أقل من ساعة، أي قبل ساعتين من وصول فريستهم. كان هناك نقاش يدور حول تعقب الطائرة المستهدفة ومن ثم قصفها، ولكن القائد كان على حق بخوفه من أن يجذب انتباه أي رادار إلى الحادث أو ربما يسبب الحطام المحروق تحقيقات هائلة. فكان من الأفضل ترك الطائرة تحط في موعدها. هذا ما قرره القائد. وحالما يتوضح المكان الذي تنوي فريستهم الهبوط فيه، يتحرك دلتا فورس إليه.

الآن، وبينما تندفع الأورورا بسرعة هائلة فوق بحر لابرادور المقفر،

أشار جهاز اتصال دلتا واحد بتلقي مكالمة، فأجابها.

"لقد تغير الموقف"، أعلمه الصوت الإلكتروني: "أمامكم هدف آخر قبل أن تهبط راشيل سيكستون والعلماء".

هدف آخر، استطاع دلتا واحد الإحساس بذلك، فقد كانت الأشياء مفهومة. لقد حدث تسريب آخر في سفينة القائد، ويجب عليهم إصلاحه بأسرع ما يمكن. ما كان لهذه السفينة أن تسرب، ذكّر دلتا واحد نفسه، لو قمنا بالقضاء على أهدافنا بنجاح على الرف الصخري في ميلني. لقد عرف دلتا واحد جيداً أنه ينظف ما وسخه هو.

"طرف رابع قد اشترك في الأمر". قال القائد.

"مَن؟".

صمت القائد للحظة – ومن ثم أعطاهم الاسم.

تبادل الرجال الثلاثة نظرات الدهشة. لقد كان اسماً يعرفونه جيداً.

لم يكن مستغرباً أن يبدو التردد على القائد! فكر دلتا واحد. فبالنسبة لعملية تعتبر مغامرة تقتل فيها الضحية بتعيين الهدف، يكون نموذج القتلى المستهدفين ذا شأن اجتماعي كبير. أحس بأوتار عضلاته تتقلص عندما كان القائد يتجهز لإعلامهم بالتحديد كيف وأين سيتخلصون من هذه الشخصية الجديدة.

"لقد ازدادت المخاطر بشكل كبير"، قال القائد: "استمعوا جيداً، فإنني سأقول التعليمات مرة واحدة فقط".

89

هناك في الأعلى فوق جنوبي مين[37] تابعت الطائرة النفاثة (جي 4) طريقها مسرعة باتجاه واشنطن. وعلى متنها، كان مايكل تولاند وكوركي مارلينسون ينظران إلى راشيل سيكستون وقد بدأت تشرح لهما نظريتها عن السبب الذي ربما أدى إلى وجود زيادة في شوارد الهيدروجين في قشرة الانصهار للحجر النيزكي.

"إن ناسا تمتلك تقنية خاصة قيد الاختبار تدعى 'محطة بلم بروك'"، شرحت راشيل وهي لا تصدق تقريباً أنها ستتحدث عن هذا. مشاركة معلومات

37 مين: ولاية أقصى جنوب الولايات المتحدة.

سرية خارج البروتوكول، هو أمر لم تفعله من قبل أبداً، ولكن نظراً للظروف، كان لتولاند وكوركي الحق في معرفة ذلك. "بلم بروك في جوهره هو حجر اختبار لأنظمة محركات ناسا المصممة حديثاً والأكثر قوة. منذ حوالى عامين، كتبت تقريراً عن تصميم جديد كانت ناسا تختبره هناك - شيء يدعى بمحرك موسع التذبذبات".

نظر إليها كوركي بارتياب: "محركات موسعة للتذبذبات لا تزال خطوة نظرية، على الأوراق فقط. لا يوجد أحد يقوم باختبار ذلك، يحتاج هذا إلى عقود".

هزّت راشيل رأسها: "عفواً، كوركي، إن ناسا لديها النموذج الأولي. وإنهم يختبرونه".

"ماذا؟" بدا على كوركي الشك. "إن (إي سي إي) تعمل على الأوكسجين - الهيدروجين السائل والذي يتجمد في الفضاء، وهذا يجعل المحرك عديم الفائدة لدى ناسا. وقد قالوا إنهم لن يحاولوا حتى بناء محرك (إي سي إي) إلى أن يتغلبوا على مشكلة تجمد الوقود".

"لقد تغلبوا عليها. تخلصوا من الأكسجين واستبدلوا الوقود بمزيج من 'الهيدروجين النصف سائل' وهو نوع من الوقود المبرد الذي يحتوي على الهيدروجين النقي في حالة نصف التجمد. إنه احتراق فعال جداً ونظيف جداً. وإنه فعال أيضاً لنظام الدفع فيما إذا أرادت ناسا إطلاق مهمات إلى المريخ".

بدا على كوركي الدهشة: "لا يمكن أن يكون هذا صحيح".

"من المؤكد أنه صحيح". قالت راشيل: "لقد كتبت تقريراً حول ذلك إلى الرئيس. وكان مديري غاضباً جداً عندما علم أن ناسا تريد الإعلان عنه بصفة أن الهيدروجين النصف سائل هو نجاح كبير، أما بيكرينغ فقد أراد من البيت الأبيض أن تجبر ناسا على الاحتفاظ بهذه المعلومة سرية".

"لماذا؟".

"إن ذلك ليس مهماً"، قالت راشيل وهي لا ترغب بالبوح عن المزيد من الأسرار. كانت الحقيقة أن رغبة بيكرينغ لإخفاء نجاح الهيدروجين النصف سائل هو لمحاربة القلق الأمني القومي المتزايد الذي يعلم القليل عنه - التوسع الخطر لتقنية الفضاء في الصين. فقد كان الصينيون يطورون الآن محطة إطلاق كاملة 'للتأجير'، والتي يرغبون بتأجيرها لأولئك الذين يدفعون ثمناً أعلى، أغلبهم سيكونون من أعداء الولايات المتحدة. عندها تكون التضمينات

مهلكة بالنسبة لأمن الولايات المتحدة. لحسن الحظ، علم مكتب الاستطلاع أن الصين منهمكة في إنشاء نموذج فاشل يعمل على وقود الدفع من أجل محطة الإطلاق، ولم يجد بيكرينغ أي سبب لإعلامهم عن الوقود الدافع بالهيدروجين النصف سائل، والموجود عند ناسا.

"إذاً"، قال تولاند ويبدو عليه الارتباك: "تقولين إن ناسا تمتلك نظام احتراق نظيف يعمل على الهيدروجين النقي؟".

أومأت راشيل: "ليس لديّ إحصائيات، ولكن حرارة عادم هذه المحركات تفوق بشكل واضح حرارة أي شيء تم تطويره من قبل بعدة مرات. إنهم يطلبون من ناسا أن تطور جميع أنواع المواد الجديدة الخاصة بفوهات الأنابيب". صمتت ثم قالت: "صخرة كبيرة، توضع خلف أحد هذه المحركات، ستكتسي بقشرة متفحمة غنية بالهيدروجين بسبب نار العادم المنطلقة بحرارة لم يسبق أن ظهر مثلها، عندها ستحصل على قشرة انصهار تماماً".

"توقفي الآن!" قال كوركي: "أتريدين العودة إلى سيناريو الحجر النيزكي المزيف؟".

بدا تولاند متأثراً فجأة: "في الواقع، إن هذه فكرة جيدة. إنها أشبه بترك صخرة كبيرة على محطة الانطلاق أسفل مكوك فضائي خلال انطلاقه".

"ليحمني الله!" تذمّر كوركي: "إنني أطير مع الحمقى!".

"كوركي" قال تولاند: "من وجهة النظر الفرضية، إن وضع صخرة في حقل عادم ستحقق خواص احتراق شبيهة بتلك التي تسقط عبر الغلاف الجوي، أليس كذلك؟ ستحصل على خطوط الاتجاه نفسها وذوبان المواد المنصهرة".

قال كوركي غاضباً: "أفترض ذلك".

"وإن وقود راشيل الهيدروجيني ذا الاحتراق النظيف لن يترك أي فضلات كيميائية. هيدروجين فقط. مستويات زائدة من الأيونات الهيدروجينية في ثقوب الانصهار".

تدورت عينا كوركي: "أنظرا، لو أن أحد محركات (إي سي إي) موجودة بالفعل، وتعمل على الهيدروجين النصف سائل، سأفترض أن ما تتحدثان عنه ممكن. ولكنه صعب المنال جداً".

"لماذا؟" سأله تولاند. "تبدو العملية بسيطة للغاية".

أومأت راشيل: "كل ما تحتاج إليه هو صخرة متحجرة يبلغ عمرها 190

مليون سنة. أطلق عليها نار عادم لمحرك يعمل على الهيدروجين نصف السائل ثم اطمرها في الجليد. حجر نيزكي على الفور".

"لسائح، ربما". قال كوركي: "ولكن ليس لعالم في ناسا! لم تفسري وجود الحبيبات المعدنية بعد!".

حاولت راشيل أن تتذكر شرح كوركي عن طريقة تشكل الحبيبات المعدنية. "لقد قلت إن الحبيبات المعدنية تتشكل بسبب أحداث التسخين والتبريد السريعة في الفضاء. صحيح؟".

تنهد كوركي: "إن الحبيبات المعدنية تتشكل عندما تتعرض صخرة معتدلة البرودة في الفضاء فجأة إلى تسخين عالٍ لمرحلة الذوبان الجزئي – ما يقارب 1550 درجة سيلسيوس. ومن ثم يجب أن تتعرض الصخرة إلى البرودة مرة أخرى وبسرعة هائلة، عندها تتصلب الجيوب السائلة متحولة إلى حبيبات معدنية".

تمعن تولاند في صديقه: "ولا يمكن أن تحدث هذه العملية هنا على الأرض؟!".

"مستحيل!" قال كوركي: "لا يحتوي هذا الكوكب على الاختلاف الحراري ليسبب ذلك النوع من الانتقال السريع. أنت تتحدث هنا عن الحرارة النووية والانعدام المطلق في الفضاء. هذه الدرجات الهائلة لا توجد على الأرض ببساطة".

فكرت راشيل بذلك: "على الأقل ليس بصورة طبيعية".

التفت كوركي: "ما الذي يفترض أن يعنيه هذا؟".

"لماذا لا يمكن أن تتم أحداث التسخين والتبريد هنا على الأرض بشكل احترافي؟" سألت راشيل: "يمكن أن تكون الصخرة قد تعرضت لحرارة محرك هيدروجين نصف سائل ومن ثم تبردت بسرعة في مجمّدة مبردة".

حدق كوركي بها: "حبيبات ذرية مصنعة؟".

"مجرد فكرة؟".

"فكرة سخيفة". أجابها كوركي وهو يظهر عينة الحجر النيزكي بسرعة: "ربما نسيتِ أن هذه الحبيبات المعدنية قد تم تأريخها بصورة لا تقبل الجدل إلى 190 مليون سنة؟" ازدادت نبرة صوته مراعاةً: "حسب علمي آنسة سيكستون أنه منذ 190 مليون سنة، لم يكن أحد يدير محركات هيدروجين نصف سائل ومجمدات مبّردة".

حبيبات معدنية أم لا، فكر تولاند، إن الدليل يتحطم. لقد مضى عليه عدة دقائق وهو صامت، قلقاً بعمق حول الكشف الجديد لقشرة الانصهار التي قدمتها راشيل. فإن فرضيتها، رغم أنها واضحة بشكل مذهل، قد فتحت جميع أنواع الأبواب الجديدة وجعلت تولاند يفكر في اتجاه جديد. لو أن قشرة الانصهار ممكنة التفسير... ما هي الاحتمالات الأخرى التي يقدمها ذلك؟

"أنت هادئ؟" قالت راشيل من جانبه.

نظر تولاند إليها، وللحظة، في الضوء الصامت للطائرة، رأى الرقة في عيني راشيل فذكرته بسيليا. مبدداً تلك الأفكار، أطلق تنهدة تعبة. "أوه، لقد كنت افكر للتو...".

ابتسمت: "بالأحجار النيزكية؟".

"ما الذي سيكون غير ذلك؟"..

"تمر عبر الدلائل بأكملها، محاولاً استنتاج ما الذي تبقى؟".

"شيء كهذا".

"أية أفكار؟".

"ليس تماماً. فأنا منزعج لمقدار المعلومات التي انهارت على ضوء اكتشاف عمود الإدخال أسفل الجليد".

"إن الدليل الهرمي هو شيء متزعزع". قالت راشيل: "تخلى عن فرضيتك الأساسية ويتزعزع كل شيء. وقد كان موقع اكتشاف الحجر النيزكي هو الفرضية الأساسية".

يا للغرابة! "عندما وصلت إلى ميلني، أخبرني المدير أنه قد تم العثور على الحجر النيزكي داخل قالب قديم من الجليد البالغ عمره ثلاثمئة سنة وكان أكثر كثافة من أي صخرة وجدت في أي مكان في المنطقة، وهذا ما اعتبرته دليلاً منطقياً على أن الصخرة قد سقطت من الفضاء".

"أنت وجميعنا أيضاً".

"محتويات النيكل، رغم أنها مقنعة، هي ليست حاسمة بشكل واضح".

"إنها قريبة"، قال كوركي من جوارها وهو يسترق السمع على ما يبدو.

"ولكنها ليست دقيقة".

قبل كوركي بذلك بإيماءة مترددة.

قال تولاند: "وإن هذه الأنواع من الحشرات الفضائية التي لم ترَ من قبل،

رغم غرابتها المذهلة، يمكن في الواقع أن تكون مجرد قشريات المياه العميقة القديمة جداً".

أومأت راشيل: "والآن قشرة الانصهار...".

"أكره أن أقول ذلك". قال تولاند وهو ينظر إلى كوركي: "ولكن يبدو أن هناك دلائل سلبية أكثر ما تكون إيجابية".

"إن العلم لا يحدد بالأحاسيس الداخلية". قال كوركي: "إنه يتحدد من خلال الدلائل. إن الحبيبات المعدنية في هذه الصخرة هي نيزكية بصورة مطلقة. أوافق معكما أن كل شيء قد رأيناه مزعج بالفعل، ولكننا لا يمكن أن نتجاهل هذه الحبيبات المعدنية. إن الدليل المُصدّق عليه حاسم، بينما الدليل ضده لا يملك أي إثبات".

عبست راشيل: "إذاً إلى أين سيوصلنا هذا؟".

"ليس إلى أي مكان". قال كوركي: "إن الحبيبات المعدنية تثبت أننا نتعامل مع حجر نيزكي، والسؤال الوحيد هو لماذا وضعه شخص ما تحت الجليد".

أراد تولاند أن يؤمن بأن صديقه يتحدث بمنطقية، ولكن شيء ما يبدو خاطئاً.

"لا تبدو مقتنعاً يا مايك". قال كوركي.

أطلق تولاند لصديقه تنهدة محتارة: "لا أعلم، اثنان من أصل ثلاثة ليس أمراً سيئاً يا كوركي. نحن أمام عائق واحد من أصل ثلاثة. إنني فقط أشعر وكأننا نغفل عن أمر ما".

90

لقد تمّ القبض عليّ، فكر كريس هاربر، شاعراً بالقشعريرة وهو يتخيل زنزانة السجن الأميركي. يعلم السيناتور سيكستون أنني كذبت حول برنامج بودس.

وبينما قام مدير بودس بمرافقة غابرييل آش عائداً إلى مكتبه وأغلق الباب، أحس بأن كرهه لمدير ناسا يزداد في تلك اللحظة. ففي هذه الليلة، أدرك هاربر حقيقة كم كان تأثير كذب المدير. بالإضافة إلى إجبار هاربر على الكذب حول إصلاح برنامج بودس، من الواضح أن المدير قد جهز بعض التأمينات في حال تراجع هاربر وقرر ألا يكون لاعباً في الفريق.

دليل على الاختلاس، فكر هاربر، أموال مبتزة، مكر حقيقي. على أية حال، من سيصدق أن مختلساً يحاول تكذيب اللحظة الوحيدة الأعظم في تاريخ فضاء أميركا؟ فقد شهد هاربر مسبقاً المدى الذي سيصل إليه مدير ناسا لإنقاذ وكالة الفضاء الأميركية، والآن، مع إعلان الحجر النيزكي المليء بالمستحاثات، وصلت المخاطرات عنان السماء.

مشى هاربر لثوانٍ عدة حول الطاولة العريضة التي وضع عليها نموذج مقياسي للقمر الصناعي بودس – موشور أسطواني مع عدة هوائيات وعدسات خلف دروع عاكسة. جلست غابرييل، وعيناها السوداوان تراقبان منتظرة. إن الغثيان في أحشاء هاربر ذكره بما كان يشعر خلال المؤتمر الصحفي اللعين. لقد قام بعرض قذر في تلك الليلة، جعل الجميع يستفسر عنه، فتوجب عليه الكذب مرة أخرى والقول إنه كان يشعر بالمرض في تلك الليلة ولم يكن على طبيعته. اشمأز أصدقاؤه والإعلاميون من ذلك المؤتمر الباهت ونسوا أمره بسرعة.

أما الآن فقد عادت الكذبة تلك تلازمه.

لانت تعابير غابرييل آش: "سيد هاربر، بصفة المدير هو العدو، ستحتاج إلى حليف قوي. ويمكن أن يكون السيناتور سيكستون صديقك الوحيد في ذلك. دعنا نبدأ بكذبة برنامج بودس. أخبرني ما الذي حدث".

تنهد هاربر. علم أنه قد حان الوقت لقول الحقيقة. كان يتوجب أن أقول الحقيقة منذ البداية! "لقد انطلق بودس ببراعة". بدأ حديثه: "ثم استقر القمر الصناعي في المدار القطبي المثالي تماماً كما كان مخططاً".

بدا على غابرييل آش الملل، من الواضح أنها تعلم كل هذا: "استمر".

"وبعدها تأتي المشكلة. عندما أقلعنا للبحث داخل الجليد عن شذوذات الكثافة، أخفق برنامج الكشوف عن الشذوذات هناك".

"آه... هاه".

انطلقت كلمات هاربر بصورة أسرع الآن: "كان من المفروض أن يتمكن البرنامج من أن يفحص بشكل سريع آلاف المساحات من المعطيات، ويعين أجزاء الجليد التي تقع خارج مدى الكثافة الطبيعية للجليد. بشكل أساسي، كان البرنامج يبحث عن البقع الرقيقة في الجليد – إشارات لارتفاع درجة الحرارة الأرضية – ولكنه إذا عثر على تعارضات كثافة أخرى، فإنه مبرمج للإشارة

إليها أيضاً. كانت الخطة الموضوعة لبودس أن يفحص المنطقة القطبية الشمالية خلال عدة أسابيع ويحدد أية شذوذات يمكن استخدامها لقياس ارتفاع درجة الحرارة الأرضية".

"ولكن من دون برنامج يعمل بشكل جيد"، قالت غابرييل: "لم يكن لبودس أية فائدة. عندها يتوجب على ناسا أن تفحص صور كل إنش مربع (6.5 سنتيمتر مربع) من المحيط يدوياً، بحثاً عن البقع ذات المشاكل".

أومأ هاربر مريحاً نفسه من كابوس خطأ برمجته: "وهذا سيستغرق عقوداً. كان الموقف رهيباً. بسبب خطأ في برمجتي، أصبحت بودس لا قيمة لها على الإطلاق. وبقدوم الانتخابات وكون السيناتور سيكستون ناقداً كثيراً لناسا..." ثم تنهد.

"كان خطأك مدمراً لناسا وللرئيس".

"لقد حدث ذلك في أسوأ توقيت له. كان المدير غاضباً جداً. وعدته أن أتمكن من إصلاح المشكلة خلال مهمة المكوك القادمة – أمر بسيط من خلال إبدال الرقاقة التي تحمل نظام برنامج بودس. ولكن ذلك كان متأخراً جداً. أرسلني إلى المنزل بإجازة – ولكن في الحقيقة كنت مطروداً من العمل. حدث هذا منذ شهر".

"ولكنك ظهرت على شاشة التلفاز منذ أسبوعين تعلن أنك قد وجدت التفافاً حول المشكلة".

انكمش هاربر: "خطأ فظيع، كان ذلك في اليوم الذي تلقيت فيه اتصالاً يائساً من المدير. أخبرني أن شيئاً ما قد حدث فجأة، طريقة ممكنة لتخليص نفسي. حضرت إلى المكتب على الفور، والتقيت معه. عندها طلب مني أن أعقد مؤتمراً وأخبر الجميع أنني قد وجدت التفافاً حول برنامج بودس وأننا سنحصل على المعلومات في غضون أسابيع قليلة، وقال إنه سيوضح لي الأمر فيما بعد".

"ووافقت على ذلك".

"لا، رفضت الأمر! ولكن بعد ساعة، عاد المدير إلى مكتبي – مع مستشارة البيت الأبيض الأعلى مقاماً!".

"ماذا!" بدا أن غابرييل قد صُعقت لسماع هذا: "مارجوري تينش؟".

المخلوق البغيض، فكر هاربر وهو يومئ: "جلست هي والمدير وأخبراني

أن خطأي قد وضع ناسا والرئيس ببساطة على حافة انهيار كامل. وأخبرتني الآنسة تينش عن خطط السيناتور في خصخصة ناسا. وقالت إنني أدين للرئيس ولوكالة الفضاء بإصلاح جميع الأمور. ومن ثم أخبرتني كيف ذلك".

انحنت غابرييل نحو الأمام: "استمر".

"أعلمتني مارجوري تينش أن البيت الأبيض، بحظه الجيد، قد حصل على دليل جيولوجي قوي أن حجراً نيزكياً ضخماً قد طُمر في الرف الجليدي في ميلني. واحد من أكبر الأحجار على الإطلاق. حجر بذلك الحجم سيكون اكتشافاً عظيماً لناسا".

بدا على غابرييل الذهول: "انتظر، أتقول إن شخصاً ما كان يعلم مسبقاً بأن الحجر النيزكي هناك قبل أن تكتشفه بودس؟".

"نعم، ليس لبودس أية علاقة بذلك الاكتشاف. فالمدير كان يعلم بوجود الحجر النيزكي من قبل. لقد أخبرني بالإحداثيات وطلب مني أن أعيد وضع بودس فوق الرف الجليدي وأتظاهر أن بودس قد قامت بالاكتشاف".

"أتمزح معي؟".

"لقد كان ذلك ردة فعلي عندما طلبا مني المشاركة بذلك الأمر الزائف، ورفضا إخباري كيف علما بوجود الحجر النيزكي هناك، كما أن الآنسة تينش أصرت على أنه أمر غير مهم وأن هذه هي الفرصة المثالية للتعويض عن خطأي في بودس. فلو تظاهرت بأن القمر الصناعي بودس هو الذي حدد موقع الحجر النيزكي، عندها تتمكن ناسا من الثناء على بودس واعتباره نجاحاً عظيماً وتدفع الرئيس أيضاً في الانتخابات".

امتلأت غابرييل رهبة: "وبالطبع لن تتمكن من الادعاء بأن بودس قد كشفت الحجر النيزكي قبل أن تعلن أنه قد تم إصلاح برنامج بودس للكشف عن الشذوذات وهو يعمل الآن".

قال هاربر: "لهذا السبب كانت كذبة المؤتمر الصحفي، كنت مجبراً عليها. كان تينش والمدير لا يرحمان. ذكراني بأنني قد خذلت الجميع - الرئيس الذي موّل مشروع بودس، وناسا التي أنفقت سنوات عدة عليه، وأنا الآن قمت بإفشال الأمر بأكمله من خلال خطأ برمجي".

"لذلك وافقت على المساعدة".

"لم يكن لديّ الخيار، كان لمهنتي أن تنتهي بشكل أساسي في حال لم أفعل

ذلك. والحقيقة أنني لو لم أخطئ في البرنامج، لتمكنت بودس من اكتشاف الحجر النيزكي وحدها. لذا، بدا أنها كذبة صغيرة في ذلك الوقت. لقد بررت الأمر من خلال إخبار نفسي بأنه سيتم إصلاح البرنامج خلال أشهر قليلة عندما ينطلق مكوك الفضاء. لذلك، سأقوم ببساطة بإعلان الإصلاح أبكر من وقته بقليل".

أطلقت غابرييل صفيراً: "كذبة صغيرة للاستفادة من فرصة نيزكية".

كان هاربر يشعر بالغثيان وهو يتحدث عنه: "لذا... قمت بذلك. متبعاً أوامر المدير، عقدت المؤتمر الصحفي معلناً فيه أنني قد وجدت التفافاً لبرنامج الكشف عن الشذوذات. انتظرت لأيام قليلة ومن ثم أعدت وضع بودس فوق الإحداثيات النيزكية التي أمرني بها المدير. وبعدها، متبعاً السلسلة المضبوطة للأوامر، اتصلت بمدير (إي أو أس) وأخبرته بأن بودس قد حدد موقع كثافة قاسية بشكل شاذ في الرف الصخري الجليدي. أعطيته الإحداثيات وأخبرته أن الشذوذ يظهر في كثافة ملائمة ليكون حجراً نيزكياً. وبصورة مثارة، أرسلت ناسا فريقاً صغيراً إلى ميلني لأخذ بعض العينات من الثقوب. ذلك كان عندما تحولت العملية إلى السرية البالغة".

"إذاً، لم يكن لديك أية فكرة أن الحجر النيزكي يحتوي على مستحاثات حتى الليلة؟".

"لم يعرف أحد هنا بذلك. جميعنا مذهولون. الجميع يدعونني بالبطل لاكتشافي دليلاً على صيغ بيولوجية خارج الأرض، ولا أعلم ما أقول".

صمتت غابرييل للحظة طويلة، تتفحص هاربر بعينين صارمتين سوداوين: "ولكن لو أن بودس لم تحدد موقع الحجر النيزكي في الجليد، كيف علم المدير بأن الحجر النيزكي كان هناك؟".

"شخص آخر وجده هناك أولاً".

"شخص آخر؟ من؟".

تنهد هاربر: "عالم جيولوجي كندي اسمه تشارلز بروفي - باحث في جزيرة إيلزمير. يبدو أنه كان يقوم برصد جليدي جيولوجي في الرف الجليدي في ميلني عندما اكتشف صدفة وجود ما ظهر أنه حجر نيزكي ضخم في الجليد. قام باتصال لاسلكي، وصدف أن اعترضت ناسا ذلك الإرسال".

حدقت غابرييل: "ولكن أليس العالم الكندي غاضباً من أن ناسا قد استحوذت على شرف ذلك الاكتشاف؟".

"لا"، قال هاربر وهو يشعر بقشعريرة: "بصورة مناسبة، إنه ميت".

91

أغلق مايكل تولاند عينيه وأخذ يستمع إلى أزيز محرك الطائرة (جي 4). لقد استسلم من محاولة التفكير بالمزيد عن الحجر النيزكي حتى عودته إلى واشنطن. فإن الحبيبات المعدنية، وفقاً لكوركي، هي حاسمة؛ الصخرة في الرف الجليدي في ميلني لا يمكن إلا أن تكون حجراً نيزكياً. أما راشيل فقد تمنت أن يكون لديها جواب نهائي لويليم بيكرينغ في الوقت الذي يهبطون فيه، ولكن خبراتها الفكرية قد وصلت إلى نهاية عقيمة مع تلك الحبيبات المعدنية. فبنفس الدرجة التي كان فيها دليل الحجر النيزكي مريباً، بدا الحجر النيزكي أصلياً.

ليكن كذلك.

كان من الواضح أن راشيل قد تأثرت بسبب الرضوض في المحيط، وكان تولاند مذهولاً لمرونتها. كانت تركز الآن على القضية الحالية – محاولة إيجاد طريقة لتكشف زيف أو مصداقية الحجر النيزكي ومحاولة تحديد من كان يحاول قتلهم.

خلال معظم أوقات الرحلة، كانت راشيل تجلس جانب تولاند، وقد استمتع بالحديث معها، رغم الظروف الشاقة. ولكن منذ عدة دقائق، توجهت عائدة إلى غرفة الاستراحة، أما تولاند فقد كان متفاجئاً من نفسه التي اشتاقت لها بجانبه. تساءل كم مضى من الوقت ولم يفقد حضور أية امرأة – امرأة غير سيليا.

"سيد تولاند؟".

نظر تولاند إلى الأعلى.

أبرز الطيار رأسه من الحجرة: "لقد طلبت مني إعلامك عند وصولنا إلى مدى اتصال هاتفي مع سفينتك؟ أستطيع الحصول على ذلك الاتصال لو رغبت".

"شكراً". خطى تولاند طريقه إلى الممشى.

داخل حجرة الطيار، اتصل تولاند مع طاقمه. أراد أن يعلمهم أنه لن يتمكن من العودة قبل يوم أو يومين. وبالطبع، لم يكن لديه نية في إخبارهم المشاكل التي وصل إليها.

رن الهاتف عدة مرات، وكان تولاند متفاجئاً لسماعه نظام الاتصالات الخاص بالسفينة (شينكوم 2100) يجيب. فلم تكن الرسالة الصادرة هي التحية

المألوفة ذات الصوت الاحترافي ولكنه الصوت الفظ لواحد من طاقم تولاند، المزّاح على متن السفينة.

"هيا، هيا، هذه هي الغويا". أعلن الصوت. "نأسف لعدم وجود أي شخص هنا حالياً، فقد تم اختطافنا جميعاً من قبل قملة ضخمة جداً! في الواقع، لقد حصلنا على إذن مؤقت للذهاب إلى الشاطئ للاحتفال بليلة مايك الرائعة. يا للفرحة، ألا يتوجب أن نكون فخورين! يمكن أن تترك اسمك ورقمك، وربما سنعود غداً عندما نصحو من سكرنا. إلى اللقاء!".

ضحك تولاند فهو يفتقد طاقمه كثيراً. من الواضح، أنهم شاهدوا المؤتمر الصحفي. كان مسروراً لذهابهم إلى الشاطئ؛ لقد تركهم فجأة عندما اتصل به الرئيس، وإن جلوسهم عاطلين عن العمل في البحر هو أمر جنوني. رغم أن الرسالة كانت تقول إن الجميع قد ذهب إلى الشاطئ، كان على تولاند الافتراض بأنه لا يمكن لهم ترك سفينته دون وجود أي شخص فيها، وخصوصاً في التيارات القوية حيث كانت ترسو.

ضغط تولاند الشيفرة الرقمية ليستمع لأي رسالة صوتية قد تركوها له. رن الهاتف مرة واحدة، رسالة واحدة. كان الصوت هو نفسه لعضو الطاقم الفظ.

"أهلاً مايك، ياله من عرض! لو كنت تسمع هذا، فربما أنت تقرأ رسائلك من حفلة فاخرة في البيت الأبيض وتتساءل أين نحن بحق الجحيم. نأسف أننا تركنا سفينتك يا صديقي، ولكن الليلة لم تكن مناسبة للحفلات الساذجة. لا تقلق، لقد قمنا بتثبيتها بشكل جيد وتركنا أضواء الشرفة مشتعلة. نحن نأمل سراً أن تتعرض للقرصنة، عندها ستدع (إن بي سي) تشتري لك ذلك القارب الجديد. إني أمزح فقط. لقد وافقت زافيا على أن تبقى على متنها وتراقب الحصن، قالت إنها تفضل قضاء الوقت وحدها على أن تحتفل مع باقة من بائعي السمك الثملين؟ أتستطيع تصديق هذا؟".

ضحك تولاند بخفوت، وقد استراح ليسمع أن شخصاً ما على متن السفينة يراقبها. كانت زافيا جديرة بالمسؤولية، بالتأكيد ليست من النوع المحب للحفلات. زافيا هي عالمة جيولوجية بحرية محترمة، ويعرف عنها التكلم بصراحة بأمانة لاذعة.

"على أية حال، يا مايك". استمرت الرسالة: "كانت هذه الليلة لا تصدق،

نوع من الليالي يجعلك فخوراً لكونك عالماً، أليس كذلك؟ الجميع يتحدث عن فائدة هذا لصالح ناسا. تباً ناسا، يا للعجب! وهذا يبدو أيضاً من مصلحتنا! إن إحصائيات 'البحار المذهلة' لا بد أنها ارتفعت عدة ملايين نقطة هذه الليلة. أنت نجم، يا رجل، نجم حقيقي. تهانينا، عمل رائع!".

كان هناك حديث هادئ على الهاتف، ومن ثم ظهر الصوت: "أوه، بالحديث عن زافيا، فقط كي لا تفخر بنفسك كثيراً، تريد أن تهزأ منك حول أمر ما. ها هي".

ظهر صوت زافيا الحاد على الآلة: "مايك، أنا زافيا، أنت عظيم يا مايك. فقط لأنني أحبك كثيراً، وافقت أن أرعى حطامك العتيق هذا. بصراحة، إنه أمر رائع، أن تبتعد عن هؤلاء المجرمين الذين تدعونهم بالعلماء. على أية حال، بالإضافة إلى رعاية السفينة، طلب مني الطاقم، بصفتي العاهرة على متن السفينة، أن أفعل ما بوسعي لأبعدك عن أن تصبح ابن زنا مغرور، الأمر الذي أدركت صعوبته بعد هذه الليلة، ولكن يجب أن أكون أول من يقول لك بأنك قد أخطأت في برنامجك الوثائقي. نعم، سمعتني. عقل مايكل تولاند الفذ يخرج ريحاً. لا تقلق، هناك حوالى ثلاثة أشخاص فقط على الأرض سيلاحظون ذلك، وجميعهم علماء جيولوجيا بحرية قادرون على الاستمساك الشرجي، ولا يملكون روح الدعابة على الإطلاق. يشبهونني كثيراً. ولكن أنت تعلم ما يقولونه عنا نحن علماء الجيولوجيا - دائماً نبحث عن الأخطاء!" ثم ضحكت: "على أية حال، إنه أمر تافه، فكرة صغيرة جداً عن بترولوجيا الأحجار النيزكية. لقد ذكرتها فقط لأخرب لك ليلتك. ربما ستتلقى مكالمة أو مكالمتين حول هذا، لذلك فكرت أن علي تحذيرك لكي لا تبدو وكأنك الأبله، الأمر الذي يعرف جميعنا حقيقته". ضحكت مرة أخرى. "على أية حال، أنا لا أحب الحفلات كثيراً، لذا سأبقى على متن السفينة. لا تكلف نفسك عناء الاتصال بي، لقد توجب علي أن أشغل الآلة لأن الصحافة اللعينة كانت تتصل طوال الليل. أنت نجم حقيقي هذه الليلة، رغم حماقتك. على أية حال، سأزودك بالمعلومات عندما تصل إلى هنا. إلى اللقاء".

انقطع الاتصال.

عبس مايكل تولاند، خطأ في برنامجي الوثائقي؟

وقفت راشيل سيكستون في غرفة استراحة طائرة (جي 4) ونظرت إلى

نفسها في المرآة، ثم فكرت، تبدو شاحبة، أكثر ضعفاً مما تخيلتــه. إن أحــداث الليلة المرعبة قد سلبت الكثير منها. تساءلت كم سيستغرق من الوقت قبــل أن تتوقف عن الرجفة أو قبل أن تقترب من المحــيط. نازعــة قبعــة غواصة شارلوت، جعلت شعرها يتدلى. هكذا أفضل، قالت لنفسها، تشعر بالراحة أكثر.

عندما نظرت إلى عينيها، أحست راشيل بقلق عميق، رغم التصميم الذي رأته وراء ذلك. علمت أن ذلك هبة من والدتها. لا أحد يقول لك ما يمكنك فعله أو ما لا يمكنك فعله. تساءلت راشيل فيما إذا كانت والدتها قد شاهدت ما حدث لها الليلة. أحدهم حاول قتلي يا أمي، أحدهم حاول قتلنا جميعاً...

عقل راشيل، الذي مضى عليه ساعات الآن وهو على تلك الحــال، بدأ يقلب قائمة الأسماء.

لورانس إيكستروم... مارجوري تينش... الرئيس زاك هيرني. جمــيعهم يمتلكون الدوافع. والأمر الأكثر رعباً، أن جميعهم يمتلكون الوسائل. الــرئيس ليس مشتركاً معهم، قالت راشيل لنفسها، وهي تتشبث بأمل أن الــرئيس الــذي تحترمه أكثر من والدها هو مجرد متفرج غير مذنب في هذا الحادث الغامض.

إننا لا نعلم شيئاً بعد.

لا نعلم من... لا نعلم الشروط... لا نعلم السبب.

أرادت راشيل أن تحصل على أجوبة من أجل ويليام بيكرينغ، ولكن كــل ما تمكنت منه حتى الآن هو إثارة المزيد من الأسئلة.

عندما غادرت راشيل غرفة الاستراحة، كانت متفاجئة لرؤية أن مايكــل تولاند ليس في مقعده. أما كوركي فكان يغط في نوم خفيف في الجوار. وبينما تنظر راشيل من حولها، ظهر مايك من حجرة الطيار عندما كان الطيار يغلــق الهاتف.

"ما الأمر؟" سألت راشيل.

كان صوت تولاند قوياً وهو يخبرها عن الرسالة الهاتفية.

خطأ في العرض التقديمي؟ فكرت راشيل أن تولاند يبالغ كثيراً فــي رده فعله. "إنه ربما أمر تافه. لم تخبرك بالتحديد ما هو الخطأ؟".

"شيء يتعلق ببترولوجيا الحجر النيزكي؟".

"بنية الحجر؟".

"نعم، لقد قالت إن الأشخاص الذين سيلاحظون الخطأ هم قلة من علمــاء

الهيبولوجيا فقط. وبدا أنه مهما كان الخطأ الذي ارتكبته فهو يتعلق ببنية الحجر النيزكي نفسه".

أطلقت راشيل نَفَساً سريعاً، لقد فهمت الآن: "الحبيبات المعدنية؟".

"لا أعلم، ولكنه يبدو صدفةً".

وافقت راشيل. إن الحبيبات المعدنية هي الجزء الوحيد المتبقي من الدلائل التي تدعم بشكل مطلق ادعاءات ناسا بأن ذلك كان في الواقع حجراً نيزكياً.

قدم كوركي وهو يفرك عينيه: "ما الذي يجري؟".

أخبره تولاند بالأمر.

عبس كوركي، هازّاً رأسه: "إنها ليست مشكلة تتعلق بالحبيبات المعدنية يا مايك. مستحيل. إن جميع معلوماتك قد صدرت من ناسا، ومني أيضاً، وهي خالية من الأخطاء".

"ما الخطأ البترولوجي الآخر الذي قمتُ به؟".

"من يعلم بحق الجحيم؟ علاوة على ذلك، ماذا يعرف علماء جيولوجيا البحار عن الحبيبات المعدنية؟".

"لا أعلم، ولكنها كانت صريحة جداً".

"نظراً للظروف". قالت راشيل: "أعتقد أنه يجب أن نتحدث مع هذه المرأة قبل الحديث مع المدير بيكرينغ".

هزّ تولاند كتفيه مستهجناً: "لقد اتصلت بها أربع مرات فأجابتني الآلة. ربما تكون في المختبر المائي فلا تتمكن من سماع أي شيء. وإنها لن تتلقى رسائلي حتى الصباح بأسرع ما يمكن". صمت تولاند ناظراً إلى ساعته: "ولكن...".

"لكن ماذا؟".

نظر تولاند إليها بحدة: "ما أهمية الحديث مع زافيا قبل الحديث مع بيكرينغ حسب اعتقادك؟".

قالت راشيل: "لو كانت تملك أي شيء لتقوله عن الحبيبات المعدنية؟ عندها أقول إن الأمر بالغ الأهمية يا مايك. ففي هذه اللحظة، إننا نمتلك جميع أنواع المعلومات المتناقضة. إن ويليام بيكرينغ رجل معتاد على الحصول على الإجابات الواضحة. فعندما نلتقي به، أحب أن يكون لدينا معلومات مهمة له كي يعتمد عليها".

"إذاً يجب أن نتوقف".

ترددت راشيل ثم قالت مستغربة: "على سفينتك؟".

"إنها قبالة ساحل نيوجرسي، بشكل مباشر تقريباً على طريقنا إلى واشنطن. يمكننا أن نتحدث مع زافيا ونعلم ما الذي تعرفه. ولا يزال كوركي يمتلك عينة الحجر النيزكي، فلو أرادت زافيا القيام ببعض الفحوصات الجيولوجية، فإن السفينة تحتوي على مختبر مزود بالمعدات. ولا أتصور بأن الأمر سيستغرق منا أكثر من ساعة واحدة للحصول على إجابات حاسمة".

شعرت راشيل بازدياد قلقها. فالتفكير بمواجهة المحيط مرة أخرى بسرعة يثير أعصابها. إجابات حاسمة، قالت لنفسها وقد أُغريت بإمكانية الحصول على ذلك. من المؤكد أن بيكرينغ يريد الحصول على إجابات.

92

كان دلتا واحد مسروراً لعودته إلى الأرض الصلبة.

إن طائرة الأورورا رغم طيرانها بنصف طاقتها فقط وعبورها طريق المحيط غير المباشر، أكملت رحلتها بأقل من ساعتين ومنحت دلتا فورس فرصة جيدة للبدء بتنظيم أنفسهم مرة أخرى والتحضير لمهمة القتل الإضافية التي أمرهم بها القائد.

الآن، على مدرج عسكري خاص خارج (دي سي)، ترك دلتا فورس طائرة الأورورا خلفهم وصعدوا إلى وسيلة نقلهم الجديدة – هيلكوبتر محاربي الكايوا التي وقفت بانتظارهم (أو إتش 58 دي).

مرة أخرى، لقد اختار القائد الأفضل، فكر دلتا واحد.

طائرة محاربي الكايوا قد صممت في الأصل على أنها هيلكوبتر خفيفة للمراقبات، ولكن قد تم 'توسيعها وتحسينها' لإنشاء الطائرة العسكرية الأحدث في أنواع الحوامات الهجومية. تفتخر الكايوا باحتوائها قابلية التصوير الحراري بالأشعة تحت الحمراء والتي تمكن محدد المواقع داخلها/كاشف المدى الليزري من تحديد موقع تلقائي لأسلحة الدقة المضبوطة بالليزر مثل صواريخ ستينغر جو – جو والنظام الصاروخي الناري (أي جي إم – 1148). كما يمكن المعالج الذي يعمل بالإشارات الرقمية ذات السرعة العالية بتعقب عدة أهداف في وقت واحد يصل إلى ستة أهداف. القليل من الأعداء تمكن من رؤية الكايوا عن قرب وبقي على قيد الحياة لينقل أحداثها.

شعر دلتا واحد باندفاع القوة المألوف وهو يصعد إلى مقعد طيار الكايوا ويربط نفسه في الداخل. لقد تدرب على هذه الطائرة وحلق داخلها في مهمات سرية ثلاث مرات. بالطبع، لم ينطلق فيها من قبل على الإطلاق للقضاء على موظف أميركي رسمي مشهور. كان عليه الاعتراف بأن الكايوا هي الطائرة المناسبة للقيام بهذا العمل. حيث إن محركها رولز – رويس آليسون وزوج شفرات المراوح النصف القاسية يعملان بصمت، وهذا يعني بشكل أساسي أنه لا يمكن للأهداف التي على الأرض أن تسمع الطائرة إلى أن تصبح فوقهم مباشرة. وبسبب أن الطائرة قادرة على التحليق من دون أضواء ومطلية باللون الأسود التام من دون أية أرقام عاكسة على ذيلها، فهي بشكل أساسي غير مرئية إلا إذا امتلك الهدف راداراً.

طائرات هيلكوبتر سوداء صامتة.

أصيب الباحثون في التآمر بالجنون بسبب هذه الطائرة، فبعضهم زعم أن الهيلكوبترات السوداء الصامتة هي دليل على 'جنود العاصفة التابعة لجماعة نظام العالم الجديد' تحت رعاية الأمم المتحدة. والآخرون زعموا أن هذه الطائرات هي معدات صامتة من عند الغرباء. ومازال الآخرون الذين رأوا الكايوا بشكلها عن قرب في الليل مخدوعين بالتفكير أنهم ينظرون إلى أضواء طير مثبتة على طائرة كبيرة الحجم – طبق وحيد طائر يبدو قادراً على الطيران بشكل عمودي.

مخطئون أيضاً، ولكن القوات العسكرية أحبت ذلك التضليل.

خلال مهمة سرية مؤخراً، حلق دلتا واحد بالكايوا مسلحةً بأكثر التقنيات العسكرية التابعة للولايات المتحدة كتوميةً – سلاح فعال هولوغرافي[38] يلقب باسم (إس آند إم). على الرغم من أن هذا الاختصار يستحضر في الذهن ارتباطاً مع السادوماسوشية، إلا أن (إس آند إم) هي اختصار لـ 'دخان ومرايا' – صور هولوغرافية يتم إسقاطها في السماء فوق منطقة العدو. لقد استخدمت الكايوا تقنية (إس آند إم) لإسقاط صور هولوغرافية لطائرات أميركية فوق قاعدة معادية مضادة للطائرات. وهكذا، يطلق المسلحون المذعورون من الطائرات نيرانهم بجنون على الأشباح المحومة. وعندما تنتهي ذخائرهم بأكملها، تقوم الولايات المتحدة بإرسال الأشياء الحقيقية.

---

38 الهولوغراف: صورة فوتوغرافية ثلاثية الأبعاد.

وبينما ارتفع دلتا واحد ورجاله فوق المدرج، كان لا يزال قـادراً علـ
سماع كلمات قائده. أمامكم هدف آخر. بدا أن ذلك التصريح فظيع بالنظر إلـ
هوية هدفهم الجديد. لكن دلتا واحد ذكر نفسه أنه لم يكن من حقه السؤال. لقد
إعطاء الأوامر لفريقه وسيقومون بتنفيذها بالطريقة التي تم إعلامهما بها تمام
– بقدر ما كانت تلك الطريقة فظيعة.

أتمنى بشدة أن يكون القائد متأكداً من أن هذه هي الخطوة صحيحة.

وبينما ارتفعت الكايوا فوق المدرج، توجه دلتا واحد إلى الجنوب الغربي
لقد رأى النصب التذكاري (إف دي آر) مرتين، ولكن هذه الليلة ستكون أول
مرة يشاهده فيها من الجو.

93

"لقد تمّ اكتشاف هذا الحجر النيزكي في الأصل من قبل عالم جيولوجيا
كندي؟" حدقت غابرييل آش بذهول بالمبرمج الشاب، كريس هـاربر. "وهـذا
الكندي قد توفي الآن؟".

أومأ هاربر بتجهم.

"منذ متى علمت بذلك؟".

"منذ عدة أسابيع. بعد أن أجبرني المدير ومارجوري تينش على الكـذب
في المؤتمر الصحفي، وعلما أنه لا يمكنني التراجع عن وعدي. أخبراني حقيقة
كيف تم اكتشاف الحجر النيزكي".

إن بودس ليست المسؤولة عن العثور على الحجر النيزكي! لم يكن عنـد
غابرييل أية فكرة إلى أين ستؤدي جميع تلك المعلومات، ولكن من الواضح أنه
أمر مخزٍ. أخبار مزعجة لتينش وعظيمة للسيناتور.

"كما ذكرت لك"، قال هاربر ويبدو عليه الكآبة الآن: "إن الطريقة الحقيقية
التي تم فيها اكتشاف الحجر النيزكي هي بواسطة رسالة لاسلكية تم اعتراضها.
هل سمعت عن برنامج يدعى 'إنسبايار': تجربة ناسا في الاتصال اللاسـلكي
الأيونوسفيري في الفيزياء الفضائية؟".

كانت غابرييل قد سمعت بذلك على نحو غامض فقط.

قال هاربر: "إنه أساساً سلسـلة مـن مسـتقبلات التـرددات اللاسـلكية
المنخفضة جداً بالقرب من القطب الشمالي والذي يستمع إلى أصـوات الأرض

- انبعاثات أمواج البلازما من الأضواء الشمالية، النبضات المتكررة من العواصف البرقية، هذا النوع من الأشياء".

"حسناً".

"منذ بضعة أسابيع، تمكن أحد المستقبلات اللاسلكية التابع لإنسبايار من التقاط إرسال شارد من جزيرة إيلزمير. عالم جيولوجيا كندي يطلب النجدة بتردد منخفض بشكل استثنائي". صمت هاربر: "في الواقع، كان الإرسال منخفضاً جداً لدرجة لم يتمكن أحد سوى مستقبلات ناسا الخاصة بالترددات الكهرطيسية المنخفضة من سماعها. افترضنا أن العالم الكندي كان يستعمل الموجات الطويلة".

"عفواً؟".

"أي أنه يرسل بأقل تردد ممكن ليحصل على أبعد مدى لإرساله. لقد كان في منتصف اللامكان، أتذكرين. إن الإرسال بتردد قياسي ربما لم يجعل الرسالة بعيدة كفاية ليتم سماعها".

"ماذا كانت رسالته تقول؟".

"لقد كان الإرسال قصيراً. قال الكندي إنه كان في الخارج يقوم بقياسات جليدية على الرف الجليدي في ميلني، وقد كشف عن كثافة فائقة شاذة مطمورة في الجليد، ويشك بأنها حجر نيزكي ضخم، وخلال قيامه بالقياسات علق في عاصفة. أخبر عن إحداثيات مكانه وطلب إنقاذه من العاصفة، وأنهى ذلك. أرسل مركز ناسا الذي استمع له طائرة من قاعدة ثيول لإنقاذه. قاموا بالبحث لساعات وأخيراً تمكنوا من إيجاده، على بعد أميال بعيداً عن المكان، ميتاً أسفل صدع عميق مع مزلجته وكلابه. يبدو أنه حاول تجاوز العاصفة، فلم يستطع الرؤية، وسقط في الصدع".

فكرت غابرييل بتلك المعلومات بإثارة: "إذاً، علمت ناسا فجأة عن الحجر النيزكي الذي لم يعلم به أي شخص آخر".

"بالضبط... وبسخرية، لو أن برنامجي كان يعمل بشكل جيد، لتمكن قمر بودس الاصطناعي من اكتشاف الحجر النيزكي نفسه - قبل أسبوع من ذلك الكندي".

تلك المصادفة جعلت غابرييل صامتة: "حجر نيزكي مطمور لمدة ثلاثمئة سنة تم اكتشافه تقريباً مرتين خلال الأسبوع نفسه؟".

"أعلم، إنه أمر غريب بعض الشيء، ولكن يمكن أن يكون العلم كـذلك. وليمة أو مجاعة. القصد هو أن المدير شعر وكأنه يجب أن يكون ذلك اكتشافنا على أية خال – لو أنني قمت بعملي بشكل صحيح. وقال لي بسبب أن الكندي ميت، لن يتم إهانة أي شخص لو قمت ببساطة بإعـادة توجيـه بـودس إلـى الإحداثيات التي أرسلها العالم الكندي عند طلب النجدة. وبعـدها، أسـتطيع أن أتظاهر باكتشاف الحجر النيزكي عند البحث، وبذلك نتمكن من إعـادة بعـض الاحترام لإخفاقنا المحرج".

"وهذا ما فعلته".

"كما قلت لك، لم يكن لدي الخيار. لقد أفسدت المهمة بأكملهـا". صـمت قليلاً، "ولكن، في هذه الليلة، عندما سمعت مؤتمر الرئيس الصحفي واكتشـف أن الحجر النيزكي الذي تظاهرت باكتشافه يحتوي مستحاثات...".

"كنت مذهولاً بذلك".

"يمكنني القول، إنني كنت مذهولاً تماماً".

"أتعتقد أن المدير يعلم بأن الحجر النيزكي يحتوي على مستحاثات قبل أن يطلب منك التظاهر بأن بودس قد وجدته؟".

"لا يمكنني تصور كيف. لقد كان الحجر النيزكي مطموراً ولم يلمسه أحد إلى أن وصل أول فريق لناسا إلى هناك. وإن أفضل تخمين بأنه لم يكن لناسـا أية فكرة عما قد وجدوه حقيقة حتى وصل فريق هناك لثقب العينـات والتقـاط صور الأشعة السينية. لقد طلبوا مني الكذب حول بودس، معتقـدين أنهـم قـد حصلوا على نصر متوسط القيمة بذلك الحجر النيزكي الكبير. وبعد وصـولهم إلى هناك، أدركوا كم هي أهمية هذا الاكتشاف".

كان نَفَسُ غابرييل ضعيفاً بسبب الإثارة: "دكتور هاربر، هل ستشهد بـأن ناسا والبيت الأبيض قد أجبراك على الكذب حول برنامج بودس؟".

"لا أعلم". بدا على هاربر الخوف. "لا يمكنني تخيل نوع الضـرر الـذي سيصيب الوكالة... أو ذلك الاكتشاف؟".

"دكتور هاربر، يعلم كلانا بأن هذا الحجر النيزكي سـيبقى اكتشـافاً عظيماً، بغض النظر عن طريقة العثور عليه. القصد هو أنك كذبت علـى الشعب الأميركي. ولديهم الحق أن يعلموا أن بودس ليست كل ما يقوله ناسا عنها".

"لا أعلم. إنني أحتقر المدير ولكن مساعديّ... أناس طيبون".

"فهم يستحقون أن يعلموا أنه تم خداعهم".

"ماذا بشأن دليل الاختلاس ضدي؟".

"يمكنك أن تمحي ذلك من عقلك". قالت غابرييل وقد نسيت تقريباً أمر خدعتها. "سأخبر السيناتور بأنك لا تعلم شيئاً عن الاختلاس. إنه ببساطة عمل ملفق – تأمين تم وضعه من قبل المدير ليبقيك صامتاً بشأن بودس".

"أيستطيع السيناتور حمايتي؟".

"بالكامل. إنك لم ترتكب أي خطأ. وكنت ببساطة تتبع الأوامر. بالإضافة إلى أنه بسبب تلك المعلومات التي أخبرتني بها للتو عن عالم الجيولوجيا الكندي، لا أتخيل أن السيناتور سيحتاج إلى طرح قضية الاختلاس على الإطلاق. يمكن أن نركز بشكل كامل على معلومات ناسا الخاطئة بشأن بودس والحجر النيزكي. وحالما يُذيع السيناتور معلومات الكندي، لن يتمكن المدير من المخاطرة بتشويه سمعتك بذلك الكذب".

لا يزال هاربر يبدو قلقاً. صمت بكآبة وكأنه يتفكر بخياراته. منحته غابرييل لحظة لذلك. لقد أدركت مسبقاً أن هناك صُدفة مقلقة أخرى في هذه القصة. لم ترغب بذكرها، لكنها استطاعت رؤية هاربر يحتاج إلى دفعة أخيرة.

"ألديك كلاب دكتور هاربر؟".

نظر إليها: "عفواً؟".

"فكرت أن ذلك أمر غريب فقط. لقد أخبرتني بأنه بعد وقت قصير من إرسال الكندي إحداثيات الحجر النيزكي، انطلقت كلاب المزلجة على نحو أعمى إلى الصدع العميق؟".

"لقد كان هناك عاصفة، وقد خرجوا عن مسارهم".

هزت غابرييل كتفيها مستهجنة تاركة شكوكها تظهر: "حسناً...".

أحس هاربر بوضوح ترددها: "ما الذي تقولينه؟".

"لا أعلم. هناك فقط الكثير من الصدف المحيطة بهذا الاكتشاف. عالم جيولوجي كندي يقوم بإرسال إحداثيات عن حجر نيزكي بتردد ضعيف تتمكن ناسا فقط من سماعه؟ وبعدها تسقط كلاب المزلجة عمياء في المنحدر؟" صمتت ثم قالت: "أنت بالتأكيد تفهم أن موت العالم الجيولوجي قد مهد الطريق لانتصار ناسا المطلق".

تلاشى اللون من وجه هاربر: "تعتقدين أن المدير سيقتل في سبيل هذا الحجر النيزكي".

سياسة ضخمة. أموال ضخمة. فكرت غابرييل. "دعني أتحدث مع السيناتور وسوف أتصل بك؟ هل هناك طريق خلفي للخروج من هنا؟".

غابرييل آش غادرت كريس هاربر الشاحب، ونزلت عبر بيت سلم الحرائق إلى زقاق فارغ خلف ناسا. أشارت إلى سيارة أجرة كانت قد أوصلت للتو المزيد من المحتفلين بناسا.

"شقق ويست بروك بليس الفارهة (الحسنة)". قالت للسائق. كانت على وشك أن تجعل السيناتور سيكستون رجلاً أكثر سعادةً.

94

متسائلة ما الذي قد وافقت عليه، وقفت راشيل سيكستون أمام مدخل حجرة الطيار لـ (جي 4)، وهي تمدد كابل اتصال مرسل/مستقبل إلى الحجرة الخارجية للتمكن من إجراء مكالمتها بعيداً عن مرمى سمع الطيار. نظر إليها كل من تولاند وكوركي. رغم أن راشيل ومدير مكتب الاستطلاع ويليام بيكرينغ قد خططا لعدم الاتصال حتى وصولها إلى قاعدة الطيران العسكرية بولينغ خارج (دي سي)، فإن راشيل الآن تمتلك معلومات كانت متأكدة من أن بيكرينغ سيستمع إليها على الفور. اتصلت بجواله الآمن، الذي يحمله معه في جميع الأوقات.

عندما تلقى ويليام بيكرينغ المكالمة كان مشغولاً جداً: "تحدث بحرص من فضلك. لا أستطيع ضمان هذا الاتصال".

فهمت راشيل ذلك، فجوال بيكرينغ، كأغلب هواتف مكتب الاستطلاع، يمتلك مؤشراً يكشف الاتصالات القادمة غير الآمنة. ولأن راشيل سيكستون كانت تستعمل هاتفاً لاسلكياً وهو واحد من أقل وسائل الاتصال المتوفرة سرية، قام هاتف بيكرينغ بتحذيره. يجب أن تكون هذه المكالمة غامضة. دون أسماء، ودون مواقع.

"صوتي هو هويتي". قالت راشيل وهي تستعمل التحية المعيارية المستخدمة في مثل هذا الموقف. لقد توقعت أن تكون إجابة بيكرينغ هي الاستياء لأنها خاطرت بالاتصال به، ولكن ردة فعل بيكرينغ بدت إيجابية.

"نعم، كنت على وشك الاتصال بك بنفسي. نحتاج إلى أن نغير الاتجـاه. أنا قلق من أنك ربما ستتلقين حفلة ترحيب".

شعرت راشيل بقلق مفاجئ، شخص ما يراقبنا. استطاعت سـماع ذلـك الخطر في نبرة صوت بيكرينغ. تغيير الاتجاه. سيكون مسروراً ليعلم أنها قـد اتصلت به لذلك الطلب المناسب، وإن يكن لأسباب أخرى بالكامل.

"مسألة مصداقية النيزك". قالت راشيل: "لقد كنا نناقش الأمر. وربما يكون لدينا طريقة لإثبات صحتها أو رفضها بصورة مطلقة".

"ممتاز. لقد حدث تطورات، على الأقل يمكن أن يكون لدي أرض صلبة أعتمد عليها".

"يتضمن الدليل أن نقوم بتوقف سريع. أحدنا يستطيع الوصول إلى منشأة مخبرية -".

"دون مواقع محددة، من فضلك. من أجل سلامتك".

لم يكن لراشيل أية نية في إعلان خططها عبر هذا الهـاتف: "أتسـتطيع الحصول لنا على تصريح للهبوط على (جي أي إس – أي سي)؟".

صمت بيكرينغ للحظة. أحست راشيل أنه يحاول فهم الكلمة. فإن (جي أي إس – أي سي) هي مختصر غامض لتقارير مكتب الاسـتطلاع مـن أجـل المحطة الجوية لخفر السواحل في أتلانتيك سيتي. تمنت راشيل أن يكون المدير يعرف ذلك.

"نعم". قال أخيراً: "أستطيع تدبير ذلك. هل هذا هو وجهتك الأخيرة؟".

"لا، سنطلب هيلكوبتر نقل أخرى".

"ستكون الطائرة بانتظاركم".

"شكراً".

"أنصح بأن تمارسي الاحتياطات البالغة حتى نعلم المزيد. لا تتحدثي لأي شخص. فإن شكوكك قد طرحت المزيد من القلق عند أشخاص ذوي نفوذ".

تينش، فكرت راشيل متمنية لو أنها تمكنت من الاتصال بالرئيس مباشرة.

"أنا في سيارتي حالياً، في طريقي للقاء بتلك المرأة. فقد طلبت لقاءً خاصاً في موقع حيادي. لا بد وأنه سيكشف الكثير".

إن بيكرينغ يقود سيارته إلى مكانٍ ما للقاء مع تينش؟ مهما كان الأمر الـذي ستخبره إياه تينش فلا بد أن يكون مهماً فقد رفضت إخباره إياه على الهاتف.

قال بيكرينغ: "لا تخبري إحداثياتك الأخيرة لأي شخص آخر. ولا أريد المزيد من الاتصالات اللاسلكية. هل هذا واضح؟".

"نعم سيدي. سنكون في (جي أي إس – أي سي) في غضون ساعة".

"النقل سيكون مرتباً، عندما تصلين إلى موقعك النهائي، يمكنك الاتصال بي من خلال قنوات أكثر سرية". صمت ثم قال: "لا يمكنني المبالغة بأهمية السرية من أجل سلامتك. لقد أحدثت أعداءً أصحاب سلطة قوية الليلة. خذي الاحتياطات المناسبة". انقطع الاتصال مع بيكرينغ.

شعرت راشيل بالتوتر وهي تغلق الاتصال ثم التفتت إلى تولاند وكوركي.

"تغير في الوجهة؟" قال تولاند ويبدو عليه الحماسة لمعرفة الإجابات.

أومأت راشيل ويبدو عليها التردد: "الغويا".

تنهد كوركي وهو ينظر إلى أسفل إلى عينة الحجر النيزكي في يده: "ما زلت لا أستطيع تصديق أن ناسا يمكن أن تكون..." غادرهم وهو يشعر بالمزيد من القلق مع كل دقيقة تمر.

سنعرف قريباً، فكرت راشيل.

دخلت حجرة الطيار وأعادت المرسل المستقبل اللاسلكي. محدقة خارج الحاجب الزجاجي بالأكوام المتمايلة من الغيوم المضاءة بنور القمر التي تتسابق أسفل منهم، أحست بشعور مقلق بأنهم لن يحبوا ما سيجدونه على متن سفينة تولاند.

95

أحس ويليام بيكرينغ بالوحدة وهو يقود سيارته على الطريق العام في ليسبيرغ. كانت الساعة حوالى 2:00 ليلاً والطريق مهجور. لقد مضت سنوات منذ أن قاد سيارته في هذا الوقت المتأخر.

صوت مارجوري تينش لا يزال يصر في عقله؛ قابلني عند النصب التذكاري (إف دي آر).

حاول بيكرينغ تذكر آخر مرة رآى فيها مارجوري تينش وجهاً لوجه - لم تكن تجربة سارة على الإطلاق. كان ذلك منذ شهرين، في البيت الأبيض. كانت تينش تجلس مقابل بيكرينغ على طاولة طويلة من خشب السنديان محاطة

بأعضاء من مجلس الأمن القومي، ومجموعة من المستشارين العسكريين ذوي المقام الأعلى، والمنظمة الاستخباراتية المركزية للولايات المتحدة (سي آي أي)، والرئيس هيرني، ومدير ناسا.

"سادتي". قال رئيس (سي آي أي) وهو ينظر مباشرة إلى مارجوري تينش. "مرة أخرى، أنا هنا أمامكم لأحث هذه الإدارة على مواجهة الأزمة الاستخباراتية المستمرة لناسا".

لم يثر هذا التصريح استغراب أي شخص في الغرفة. فقد كانت كوارث ناسا الاستخباراتية قضية متعبة في المجتمع الاستخباراتي. فقبل يومين، تمت سرقة أكثر من ثلاثمئة صورة عالية الدقة من أحد الأقمار الصناعية المراقبة للأرض التابعة لناسا من قبل لصوص مبرمجين استطاعوا الدخول على قاعدة البيانات الخاصة بناسا. الصور التي ظهرت في السوق السوداء – كانت تكشف بطريقة غير مقصودة مركز تدريب عسكري سري للولايات المتحدة في شمال إفريقيا – حيث تم شراؤها من قبل وكالات استخباراتية معادية في الشرق الأوسط.

"رغم أفضل النوايا"، قال مدير (سي آي إي) بصوت مكتئب: "استمرت ناسا في كونها تهديداً للأمن القومي. ببساطة لأن وكالتنا الفضائية غير مجهزة لحماية المعلومات والتقنيات التي تطورها".

أجابه الرئيس: "أدرك أنه قد كان هناك حماقات، وتسريبات ضارة. وهذا أقلقني بشدة". أشار عبر الطاولة إلى الوجه المتجهم لمدير ناسا لورانس إيكستروم. "ولكننا لا نزال نبحث في طرق لتحسين أمن ناسا".

"مع كل الاحترام المتوجب"، قال مدير (سي آي أي) "مهما كانت التغيرات الأمنية فستبقى أجهزة ناسا غير فعالة طالما أن عمليات ناسا تبقى خارج رعاية المجتمع الاستخباراتي في الولايات المتحدة".

أثارت العبارة حفيفاً مضطرباً بين أولئك المجتمعين، فقد علم الجميع إلى أين ستؤدي.

"كما تعلمون"، تابع مدير (سي آي أي) حديثه بنبرة حادة: "إن جميع الوكالات الأميركية الحكومية التي تتعامل بمعلومات استخباراتية حساسة هي محكومة من قبل قوانين أمنية صارمة – القوات العسكرية، (سي آي أي)، (إن سي إي)، (إن آر أو) – يتوجب عليها كلها أن تلتزم بقوانين صارمة تخص

إخفاء المعلومات التي يجمعونها والتقنيات التي يطورونها. أسألكم جميعاً مرة أخرى لماذا ناسا – الوكالة التي تقدم حالياً أكبر جزء من التقنيات المتطورة للفضاء، والتصوير والطيران والبرامج والاستطلاع والاتصالات المستخدمة من قبل المجتمعات الاستخباراتية والعسكرية – تقع خارج هذه الرعاية الأمنية".

أطلق الرئيس تنهدة ثقيلة. لقد كان الاقتراح واضحاً. إعادة تشكيل ناسا لتصبح جزءاً من المجتمع الاستخباراتي العسكري للولايات المتحدة. رغم أنه قد تم القيام بإعادة تشكيلات مشابهة مع وكالات أخرى في الماضي، إلا أن هيرني رفض التفكير بوضع ناسا تحت رعاية البنتاغون، أو(سي آي أي)، أو(إن آر أو) أو أية توجيهات عسكرية أخرى. وقد بدأ مجلس الأمن القومي ينشق بسبب تلك القضية، معظمهم كان مع جانب المجتمع الاستخباراتي.

لم يكن لورانس إيكستروم مسروراً في مثل هذه اللقاءات على الإطلاق، وهذا اللقاء واحد منها. أطلق حملة لاذعة باتجاه مدير (سي آي أي). "أخشى أنني سأقوم بإعادة ما قلته، سيدي، إن التقنيات التي تطورها ناسا هي خاصة للتطبيقات غير العسكرية أو الأكاديمية. ولو أراد مجتمعك الاستخباراتي أن يغير مسار أحد مقراباتنا الفضائية ومراقبة الصين، فإن ذلك سيكون خيارك".

بدا أن مدير (سي آي أي) يهتاج غضباً.

نظر بيكرينغ إلى عينه واشترك في الحديث: "لاري"، قال وهو حذر للمحافظة على نبرة صوته هادئة. "تركع ناسا في كل عام أمام مجلس الشيوخ وتستجدي منهم الأموال. أنت تقوم بالعمليات بتمويل قليل، وتدفع الثمن بالحصول على مهمات مخفقة. إذا قمنا بدمج ناسا داخل المجتمع الاستخباراتي، لن تحتاج بعد الآن إلى سؤال مجلس الشيوخ من أجل المساعدة. سيتم تمويلكم من الميزانية السوداء بمستويات أعلى بشكل كبير. ذلك سيجلب الفائدة للجميع. ستمتلك ناسا الأموال التي تحتاج إليها لتسيير نفسها بشكل ملائم، وسيكون المجتمع الاستخباراتي مرتاحاً لحماية تقنيات ناسا".

هزّ إيكستروم رأسه: "من حيث المبدأ، لا أستطيع أن أصادق على تلوين ناسا بتلك الفرشاة. ناسا تعنى بعلم الفضاء، ولا علاقة لنا بالأمن القومي".

نهض مدير (سي آي أي)، الشيء الذي لا يحدث على الإطلاق عندما يكون الرئيس جالساً. لم يوقفه أحد. حملق في وجه مدير ناسا: "أتقول إنك تعتقد

بأنه لا علاقة للعلم بالأمن القومي؟ لاري، إنهما مترادفتان لكلمة واحدة، بحق الله! إنه فقط التطور العلمي والتكنولوجيا الخاصة بهذا البلد هما اللذان يجعلاننا آمنين، وسواء أحببنا ذلك أم لا، فإن ناسا تؤدي دوراً أكبر فأكبر في تطوير هذه التقنيات. للأسف، إن وكالتك ترشح كالمنخل وقد أثبتت مراراً أن أمنها هو المسؤول عن ذلك!".

ساد الصمت في الغرفة.

نهض مدير ناسا وثبّت نظره في مهاجمه: "إذاً تقترح القفل على عشرين ألف عالم تابع لناسا في مخابر عسكرية محكمة الإغلاق، وتجعلهم يعملون لصالحك؟ أتعتقد حقاً أن أحدث مقرابات ناسا الفضائية كان سيتم اختراعها لولا أنها رغبة علمائنا الشخصية أن يكتشفوا المزيد عن الفضاء؟ إن ناسا تقوم بتقدمات مذهلة لسبب واحد فقط – يريد موظفونا أن يفهموا نظام الكون على نحو أعمق. هناك مجتمع من الحالمين الذين كبروا وهم ينظرون إلى السماء المزدانة بالنجوم ويسألون أنفسهم ما الذي يوجد هناك. الاهتمام وحب الاستطلاع هما اللذان يقودان مسيرة ابتكار ناسا، وليس الوعد بأفضلية عسكرية".

تنحنح بيكرينغ وهو يتحدث بلطف محاولاً تهدئة الحرارة حول الطاولة. "لاري، أنا واثق من أن المدير لا يتحدث عن تجنيد علماء ناسا لبناء أقمار صناعية عسكرية. إن أهداف ناسا لن تتغير. وستقوم ناسا بإدارة أعمالها كالمعتاد، باستثناء أنكم ستحصلون على زيادة من التمويل وزيادة من الأمن". التفت بيكرينغ الآن نحو الرئيس: "إن الأمن شيء باهظ الثمن. ويدرك كل شخص في هذه الغرفة أن أمن ناسا يتسرب بالتأكيد نتيجة نقص التمويل. يتوجب على ناسا أن تنفخ في بوقها هي، وتأخذ حذرها في الحسابات الأمنية، وتقوم بمشاريع مشتركة مع بلدان أخرى لتتمكن من مقاسمة التكلفة. أقترح أن تبقى ناسا وكالة جليلة وعلمية وغير عسكرية ولكن بميزانية أكبر وبعض الحيطة أكثر".

أومأ العديد من أعضاء المجلس الاستخباراتي بالموافقة التامة.

نهض الرئيس هيرني ببطء وهو ينظر مباشرة إلى ويليام بيكرينغ، ومن الواضح أنه غير متفاجئ على الإطلاق بالطريقة التي استطاع فيها بيكرينغ السيطرة ببساطة. "بيل، دعني أسألك هذا: ناسا تأمل في الذهاب إلى المريخ في

العقد القادم. كيف سيشعر المجتمع الاستخباراتي حيال إنفاق قسم كبير من الميزانية السوداء لتسيير مهمة إلى المريخ - مهمة ليس من ورائها أية فوائد أمن قومية مباشرة؟".

"ستتمكن ناسا من القيام بما يحلو لها".

"هذا هراء!" أجاب هيرني بصراحة.

صوب الجميع نظراتهم إليه، فمن النادر للرئيس هيرني أن يستخدم كلمات بذيئة.

صرح هيرني: "لو أن هناك شيئاً تعلمته بصفتي الرئيس، فهو أن هؤلاء الذين يتحكمون بالأموال يتحكمون أيضاً بالاتجاه. إنني أرفض أن أضع التحكم المالي لشؤون ناسا بأيدي أولئك الذين لا يشاركون الأهداف التي أنشئت هذه الوكالة من أجلها. كل ما أستطيع تخيله كم سيقضى على الكثير من العلم الصرف عندما تقرر القوات العسكرية مهمات ناسا التي يمكن تطبيقها".

تفحصت عينا هيرني الغرفة، وببطء، مستهدفاً، أعاد نظرته الصلبة إلى ويليام بيكرينغ.

"بيل"، تنهد هيرني، "إن استياءك من أن تشارك ناسا في مهمات مشتركة مع وكالات فضائية أجنبية هو أمر يتسم بقلة البصيرة على نحو مؤلم. على الأقل، أحدهم يتعامل مع الصينيين والروس بفائدة. إن السلام في هذا الكوكب لا يمكن أن يتحقق بالقوة العسكرية. سيتحقق بأولئك الذين يتحدون رغم اختلافاتهم الحكومية. لو سألتني، فسأجيبك بأن مهمات ناسا المشتركة تجلب فائدة لتعزيز الأمن القومي أكثر من أية قمر اصطناعي للتجسس بتكلفة بليون دولار، وبأمل أفضل بكثير للمستقبل".

شعر بيكرينغ بغضب يتصاعد عميقاً داخله. كيف يجرؤ سياسي على التحدث معي بهذه الطريقة الفوقية! كانت مثالية هيرني ذات تأثير رائع في غرفة الاجتماعات، ولكنها في العالم الحقيقي تسبب القتل للأشخاص.

"بيل"، اعترضت مارجوري تينش، وكأنها أحست أن بيكرينغ على وشك الانفجار: "تعلم أنك فقدت ابنة. ونعلم أن هذه هي قضية شخصية بالنسبة لك".

لم يسمع بيكرينغ أي شيء إلا العطف في صوتها.

"ولكن أرجوك أن تتذكر". قالت تينش: "إن البيت الأبيض حالياً يسد بوابة فيضان من المستثمرين الذين يريدون منا فتح الفضاء للقطاع الخاص. فلو

سالتني، لأجبتك بأن ناسا، رغم كل أخطائها، هي صديقة حميمة للمجتمع الاستخباراتي. اشكروا ربكم جميعكم!".

أعادت ضجة المحلات التجارية على قارعة الطريق عقل بيكرينغ إلى الحاضر. لاح له المخرج. وبينما اقترب من مخرج (دي سي)، مر بغزال مدمى ميت ممدد على جانب الطريق. شعر بتردد غريب... ولكنه استمر في القيادة.

ينتظره لقاء لا بد من حضوره.

96

كان النصب التذكري لفرانكلين ديلانو روزفيلت (إف دي آر) واحداً من أكبر النصب التذكارية في الدولة، مزوداً بحديقة، وشلالات مياه، وأماكن مظللة، وحوض مياه، ومقسماً إلى أربعة أروقة خارجية، كل واحدة منها تمثل دورة لحكم (إف دي آر) في السلطة.

وعلى بعد ميل من النصب التذكاري، وقفت الكايوا المحاربة الطويلة، منعزلة فوق المدينة، وأضواء طيرانها معتمة. وفي مدينة تتفاخر باحتوائها على العديد من الأشخاص المهمين والطواقم الإعلامية كمدينة (دي سي)، كانت الحوامات في السماء أمراً اعتيادياً كالطيور المحلقة نحو الجنوب. علم دلتا واحد أنه طالما بقي خارج منطقة تدعى 'القبة' - قبة من المجال الجوي المحمي فوق البيت الأبيض - فإنه لن يلفت أي انتباه. إنهم لن يبقوا هنا لوقت طويل.

كانت الكايوا على بعد ألفين ومئة قدم (630 متراً) عندما أبطأت لتقترب ولكن ليس بشكل مباشر من النصب التذكاري المظلم. حوم دلتا واحد ليتأكد من موضعه. نظر إلى يساره، حيث كان دلتا اثنان يجهز نظام التلسكوب الخاص بالرؤية الليلية. أظهرت شاشة الفيديو صورة مُخضرة لطريق مدخل النصب التذكاري. كانت المنطقة فارغة.

سينتظرون الآن.

هذا لن يكون قتلاً هادئاً، فهناك بعض الأشخاص الذين لا يمكن أن تقتلهم ببساطة على نحو هادئ. بغض النظر عن الطريقة، سيكون هناك مضاعفات، تحقيقات، واستجوابات. وفي هذه الحالات، يكون الغطاء الأفضل هو إصدار

ضجة كبيرة، انفجارات، نيران، ودخان. كل هذا سيبدو وكأنك تقوم بتصريح. والاعتقاد الأول سيكون هو الإرهاب الأجنبي. وخاصة عندما يكون الهدف موظفاً مشهوراً جداً.

تفحص دلتا واحد إرسال الرؤية الليلية للنصب التذكاري المغطى بالأشجار أسفلهم. كان مكان الاصطفاف والمدخل فارغين، إن الوقت مبكر.. فكر. إن موقع هذا اللقاء الخاص رغم وجوده داخل المدينة كان فارغاً بالصدفة في مثل هذه الساعة. حول دلتا واحد عينيه عن الشاشة إلى أجهزة التحكم بأسلحته.

نظام الصاروخ الناري سيكون هو السلاح المختار لهذه الليلة. وهو صاروخ موجه بأشعة الليزر ومضاد للدروع، فهو يزود بإمكانية الفتك والنسيان. يمكن للقذائف أن توجّه إلى بقعة ليزرية يتم إسقاطها من قبل مراقبين أرضيين أو من طائرات أخرى أو من الطائرة المطلقة نفسها. هذه الليلة، سيكون الصاروخ موجهاً بشكل تلقائي عبر المشير الليزري في محدد الهدف المنصوب على سارية. فحالما يقوم مشير الكايوا بـ 'تصوير' الهدف بشعاع ليزري، فإن الصاروخ الناري سيكون ذاتي التوجه. ولأن الصاروخ الناري يمكن تصويبه من الهواء أو من الأرض، فإن استعماله هذه الليلة هنا لا يتضمن ضرورة اشتراك طائرة. بالإضافة إلى أن نظام الصاروخ الناري هو ذخيرة متوفرة بين تجار أسلحة السوق السوداء، عندها سيلام النشاط الإرهابي بالتأكيد عن هذا.

"السدان!"[39] قال دلتا اثنان.

نظر دلتا واحد إلى شاشة الإرسال. سدان سوداء فارهة من دون أي علامات مميزة كانت تقترب من طريق العبور في الوقت المحدد تماماً. كانت هذه السيارة النموذجية السرية الخاصة بمسؤولي الحكومة ذوي السلطة العالية. أطفأ سائقها الأضواء الأمامية عند دخوله النصب التذكاري. دارت السيارة عدة مرات ثم وقفت بالقرب من بستان من الأشجار. راقب دلتا واحد الشاشة بينما يقوم مرافقه بتوجيه التلسكوب ذي الرؤية الليلة إلى النافذة الجانبية للسائق. وبعد لحظة، بدا وجه الشخص واضحاً.

أطلق دلتا واحد نَفَساً عميقاً.

---

39 السدان: نوع من السيارات.

"الهدف مؤكد". قال مرافقه.

نظر دلتا واحد إلى شاشة الرؤية الليلية – بصليبيها المميت المحدد لشعرة التعامد – وشعر كأنه القناص الذي يستهدف المَلَكية. الهدف مؤكد، قال لنفسه.

التفت دلتا اثنان إلى الجانب اليساري للحجرة الإلكترونية وفعّل المشير الليزري. وجّه... فظهر على بعد ألفي قدم في الأسفل موقع ضوئي على سطح السدان، غير مرئي بالنسبة إلى سائقها. "تحدد الهدف".

أخذ دلتا واحد نفساً عميقاً وأطلق النار.

أزّ صوت هسهسة حاد أسفل جسم الطائرة يتبعه ذيل معتم على نحو ملحوظ من الإضاءة يندفع كالبرق باتجاه الأرض. بعد ثانية واحدة، تمزقت السيارة في أرض الحديقة إلى أجزاء من اللهب الانفجاري المبهر. طارت الأجزاء المعدنية المتكسرة إلى كل مكان. وتدحرجت الإطارات المحترقة إلى الغابات.

"تم القتل". قال دلتا واحد وقد انطلق بالهيلكوبتر بعيداً عن المنطقة. "اتصل بالقائد".

على بعد أقل من ميلين، كان الرئيس زاك هيرني يتجهز للنوم. تبلغ سماكة نوافذ الليكسان المضادة للرصاص لمكان إقامته إنشاً واحداً (2.5 سم). فلم يسمع هيرني الانفجار على الإطلاق.

97

المحطة الجوية لخفر السواحل في أتلانتيك سيتي تقع في القسم السري لمركز ويليام جي هيوز الإداري التقني للطيران الفيدرالي في مطار أتلانتيك سيتي الدولي. تضمنت منطقة مسؤوليات المجموعة الساحل الأطلنطي من اسبوري بارك إلى رأس ماي.

ارتدت راشيل سيكستون مستيقظة عندما صرّت إطارات الطائرة على الطريق المُعبد للمدرج المنعزل الواقع بين بنائين ضخمين للشحن. تفاجأت عندما وجدت نفسها قد غطت في النوم، نظرت إلى ساعتها بترنح.

2:31 مساءً. أحست وكأنها قد نامت لأيام.

كان الغطاء الدافئ موضوعاً بعناية حولها، وكان مايكل تولاند قد استيقظ للتو بجوارها. ابتسم لها بإرهاق.

وكوركي يترنح في الممشى ثم عبس عندما رآهما: "تباً، ألا تزالون هنا يا أصحاب؟ استيقظت على أمل أن هذه الليلة كانت مجرد حلم سيئ".

علمت راشيل بالضبط كيف يشعر. أنا متوجهة إلى البحر مرة أخرى.

وقفت الطائرة، فخرجت راشيل والآخرون إلى المدرج الفارغ. كانت الليلة ملبدة بالغيوم، ولكن الهواء الساحلي بدا كثيفاً ودافئاً. وبالمقارنة مع إيلزمير، بدت نيوجرسي كالمنطقة المدارية.

"من هنا!" صاح صوت ما.

التفتوا ليجدوا إحدى أفضل حوامات خفر السواحل... مطليةً باللون القرمزي، كانت (إتش إتش – 65 دولفين) هليكوبتر بانتظارهم في الجوار، محاطةً بخط أبيض لامع على ذيلها؛ لوح لهم طيار بلباسه الكامل من بعيد.

قدم تولاند لراشيل إيماءة متأثرة: "إن رئيسك بالتأكيد يحقق الأشياء بفعالية".

أنت حقاً لا تعلم، فكرت راشيل.

مشى كوركي مترنحاً: "أليس هناك استراحة لتناول العشاء؟".

رحب بهم الطيار وساعدهم على الصعود. ودون السؤال عن أسمائهم، تحدث بشكل تام وبمرح عن الاحتياطات الأمنية فقط. يبدو أن بيكرينغ قد أوضح لخفر السواحل أن هذه الرحلة ليست مهمة دعائية. رغم ذلك، وبغض النظر عن سرية بيكرينغ، علمت راشيل أن هوياتهم بقيت غامضة لمدة ثوانٍ قليلة فقط؛ فقد فشل الطيار في إخفاء ردة فعله المتفاجئة بعيونه الواسعة عند رؤية النجم التلفزيوني مايكل تولاند.

كانت راشيل تشعر بالقلق مسبقاً وهي تثبت نفسها بجانب تولاند. صرّ محرك أيروسباشيال من فوقهم، وبدأت أجنحة دولفين الدوارة بطول تسع وثلاثين قدماً (11.7 متر) بالانتشار متحولة إلى غيمة فضية. تحول الصياح إلى زئير، ثم صعدت من فوق المدرج، تتسلق إلى الظلام.

التفت الطيار في حجرته وصاح: "لقد تم إعلامي أنكم ستخبرونني بالإحداثيات حالما نكون في الهواء".

أعطى تولاند الطيار إحداثيات موقع بعيد عن الشاطئ حوالى ثلاثين ميلاً إلى الجنوب الشرقي من موقعهم الحالي.

إن سفينته على بعد اثني عشر ميلاً عن الشاطئ، فكرت راشيل وهي تشعر برجفة.

طبع الطيار الإحداثيات في نظام الملاحة، ثم استقر وزاد من سرعة المحركات. اندفعت الطائرة إلى الأمام وتمايلت نحو الجنوب الشرقي.

وبينما انحدرت كثبان الرمال لشاطئ نيوجرسي بعيداً أسفل الطائرة، أدارت راشيل عينيها بعيداً عن ظلام المحيط الممتد أسفلهم. رغم القلق من عودتها إلى المياه مرة أخرى، حاولت تهدئة نفسها من خلال معرفتها بأنها بصحبة رجل قد جعل من المحيط صديق عمره. جلس تولاند في مكان صغير بالقرب منها في جسم الطائرة الضيق. كانت أردافه وكتفاه يلامسانها. لم يقوما بأية محاولة لتغيير المواضع.

"أعلم أنه لا يتوجب عليّ قول هذا"، قال الطيار فجأة، وكأنه مستعد للانفجار من الإثارة. "ولكن من الواضح أنك أنت مايكل تولاند، يجب علي القول إننا كنا نشاهدك على شاشة التلفاز طوال هذه الليلة! الحجر النيزكي! إنه أمر لا يصدق بالتأكيد! لا بد وأنك تشعر بالرهبة!".

أومأ تولاند بصبر: "عاجز عن الكلام".

"لقد كان البرنامج الوثائقي رائعاً! أتعلم، إن شبكات التلفاز استمرت في عرضه مرات كثيرة. ولا أحد من الطيارين المناوبين لهذه الليلة أراد القيام بهذه الرحلة لأن جميعهم يريدون مشاهدة التلفاز، لكنني اخترت القشة القصيرة! أتصدق ذلك! القشة القصيرة! وها أنا ذا! لو كان للشباب أية فكرة عن أنني أطير بالأشخاص الحقـ".

"نحن نفهم تطوعك لاصطحابنا"، اعترضت راشيل، "ونفضل أن تحتفظ بأمر وجودنا هنا لنفسك. ليس من المفروض أن يعلم أحد أننا كنا هنا".

"بالتأكيد سيدتي، كانت الأوامر واضحة جداً". تردد الطيار، ومن ثم وضحت تعابيره: "نحن لسنا متوجهين نحو الغويا أبداً، أليس كذلك؟".

أومأ تولاند بتردد: "نحن كذلك".

"تباً!" تعجب الطيار: "أعذروني، عفواً، ولكنني رأيتها في عرضك؟ السفينة المزدوجة، أليس كذلك؟ الوحش ذو الشكل الغريب! لم أصعد أبداً على متن سفينة ذات شقة عرضية! ولم أحلم على الإطلاق أن سفينتك ستكون الأولى!".

تجاهلت راشيل ذلك الرجل وهي تشعر بارتباك متزايد لتوجهها إلى البحر.

التفت تولاند نحوها: "أنت على ما يرام؟ كان يجب أن تبقي على الشاطئ، لقد أخبرتك بذلك".

كان يجب أن أبقى على الشاطئ، فكرت راشيل، وهي تعلم بأن الكبرياء لن يدعها تقوم بذلك: "لا شكراً، أنا على ما يرام".

ابتسم تولاند: "سأعتني بك".

"شكراً". كانت راشيل متفاجئة من أن الدفء في صوته جعلها تشعر بالأمان أكثر.

"لقد رأيتِ الغويا في التلفاز، صحيح؟".

"إنها... إم... سفينة ذات مظهر مثير للاهتمام؟".

ضحك تولاند. "نعم، لقد كانت نموذجاً متقدماً بشكل كبير في عهدها، ولكن تصميمها لم يتطور مع العصر بشكل جيد".

"لا أستطيع تخيل السبب". مزحت راشيل وهي تتخيل النموذج الغريب لهذه السفينة.

"إن (إن بي سي) تضغط عليّ الآن لاستعمال سفينة جديدة. نوعاً ما... لا أعلم... شيء أكثر حداثة وجاذبية. بعد فصل أو اثنين، سيجعلونني أنفصل عنها". بدا تولاند كئيباً لذلك التفكير.

"ألا تحب سفينة جديدة تماماً؟".

"لا أعلم... ولكن الكثير من الذكريات كانت على متن الغويا".

ابتسمت راشيل بلطف. "حسناً، كما كانت تقول أمي، عاجلاً أم آجلاً يتوجب علينا جميعاً أن نتخلى عن ماضينا".

تثبتت عينا تولاند عليها للحظة طويلة: "نعم، أعلم ذلك".

98

"تباً". قال سائق سيارة الأجرة وهو ينظر إلى غابرييل بطرف عينه. "يبدو وكأن هناك حادثاً أمامنا. لن نتمكن من الذهاب إلى أي مكان. ليس قبل مدة ما".

نظرت غابرييل خارج النافذة فرأت الأضواء اللامعة لسيارات الإسعاف تخترق ظلمة الليل. كما وقف العديد من رجال الشرطة في الطريق أمامهم، يوقفون السير حول مكان الحادث.

"لا بد وأنه حادث فظيع". قال السائق وهو يشير إلى بعض اللهب حول النصب التذكاري (إف دي آر).

عبست غابرييل بذلك التوهج المشتعل. الآن، من بين جميع الأوقات. تحتاج إلى الوصول إلى السيناتور سيكستون مع معلومات بودس والعالم الكندي. تساءلت فيما إذا كان كذب ناسا حول طريقة اكتشاف الحجر النيزكي سيكون فضيحة كافية لإعادة الحياة إلى حملة سيكستون. ربما ليس لمعظم السياسيين، فكرت بذلك، ولكن هذا هو سيدجويك سيكستون، الرجل الذي بنى حملته على تضخيم إخفاقات الآخرين.

لم تكن غابرييل دائماً فخورة بمقدرة السيناتور على وضع التلفيقات الأخلاقية السلبية في سوء حظ خصومه السياسيين، ولكنه كان أمراً فعالاً. إن براعة السيناتور الفائقة في التفسير والإهانة ربما يمكنها أن تحول كذبة ناسا المجزئة إلى سؤال جارف للشخصيات المؤثرة في وكالة الفضاء بأكملها – وبجملتها، الرئيس.

من خارج النافذة، بدا اللهب في النصب التذكاري يتصاعد عالياً. فقد احترقت بعض الأشجار القريبة وتقوم شاحنات الإطفاء بإخماد النار. أشعل سائق السيارة جهاز الراديو وبدأ بالانتقال بسرعة بين المحطات.

متنهدة، أغلقت غابرييل عينيها وشعرت بالتعب الشديد ينصب عليها متتابعاً. عندما وصلت إلى واشنطن في البداية، حلمت بالعمل في السياسة للأبد، وربما في البيت الأبيض يوماً ما. لكنها في هذه الأثناء، شعرت وكأنها حصلت على ما يكفيها من السياسية لطوال العمر – المبارزة مع مارجوري تينش، الصور الخليعة لها وللسيناتور. وأكاذيب ناسا كلها...

كان مذيع أخبار على جهاز الراديو يقول شيئاً ما عن انفجار سيارة وإرهاب مشتبه.

يجب أن أخرج من هذه المدينة. فكرت غابرييل لأول مرة منذ وصولها إلى عاصمة الدولة.

99

من النادر أن يشعر القائد بالقلق، ولكن اليوم قُرع هذا الناقوس. لم يجرِ أي شيء كما هو متوقع – الاكتشاف المأساوي لعمود الإدخال في الجليد، الصعوبات في إبقاء المعلومات سرية، والآن ازدياد قائمة الضحايا.

لم يكن من المفترض أن يموت أحد... باستثناء الكندي.

بدا أمراً ساخراً أن الجزء الأكثر صعوبة تقنياً للخطة كان هو الجزء الأقل إثارة للمشاكل. الإدخال، الذي تم منذ عدة أشهر، قد حدث من دون أي عقبات. وحالما كان الشذوذ في مكانه، كان كل ما تبقى هو انتظار إطلاق القمر الصناعي الفاحص لكثافة القطب في المدار. كان من المفترض أن تقوم بودس بفحص مساحات ضخمة للمنطقة القطبية الشمالية، وعاجلاً أم آجلاً سيكشف برنامج الشذوذات عن الحجر النيزكي ويقدم لناسا اكتشافاً ضخماً.

ولكن البرنامج اللعين لم يعمل.

عندما علم القائد أن برنامج الكشف عن الشذوذات قد أخفق وليس هناك أية إمكانية لإصلاحه إلى أن تنتهي الانتخابات، كانت الخطة بأكملها في خطر. من دون بودس، لن يتم اكتشاف الحجر النيزكي. كان لا بد للقائد أن يتوصل إلى طريقة سرية لتنبيه شخص ما في ناسا إلى وجود الحجر النيزكي. تضمن الحل تنسيق اتصال لاسلكي طارئ من عالم جيولوجيا كندي على مقربة من مكان الإدخال. كان لا بد من قتل العالم الجيولوجي لأسباب واضحة على الفور ويجب أن يبدو موته إثر حادث. كان الإلقاء بالعالم الجيولوجي البريء من الطائرة هي البداية. أما الآن فالأشياء تتساقط بسرعة.

وايلي مينغ، نورا مانغور. كلاهما ميت.

القتل الواضح الذي حدث للتو عند النصب التذكاري.

وقريباً سيضاف إلى القائمة: راشيل سيكستون، مايكل تولاند، والدكتور مارلينسون.

ليس هناك حل آخر، فكر القائد وهو يقاوم ندمه المتزايد. يجب عدم المخاطرة على الإطلاق.

100

كانت طائرة خفر السواحل لا تزال على بعد ميلين عن إحداثيات الغويا، وتحلق على بعد ثلاث ألف قدم عندما صاح تولاند للطيار.

"ألديك نظام رؤية ليلي على متن هذا الشيء؟".

ردّ الطيار: "نحن وحدة إنقاذ".

توقع ذلك تولاند. إن نظام الرؤية الليلي هو نظام الصورة الحراري

البحري لرايثون، وهو قادر على تحديد مواقع الناجين من الحطام في الظلام. إن الحرارة المنطلقة من رأس السابح ستظهر على شكل بقعة حمراء في محيط من السواد.

"أدره إذاً". قال تولاند.

بدا على الطيار الحيرة: "لماذا؟ هل أضعت شخصاً ما؟"

"لا، أريد أن يرى الجميع شيئاً ما".

"لن نتمكن من رؤية أي شيء يشتعل بسبب هذا البعد إلا إذا كان زيتاً زلقاً محترقاً".

"أدره فقط". قال تولاند.

نظر الطيار إلى تولاند بغرابة ثم ضبط بضع أرقام، آمراً بها العدسة الحرارية أسفل الطائرة بمسح قطعة تبلغ ثلاثة أميال من المحيط أسفلهم. أضاءت شاشة على لوحة أجهزة القياس. ثم تركزت الصورة.

"تباً!" ترنحت الهيلكوبتر عندما ارتد الطيار متفاجئاً ومن ثم عاد إلى وضعه وهو ينظر إلى الشاشة.

انحنت راشيل وكوركي إلى الأمام، ينظران إلى الصورة باستغراب متماثل. كانت الأرض السوداء للمحيط تضيء على شكل لولب دائري من الذبذبات الحمراء.

التفتت راشيل إلى تولاند بارتعاش: "يبدو وكأنه إعصار

"إنه كذلك". قال تولاند: "إعصار من التيارات الدافئة. بعرض نصف ميل تقريباً".

ضحك طيار خفر السواحل بإثارة: "إنه إعصار كبير. نحن نرى هذه الأشياء بين الحينة والأخرى ولكن لم أسمع عن هذا بعد".

"لقد حطّ هنا الأسبوع الماضي"، قال تولاند: "ربما لن يستمر أكثر من أيام لليلة أخرى".

"ما الذي يسبب ذلك؟" سألت راشيل محتارة على نحو ملحوظ بتلك الدوامة المائية الضخمة في منتصف المحيط.

"القبة المنصهرة". قال الطيار.

التفتت راشيل إلى تولاند قلقة: "بركان؟".

قال تولاند: "لا، إن الساحل الشرقي لا يحتوي على براكين نشطة بشكل

نموذجي، ولكن في بعض الأحيان تحدث جيوب شاذة من الانصهار تنبثق من أرض البحر وتسبب بقعاً حارة. وتتسبب هذه البقعة الحارة مدروجاً حراريا عكسياً – مياه حارة في الأسفل ومياه أكثر برودة في الأعلى، فتنتج التيارات اللولبية الضخمة هذه. إنها تدعى الأعمدة الضخمة. تتحرك بشكل لولبي لعدة أسابيع ومن ثم تتبدد".

نظر الطيار إلى اللولب المتذبذب على الشاشة الضوئية. "يبدو أن هذه لا تزال تدور بقوة". صمت ثم تفحص إحداثيات سفينة تولاند ومن ثم نظر ملتفتا باستغراب: "سيد تولاند، يبدو وكأن سفينتك تحط بالقرب من منتصف تلك".

أومأ تولاند: "إن التيارات هي أبطأ بقليل عند النظر إليها مباشرة. ثمانون عقدة. كما لو كنت ترسو في نهر سريع الجريان. لقد اكتسبت سلسلتنا تدريبا حقيقاً هذا الأسبوع".

"يا إلهي"، قال الطيار: "تيار بسرعة ثمانين عقدة؟ لا تسقطوا من فوق المركب!" ثم ضحك.

لم تضحك راشيل: "مايك، إنك لم تذكر وضع هذه الأعمدة الضخمة، القبة المنصهرة والتيارات الحارة".

وضع يده المطمئنة على ركبتها: "إنها آمنة تماماً، ثقي بي".

عبست راشيل. "إذاً، إن هذا البرنامج الوثائقي الذي كنت تقوم به هنا هو عن ظاهرة القبة المنصهرة؟".

"الأعمدة الضخمة و'سفيرنا موكاران'".

"هذا صحيح، لقد ذكرت لي ذلك مسبقاً".

ابتسم تولاند بخجل: "'سفيرنا موكاران' تحب المياه الدافئة، جميعها حتى بعد مئة ميل تحتشد في تلك الدوامة العريضة للمحيط الحار".

"شيء جميل". رنت راشيل بارتباك. "وما هي 'سفيرنا موكاران'؟".

"أقبح سمكة في البحر؟".

"الفلاوندر؟".

ضحك تولاند: "قرش أبو مطرقة[40] العظيم".

تصلبت راشيل إلى جانبه: "أيوجد قرش أبو مطرقة حول قاربك؟".

---

40 أبو مطرقة: نوع من أنواع القروش.

غمزها تولاند: "اهدأي، إنها ليست خطيرة".

"لم تكن لتقول ذلك إلا إذا كانت خطيرة".

ضحك تولاند بخفوت: "أعتقد أنك محقة". نادى الطيار مازحاً: "كم مضى من الوقت منذ أن قمتم بإنقاذ أي شخص من هجوم من قبل أبو مطرقة؟".

هزّ الطيار كتفيه مستهجناً: "إننا لم ننقذ أي شخص من أبي مطرقة منذ عقود".

التفت تولاند إلى راشيل: "أرأيت، منذ عقود، لا داعي للقلق".

"في الشهر الماضي فقط"، أضاف الطيار: "كان هناك هجوم على غواص أبله كان يصطاد –".

"انتظر!" قالت راشيل: "لقد قلت إنكم لم تنقذوا أي شخص منذ عقود".

"نعم"، أجابها الطيار: "لم ننقذ أي شخص. عادة، نكون متأخرين كثيراً، إن هذه الوحوش تقتل بسرعة".

101

من الأعلى، كانت حدود سفينة الغويا الوامضة تلوح في الأفق. وعلى بعد نصف ميل، استطاع تولاند معرفة أضواء ظهر المركب اللامعة، وبأن زافيا قد تركتها تومض بحكمة. عندما رأى الأضواء أحس وكأنه مسافر متعب يجر نفسه إلى طريق العودة.

"أعتقد أنك قلت إن شخصاً واحداً موجود على متنها". قالت راشيل، وهي تبدو متفاجئة لرؤيتها جميع الأضواء مشتعلة.

"ألا تشعلين الضوء عندما تكونين وحدك في المنزل؟".

"ضوء واحد فقط. وليس أضواء المنزل بأكملها".

ابتسم تولاند. رغم محاولات راشيل لتكون سعيدة ومستمتعة بوقتها، علم أنها كانت خائفة جداً من كونها هنا. أراد أن يضع ساعده حولها ويطمئنها، ولكنه علم أن ليس بوسعه قول أي شيء: "إن الأضواء مشتعلة من أجل الحماية، فهي تظهر السفينة بمظهر النشاط".

ضحك كوركي بخفوت: "أتخافون القراصنة يا مايك؟".

"على الإطلاق. فهناك خطر أكبر هنا من قبل الأغبياء الذين لا يعلمون

كيفية قراءة الرادار. إن أفضل دفاع ضد الاصطدام بأحد هـو أن نثـق بـأن الجميع يستطيع رؤيتنا".

حدق كوركي إلى الأسفل بالمركبة الوامضة: "أترى هناك؟ يبـدو وكأنـه خط لرحلة كرنفال بحرية عشية رأس السنة. من المؤكد أن (إن بي سي) تدفع فاتورة الكهرباء".

أبطأت طائرة خفر السواحل وتمايلت حول السفينة الوامضـة الضـخمة، وبدأ الطيار يناور باتجاه مكان هبوط الهيلكوبترات عند مؤخرة السفينة. ورغم أنه لا يزال في الهواء، استطاع تولاند تمييز التيار الغاضب الذي يضرب بدن السفينة بقوة. مثبتة عند مقدمتها بالمرساة، كانت الغويا تكـافح ضـد التيـار، مشدودة بسلك المرساة الكبير كوحش مقيد.

"إنها حقاً الحسناء". قال الطيار ضاحكاً.

علم تولاند أن ذلك التعليق كان للسخرية. فقـد كانـت الغويـا قبيحـة. "أضحوكة قبيحة" حسب وصف أحد الناقدين في التلفاز. أنها واحدة من السـفن السبع عشرة ذات الشقة العرضية التي لم يبنَ غيرها، حيث يمكن أن تتمتع هذه السفينة المزدوجة، ذات المساحة المائية الصغيرة، بأي شيء إلا الجمال.

بشكل أساسي، إن هذه السفينة هي منصة أفقية ضخمة تطفو على بعد ثلاثين قدماً (9 متر) فوق المحيط على أربع دعائم ضخمة مثبتة بالعوامات. تبدو السـفينة من بعيد وكأنها منصة واطئة للحفر. أما من الأعلى فتشبه قارب حمولة يرتفع على ركائز. غرف الطاقم ومخابر الأبحاث ومنصة الإبحار كانـت موضـوعة علـى سلسلة من الهياكل المصفوفة في الأعلى، مما يعطي للناظر إليها انطباعاً أولياً بأنها طاولة قهوة ضخمة عائمة تسند خليطاً من الأبنية المتعددة المراحل.

رغم شكلها القليل الانسيابية، فإن تصميم الغويا لا يستهلك على نحو مهم إلا مساحة قليلة من سطح الماء، وهذا ما يمنحها ثباتاً أكثر. أما المنصة المعلقة فتمنحها مكاناً أفضل للتصوير، ومخابر أسهل للعمل وعلماء يصـابون بـدوار البحر بشكل أقل. ورغم أن (إن بي سي) كانت تضغط على تولانـد ليـدعهم يحضرون له سفينة أحدث إلا أن تولاند كان يرفض. فالأمر المسلم بمعرفته أن هناك سفناً أفضل من الغويا الآن وأكثر ثباتاً أيضاً ولكن الغويا كانـت منزلـه لأكثر من عقد الآن – السفينة التي ناضل على متنها في طريق العـودة بعـد موت سيليا. مازال يسمع صوتها في بعض الليالي عبر الرياح على ظهرهـا

عندما تختفي تلك الأشباح، إذا حدث ذلك، فإن تولاند سيفكر بسفينة أخرى.

ليس بعد.

عندما حطت الهيلكوبتر أخيراً على مؤخرة الغويا، شعرت راشيل بالقليل من الارتياح فقط. الأخبار الجيدة أنها لم تعد الآن تطير فوق المحيط، والأخبار السيئة أنها تقف الآن فوقه. قاومت الإحساس المضطرب في قدميها وهي تصعد على ظهرها وتنظر حولها. كانت السفينة ضيقة بشكل مثير للاستغراب، خصوصاً مع وجود الهيلكوبتر فيها. وهي تنتقل بعينيها باتجاه مقدمة السفينة. رأت البناء الأخرق الملتصق فيها والذي شكل جسد السفينة.

وقف تولاند بالقرب منها ثم تحدث بصوت عالٍ يفوق صوت التيار المضطرب: "أعلم أنها تبدو أكبر على شاشة التلفاز".

ردت راشيل: "وأكثر ثباتاً".

"هذه واحدة من أكثر السفن أماناً في البحر. أعد بذلك". وضع تولاند يده على كتفها وقادها عبر السفينة.

ساهم دفء يده بالكثير في تهدئة أعصاب راشيل أكثر من أي شيء قاله. برغم ذلك، وهي تنظر باتجاه مؤخرة السفينة، رأت التيار الغاضب يتموج خلفهم وكأن السفينة تبحر بشكل كامل. نحن نرسو فوق أحد الأعمدة المائية الضخمة، فكرت بذلك.

عندما ركزت على الجزء الأمامي من نهاية السفينة، رأت راشيل غواصة التريتون المشهورة التي تتسع لشخص واحد معلقة على رافعة ضخمة. إن غواصة التريتون – وهو اسم لإله إغريقي للبحر – لا تشبه أبداً سليفتها إيلفين ذات الغطاء المعدني، حيث تمتلك التريتون قبة اصطناعية من الإكريليك في مقدمتها، وهذا ما يجعلها تبدو وكأنها حوض سمك ضخم أكثر من كونها غواصة. لم تستطع راشيل التفكير إلا بالقليل من الأشياء المرعبة أكثر من الغوص تحت ماء المحيط بمئات الأقدام (الأمتار) ولا شيء بين وجهها والمحيط سوى صفيحة من الأكريليك النقي. أما بالنسبة لتولاند، كان الجزء الأكثر كرهاً بالتأكيد عند قيادة التريتون هو التحضيرات الأولية – عندما ينزل بالرافعة إلى الأسفل عبر الباب الأفقي في أرض الغويا، معلقاً كرقاص الساعة على بعد ثلاثين قدماً (9 متر) من البحر.

"ربما تكون زافيا في المختبر المائي". قال تولاند وهو يتحرك عبر

السفينة: "من هذا الاتجاه".

تبع كل من راشيل وكوركي تولاند إلى مؤخرة السفينة. أما طيار خفر السواحل فبقي في طائرته بتعليمات صارمة لعدم استخدام الراديو.

"أنظرا إلى هذا". قال تولاند وقد وقف عند سياج مؤخرة السفينة.

بتردد، اقتربت راشيل من السياج. كانوا على مسافة عالية جداً، فقد كانت المياه على بعد ثلاثين قدماً (9 متر) أسفلهم، ولكن راشيل كانت مع ذلك تشعر بالحرارة المنبعثة من المياه.

"إنها تقارب حرارة حوض استحمام دافئ". قال تولاند بصوت يعلو صوت التيار ثم تحرك باتجاه علبة مفتاح كهربائي على السياج ونقره: "أنظرا إلى هذا".

انتشر ضوء قوسي واسع عبر المياه من مؤخرة السفينة، مضيئاً إياها من الداخل كحوض سباحة مضيء. لهث كل من كوركي وراشيل سوية.

كانت المياه حول السفينة مليئة بالعديد من الظلال الشبحية. يحوم على بعد قدم واحدة (30 سم) فقط من أسفل السطح المنير جيوش من أشكال جذابة عاتمة تسبح بتوازٍ ضد التيار. كانت جماجمهم مطرقية الشكل، والتي لا يمكن الخطأ بمعرفتها، تتأرجح جيئة وذهاباً وكأنها تتبع قرعاً لإيقاع ما قبل تاريخي.

"يا إلهي، مايك". تلعثم كوركي: "أسعيد لأنك شاركتنا هذا معك".

كان جسد راشيل متصلباً. أرادت أن تخطو إلى الخلف بعيداً عن السياج ولكنها لم تستطع التحرك. كانت متحجرة بذلك المشهد المميت.

"إنها لا تصدق، أليست كذلك؟" قال تولاند واضعاً يده على كتفها مرة أخرى ليريحها: "إنها تغزو المياه ذات المناطق الحارة لأسابيع. وتمتلك أفضل حاسة شم في البحر – فصوص شمية متطورة في الدماغ. تستطيع أن تشم رائحة الدم على بعد ميل".

بدا على كوركي الشك، "فصوص شمية متطورة في الدماغ؟".

"ألا تصدقني؟" بدأ تولاند البحث في حجرة ألمنيوم مقابلة إلى المكان الذي يقفون فيه، وبعد لحظة، أخرج سمكة صغيرة ميتة: "رائع". أخذ سكينة من الثلاجة وجرح السمكة الرخوة في مناطق متعددة. فبدأ الدم يتقطر.

"مايك، بحق الإله". قال كوركي: "إن هذا مثير للاشمئزاز".

قذف تولاند بالسمكة الدامية من فوق فسقطت ثلاثين قدماً (9 متر). وفي

اللحظة التي لمست فيها الماء، انقضت ست أو سبع سمكات قـرش مصـدرين هديراً ضارياً بقوة، ثم صرت أسنانهم الفضية بشكل وحشـي علـى السـمكة الدامية. خلال لحظة، اختفت السمكة.

بذعر، التفتت راشيل ونظرت إلى تولاند الذي كان يحمل سمكة أخـرى، بنفس النوع ونفس الحجم.

"هذه المرة، من دون دماء"، قال تولاند. ودون أن يجرح السمكة، رمـى بها في الماء. سقطت السمكة أسفل المياه، ولكن لم يحدث شيء. بدا أن سـمك أبي مطرقة لم يلاحظ. انجرف الطعم في التيار، دون أن يلفت أي انتباه البتة.

"إنهم ينقضون فقط اعتماداً على الرائحة". قال تولاند وهو يقودهم بعيـداً عن السياج. "حقيقة، يمكنك أن تسبح هنا بأمان كامل – شريطة ألا يكون عندك جروح مفتوحة".

أشار كوركي إلى القطب على جبينه.

عبس تولاند: "صحيح، إذاً لا يسمح لك بالسباحة".

102

كانت سيارة الأجرة التي تقود غابرييل آش لا تتحرك.

جالسةً عند حاجز في الطريق قرب نصب (إف دي آر)، نظرت غابرييل خارجاً إلى سيارات الإسعاف البعيدة، وشعرت كأن ضباباً كثيفاً سيريالياً قد حط فوق المدينة. كان مذيعو الراديو يقولون إن السيارة المنفجرة ربما كانت بداخلها موظف حكومي عالي المستوى.

ساحبة الخليوي، قامت بالاتصال بالسيناتور. لا بد وأنه بدأ يتسـاءل مـا الأمر الذي جعل غابرييل تتأخر.

كان الهاتف مشغولاً.

نظرت غابرييل إلى عداد سيارة الأجرة وهو يقرقع وعبست. كان بعض السيارات الأخرى العالقة هناك عند الحواجز تحاول إيجاد طرق بديلة.

نظر السائق إليها: "أتريدين الانتظار؟".

رأت غابرييل المزيد من السـيارات الرسـمية تصـل الآن: "لا، لـنقم بالالتفاف".

أصدر السائق صوته بالإيجاب، وبدأ يناور مراكـز الالتفـاف الكثيـرة

الخطرة. وعندما ابتعدوا عن الحواجز، حاولت غابرييل الاتصال بسيكستون مرة أخرى.

لا يزال الخط مشغولاً.

وبعد عدة دقائق أخرى، بعد أن قامت بالتفاف كبير، كانت السيارة متوجهة أعلى شارع (سي). رأت غابرييل بناء مكاتب فيليب أي هارت مضاءة. كانت قد قررت أن تمضي بسرعة إلى شقة السيناتور، ولكن عند رؤيتها للمكتب قريباً...

"توقف هنا". قالت للسائق: "هناك. شكراً لك".

توقفت السيارة.

دفعت غابرييل المبلغ الظاهر على العداد وأضافت عشرة دولارات أخرى: "أيمكنك الانتظار عشر دقائق؟".

نظر السائق إلى الأموال ومن ثم إلى ساعته: "دون زيادة أي دقيقة أخرى".

أسرعت غابرييل بالخروج، سأكون هنا بعد خمس دقائق.

كانت الممرات الرخامية لبناء مكاتب السيناتورية كئيبة في مثل هذه الساعة. وكانت عضلات غابرييل متوترة وهي تسرع عبر التماثيل المعدنية الكالحة المصفوفة عند مدخل الطابق الثالث. بدت عيونهم المتحجرة تتبعها كحراس صامتين.

عند وصولها إلى الباب الرئيس لجناح السيناتور سيكستون الذي يحوي خمس غرف، استخدمت غابرييل بطاقتها السرية للدخول. كانت الردهة السكريتارية مضاءة بأنوار خافتة. وبعد دخولها الردهة، أسرعت إلى نهاية المدخل إلى مكتبها، ثم دخلت وأشعلت الأضواء اللامعة، ومشت مباشرة إلى خزانة ملفاتها.

كانت تمتلك ملفاً كاملاً عن ميزانية نظام مراقبة الأرض التابع لناسا، متضمناً معلومات عديدة عن بودس. لا بد وأن سيكستون سيحتاج إلى جميع البيانات التي يمكنه الحصول عليها عن بودس حالما تخبره عن هاربر.

كذبت ناسا حول بودس.

وبينما مررت غابرييل إصبعها على الملفات، رنّ الخليوي.

أجابت: "السيناتور؟".

"لا يا غابرييل، أنا يولاندا". كان صوت صديقتها مصطحباً بتلهف غير اعتيادي: "ألا تزالين في ناسا؟".

"لا، في المكتب".

"أوجدت شيئاً في ناسا؟".

ليس لديك أية فكرة، علمت غابرييل أنه ليس بإمكانها إخبار يولاندا بأي شيء إلى أن تتحدث مع سيكستون؛ فسيكون للسيناتور أفكار خاصة عن كيفية التعامل مع هذه المعلومات بالشكل الأمثل. "سأخبرك عن ذلك بعد أن أتحدث مع سيكستون. فأنا متوجهة إليه الآن".

صمتت يولاندا: "غابرييل، بخصوص ذلك الشيء الذي كنت تتحدثين عنه عن تمويل حملة سيكستون و(إس إف إف)؟".

"لقد أخبرتك أنني مخطئة و –".

"لقد وجدت للتو مراسلين من عندنا ينشران قصة عن صناعة الفضاء كانا يعملان على نفس القصة؟".

كانت غابرييل متفاجئة: "ما الذي يعنيه هذا؟".

"لا أعلم، ولكن هؤلاء الفتية بارعون، ويبدو أنهم مقتنعون جداً بأن سيكستون يحصل على أموال من مؤسسة الفضاء الرائدة. فوجدت أن عليّ الاتصال بك. أعلم أنني قلت لك مسبقاً إنها فكرة جنونية، حيث بدا المصدر مارجوري تينش غير مقنع، أما هؤلاء الفتية... لا أعلم، ربما ترغبين بالتحدث معهم قبل رؤية السيناتور".

"بما أنهم مقتنعون جداً، لماذا لم ينشروا القصة؟" بدت غابرييل أكثر دفاعية مما أرادته.

"ليس لديهم دليل راسخ. فمن الواضح أن السيناتور جيد في تغطية آثاره".

أغلب السياسيين كذلك. "ليس هناك أي شيء من هذا، يولاندا، أخبرتك أن السيناتور أعترف أنه يحصل على تبرعات من (إس إف إف)، وجميعها تبرعات صغيرة".

"أعلم أن هذا ما أخبرك به هو، يا غابرييل. ولا أدعي أنني أعلم الصواب من الخطأ هنا. لقد شعرت فقط أن علي الاتصال بك لأنني قلت لك ألا تثقي بمارجوري تينش، والآن وجدت أشخاصاً غير مارجوري تينش يعتقدون بأن السيناتور شحاد. هذا كل شيء".

"من هم هؤلاء الصحفيون؟" أحست غابرييل بغضب غير متوقع يزداد الآن.

"دون ذكر أسماء. يمكنني أن أجهز للقاء. إنهم أذكياء ويفهمون قانون تمويل الحملات..." ترددت يولاند: "أتعلمين أن هذه الفتية يؤمنون بأن سيكستون يحتاج إلى الأموال – حتى أنه مفلس".

في صمت المكتب، استطاعت غابرييل سماع صدى اتهامات تينش الخشنة. بعد موت كاثرين، بدد السيناتور معظم أموال ميراثها في استثمارات فاشلة، ورفاهيات شخصية، واشترى لنفسه ما بدا فيه أنه نصر مؤكد في الانتخابات الأولية. منذ ستة أشهر مضت، كان مرشحك مفلساً.

"إن رجالنا يرغبون في الحديث معك". قالت يولاندا.

أراهن أنهم يريدون ذلك، فكرت غابرييل. "سأعاود الاتصال بك".

"تبدين غاضبة جداً".

"ليس منك يا يولاندا. ليس منك. شكراً".

أغلقت غابرييل الهاتف.

نائماً على كرسيه في المدخل خارج شقة السيناتور سيكستون، استيقظ حارس الأمن بدهشة عند سماع صوت هاتفه الخليوي. مندفعاً على كرسيه، فرك عينيه وسحب هاتفه من سترته الفضفاضة.

"نعم؟".

"أوين. أنا غابرييل".

استطاع حارس سيكستون تمييز صوتها: "أوه، مرحباً".

"أحتاج إلى الحديث مع السيناتور. أيمكنك الطرق على بابه؟ إن هاتفه مشغول".

"الوقت متأخر".

"إنه مستيقظ. أنا واثقة من ذلك". بدا على غابرييل القلق. "إنه أمر طارئ".

"أمر آخر؟".

"نفس الأمر. فقط اجعله يتحدث معي، أوين. هناك شيء أحتاج إلى أن أطلبه منه".

تنهد الحارس، وهو ينهض. "حسناً، حسناً، سأطرق الباب". تمطط ثم توجه نحو باب سيكستون. "سأقوم بذلك فقط لأنه كان مسروراً لسماحي لك بالدخول". وبتردد، رفع معصمه ليطرق الباب.

"ماذا قلت للتو؟" سألت غابرييل.

توقف معصم الحارس في الهواء: "لقد قلت إن السيناتور كان مسروراً لسماحي لك بالدخول من قبل. كنت محقة. لم تكن مشكلة أبداً".

"أتحدثت أنت والسيناتور عن هذا؟" بدا أن غابرييل متفاجئة.

"نعم. ما المشكلة؟".

"لا. إنني فقط لم أفكر...".

"في الواقع، لقد كان أمراً غريباً. احتاج السيناتور أيضاً لبعض الثواني ليتذكر أنك كنت في الداخل. أعتقد أن الفتية قد خلطوا عليه الأمر قليلاً".

"متى تحدثتما يا أوين؟".

"مباشرة بعد مغادرتك. أهناك خطب ما؟".

صمت لحظي. "لا... لا. لا شيء... استمع. فكرت بالأمر الآن. دعنا لا نزعج السيناتور في هذا الوقت. سأحاول الاتصال بخط منزله، وعندما لا يحالفني الحظ سأعاود الاتصال بك وتطرق الباب".

دوّر الحارس عينيه: "لك ما تقولين، آنسة آش".

"شكراً أوين، متأسفة لإزعاجك".

"لا مشكلة". أغلق الحارس هاتفه وارتمى بتثاقل على كرسيه ثم غط في النوم.

وحيدة في مكتبها. وقفت غابرييل آش دون حراك لبضع ثوانٍ قبل أن تغلق الهاتف. يعلم سيكستون أنني كنت في داخل شقته... ولم يذكر لي ذلك على الإطلاق؟

الأمور الغامضة الغريبة لهذه الليلة بدأت تزداد غموضاً. تذكرت غابرييل على الفور اتصال السيناتور بها عندما كانت في (إي بي سي). فاجأها السيناتور باعترافه العفوي بأنه كان يجتمع بشركات الفضاء ويقبل الأموال. لقد أعادتها صراحته إليه فوراً. كما أخجلتها أيضاً. بدا اعترافه الآن الأمر الأقل شرفاً على الإطلاق.

القليل من الأموال، كان سيكستون قد قال ذلك، قانونية تماماً.

فجأة، بدأت تظهر سوية جميع الهواجس الغامضة التي كانت غابرييل قد شعرت بها تجاه السيناتور سيكستون.

في الخارج، كانت سيارة الأجرة تزمر.

103

كانت منصة الغويا عبارة عن مكعب من البلكسي غلاس تتوضع إلى الأعلى بمستويين من ظهر السفينة الرئيسي. من هنا كانت راشيل ترى بثلاثمئة وستين درجة من البحر المظلم المحيط بها، مشهداً مثيراً للأعصاب نظرت إليه مرة واحدة فقط قبل أن تحجبه عن عقلها وتنتقل بانتباهها إلى الأمر الحالي.

بعد أن أرسلت تولاند وكوركي للبحث عن زافيا، تجهزت راشيل للاتصال ببيكرينغ. لقد وعدت المدير أن تتصل به عند وصولهم، وقد كانت متشوقة لتعلم ما الذي عرفه بيكرينغ من لقائه مع مارجوري تينش.

إن نظام اتصالات سفينة الغويا الرقمي (شينكوم 2100) هو برنامج معالجة كانت راشيل معتادة عليه بشكل جيد. علمت لو أنها حافظت على مكالمتها مختصرة، فإن الاتصال سيكون آمناً.

بعد الاتصال على رقم بيكرينغ الخاص، انتظرت مثبتة سماعة (شينكوم 2100) بإحكام على إذنها. توقعت أن يجيب بيكرينغ عند أول رنة. ولكن الهاتف استمر بالرنين.

ستة رنات. سبعة. ثمانية...

حدقت راشيل خارجاً بالبحر الظلم، فعجزها عن الوصول إلى المدير لم يساهم بأي شيء في تهدئة خوفها من كونها في البحر.

تسع رنات. عشر رنات. أجب!

تمشت قليلاً وهي تنتظر. ما الذي يجري؟ إن بيكرينغ يحمل هاتفه معه في جميع الأوقات، وقد قال لها بوضوح أن تتصل به.

بعد خمس عشرة رنة، أغلقت السماعة.

بخوف متزايد، رفعت سماعة (شينكوم) واتصلت مرة أخرى.

أربع رنات، خمس رنات.

أين هو؟

أخيراً، نقر الاتصال بالإجابة. شعرت راشيل بموجة من الارتياح، ولكنها استمرت لوقت قصير فقط. لم يكن هناك أحد على الخط. صمت فقط.

سألت: "مرحباً، المدير؟".

ثلاثة نقرات سريعة.

"مرحباً؟" قالت راشيل.

انفجارٌ من الشواش الإلكتروني ظهر على الخط، منفجراً في أذن راشيل. أبعدت السماعة عن عقلها فوراً بألم. توقف التشويش بشكل مفاجئ. استطاعت الآن سماع سلسلة من الأصوات المتذبذبة بشكل سريع والتي نبضت بفواصل من نصف الثانية. تلاشى ارتباك راشيل على الفور إلى الإدراك، ومن بعدها الخوف.

"تباً!".

منعطفة لتعود إلى أجهزة التحكم على المنصة، أغلقت السماعة بقوة في قاعدتها لتقطع الاتصال. للحظات عديدة، وقفت خائفة، متسائلة فيما إذا كانت قد أغلقت في الوقت المناسب.

في منتصف السفينة، أسفل طابقين، كان مختبر الغويا المائي بمساحته الواسعة مجزءاً بطاولات طويلة مكدس عليها أكثر قدر ممكن من المعدات الإلكترونية – أجهزة تصوير سفلية، محللات تيار، غواصات رطبة، أغطية دخان، ومجمد عينات مبردة، وأجهزة كمبيوتر، ومجموعة من صناديق التنظيم لمعلومات البحث، بالإضافة إلى أجهزة إلكترونية احتياطية لتحافظ على فعالية كل شيء.

عندما دخل كوركي وتولاند، كانت زافيا، عالمة الجيولوجيا على متن الغويا، مستلقية أمام شاشة تلفاز لامعة، حتى إنها لم تلتفت إلى الخلف.

"هل انتهت نقودكم التي تنفقونها على شرب البيرة؟" صاحت وهي تنظر بطرف عينها، ربما اعتقدت أن بعض أفراد الطاقم قد عادوا.

"زافيا". قال تولاند: "إنه مايك".

دارت العالمة الجيولوجية، وهي تبتلع جزءاً من شطيرة معدة مسبقاً كانت تتناولها: "مايك؟" تلعثمت، وهي مذهولة بشكل واضح من رؤيته. نهضت وأطفأت التلفاز، والتفتت وهي لا تزال تمضغ. "اعتقدت أن بعضاً من الفتية قد عاد من التجول بين الحانات. ما الذي تفعله هنا؟" كانت زافيا ممتلئة الجسم وقاتمة البشرة، مع صوت حاد ومظهر من الثقة عندها. أشارت إلى التلفاز، الذي كان يذيع عرضاً لبرنامج تولاند الوثائقي عن الحجر النيزكي: "أنا واثقة من أنك لم تضع وقتك على الرف الجليدي لفترة طويلة، أليس كذلك؟".

حدث شيء ما، فكر تولاند. "زافيا، أنا متأكد من أنك تعرفين كوركي مارلينسون".

أومأت زافيا: "شرف لي، سيدي".

كان كوركي ينظر إلى الشطيرة في يدها: "تبدو هذه جيدة".

نظرت إليه زافيا باستغراب.

"لقد تلقيت رسالتك". قال تولاند لزافيا. "قلت إنني أخطأت في تقديمي؟ أريد الحديث معك حول هذا".

نظرت إليه مطلقة ضحكة صاخبة: "هذا هو سبب عودتك؟ أوه، مايك، بحق الإله. قلت لك إنه أمر تافه. لقد كنت أسخر منك فقط. لا بد أن ناسا قد قدمت لك بعض المعلومات القديمة. غير المهمة. بجدية، إن ثلاثة أو أربعة فقط من علماء الجيولوجيا البحرية في العالم ربما لاحظوا ذلك السهو!".

أمسك تولاند نفسه: "هذا السهو. هل من الممكن له أن يتعلق بالحبيبات المعدنية؟".

بدا وجهها شاحباً من الصدمة: "يا إلهي، أحد هؤلاء العلماء قد اتصل بك مسبقاً؟".

انكمش تولاند. الحبيبات المعدنية. نظر إلى كوركي ومن ثم إلى عالمة الجيولوجيا البحرية. "زافيا، أحتاج إلى معرفة كل شيء تستطيعين إخباري به عن الحبيبات المعدنية. ما الخطأ الذي ارتكبته؟".

حدقت زافيا به، وأحست بأنه جاد بالفعل. "مايك، إنه حقاً أمر تافه. قرأت مقالاً صغيراً في مجلة تجارية منذ فترة. ولكنني لا أفهم لماذا أنت قلق جداً بشأن هذا".

تنهد تولاند: "زافيا، بالدرجة التي سيبدو فيها هذا غريباً، ولكن كلما قل ما تعلمينه الليلة، كان الأفضل. كل ما أطلبه هو أن تخبرينا ما الذي تعرفينه حول الحبيبات المعدنية، وبعدها نريدك أن تفحصي العينة الصخرية من أجلنا".

بدت زافيا محتارة وقلقة بشكل غامض لأن تكون خارج الدائرة. "حسناً، سأحضر لك المقال. إنه في مكتبي". وضعت الشطيرة وتوجهت إلى الباب.

ناداها كوركي: "أيمكنني إنهاؤها؟".

صمتت زافيا غير قادرة على تصديق ما سمعته: "أتريد إنهاء شطيرتي؟".

"حسناً، فكرت فقط لو أنك –".

"أحصل على شطيرتك اللعينة الخاصة بك". ثم غادرت زافيا.

ضحك تولاند بخفوت مشيراً عبر المختبر إلى مجمدة للعينات. "على الرف السفلي يا كوركي. بين السامبوكا وأكياس الحبار".

خارجاً على سطح السفينة، نزلت راشيل عبر السلم من المنصة وخطت باتجاه مكان هبوط الهيلكوبتر. كان طيار خفر السواحل نائماً ولكنه جلس عندما سمع طرقات راشيل على حجرة الطيار.

"انتهى كل شيء؟" سألها: "لقد كان ذلك بسرعة".

هزّت راشيل رأسها بتوتر: "أيمكنك أن تشغل الرادار الأرضي والهوائي؟".

"بالتأكيد، بنصف قطر يبلغ عشرة أميال".

"شغله من فضلك".

وبحيرة، أشعل الطيار عدة مفاتيح كهربائية فأومضت شاشة الرادار. دارت ذراع المسح ببطء.

"أهناك شيء؟" سألت راشيل.

ترك الطيار الذراع تقوم بالعديد من الدورات الكاملة. ثم ضبط بعض الأزرار ونظر. كان الساحة خالية. "مجموعة من السفن الصغيرة تتحرك على محيط الدائرة، ولكنهم يتوجهون بعيداً عنا. إننا لوحدنا... أميال وأميال من البحر الواسع في جميع الاتجاهات".

تنهدت راشيل رغم أنها لم تشعر بالراحة كثيراً. "أتسدي لي معروفاً، لو رأيت أي شيء يقترب – قوارب، طائرة أو أي شيء – أعلمني بذلك على الفور؟".

"شيء مؤكد. هل كل شيء على ما يرام؟".

"نعم، فقط أحببت أن أعلم فيما إذا كان هناك من يرافقنا".

هزّ الطيار كتفيه: "سأراقب الرادار سيدتي، وإذا أومض أي شيء، ستكونين أول من يعلم".

كانت أحاسيس راشيل مضطربة وهي تتوجه إلى المختبر المائي. عندما دخلت، كان كوركي وتولاند يقفان وحدهما أمام شاشة كمبيوتر ويمضغان الشطائر".

ناداها كوركي بفم ملآن: "ما عساها أن تكون؟ دجاج طازج، سجق طازج أو صلصة بيض طازجة؟".

لم تسمع راشيل السؤال تقريباً: "مايك، ما الوقت اللازم لحصولنا على هذه المعلومات والخروج من هذه السفينة؟".

104

كان تولاند يتجول في المختبر المائي، ينتظر مع راشيل وكوركي عودة زافيا. إن الأخبار عن الحبيبات المعدنية كانت مزعجة كخبر راشيل عن محاولتها الاتصال ببيكرينغ تقريباً.

لم يجب المدير.

وشخص ما حاول سرقة ترددات موقع الغويا.

"اهدأوا". قال تولاند للجميع: "نحن بأمان. طيار خفر السواحل يراقب الرادار. يمكنه منحنا التحذيرات اللازمة فيما إذا توجه أحد إلينا".

أومأت راشيل موافقة، رغم أنها لا تزال تبدو في حالة متوترة.

"مايك، ما هذا بحق الجحيم؟" سأل كوركي، مشيراً إلى شاشة كمبيوتر سبارك، كان يعرض، صورة غريبة مشؤومة كانت تنبض وتضطرب وكأنها حية.

"إنه عارض لحالة التيار بوساطة الدوبلر السمعي". قال تولاند "إنه مقطع عرضي للتيارات ومدروج حرارة المحيط أسفل السفينة".

حدقت راشيل: "هذا هو الشيء الذي نرسو فوقه؟".

كان على تولاند الاعتراف بأن الصورة تبدو مخيفة. فقد بدت المياه على السطح وكأنها دوامة خضراء مزرقة، ولكن عند النزول باتجاه الأسفل، تتحول الألوان ببطء إلى أحمر برتقالي مهدد بالخطر لأن درجات الحرارة تزداد. على مقربة من الأعماق، على بعد ميل إلى الأسفل، يتأرجح فوق أرضية المحيط دوامة إعصار غاضبة حمراء كالدماء.

"هذه هي الأعمدة المائية الضخمة". قال تولاند.

قال كوركي بصوت ناخر: "تبدو وكأنها إعصار تحت الماء".

"نفس المبدأ. إن المحيطات عادة أكثر برودة وكثافة عند الأعماق، ولكن الديناميكيات هنا معكوسة. مياه الأعماق أكثر حرارة وأقل كثافة، لذا فإنها ترتفع باتجاه السطح. خلال ذلك، تكون مياه السطح أثقل، لذا تتسارع باتجاه الأسفل بحركة لولبية هائلة لتعوض الخلل. النتيجة هي تيارات مشابهة للمصارف المائية في المحيط. دوامات ضخمة".

"ما هو هذا النتوء الكبير على أرضية البحر؟" أشار كوركي إلى السطح

الممتد لأرضية المحيط حيث انبثقت كومة كبيرة على شكل القبة كالفقاعة. ومباشرة فوقها تتحرك الدوامة.

"هذه الكومة هي قبة الانصهار". قال تولاند: "إنها حيث تتقذف الحمم من أسفل أرضية المحيط".

ردّ كوركي: "كغمازة ضخمة".

"مجازاً".

"ولو انفجرت؟".

عبس تولاند متذكراً حادث الأعمدة المائية الضخمة الشهير عام 1986 على ساحل جوان دي فوك، عندما انصبت في مياه المحيط دفعة واحدة آلاف الأطنان من المواد المنصهرة البالغة حرارتها ألف ومئتا درجة سيلسيوس، مضخمة بذلك قوة الأعمدة على الفور. ازدادت التيارات السطحية بسبب توسع الدوامة بشكل سريع باتجاه الأعلى. ما حدث بعد ذلك كان شيئاً لم يرغب تولاند إخباره لكوركي وراشيل هذا المساء.

"لا تتفجر القبب المنصهرة في الأطلسي". قال تولاند. "فالمياه الباردة التي تدور حول الكومة تبرد وتصلب بشكل مستمر الجزء الخارجي لقشرة الأرض، محافظة على المواد المنصهرة بشكل آمن أسفل طبقة سميكة من الصخور. بالنهاية، تبرد الحمم في الأسفل وتختفي الدوامة. الأعمدة المائية الضخمة عادة غير خطرة".

أشار كوركي إلى جريدة ممزقة قرب الكمبيوتر. "إذاً تقول إن جريدة 'سينتفيك أميركا' تقوم بنشر التخيلات؟".

رأى تولاند الغلاف ثم أجفل. يبدو أن شخصاً ما قد سحبها من أرشيف المجلات العلمية القديمة التابع للغويا: سينتفيك أميركا، شباط/فبراير 1999. أظهر الغلاف صورة فنية لسفينة بترول تدوّم خارجة عن السيطرة في قمع ضخم داخل المحيط. أظهر العنوان:

الأعمدة المائية الضخمة – قتلة عملاقة من الأعماق؟

استهزأ تولاند بذلك: "لا صلة لها على الإطلاق. إن المقالة تتحدث عن الأعمدة المائية الضخمة في مناطق الزلازل. إنها فرضية مثلث برمودا المشهور منذ عدة سنوات مضت، تشرح اختفاء السفن. أما من وجهة النظر التقنية، لو كان هناك نوع من الحوادث الجيولوجية الجائحة في أرضية المحيط،

الأمر الذي لم يسمع عنه هنا، لكان للقبة أن تنفجر، وللدوامة أن تكبر بدرجة كافية لــ... حسناً، تعلم...".

"لا، إننا لا نعلم". قال كوركي.

هزّ تولاند كتفيه: "ترتفع إلى السطح".

"رائع. مسرور جداً لجلبك لنا على متن السفينة".

دخلت زافيا حاملة بعض الأوراق. "معجبون بالأعمدة المائية الضخمة؟".

"أوه، نعم". قال كوركي ساخراً: "كان مايك يخبرنا للتو ما الذي سيحدث لو أن هذه الكومة الصغيرة انفجرت، فإننا جميعاً سندور بشكل لولبي حول مصرف مائي ضخم".

"مصرف مائي؟" ضحكت زافيا ببرود. "إنه أشبه بالتدفق أسفل أكبر مرحاض في العالم".

خارجاً على متن سفينة الغويا، كان طيار خفر السواحل يراقب بحرص شاشة رادار (إي أم إس). بصفته طيار إنقاذ، كان قد رأى ما يكفيه من الخوف في عيون الأشخاص؛ من المؤكد أن راشيل سيكستون كانت خائفة عندما طلبت منه مراقبة وصول أية زوار غير متوقعين إلى الغويا.

ما هو نوع الزوار الذي تتوقعه؟ تساءل هو.

كل ما استطاع الطيار رؤيته، كان البحر والهواء على بعد عشرة أميال في جميع الاتجاهات، وهي لا تحتوي على أي شيء غريب. قارب سمك على بعد ثمانية أميال. طيارة عارضة مرت عبر طرف حقل الرادار ومن ثم اختفت مرة أخرى تجاه منطقة غير معروفة.

تنهد الطيار، محدقاً الآن إلى المحيط المتلاطم حول السفينة. كان الإحساس شبحياً – كأنهم يبحرون بسرعة كبيرة رغم كونهم مثبتين.

أعاد عينيه إلى شاشة الرادار وراقب محترساً.

105

على متن الغويا، قدم تولاند الآن كل من راشيل وزافيا إلى بعضهما بعضاً. كانت عالمة الجيولوجيا لهذه السفينة تبدو مرتبكة بشكل متزايد من الحاشية المشهورة الواقفة أمامها في المختبر المائي. بالإضافة إلى أن تلهف راشيل لإجراء الاختبارات والخروج من هذه السفينة بأسرع وقت ممكن كان من الواضح أنه يجعل زافيا مرتبكة.

خذي وقتك، زافيا. هذا ما أوصاها به تولاند. نحتاج إلى أن نعلم كل شيء.

كانت زافيا تتحدث بصوت خشن. "في برنامجك الوثائقي، مايك، قلت إن هذه الموجودات المعدنية داخل الصخرة يمكن أن تتشكل فقط في الفضاء".

كان تولاند يشعر برجفة من الخوف. الحبيبات المعدنية تتشكل فقط في الفضاء. هذا ما أخبرتني به ناسا.

"ولكن تبعاً لهذه الملاحظات". قالت زافيا وهي تحمل الأوراق: "هذا ليس صحيحاً بالكامل".

حملق كوركي: "إنه صحيح بالتأكيد!".

عبست زافيا لكوركي ولوحت بالملاحظات: "في السنة الماضية كان عالم جيولوجيا شاب يدعى ليو بولوك من جامعة دريو يستخدم نوعاً جديداً من الربوطات البحرية لأخذ عينات من قشرة أعماق المحيط الهادي في منخفضات ماريانا، فوجد صخرة لينة تحتوي على خواص جيولوجية لم يرها من قبل. كانت تلك الخواص مشابهة تقريباً بالشكل للحبيبات المعدنية. أطلق عليهم اسم 'محتويات بلاجيوكلاز المضغوطة' – فقاعات صغيرة من المعدن تبدو معادة التجانس خلال أحداث المحيط العميقة لتكييف الضغط. كان الدكتور بولوك مندهشاً لعثوره على فقاعات معدنية داخل صخرة محيطية، فقام بتشكيل نظرية فريدة ليشرح وجودها".

تذمر كوركي: "أفترض أنه يتوجب عليه ذلك".

تجاهلته زافيا. "أكد الدكتور بولوك أن الصخرة قد تشكلت في بيئات محيطية في الأعماق السحيقة حيث يحول الضغط الكبير بنية صخرة موجودة مسبقاً، سامحاً بذلك لبعض المعادن المختلفة بالاندماج".

فكر تولاند بذلك. إن منخفضات ماريانا هي على بعد سبعة أميال إلى الأسفل، إحدى المناطق القليلة غير المكتشفة حقيقة على هذا الكوكب. بعض المسابر الربوطية القليلة فقط تمكنت من الوصول إلى تلك الأعماق، ومعظمها تحطم قبل أن تصل إلى الأسفل. إن ضغط المياه في المنخفض هائل – ثمانية عشر ألف باوند (6000 كلغ) في كل إنش مربعة (6.5 سم^2)، مقابل أربعة وعشرين باونداً (12 كلغ) فقط عند سطح المحيط. لا يزال علماء المحيطات لديهم الفهم القليل للقوى الجيولوجية في أرضية أعماق المحيط. "إذاً، يعتقد الفتى بولوك أن منخفضات ماريانا يمكنها أن تشكل صخوراً ذات خواص تشبه الحبيبات المعدنية؟".

"إنها نظرية غامضة بشكل كبير". قالت زافيا: "في الواقع، لم يتم نشرها بشكل رسمي على الإطلاق. لقد حدث فقط أن تعثرت ببعض ملاحظات بولوك الشخصية على الإنترنيت مصادفة في الشهر الماضي عندما كنت أقوم بأبحاث عن تفاعلات الصخور اللينة من أجل عرضنا الحالي عن الأعمدة الضخمة، وإلا ما كان لي أن أسمع بذلك على الإطلاق".

"لم يتم نشر النظرية مطلقاً". قال كوركي: "لأنها سخيفة. نحتاج إلى الحرارة لتشكيل الحبيبات المعدنية. من المستحيل أن يتمكن الضغط المائي من إعادة تشكيل البنية الكريستالية للصخرة".

"الضغط". أجابته زافيا: "هو المساهم الوحيد الأكبر في التغيرات الجيولوجية على كوكبنا. أسمعت بشيء يدعى صخرة متحولة. جيولوجيا 101؟".

عبس كوركي.

أدرك تولاند ملاحظة زافيا. رغم أن الحرارة تقوم بدور مهم في جيولوجيا تحول الأرض، فإن معظم الصخور المتحولة قد تشكلت بسبب الضغط الكبير. وبشكل لا يمكن تصديقه، إن الصخور في أعماق قشرة الأرض تتعرض لضغط كبير، فتبدو أكثر ما تكون مادة سكرية سميكة من كونها صخرة صلبة، فتصبح مرنة وتخضع لتغيرات كيميائية. رغم كل ذلك، لا تزال نظرية الدكتور بولوك تبدو وكأنها مبالغ بتفسيرها.

"زافيا". قال تولاند: "إنني لم أسمع على الإطلاق بضغط مائي يحدث تغيراً وحده بشكل كيميائي. أنت عالمة الجيولوجيا، ما هي ردة فعلك تجاه ذلك؟".

"حسناً"، قالت وهي تنقل إصبعها عبر ملاحظاتها: "يبدو وكأن الضغط المائي ليس هو العامل الوحيد". وجدت زافيا مقطعاً وقرأت ملاحظات بولوك حرفياً: "'القشرة المحيطية في منخفضات ماريانا، الخاضعة مسبقاً لضغط هيدروستاتي كبير، تجد نفسها مضغوطة أيضاً من القوى التكتونية[41] في الأقاليم المنجرفة'".

بالطبع، فكر تولاند. إن منخفضات ماريانا، بالإضافة إلى كونها محشورة أسفل سبعة أميال من المياه، هي إقليم منجرف – خط الانضغاط حيث تحركت

41 تكتوني: متعلق بتشوه أديم الأرض، والقوى المؤدية إليه.

الصفيحة الهندية وصفيحة المحيط الهادي نحو بعضها الآخر واصطدمتا. يمكن أن تكون الضغوطات المجتمعة في المنخفضات هائلة، وبسبب أن كانت تلك المنطقة بعيدة جداً وخطرة لتتم دراستها، ولو كانت هناك حبيبات معدنية، فإن فرص معرفة أي شخص عنها ضئيلة جداً.

تابعت زافيا القراءة: "'الضغوطات الهيدروستاتية والتكتونية مجتمعة يمكنها أن تضغط على القشرة لتصبح في حالة لينة أو شبه سائلة، سامحة بذلك للمعادن الأخف بالاندماج مشكلة بنىً تشبه الحبيبات المعدنية، والتي يُعتقد أنها تحدث في الفضاء فقط'".

دور كوركي عينيه: "مستحيل".

نظر تولاند إلى كوركي: "هل هناك أي تفسير بديل لوجود الحبيبات المعدنية في الصخرة التي اكتشفها الدكتور بولوك؟".

"أمر سهل". قال كوركي: "إن الصخرة التي وجدها بولوك هي حجر نيزكي حقيقي. إن النيازك تسقط في المحيط دائماً. إن بولوك لم يشك في أنها حجر نيزكي لأن القشرة المحترقة كانت قد تآكلت منذ سنوات تحت الماء، وهذا ما يجعلها تبدو صخرة عادية". التفت كوركي إلى زافيا: "لا أفترض أن بولوك كان عاقلاً وقام بقياس محتويات النيكل، أليس كذلك؟".

"في الواقع، نعم". أجابته زافيا وهي تمرر إصبعها عبر الملاحظات مرة أخرى. "كتب بولوك: 'كنت متفاجئاً لأرى أن محتويات النيكل في العينة تقع ضمن حدود وسطية لا تتواجد عادة في الصخور الأرضية'".

تبادل كل من تولاند وراشيل نظرات الدهشة.

تابعت زافيا القراءة: "رغم أن كمية النيكل لم تكن ضمن المدى الوسطي المقبول لأصل نيزكي، فإنها قريبة على نحو مثير للاستغراب".

بدت راشيل مضطربة: "كم هو القرب؟ هل يمكن أن تكون هذه الصخرة المحيطية قد تم الخطأ في تحديد أصلها وهي حجر نيزكي؟".

هزّت زافيا رأسها: "أنا لست عالمة بترولوجيا، ولكن كما أعتقد، هناك اختلافات كيميائية عديدة بين الصخرة التي اكتشفها بولوك وبين الأحجار النيزكية الحقيقية".

"ما هي هذه الاختلافات؟" أصر تولاند.

أدارت زافيا انتباهها إلى رسم بياني في ملاحظاتها: "تبعاً لهذا، يوجد

اختلاف واحد في البنية الكيميائية للحبيبات المعدنية ذاتها. يبدو أن نسب التيتانيوم/الزركونيوم تختلف. إن نسب التيتانيوم/الزركونيوم في الحبيبات المعدنية لعينة المحيط تظهر نفاداً شديداً في الزركونيوم". ثم نظرت إلى الأعلى: "جزيئان فقط لكل مليون".

"جزيئان فقط لكل مليون؟" قال كوركي بعفوية. "إن الأحجار النيزكية تحتوي على آلاف أضعاف ذلك!".

"تماماً". أجابت زافيا: "هذا ما دفع الدكتور بولوك للتفكير بأن هذه الحبيبات المعدنية ليست من الفضاء؟".

انحنى تولاند وهمس لكوركي: "هل قامت ناسا بقياس نسب التيتانيوم - الزركونيوم في صخرة ميلني؟".

"بالطبع لا". قال كوركي غاضباً. "لن يقوم أحد بقياس ذلك. إنه أشبه بالنظر إلى سيارة ثم قياس محتويات المطاط في العجلات لإثبات أنها سيارة!".

تنهّد تولاند ونظر إلى زافيا: "لو أننا قمنا بإعطائك العينة الصخرية مع الحبيبات المعدنية داخلها، هل يمكنك إجراء اختبار لتحديد فيما إذا كانت هذه المحتويات هي حبيبات معدنية لحجر نيزكي... أو أنها أحد الأشياء التابعة لبولوك ونظريته في الانضغاط أسفل المحيطات العميقة؟".

هزّت زافيا كتفيها: "أفترض ذلك. لا بد أن تكون دقة المجهر الإلكتروني كافية لذلك. لم كل هذا، على أية حال؟".

التفت تولاند إلى كوركي: "أعطها إياها".

وبتردد سحب كوركي عينة الحجر النيزكي من جيبه وأعطاها لزافيا.

تقوس حاجبا زافيا وهي تأخذ القرص الحجري. نظرت إلى القشرة الخارجية المتفحمة ومن ثم إلى المستحاثات الموجودة داخل الصخرة. "يا إلهي!" قالت رافعة رأسها إلى الأعلى. "هذه ليست جزءاً من...؟".

"نعم"، قال تولاند: "لسوء الحظ إنها كذلك".

106

وحيدة في مكتبها، وقفت غابرييل آش أمام النافذة، متسائلة ما الذي ستفعله. منذ أقل من ساعة، غادرت ناسا وهي تشعر بالحماسة الكاملة لتخبر خديعة كريس هاربر عن بودس للسيناتور.

الآن، لم تكن واثقة.

حسب يولاندا، مراسلان مستقلان من (إي بـي سـي) يشـتبهان بـأن سيكستون يقبل رشوة من (إس إف إف). علاوة عن ذلك، علمت غابرييل للتو أن سيكستون قد علم حقيقة أنها تسللت إلى شقته خلال اجتمـاع (إس إف إف)، ولكنه لم يخبرها أي شيء عن ذلك؟

تنهدت غابرييل. لقد مضى زمن طويل منذ أن غادرت سـيارة الأجـرة، ورغم أنه كان بإمكانها أن تطلب واحدة أخرى خلال دقائق قليلـة، علمـت أن هناك شيئاً يجب عليها فعله أولاً.

أحقاً سأقوم بذلك؟

عبست غابرييل وهي تعلم أن ليس أمامها خيار آخر. لم تعد تعلـم مـن الذي ستثق به.

وهي تخطو خارج مكتبها، شقت طريقها عائدة إلى الردهة السـكرتارية، ثم إلى مدخل واسع على الجانب المعاكس. في النهاية البعيدة، استطاعت رؤية الأبواب الضخمة المصنعة من خشب البلوط لمكتب سيكسـتون محاطـة مـن جانبيها بعلمين – علم الولايات المتحدة على الجهة اليمنى، وعلم ديلاوير على الجهة اليسرى. كانت أبوابه، كمعظم أبواب المكاتب السيناتورية فـي المبنـى، معززةً بالفولاذ ومحمية بمفاتيح تقليديـة، ولوحـة مفـاتيح أرقـام الـدخول الإلكترونية، ونظام إنذار.

علمت لو أن باستطاعتها الدخول، حتى ولو لبضع دقائق فقط، فالأجوبـة كلها ستتوضح. تحركت باتجاه الأبواب المحمية بشكل تام، لم تكـن غابرييـل متوهمةً باعتقادها أن بإمكانها الدخول عبرهم. كان لديها خطط أخرى.

على بعد عشرة أقدام (3 متر) عن مكتب سيكستون، التفتت غابرييل بحدة إلى اليمين ودخلت غرفة استراحة السـيدات. أضـاءت الأضـواء اللامعـة أوتوماتيكياً، منعكسة بشكل مزعج من الآجر الأبيض. عندما تكيفت عيناها، رأت نفسها في المرآة. كالمعتاد، بدت ملامحها أكثر نعومة مما ترغب به. حساسـة تقريباً. فهي دائماً تشعر أنها أقوى مما تبدو عليه.

هل أنت متأكدة أنك على استعداد بالقيام بهذا؟

علمت غابرييل أن سيكستون ينتظر وصولها بشوق من أجـل ملخـص كامل عن وضع بودس. للأسف، أدركت الآن أيضاً بأن سيكستون قد خـدعها

بذكاء الليلة. لا تحب غابرييل آش أن يتم التلاعب بها. لقد أخفى السيناتور أشياء عنها الليلة. السؤال هو كم مقدار ذلك. علمت أن الإجابات موجودة داخل مكتبه – على الجانب الآخر فقط من جدار غرفة الاستراحة هذه.

"خمس دقائق". قالت غابرييل بصوت عالٍ وهي تستجمع عزمها.

تحركت باتجاه خزانة معدات الحمام، وصلت هناك ومررت يدها فوق إطار الباب. سقط مفتاح على الأرض. إن طاقم التنظيف في بناء فيليب أي هارت كان يتألف من موظفين فيدراليين، وبدا أنهم يُطردون في كل مرة يكون هناك إضراب من أي نوع، تاركين هذا الحمام دون أوراق للمرحاض أو محارم لأسابيع في بعض الأوقات. وبسبب ملل النساء في مكتب سيكستون من المواقف المحرجة، تدبروا أمرهم بأنفسهم وأخفوا مفتاحاً إضافياً للغرفة من أجل 'الطوارئ'.

توافق هذه الليلة الأمر، فكرت بذلك.

فتحت الخزانة.

كان داخل الخزانة ضيقاً، مملوءاً بمطهرات، مماسح، ورفوف مليئة بأوراق المرحاض. منذ شهر، كانت غابرييل تبحث عن أوراق المرحاض عندما اكتشفت شيئاً غريباً. عندما كانت غير قادرة على الوصول إلى الأوراق في الرف العلوي، استخدمت نهاية المكنسة لتجعل أحد اللفات تسقط. خلال ذلك الإجراء، أسقطت آجرة سقفية. وعندما صعدت لتعيد وضع تلك الآجرة، كانت متفاجئة لسماع صوت السيناتور سيكستون.

واضحاً كالكريستال.

من ذلك الصدى، أدركت أن السيناتور كان يتحدث مع نفسه عندما كان في حمام مكتبه الخاص، والذي بدا أنه مفصول عن خزانة المعدات هذه بسقف قرميدي من الرقاقة الليفيّة يمكن تحريكه.

الآن، عائدة إلى الخزانة هذه الليلة لشيء أهم من أوراق مرحاض، خلعت غابرييل حذاءها وتسلقت الرفوف دافعة قرميد الرقاقة السقفي ومرتفعة بنفسها. الكثير للأمن القومي، فكرت بذلك متسائلة كم هو عدد قوانين الولاية والقوانين الفيدرالية التي هي على وشك اختراقها.

خافضة نفسها عبر سقف غرفة استراحة سيكستون الخاصة، وضعت غابرييل قدميها على حوض البورسلان البارد ومن ثم قفزت إلى الأرض. حابسة نفَسها، دخلت إلى مكتب سيكستون الخاص.

كان السجاد النفيس ناعماً ودافئاً.

107

على بعد ثلاثين ميلاً، تحركت الهيلكوبتر السوداء المسلحة 'الكايوا' فوق قمم الأشجار الكثيفة في شمال ديلوير. تفحص دلتا واحد الإحداثيات المثبتة على نظام التوجيه الأتوماتيكي.

رغم أن جهاز الإرسال على السفينة الذي استخدمته راشيل، وهاتف بيكرينغ الجوال كانا مزودان بشيفرة لحماية محتويات اتصالاتهما، فإن المحتويات المشفرة لم تكن هي الهدف عندما تمكن فريق دلتا فورس من اختلاس ترددات مكالمة راشيل من البحر. إن اعتراض موقع المتصل كان هو الهدف. فقد جعلت أنظمة تحديد المواقع العالمية وأنظمة المسح المؤتمتة تحديد إحداثيات الإرسال مهمة أسهل بكثير من فك شيفرة محتويات المكالمة الحقيقة.

كان دلتا واحد دائماً مندهشاً من التفكير بأن معظم مستخدمي الهواتف الجوالة ليسوا على علم بأنهم في كل مرة يجرون فيها اتصالاً يقوم مركز حكومي، لو أراد ذلك، باكتشاف مواقعهم ضمن إطار عشرة أقدام (3 متر) في أي مكان على الأرض – مشكلة صغيرة أخفقت شركات الهواتف النقالة في الإعلان عنها. هذه الليلة، حالما تمكن فريق دلتا فورس من الحصول على مدخل للترددات المُستَقبلة لهاتف ويليام بيكرينغ، استطاع بسهولة تعقب إحداثيات المكالمة الواردة.

محلقين الآن في طريق مباشر باتجاه هدفهم، اقترب دلتا واحد إلى ما يقارب عشرين ميلاً. "المظلة جاهزة؟" سأل ملتفتاً إلى دلتا اثنين الذي كان يجهز الرادار ونظام الأسلحة.

"نعم سيدي. نحن في انتظار مدى خمسة أميال".

خمسة أميال، فكر دلتا واحد. عليه التحليق بهذا الطائر جيداً ضمن مجال رادار هدفه ليتمكن من الحصول على المدى المناسب لاستخدم أنظمة أسلحة الكايوا. كان يشك بأن شخصاً ما على متن الغويا يراقب السماء بقلق، ولأن المهمة الحالية لدلتا واحد هي القضاء على هدفه قبل إعطائهم أية فرصة لطلب النجدة، كان عليه الآن أن ينقض على فريسته دون تحذيرها.

على بعد خمسة عشر ميلاً، وهم لا يزالون آمنين من مجال الرادار، أدار دلتا واحد فجأةً طائرة الكايوا عن المسار خمساً وثلاثين درجة إلى الغرب. ثم ارتفع لمستوى ثلاثة آلاف (900 متر) قدم – مدى الطائرات الصغيرة – وضبط سرعته إلى 110 عقدة.

على متن الغويا، أصدرت شاشة الرادار في هيلكوبتر خفر السواحل رنيناً حالما دخل مصدر جديد إلى المحيط البالغ عشرة أميال. جلس الطيار بحذر يتفحص الشاشة. بدا المصدر كأنه طائرة شحن صغيرة تتوجه إلى غرب الشاطئ.

ربما إلى نيوارك.

بالرغم من أن مسار هذه الطائرة الحالي سوف يجعلها تبعد أربعة أميال من الغويا، إلا أن مسيرها هذا كان مصادفة بشكل واضح. ومع ذلك، بسبب كونه محترساً، راقب طيار خفر السواحل أثر النقطة الوامضة بتحركها البطيء البالغ 110 عقدة عبر الطرف الأيمن من الشاشة. في أقرب نقطة لها، كانت الطائرة على بعد أربعة أميال نحو الغرب تقريباً. وكما هو متوقع، استمرت الطائرة بالتحرك – متوجهة بعيداً عنهم الآن.

4.1 ميل، 4.2 ميل.

تنهد الطيار، مسترخياً.

وبعدها حدث الشيء الأكثر غرابة.

"تفعلت المظلة الآن". صاح دلتا اثنان معطياً إشارة القبول من معقد التحكم بالأسلحة في الجانب الأيسر من طائرة الكايوا المسلحة. "النيران، الضجيج المعدل، والترددات المحمية، جميعها فعالة ومثبتة".

تلقى دلتا واحد الإشارة ومال بطائرته بعنف نحو اليمين، واضعاً إياها في مسار مباشر مع الغويا. هذه الحركة ستكون غير مرئية لرادار السفينة.

"إنها ترمي ببالات من ورق الفضة!" صاح دلتا اثنان.

وافقه دلتا واحد. إن عملية تشويش الرادار قد تم اختراعها في الحرب العالمية الثانية عندما بدأ طيار بريطاني ذكي برمي بالات من القش ملفوفة بورق الفضة من خارج طائرته خلال عمليات القذف. عندها التقطت رادارات الألمان عدداً كبيراً من الأجسام المنعكسة ولم يعلموا أي منها يقذفون. منذ ذلك الحين تم تطوير التقنيات بشكل كبير.

إن نظام التشويش 'المظلي' على متن الغويا هو واحد من الأسلحة الحربية الإلكترونية الأكثر شدة للقوات العسكرية. من خلال بث مظلة من الضجيج الخلفي في الجو فوق مجموعة معطاة من الإحداثيات السطحية، يمكن للكايوا أن تشوش أعين وآذان وأصوات هدفها. فلا بد أن تكون جميع شاشات

الرادار على متن الغويا فارغة منذ لحظات. وفي الوقت الذي يدرك فيه الطاقم احتياجهم للمساعدة، سيكونون غير قادرين على الإرسال. كما أن جميع وسائل الاتصال على متن السفينة هي لاسلكية أو تعمل على الأمواج القصيرة - ليس هناك أية خطوط لهواتف ثابتة. وعند اقتراب الكايوا بدرجة كافية، ستكون جميع أنظمة اتصالات الغويا قد توقفت عن العمل، كما أن إشاراتها الناقلة سيتم إعاقتها بغيمة غير مرئية من الضجيج الحراري المنتشر أمام الكايوا مثل ضوء أمامي يعمي الأبصار.

انعزال تام، فكر دلتا واحد، ليس لديهم أية وسيلة للدفاع.

لقد كان هدفهم محظوظاً بأنه استطاع الهرب بذكاء من الرف الصخري الجليدي في ميلني، ولكن هذا لن يتكرر. عند اختيارهم مغادرة الشاطئ، كانت راشيل سيكستون ومايكل تولاند قد قاما باختيار بائس. وسيكون هو آخر قرار خاطئ يتمكنون من القيام به.

داخل البيت الأبيض، شعر زاك هيرني بالدوار وهو يجلس في سريره حاملاً سماعة الهاتف. "الآن؟ يريد إيكستروم التحدث معي الآن؟" نظر هيرني مرة أخرى إلى الساعة الموضوعة جانب سريره. 3:17 صباحاً.

"نعم، حضرة الرئيس"، قالت عاملة الاتصالات: "يقول إنه أمر طارئ".

108

بينما كان كوركي وزافيا جاثمين أمام المجهر الإلكتروني يقيسان محتويات الزركونيوم في الحبيبات المعدنية، تبعت راشيل تولاند عبر المختبر إلى غرفة مجاورة، حيث قام تولاند بتشغيل جهاز كمبيوتر آخر، على ما يبدو أن عالم المحيطات لديه شيء آخر يريد تفحصه.

عندما أضاء جهاز الكمبيوتر، التفت تولاند إلى راشيل وفمه جاهز للتحرك وكأنه يريد التحدث بشيء، ثم صمت.

"ما الأمر؟" سألت راشيل وهي متفاجئة بمدى انجذابها إليه جسدياً رغم أنهم في غمرة كل هذا الاضطراب. تمنت لو أن باستطاعتها أن تحجب كل شيء بعيداً وتبقى معه - لدقيقة واحدة فقط.

"أدين لك باعتذار". قال تولاند ويبدو عليه الندم.

"عن ماذا؟".

"على سطح السفينة؟ قروش أبو مطرقة؟ لقد كنت مُثاراً. أنسى بعض الأحيان كم يمكن أن يكون المحيط مخيفاً للكثير من الأشخاص".

وجهاً لوجه معه، شعرت راشيل وكأنها مراهقة تقف على عتبة باب خليل جديد. "شكراً، ليس هناك مشكلة على الإطلاق. حقاً". شيء ما داخلها أحس أن تولاند يريد تقبيلها.

بعد أن أجبر نفسه على التراجع، التفت بخجل بعيداً: "أعلم. أنت تريدين الذهاب إلى الشاطئ. لكن يجب علينا الذهاب للعمل".

"لفترة وجيزة فقط". ابتسمت راشيل بنعومة.

"لفترة وجيزة فقط". أعاد تولاند كلامها وهو يجلس أمام شاشة الكمبيوتر.

تنهدت راشيل واقفة بجانبه الآن مستمتعة بخصوصية ذلك المختبر الصغير. شاهدت تولاند وهو يبحث بين سلسلة من الملفات. "ما الذي تفعله؟".

"أتفحص قاعدة البيانات الخاصة بقمل المحيطات الكبير. أريد أن أرى فيما إذا كان هناك أية مستحاثات بحرية قبل تاريخية تشابه ما رأيناه في حجر ناسا النيزكي". توقف أمام صفحة بحث بأحرف عريضة في القمة: مشروع دايفرسيتاس.

متنقلاً عبر القوائم، شرح تولاند: "إن دايفرسيتاس هي في الأساس فهرس يتم تحديثه بشكل مستمر لبيانات المحيط الحيوية. عندما يكتشف علماء البيولوجيا البحرية أي نوع من كائنات المحيط الجديدة أو مستحاثاتها يستطيع أن ينفخ في البوق ويشترك باكتشافه هذا من خلال إرسال المعلومات والصور إلى بنك المعلومات الرئيسي. وبسبب أن هناك مجموعة هائلة من المعلومات المكتشفة أسبوعياً فإن هذه هي الطريقة الوحيدة لإبقاء البحث حديثاً".

راقبت راشيل تولاند وهو يتنقل عبر القوائم: "إذاً أنت تتصل بالشبكة العالمية الآن؟".

"لا، إنَّ الاتصال بالإنترنيت أمر صعب في البحر. نحن نحتفظ بجميع هذه المعلومات على متن السفينة داخل مجموعة ضخمة من الأقراص الليزرية في الغرفة الأخرى. وفي كل مرة نكون فيها بالميناء، نتصل بدايفرسيتاس ونقوم بتحديث بنك المعلومات بآخر الاكتشافات. بهذه الطريقة، نستطيع الحصول على المعلومات ونحن في البحر من دون الاتصال بالشبكة العالمية، وبهذا تكون معلوماتنا متأخرة بفارق شهر أو شهرين لا أكثر". ضحك تولاند بخفوت عندما

بدأ بطباعة أحرف البحث على جهاز الكمبيوتر: "ربما تكونين قد سمعت ببرنامج الموسيقا الجدلي الذي يقوم بمشاركة الملفات والذي يدعى نابستر؟".

أومأت راشيل.

"دايفرسيتاس يعتبر نسخة علماء البيولوجيا البحرية لبرنامج نابستر. ندعوه بـ 'لوبستر' – علماء بيولوجيا المحيطات الوحيدون يتشاركون أبحاثاً غريبة تماماً".

ضحكت راشيل. رغم هذه الظروف المضطربة، أظهر مايكل تولاند دعابة ساخرة خففت من خوفها. كانت قد بدأت تدرك أنها لا تحصل سوى على القليل من الضحك في الآونة الأخيرة من حياتها.

"إن قاعدة بياناتنا ضخمة". قال تولاند وهو يكمل إدخال كلمات البحث. "أكثر من عشرة تيرابايت من الشرح والصور. هناك معلومات هنا لن ولم يرها أحد من قبل. إن كائنات المحيط هي ببساطة كثيرة جداً". ضغط زر 'البحث'. "حسناً، لنرى إذا كان أي شخص قد رأى مستحاثة بحرية مشابهة لحشرة الفضاء الصغيرة تلك".

بعد ثوانٍ قليلة، انتعشت الشاشة مظهرة أربع قوائم للحيوانات المتحجرة. ضغط تولاند على كل واحدة من هذه القوائم، واحدة تلوى الأخرى وتفحص الصور. لم تكن أي واحدة منها تشبه المستحاثات الموجودة في الحجر النيزكي الموجود في ميلني على الإطلاق.

عبس تولاند: "لنجرب شيئاً آخر". مسح كلمة 'مستحاثة' من شريط البحث ثم ضغط زر 'البحث': "سنقوم بالبحث في جميع الأنواع التي على قيد الحياة. ربما نجد أي أصل لكائن حي يمتلك خواصاً وظيفية لمستحاثة ميلني".

انتعشت الشاشة.

عبس تولاند مرة أخرى. أعاد جهاز الكمبيوتر آلاف المداخل. جلس للحظة يمسح على ذقنه القاتمة التي نمى فيها الشعر قليلاً. "حسناً، هذا كثير جداً. لنجعل البحث أكثر فعالية".

راقبته راشيل وهو يظهر قائمة فرعية معلمة بـ 'الموطن'. بدت قائمة الخيارات غير منتهية: مياه المحيطات، المستنقعات، البحيرات الضحلة، الحيد البحري[42]، منتصف المرتفعات المحيطية، الفجوات الكبريتية. انتقل تولاند عبر

---

[42] الحيد البحري: سلسلة صخور قرب سطح الماء.

القائمة وانتقى خياراً يقول: حواف مهدمة/منخفضات محيطية.

ذكي، أدركت راشيل. كان تولاند يختصر بحثه إلى الأنواع التي تعيش فقط بجانب البيئات حيث يفترض أن تتشكل الخواص المشابهة للحبيبات المعدنية.

انتعشت الشاشة، وفي هذه المرة ابتسم تولاند: "عظيم، ثلاثة مداخل فقط".

نظرت راشيل إلى الاسم الأول على القائمة: ملك السراطين المتعددة... شيء كهذا.

ضغط تولاند على المدخل، فظهرت صورة؛ بدا المخلوق فيها كملك السراطين الضخم من دون ذيل.

"لا"، قال تولاند وهو يعود للصفحة السابقة.

نظرت راشيل إلى المادة الثانية على القائمة. القريدس القبيح من الجحيم. كانت راشيل مرتبكة: "هل هذا اسمه الحقيقي؟".

ضحك تولاند بخفوت: "لا. إنه كائن جديد لم يتم تصنيفه بعد. إن الفتى الذي اكتشفه يمتلك روح دعابة، لذا يقترح اسم القريدس القبيح على أنه التصنيف الرسمي له". ضغط تولاند لفتح الصورة، كاشفاً مخلوقاً قبيحاً جداً يشبه القريدس مزود بشوارب وقرن استشعار زهري مشع.

"اسم مناسب". قال تولاند: "ولكنه ليس كحشرة الفضاء". عاد إلى الفهرس: "العرض الأخير هو..." ضغط على المدخل الثالث فظهرت الصفحة.

"العميق العملاق..." قرأ تولاند بصوت عالٍ بينما ظهرت الصفحة. حُملت الصورة. صورة فوتوغرافية عن قرب بالألوان الكاملة.

قفزت راشيل: "يا إلهي!" إن تحديق ذلك المخلوق بها أعطاها شعوراً بالقشعريرة.

أطلق تولاند نَفَساً منخفضاً. "أوه، يبدو هذا الفتى مألوفاً".

أومأت راشيل عاجزة عن الكلام. كان المخلوق يشبه قملة سابحة ضخمة. بدت مشابهة كثيراً لأنواع المستحاثات الموجودة في صخرة ناسا".

"هناك بعض الاختلافات القليلة"، قال تولاند، وهو ينتقل إلى الأسفل إلى بعض الرسوم البيانية والمخططات التشريحية: "لكنها قريبة جداً. خاصة باعتبار أن مضى عليها 190 مليون سنة لتتطور".

القرب أمر صحيح، فكرت راشيل، قريبة جداً.

قرأ تولاند الوصف على الشاشة: "يعتقد أنها واحدة من أقدم الكائنات في المحيط، إن هذا النوع النادر والمصنف حديثاً هو من متساويات الأرجل القمّامة في المياه العميقة والتي تشبه حمار قبان كبيرة. يصل طولها إلى قدمين (60 سم)، وتحتوي على هيكل خارجي كيتوني متفصص إلى رأس، صدر، وبطن. كما تمتلك زوجاً من الزوائد وقرون الاستشعار وعينين مركبتين كالحشرات التي تعيش على اليابسة. ليس لدى هذه الكائنات القاطنة في الأسفل أية مفترسين، وتعيش في بيئات أوقيانوسية فارغة كان يعتقد مسبقاً أنها غير مأهولة". نظر تولاند إلى الأعلى: "وهذا ما يفسر نقص المستحاثات الأخرى في العينة!".

حدقت راشيل في ذلك المخلوق على الشاشة، مثارة ولكنها غير متأكدة من أنها قد فهمت تماماً ما الذي يعنيه كل هذا.

"تخيلي"، قال تولاند بإثارة: "أنه منذ 190 مليون سنة، دفن جنس من هذه المخلوقات في منحدرات الوحل في أعماق المحيط. وعندما تحول ذلك الطين إلى صخرة، تحجرت الحشرات داخلها. وفي الوقت نفسه، حملت أرضية المحيط التي تتحرك باستمرار مثل حزام نقال هذه المستحاثات باتجاه منخفضات المحيط إلى منطقة ضغط مرتفع حيث تشكل الصخور الحبيبات المعدنية!" كان تولاند يتحدث بشكل أسرع الآن: "ولو أن جزءاً من القشرة المتحجرة والمليئة بالحبيبات تجزأ وانتهى في شق متزايد للمنخفض، الأمر غير المستغرب على الإطلاق، عندها ستكون في موقع مناسب ليتم اكتشافها فيه!".

"ولكن لو أن ناسا..." تلعثمت راشيل: "أقصد لو أن هذه كانت كذبة بأكملها، كان لناسا أن تعلم أنه عاجلاً أم آجلاً سيكتشف أحد أن هذه المستحاثة تشبه مخلوقاً بحرياً، صحيح؟ أقصد، لقد اكتشفنا ذلك نحن للتو!".

بدأ تولاند بطباعة صور هذا الكائن على طابعة ليزرية. "لا أعلم. حتى ولو تقدم شخص ما بملاحظة التشابه بين المستحاثات وهذه القملة البحرية التي على قيد الحياة، فإن وظائفهما الفيزيولوجية ليست متماثلة. وذلك سيثبت قضية ناسا بشكل أقوى".

فهمت راشيل فجأة: "نظرية بانسبيرما". الحياة على الأرض كانت في الأصل مبذورة من الفضاء.

"تماماً. إن التشابه بين كائنات الفضاء وكائنات الأرض يحقق منطقاً علمياً رائعاً. إن هذه القملة البحرية ستعزز من مسألة ناسا".

"باستثناء لو كان أصل الحجر النيزكي مشكوكاً بأمره".

قال تولاند: "حال ما يشك بأمر الحجر النيزكي، عندها ينهار كل شيء. تتحول قملتنا البحرية من صديقة لناسا إلى مسمار في طريقها".

وقفت راشيل بصمت بينما تخرج الصفحات من الطابعة. حاولت القول لنفسها إن هذا كله كان خطأً شريفاً ناجماً عن ناسا، ولكنها علمت أنه ليس كذلك. الأشخاص الذين يرتكبون أخطاء بريئة لا يحاولون قتل الناس.

صدى صوت كوركي الحاد فجأة عبر المختبر: "مستحيل!".

التفت كل من تولاند وراشيل.

"قيسي النسبة اللعينة مرة أخرى! هذا ليس منطقياً!".

قدمت زافيا مسرعة وهي تقبض على ورقة مطبوعة في يدها. كان وجهها شاحباً: "مايك، لا أعلم كيف أقول هذا..." ضعف صوتها. "نسب التيتانيوم/الزركونيوم التي نراها في هذه العينة؟" تنحنحت: "إنه أمر واضح أن ناسا قامت بخطأ كبير. إن حجرهم النيزكي هو صخرة بحرية".

نظر كل من راشيل وتولاند إلى بعضهما البعض ولكن لم ينطق أي منهما أية كلمة. علموا. من دون أي عناء، انكشفت جميع الشكوك والارتيابات كزبد الموجة، وهي تصل إلى النهاية.

ردّ تولاند والحزن في عينيه. "حسناً، شكراً لك زافيا".

"ولكني لا أفهم"، قالت زافيا: "أمر القشرة الخارجية المتفحمة... ومكانها في الجليد –".

"سنشرح لك ذلك ونحن في طريقنا إلى الشاطئ". قال تولاند: "سنغادر".

وبسرعة، قامت راشيل بجمع جميع الأوراق والدلائل التي يملكونها الآن. كانت الأدلة حاسمة بشكل واضح: الورقة المطبوعة من (جي بي آر) تظهر عمود الإدخال في الرف الجليدي في ميلني، صور القملة البحرية التي على قيد الحياة المشابهة لمستحاثة ناسا، مقال الدكتور بولوك عن الحبيبات المعدنية المحيطية، ومعلومات مجهرية تظهر نسب التيتانيوم النافدة بشدة في الحجر النيزكي.

النتيجة لا يمكن إنكارها. الخدعة.

نظر تولاند إلى مجموعة الأوراق في يد راشيل وأطلق تنهدة كئيبة. "حسناً، عليّ القول إن ويليام بيكرينغ يمتلك دليله".

تساءلت راشيل، مرة أخرى لماذا لم يجب بيكرينغ على هاتفه.

رفع تولاند سماعة هاتف مجاور، وأعطاها لراشيل: "أتريدين محاولة الاتصال به من هنا مرة أخرى؟".

"لا، هيا نذهب. سأحاول الاتصال به من الطائرة". كانت راشيل قد قررت مسبقاً أنه في حال لم تتمكن من الاتصال ببيكرينغ، فإنها ستجعل طائرة خفر السواحل تحلق بهم مباشرة إلى مكتب الاستطلاع الذي يقع على بعد 180 ميلاً فقط.

بدأ تولاند يغلق سماعة الهاتف، ولكنه توقف. يبدو عليه القلق، أصغى إلى السماعة، عابساً: "غريب، ليس هناك إشارة صوتية".

"ماذا تقصد؟" قالت راشيل وهي قلقة الآن.

"أمر غريب". قال تولاند "إن خطوط كومسات لا تنقطع على الإطلاق –".

"سيد تولاند؟" قدم طيار خفر السواحل مسرعاً إلى المختبر بوجه أصفر.

"ما الأمر؟" سألت راشيل: "هل أحد في طريقه إلى هنا؟".

"هذه هي المشكلة". قال الطيار: "لا أعلم، جميع أجهزة الرادار والاتصالات قد تعطلت".

وضعت راشيل جميع الأوراق داخل قميصها: "هيا إلى الهيلكوبتر، سنغادر. الآن!".

109

كان قلب غابرييل ينبض بسرعة وهي تعبر المكتب المظلم للسيناتور سيكستون. كانت الغرفة واسعة وأنيقة – جدراناً خشبية مزخرفة، لوحات زيتية، سجاداً فارسياً، كراسيَ جلدية مثبتة بإحكام، ومكتباً ضخماً من خشب الماهوغاني. كانت الغرفة مضاءة فقط بالضوء المخيف المنتشر من شاشة كمبيوتر سيكستون.

اتجهت غابرييل نحو مكتبه.

كان السيناتور سيكستون قد استخدم 'المكتب الرقمي' بأحجام جنونية، محولاً خزن الملفات الممتلئة إلى حاسوب شخصي يعطيه إمكانية البحث، بالإضافة لتوفير المساحة. فأدخل مقداراً هائلاً من المعلومات – ملاحظات مؤتمتة عن الاجتماعات، مقالات مدخلة باستعمال الماسح، خطابات وأفكار

ذكية. كان كمبيوتر سيكستون مكانه المقدس، لذلك أبقى مكتبه مقفولاً في جميع الأوقات لحماية جهازه. حتى إنه رفض الاتصال بالإنترنيت لخوفه من تسلل لصوص الكمبيوتر إلى سردابه المؤتمت المقدس.

منذ سنة لم تكن غابرييل تؤمن بأن أي سياسي سيكون غبياً ليحتفظ بنسخ من الوثائق التي تحتوي أخطاءه الشخصية، ولكن واشنطن علمتها الكثير. المعلومات هي السلطة. كانت غابرييل متفاجئة عند علمها بممارسة شائعة بين السياسيين الذين يقبلون بمساهمات مثيرة للشك لحملاتهم، وهي الاحتفاظ بدليل حقيقي لهذه التبرعات – رسائل، سجلات من المصارف، إيصالات، وسجلات أخرى – جميعها مخبأة في مكان آمن. إن تكتيك الابتزاز المعاكس، المعروفة في واشنطن على نحو لطيف باسم 'التأمين السيامي'، يحمي المرشحين من المتبرعين الذين يشعرون بأن عطاياهم تخولهم بطريقة ما لفرض ضغوطات سياسية مفرطة تجاه مرشحهم. ولو أن مساهماً ما قام بالطلب كثيراً، عندها يقدم المرشح ببساطة دليلاً عن تبرعات غير شرعية ويذكر ذلك المساهم بأن كلا الطرفين قد خرق القانون. تضمن هذه الدلائل تلازم كل من المرشحين والمساهمين للأبد – مثل توأمي السيامي.

جلست غابرييل خلف مكتب السيناتور، أخذت نفساً عميقاً وهي تنظر إلى شاشة الكمبيوتر. لو أن السيناتور يقبل رشاوى من (إس إف إف)، فإن جميع الدلائل ستكون هنا.

كانت شاشة توقف كمبيوتر سيكستون عبارة عن عرض صور مستمر للبيت الأبيض وأرضياته، وهي مصممة من قبل أحد طاقمه المتحمسين الذين يمتلكون خيالاً خصباً وتفكيراً إيجابياً. حول تلك الصورة يزحف عبارة مستمرة تقول: رئيس الولايات المتحدة سيدجويك سيكستون... رئيس الولايات المتحدة سيدجويك سيكستون... رئيس الـ...

حركت غابرييل فأرة الكمبيوتر، فظهر مربع حوار أمني.

أدخل كلمة السر:

لقد توقعت هذا. ولكنها لن تكون مشكلة. فقد دخلت الأسبوع الماضي لمكتب سيكستون عندما كان السيناتور يجلس ويشغل جهازه. رأته وهو يطبع ثلاثة أحرف بتتابع سريع.

"هذه هي كلمة السر؟" تحدته من الباب وهي تدخل.

نظر إليها سيكستون: "ماذا؟".

"اعتقدت أنك مهتم جداً بالسرية"، وبخته غابرييل بودية: "كلمة السر عبارة من ثلاثة أحرف فقط؟" أعتقد أن التقنيين قد أخبرونا جميعاً أن نستخدم ستة أحرف على الأقل".

"إن التقنيين مراهقون. يجب عليهم محاولة تذكر ستة أحرف عشوائية عندما يتجاوزون الأربعين من العمر. بالإضافة إلى وجود إنذار على الباب، لا يستطيع أحد الدخول إلى هنا".

مشت غابرييل باتجاهه مبتسمة: "ماذا لو انسل أحد إلى هنا وأنت في المرحاض؟".

"وحاول تجريب جميع التشكيلات الممكنة من كلمات السر؟" ضحك بارتياب. "أنا بطيء عندما أكون في المرحاض، ولكن ليس لهذه الدرجة".

"أتشارط على العشاء في مطعم ديفيد إذا استطعت تخمين كلمة السر الخاصة بك خلال عشر ثوانٍ".

بدا على سيكستون الخديعة والإثارة: "لا يمكنك تحمل تكاليف مطعم ديفيد، يا غابرييل".

"إذاً تقول إنك ضعيف؟".

بدا سيكستون شاعراً بالأسف وهو يقبل ذلك التحدي: "عشرة ثوانٍ؟" سجل خروجه من الجهاز، وأشار إلى غابرييل بالجلوس ومنحها فرصة: "تعرفين أنني لا أطلب سوى سمك سالتيمبوكا في مطعم ديفيد. وهذا ليس رخيصاً"؟

هزّت كتفيها وهي تجلس: "إنها أموالك".

أدخل كلمة السر:

"عشرة ثوانٍ". ذكرها سيكستون.

ضحكت غابرييل. إنها ستحتاج إلى ثانيتين فقط. رغم أنها كانت عند مدخل الباب، استطاعت رؤية سيكستون وهو يدخل كلمة السر بثلاثة أحرف فقط بتعاقب سريع مستخدماً إصبع السبابة. من الواضح أن جميع الأحرف متشابهة. أمر غير حكيم. كما استطاعت رؤية أن يده كانت موضوعة فوق الجانب الأيسر البعيد من لوحة المفاتيح – هذا ما ينقص من عدد الأحرف إلى تسعة أحرف فقط. إن اختيار الحرف كان أمراً بسيطاً، فقد كان سيكستون دائماً معجباً بالتجانس الثلاثي لاسمه. سيناتور سيدجويك سيكستون.

لا تستخف بكبرياء سياسي على الإطلاق.

طبعت (SSS) فتلاشت شاشة التوقف.

انصعق سيكستون من ذلك.

كان هذا منذ الأسبوع الماضي. أما الآن فغابرييل أمام شاشة الكمبيوتر مرة أخرى. كانت متأكدة من أن سيكستون لم يملك الوقت الكافي ليكشف كيفية تغيير كلمة السر. لماذا سيقوم بذلك؟ إنه يثق بي بشكل مطلق.

طبعت (SSS).

كملة السر خاطئة – الدخول ممنوع.

حدقت غابرييل مصدومة.

يبدو أنها بالغت بتقدير مستوى ثقة السيناتور بها.

110

أتى الهجوم دون أي تنبيه. من مكان منخفض من سماء الجنوب الشرقي فوق الغويا، انبثقت الصورة الظليلة المخيفة للهيلكوبتر المسلحة مثل دبور ضخم. لم تشك راشيل بما كان هذا أو لماذا هو موجود هنا.

عبر الظلام، أرسل انفجار متقطع من مقدمة الهيلكوبتر سيلاً من الرصاص المنهمر عبر سطح سفينة الغويا ذات الزجاج المغزول[43]، محدثاً شقاً في المؤخرة. كان تحرك راشيل لتجد غطاءً بطيئاً جداً، وشعرت بأن جرحاً لاذعاً من رصاصة قد كشط ساعدها. ارتمت على الأرض بقسوة ثم تدحرجت، مندفعة نحو القبة المنتفخة الشفافة لغواصة التريتون.

موجة من الرياح المرعدة انفجرت فوق رأسها بينما انقضت الطائرة فوق السفينة. تلاشى الضجيج بهسيس مخيف بينما توجهت الطائرة بعيداً فوق المحيط وبدأت تميل بشكل كبير استعداداً للمرور الثاني.

ممددة ترتجف فوق سطح السفينة، أمسكت راشيل ذراعها ونظرت خلفاً إلى كوركي وتولاند. يبدو أنهما اندفعا تحت غطاء خلف المخزن، حيث كان الرجلان مصعوقين، تتفحص عيناهما السماء برعب. تقلّص جسد راشيل من شدة الخوف، وبدا العالم من حولها يتحرك فجأة بحركة بطيئة.

---

43 الزجاج المغزول: زجاج ليفي الشكل.

جاثمة خلف قوس غواصة التريتون، نظرت راشيل بذعر إلى وسيلة الهرب الوحيدة لهم – هيلكوبتر خفر السواحل. كانت زافيا قد صعدت إلى حجرة الطائرة، تلوح باهتياج إلى الجميع ليصعدوا على متنها. استطاعت راشيل رؤية الطيار قد دفع بنفسه إلى حجرة الطيران، يشغل المفاتيح الكهربائية والرافعات بعنف. بدأت شفرات الطائرة تتحرك... بتباطؤ شديد جداً.

بطيئة جداً.

أسرعي!

وقفت راشيل، تتجهز للركض، متسائلة إذا كان بإمكانها عبور سطح السفينة قبل أن يقوم المهاجمون بمرورهم الثاني. من خلفها، سمعت كوركي وتولاند يندفعان بسرعة باتجاهها وباتجاه الهيلكوبتر المنتظرة.

نعم! أسرعي!

ثم رأت ذلك.

على بعد مئة ياردة، في السماء فوق، متشكلاً من الظلام الفارغ، انبثق شعاع رفيع جداً من الضوء الأحمر عبر الظلام، يستكشف سطح الغويا. بعدها، ولد وجد علامته، توقف الشعاع على جانب طائرة خفر السواحل المنتظرة.

استغرقت الصورة لحظة واحدة لتتسجل. في تلك اللحظة المرعبة، شعرت راشيل أن جميع الأحداث على سطح الغويا تتحول إلى ضباب لمجموعة من الأشكال والأصوات. اندفاع تولاند وكوركي باتجاهها – إشارة زافيا المهتاجة في الطائرة – شعاع الليزر الأحمر المتحرك عبر السماء الداكنة.

كان الوقت متأخراً جداً.

اندفعت راشيل إلى الخلف باتجاه كوركي وتولاند اللذين كانا يركضان بسرعة كبيرة باتجاه الطائرة. أسرعت مندفعة في طريقهم، ناشرة ساعديها في محاولة لإيقافهما. بدا الاصطدام كحطام قطار حيث اصطدم الثلاثة على سطح السفينة وأيديهم وأرجلهم متشابكة.

في الأفق، ظهر ضوء أبيض لامع. شاهدت راشيل بذعر وعدم تصديق كيف تبع خط مستقيم تماماً من النيران طريق شعاع الليزر مباشرة باتجاه الهيلكوبتر.

عندما اصطدم الصاروخ الناري بجسم الطائرة، انفجرت الهيلكوبتر

متجزئةً كاللعبة. ثم عصفت موجة ارتجاجية من الحرارة والضجيج عبر سطح السفينة بينما أمطرت الشظايا الملتهبة. تمايل هيكل الهيلكوبتر الملتهب إلى الخلف على ذيلها المتحطم، تأرجح للحظة، ثم سقط خلف السفينة مصطدماً بالمحيط مطلقاً هسيس غيمة من البخار.

أغلقت راشيل عينيها غير قادرة على التنفس. استطاعت سماع الحطام الملتهب يقرقع ويفرقع ويغرق، منسحباً من الغويا بالتيارات القوية. في ذلك الاضطراب، كان صوت مايكل تولاند يصرخ. شعرت راشيل بيديه القويتين تحاولان سحبها، ولكنها لم تستطع التحرك.

لقد مات طيار خفر السواحل وزافيا.

نحن بعدهم.

111

كان الطقس قد هدأ في الرف الجليدي في ميلني، كما كانت القبة الاصطناعية هادئة. رغم ذلك، لم يحاول مدير ناسا لورانس إيكستروم النوم. قضى الساعات وحيداً، ماشياً عبر القبة، محدقاً نحو حفرة الاستخراج، ممرراً يده فوق أخاديد الصخرة الضخمة المتفحمة.

وفي النهاية، وصل إلى الحل.

جلس أمام هاتف الفيديو في حجرة (بي إس سي) في القبة الاصطناعية ونظر إلى العيون المرهقة لرئيس الولايات المتحدة. كان زاك هيرني يرتدي برنس حمام ولم يبدُ عليه السرور على الإطلاق. علم إيكستروم أنه سيكون أقل سروراً على نحو كبير عندما يعلم ما الذي يريد إيكستروم إخباره به.

عندما انتهى إيكستروم من حديثه، كان لهيرني نظرة منزعجة على وجهه – وكأنه فكر أنه لا يزال نائماً لذلك لم يفهمه بشكل صحيح.

"انتظر". قال هيرني: "لا بد أن الاتصال سيئ. هل قلت لي للتو إن ناسا قد حصلت على إحداثيات الحجر النيزكي هذا من خلال إرسال لاسلكي طارئ – وبعدها تظاهرت أن بودس هي من وجد الحجر النيزكي؟".

كان إيكستروم صامتاً، وحيداً في الظلام، مشجعاً نفسه أن يصحو من هذا الكابوس.

كان من الواضح أن هذا الصمت لم يعجب الرئيس: "بحق الله، أخبرني بـ

لاري أن هذا ليس صحيحاً!".

أصيب فم إيكستروم بالجفاف: "لقد تم اكتشاف الحجر النيزكي، سيدي الرئيس. هذا كل ما يهم بالأمر".

"قلت لك أخبرني أن هذا غير صحيح!".

تضخم الصمت إلى زئير كليل في أذني إيكستروم. كان يجب أن أقول له، قال إيكستروم لنفسه، إن الأمر سيزداد سوءاً قبل أن يزداد حسناً. "سيدي الرئيس، لقد كان إخفاق بودس يسبب انهيارك في الانتخابات. عندما تلقينا اتصالاً لاسلكياً يذكر وجود حجر نيزكي في الجليد، وجدنا فرصة لنعود إلى المعركة".

بدا على هيرني الذهول: "من خلال تزوير اكتشاف بودس؟".

"كان لبودس أن يتصلح ويعمل بعد وقت قليل، ولكن الوقت لم يكن كافياً للانتخابات. كانت أصوات المقترعين تتناقص وكان سيكستون ينتقد ناسا بقسوة، لذلك...".

"هل أنت مجنون! لقد كذبت علي، لاري!".

"كانت الفرصة أمامنا، سيدي، لذلك قررنا استغلالها. اعترضنا إرسالاً لاسلكياً لكندي اكتشف مكان الحجر النيزكي، ثم مات بعاصفة. لم يعلم أحد أن الحجر النيزكي هناك. كانت بودس تتفحص المنطقة، كما احتاجت ناسا إلى النصر. كانت لدينا الإحداثيات".

"لماذا تخبرني بهذا الآن؟".

"ظننت أنه يجب إعلامك".

"أتعلم ما الذي سيقوم به سيكستون لو حصل على هذه المعلومات؟".

فضل إيكستروم ألا يفكر بالأمر.

"سيخبر العالم أن ناسا والبيت الأبيض قد كذبا على الشعب الأميركي! وتعلم ماذا، سيكون محقاً!".

"أنت لم تكذب سيدي، أنا فعلت. وأنا سأستقيل إذا –".

"لاري، لقد نسيت أمراً ما. لقد كنت أحاول إدارة هذه الرئاسة اعتماداً على الثقة والأصول! تباً لذلك! كانت الليلة طاهرة، مبجلة. ثم أجد الآن أنني كذبت على العالم؟".

"كذبة صغيرة، سيدي!".

"ليس هناك شيء كهذا، لاري". قال هيرني غاضباً.

شعر إيكستروم أن الغرفة الصغيرة تتضيق حوله. كان هناك الكثير أيضاً يريد أن يخبره للرئيس، ولكن إيكستروم علم أن عليه الانتظار حتى الصباح.

"أنا متأسف لإيقاظك، سيدي، فكرت فقط أنه يجب إعلامك".

بعيداً، أخذ سيدجويك سيكستون رشفة أخرى من الكونياك ومشى عبر شقته بغضب متزايد.

أين هي غابرييل بحق الجحيم؟

112

جلست غابرييل آش وحيدة في مكتب سيكستون تنظر إلى الكمبيوتر بعبوس مكتئب.

كلمة السر خاطئة – الدخول ممنوع.

حاولت إدخال مجموعة أخرى من كلمات السر التي بدت محتملة ولكنها فشلت كلها. وبعد البحث في مكتبه عن أية دروج غير مقفولة أو أدلة مبعثرة، كانت غابرييل قد استسلمت. كانت على وشك أن تغادر عندما وقعت عيناها على شيء غريب، يومض في تقويم مكتب سيكستون. شخص ما قد وضع محيطاً على تاريخ يوم الانتخابات بقلم أحمر، أبيض، وأزرق. بالتأكيد ليس السيناتور. سحبت غابرييل التقويم بشكل أقرب. بشكل مزخرف حول التاريخ، كان هناك إشارة تعجب مزخرفة وباهيّة: POTUS!

يبدو أن سكرتيرة سيكستون المتحمسة قد زخرفت بابتهاج المزيد من التفكير الإيجابي بيوم الانتخابات. كانت POTUS هي الاسم السري الذي يستعمله موظفو أمن الرئيس للدلالة على رئيس الولايات المتحدة. في يوم الانتخابات، لو كل شيء جرى بشكل جيد، سيصبح سيكستون POTUS الجديد.

وبينما كانت تتجهز للمغادرة، أعادت غابرييل التقويم إلى مكانه على المكتب ونهضت. ولكنها توقفت فجأة، محدقة مرة أخرى على شاشة الكمبيوتر

أدخل كلمة السر:

نظرت مرة أخرى إلى التقويم.

POTUS

شعرت بموجة أمل مفاجئة. شيء ما حول POTUS دفع غابرييل لأن

تكون كلمة سرية مناسبة ليستخدمها سيكستون. بسيطة، إيجابية، تشير إليه.

طبعت بسرعة الأحرف.

.POTUS

حابسة نفسها، ضغطت 'إعادة'. أطلق الكمبيوتر رنيناً.

كلمة السر خاطئة – الدخول ممنوع.

منحنيةً، استسلمت غابرييل. توجهت عائدة باتجاه باب الحمام لتخرج من الطريق الذي دخلت منه. كانت في منتصف طريقها عبر الغرفة، عندما رن هاتفها الخليوي. كانت على الحافة مسبقاً، عندما أجفلها الصوت. توقفت ثم أخذت هاتفها وألقت نظرة على ساعة جد سيكستون من ماركة جوردين الثمينة. تقريباً 4:00 صباحاً. في مثل هذا الوقت، لا بد أن يكون المتصل هو سيكستون. كان من الواضح أنه يتساءل أين هي. هل سأجيب أو أدعه يرن؟ لو أنها أجابته، فإن عليها أن تكذب. ولو أنها لم تفعل ذلك، فإن سيكستون سيشك بالأمر.

أجابت على المكالمة: "مرحباً؟".

"غابرييل؟" بدا على سيكستون نفاد الصبر. "ما الذي يؤخرك؟".

"النصب التذكاري (إف دي آر)"، قالت غابرييل: "لقد علقت سيارة الأجرة، ونحن الآن –".

"لا يبدو وكأنك في سيارة أجرة".

"لا"، قالت ودمها يتسارع الآن: "لا، لقد قررت أن أمر على مكتبي وأحصل على بعض وثائق ناسا التي ربما تتعلق ببودس. أواجه بعض المشاكل في إيجادها".

"إذاً، أسرعي. أريد أن أعقد مؤتمراً صحفياً في الصباح، وأحتاج إلى أن نتحدث عن التفاصيل".

"سأصل قريباً". قالت له.

كان هناك صمت على الهاتف: "أنت في مكتبك؟" بدا عليه الارتباك فجأة.

"نعم، عشرة دقائق أخرى وسأكون في طريقي إليك".

صمت آخر: "حسناً، سأراك قريباً".

أغلقت غابرييل الهاتف، وهي مشغولة جداً عن ملاحظة التكة الثلاثية العالية والمميزة لساعة جد سيكستون الثمينة على بعد عدة أقدام (أمتار) فقط.

113

لم يدرك مايكل تولاند أن راشيل سيكستون مجروحة إلا بعد أن رأى الدم على ساعدها وهو يسحبها إلى غطاء خلف التريتــون. أحــس مــن النظــرة المتصلبة على وجهها أنها لم تكن تشعر بأي ألم. بعد أن ثبتَها في المكان، التفت تولاند ليبحث عن كوركي. اندفع عالم الفيزياء الفلكية عبــر ســطح الســفينة ليشاركهم، كانت عيناه شاحبتين من الخوف.

يجب أن نجد مخبأ، فكر تولاند، غير مستوعب بالكامل بعد للرعب الذي حدث للتو. وبالفطرة، وقعت عيناه على مستويات المركب فوقــه. إن الســلالم المؤدية إلى المنصة كانت مكشوفة بأكملها، والمنصة بحد ذاتها هي عبارة عن علبة زجاجية – مكان يمكن رؤيته بوضوح من أعلى. إن الذهاب هنــاك هــو انتحار، وهذا ما ترك لهم اتجاهاً وحيداً آخر للذهاب إليه.

للحظة سريعة، أطلق تولاند نظرة ملؤها الأمل على غواصة التريتــون، متسائلاً فيما إذا كان يمكنه الذهاب بالجميع تحت الماء، بعيداً عن الرصاص.

هذا سخف، إن التريتون تمتلك مساحة لشخص واحــد فقــط، والرافعــة ستستغرق عشر دقائق لتخفض الغواصة عبر الباب الأفقي في ســطح الســفينة إلى المحيط الذي يبعد ثلاثين قدماً إلى الأسفل. بالإضافة إلى ذلك، فإن التريتون لا تستطيع الحركة في المياه دون بطاريات مشحونة وضواغط.

"ها هم يأتون!" صاح كوركي بصوت قوي من الخوف وهو يشــير إلــى السماء.

لم ينظر تولاند إلى الأعلى حتى أشار إلى حاجز مجــاور حيــث يهــبط انحدار من الألمنيوم أسفل سطح السفينة. يبدو أن كوركي لم يحــتج إلــى أي تشجيع للقيام بذلك، فبعد أن أبقى رأسه منخفضاً، انطلق مسرعاً نحــو الفتحــة واختفى أسفل المنحدر. أما تولاند فوضع يده ثابتةً حول خصر راشيل وتبعــه. اختفى كل منهما أسفل سطح المركب في الوقت الذي عادت فيه الطائرة، وهي تنثر الرصاص فوق رؤوسهم.

قام تولاند بمساعدة راشيل للنزول أسفل المنحدر المشبك إلــى الســطح المعلق في الأسفل. وعند وصولهم، أحس تولاند بأن جسد راشيل قــد تصــلب فجأة. التفت باتجاهها خائفاً من أنها ربما تكون قد أصيبت برصاصة مرتدة.

عندما رأى وجهها، علم أن هذا بسبب شيء آخر. تبع تولانــد نظرتهــا

المتحجرة المتجهة إلى الأسفل وفهم على الفور.

وقفت راشيل دون حراك، قدماها متصلبتان. كانت تحدق إلى الأسفل، إلى العالم الغريب تحتها.

بسبب تصميم الغويا، لم يكن لها أية أرضية سفلية بل مجرد دعائم تشبه الطوافة الضخمة. لقد نزلوا للتو من سطح السفينة إلى ممر شبكي ضيق معلق فوق صدع مفتوح، يبعد عن البحر الغاضب ثلاثين قدماً (9 متر). كانت الضجة تصم أذنيها، مرتدة من الجانب السفلي من سطح السفينة. الأمر الذي أضيف إلى ذعر راشيل هو أن أضواء السفينة الموجودة تحت الماء لا تزال تومض، مطلقة سطوعاً أخضر إلى أعماق المحيط أسفلها مباشرةً. وجدت نفسها تحدق إلى الأسفل حيث ستة أو سبعة أشكال ظلية شبحية في الماء. قروش أبو مطرقة الضخمة، حيث كانت ظلالهم الطويلة تسبح في المكان مواجهة للتيار - أجسادٌ مطاطية تلتوي جيئة وذهاباً.

كان صوت تولاند يدوي في أذنيها: "راشيل، أنت على ما يرام. أنظري إلى الأمام مباشرة. أنا خلفك تماماً". كانت يداه ممدودتين حولها من الخلف، تحاول أن تلاطف كفها المتحجر بنعومة من فوق الدرابزين. عندها رأت راشيل قطرة دمها القرمزية تتدحرج من ساعدها وتسقط عبر الشبك. تبعت عيناها القطرة وهي تهبط باتجاه البحر. رغم أنها لم ترها وهي تلامس الماء، علمت باللحظة التي حدث ذلك فيها فقد التفت القروش لحظتها بانسجام كامل، مندفعة بذيولها القوية يصدمون بعضهم بعضاً بنوبة غاضبة من الأسنان والزعانف.

فصوص شمية متطورة في الدماغ...

تستطيع أن تشم رائحة الدم على بعد ميل.

"أنظري مباشرة إلى الأمام". أعاد تولاند كلماته بصوت قوي ومطمئن: "أنا خلفك مباشرة".

شعرت راشيل بأن يديه على أردافها الآن، تحثها على المضي إلى الأمام. مبعدةً الفراغ الموجود أسفلها خارج عقلها، حدقت راشيل باتجاه الممر الضيق. من مكان ما في الأعلى، استطاعت سماع محركات الطائرة مرة أخرى. كان كوركي مندفعاً أمامهم مسرعاً عبر الممر بنوع من الذعر المترنح.

صاح تولاند له: "اتجه إلى الدعامة البعيدة، يا كوركي! أسفل السلالم!".

استطاعت راشيل رؤية المكان المتوجهين إليه. في الأعلى أمامهم، هبطت سلسلة من السلالم المتعرجة. وعند مستوى الماء، امتد سطح ضيق كالرف على طول سفينة الغويا. ناتئةً من هذا السطح، كان هناك عدة أرصفة صغيرة معلقة تشكل بذلك حوضاً مصغراً لرسو السفن واقعاً أسفل السفينة. كان هناك عبارة كبيرة تقول:

منطقة الغوص بإمكان السباحين أن يصعدوا من دون أي تحذير.
- على القوارب التقدم بحذر -

استطاعت راشيل الافتراض فقط بأن تولاند لا يريد منهم القيام بأية سباحة. ازداد ارتعاشها عندما توقف تولاند أمام صف من الخزائن ذات الأسلاك المتشابكة المحيطة بالممر. فتح أبوابها لتظهر بذّات سباحة معلقة وأنابيب تنفس وزعانف وستر نجاة وبنادق ذات حربة. قبل أن تتمكن من الاعتراض، مدّ يده وأمسك بندقية نارية. "هيا نذهب".

كانوا يتحركون مرة أخرى.

من الأعلى، كان كوركي قد وصل إلى السلالم المتعرجة وهو في منتصف طريقه إلى الأسفل: "لقد رأيته!" صاح بصوت يبدو مبتهجاً يفوق صوت المياه المضطربة.

رأى ماذا؟ تساءلت راشيل عندما ركض كوركي على طول الممر الضيق. كل ما استطاعت رؤيته، كان محيطاً ممتلئاً بالقروش التي تدور بخطر. حثها تولاند على المضي إلى الأمام، وفجأة استطاعت راشيل رؤية ما الذي كان كوركي مسروراً به كثيراً. في الطرف البعيد من السفينة في الأسفل، كان يرسو زورق آلي صغير. ركض كوركي باتجاهه.

حدقت راشيل. ننجو من هيلكوبتر بزورق آلي؟

"يوجد فيه جهاز إرسال". قال تولاند: "ولو تمكنا من الابتعاد بدرجة كافية عن تشويش الهيلكوبتر...".

لم تتمكن راشيل من سماع أية كلمة أخرى قالها. فلقد لاحظت شيئاً ما للتو جعل دمها يتجمد. "ذلك متأخر كثيراً". قالت بصوت منخفض وهي تمد إصبعها المرتجفة. لقد انتهى أمرنا...

عندما التفت تولاند، علم بلحظة أن الأمر انتهى.

في النهاية البعيدة للسفينة، كتنين يحدق داخل فتحة كهف، كانت الهلكوبتر

السوداء قد انخفضت إلى الأسفل بمواجهتهم. للحظة، فكر تولاند أنها كانت تطير مباشرة نحوهم عبر مركز القارب. ولكن الهيلكوبتر بدأت بالالتفاف بزاوية معينة لتحدد الهدف.

تبع تولاند اتجاه مواسير البندقية. لا!

جاثماً إلى جانب الزورق الآلي يفك مراسيه، نظر كوركي عندما كانت البنادق الآلية أسفل الهيلكوبتر تطلق لهيباً من الرعد. ترنح كوركي وكأنه أصيب. وبقوة، زحف فوق حافة المركب وسقط في القارب، ممدداً نفسه على الأرض من أجل الاختباء. توقفت البنادق. استطاع تولاند رؤية كوركي وهو يزحف أسفل الزورق الآلي. كان الجزء الأسفل من قدمه اليمنى مغطى بالدماء. جاثماً أسفل لوحة التحكم، مد كوركي يده وتلمس طريقه عبر أجهزة التحكم إلى أن وجدت أصابعه المفتاح. اشتغل محرك الزورق 'ميركوري' بقوة 250 حصاناً.

بعد لحظة، ظهر شعاع ليزري أحمر، منبعثاً من مقدمة الطائرة المحومة، تستهدف الزورق الآلي بصاروخ.

تصرف تولاند بالفطرة وصوب السلاح الوحيد الذي يملكه.

أصدرت البندقية في يده هسيساً عندما ضغط الزناد، فاندفع بعيداً شعاع يعمي الأبصار على مسار أفقي من أسفل السفينة، متوجهاً مباشرة نحو الطائرة. رغم ذلك، أحس تولاند أن ردة فعله كانت متأخرة جداً. عندما توجه الشعاع الملتهب في طريقه إلى حاجب الطائرة الزجاجي، أصدرت مطلقة الصواريخ أسفل الطائرة شعاع الضوء الخاص بها. في اللحظة نفسها التي انطلق بها الصاروخ، تمايلت الطائرة بحدة وتراجعت بعيداً عن مرمى النظر لتتجنب اللهب المنطلق.

"احذري!" صاح تولاند جاذباً راشيل بقوة نحو الأسفل على الممر.

توجه الصاروخ خارج مساره، مخفقاً في هدفه باتجاه كوركي، مصيباً امتداد الغويا ومندفعاً نحو قاعدة الدعامة على بعد ثلاثين قدماً أسفل راشيل وتولاند.

كان الصوت مدمراً. ثار اللهب والمياه أسفلهم. كما طارت أجزاء من المعدن المتكسر في الهواء وتبعثرت فوق الممر الضيق تحتهم. احتك المعدن بالمعدن معاً عند تمايل السفينة وكأنها تبحث عن توازن جديد منحرف قليلاً.

عندما تبدد الدخان، رأى تولاند أن واحداً من الدعائم الأربعة الرئيسية

للغويا قد تحطم بشكل كبير. تحركت التيارات القوية عبر الطوافة، مهددة باقتلاعها. بدا الدرج اللولبي المنحدر إلى السطح السفلي معلقاً بخيط.

"أسرعي!" صاح تولاند دافعاً راشيل باتجاهها. يجب أن نصل إلى الأسفل!

ولكنهم كانوا متأخرين جداً. انخلعت السلالم بعيداً بسبب الصدع المتزايد من الدعامة المتحطمة وارتطمت بالبحر.

فوق السفينة، تشبث دلتا واحد بأجهزة قيادة الهيليكوبتر واستطاع إعادتها تحت السيطرة. فبسبب عدم رؤيته اللحظية من اللهب المنطلق، كان قد تراجع بشكل عكسي مسبباً أخطاء الصاروخ الناري لهدفه. لاعناً، حوم الآن فوق مقدمة السفينة وتجهز للهبوط إلى الأسفل وإنهاء العمل.

تخلص من جميع المسافرين. كان أمر القائد واضحاً.

"تباً! أنظر!" صاح دلتا اثنان من المقعد الخلفي، مشيراً خارج النافذة: "زورق سريع!".

التفت دلتا واحد فرأى زورقاً سريعاً من نوع كريست لاينر مصاباً بالرصاص ينطلق بسرعة بعيداً عن الغويا إلى الظلام.

كان عليه أن يقرر.

114

أمسكت يدا كوركي الداميتان بعجلة قيادة قارب كريست لاين فانتوم 2100 بقوة وهو ينطلق بسرعة عبر البحر. كبس على دواسة الوقود إلى الأمام بسرعة، محاولاً بصعوبة الوصول إلى السرعة الكبرى. في تلك اللحظة فقط، شعر بألم لاذع، وعلى الفور أحس بالدوخة.

مستنداً نفسه على المقود، التفت إلى الغويا، مشجعاً الهيليكوبتر على اللحاق به. عندما علق كل من تولاند وراشيل فوق في الممر، لم يكن كوركي قادراً على الوصول إليهم، وأجبر على التقرير بسرعة.

الانقسام والنصر.

علم كوركي لو أنه تمكن من إغراء الطائرة بعيداً عن الغويا، فربما سيتمكن راشيل وتولاند من طلب النجدة. للأسف، عندما نظر إلى الخلف إلى السفينة المضيئة، أدرك أن الطائرة لا تزال تحوم هناك، وكأنها لم تقرر بعد.

تعالوا هنا أيها الأوغاد! اتبعوني!

ولكن الهيلكوبتر لم تتبعه. عوضاً عن ذلك، انحرفت نحو مؤخرة الغويا، منظمة مكانها، ثم متمايلة لتحط على سطح السفينة. لا! نظر كوركي بذعر، مدركاً الآن أنه قد ترك تولاند وراشيل خلفه ليتم قتلهما.

علم أن عليه الآن طلب النجدة هو. تلمس كوركي لوحة القيادة ووجد جهاز الإرسال. نقر بإصبعه مفتاح التشغيل، لكن لم يحدث شيء. ليس هناك أضواء. ولا تشويش. أدار الصوت إلى أعلى درجة. لا شيء. هيا! تاركاً المقود، انحنى إلى الأسفل ليلقي نظرة، صاحت قدمه ألماً عندما انحنى. ركز عينيه على جهاز الإرسال. لم يصدق ما الذي رآه. لقد انقصفت لوحة التحكم بالرصاص، كما تحطم خط جهاز الإرسال. تعلقت الأسلاك المتحررة في الأمام. نظر إلى هناك غير مصدق.

من كل الحظ التعيس...

وبقدم ضعيفة، نهض كوركي متسائلاً كيف للأمر أن يكون أسوأ من هذا. عندما نظر إلى الغويا، علم الجواب. قفز جنديان مسلحان من الطائرة إلى سطح السفينة، وبعدها أقلعت الطائرة مرة أخرى، ملتفتةً باتجاه كوركي ومندفعة خلفه بالسرعة القصوى.

تجهم كوركي. الانقسام والنصر. يبدو أنه ليس هو وحده الذي لمعت بذهنه تلك الفكرة الذكية هذه الليلة.

وبينما شق دلتا ثلاثة طريقه فوق سطح السفينة واقترب من السلم الشبكي المؤدي إلى الأسطح السفلية، سمع صراخ امرأة من مكان ما في الأسفل. التفت وأشار إلى دلتا اثنين أنه ذاهب إلى الأسطح السفلية ليتفحص الأمر. أومأ شريكه، وقد بقي خلفه لتغطية الجزء العلوي. يمكن للرجلين أن يبقيا على اتصال من خلال كريب توك؛ حيث إن نظام التشويش الخاص بالكايوا قد ترك لهما مستوى تردد ضئيل مفتوحاً من أجل اتصالاتهم الخاصة.

ممسكاً بندقيته الآلية الفطساء، تحرك دلتا ثلاثة بهدوء باتجاه السلم المؤدي إلى الأسطح السفلية. وباحتراس القاتل المتدرب، بدأ سيره ببطء نحو الأسفل موجهاً بندقيته.

مكّنه المنحدر من رؤية محدودة فقط، لذلك جثم دلتا ثلاثة على ركبتيه ليتمكن من الرؤية بشكل أفضل. استطاع سماع الصراخ بشكل أوضح الآن.

استمر في النزول. في منتصف الطريق أسفل السلالم استطاع رؤية متاهة الممرات مربوطة مع الجزء السفلي من الغويا. ازداد صوت الصياح علواً.

ثم رآها. في منتصف الطريق عبر الممر الجانبي، كانت راشيل سيكستون تنظر من خلف السياج وتنادي بيأس لمايكل تولاند من المياه.

هل سقط تولاند؟ ربما حدث ذلك في الانفجار؟

لو حصل ذلك، ستكون مهمة دلتا ثلاثة أسهل مما توقع. إنه يحتاج إلى النزول بضع خطوات فقط ليحصل على مدى تصويب مناسب. اصطياد سمكة في الحوض. كان قلقه الغامض الوحيد هو أن راشيل كانت تقف أمام صندوق معدات مفتوح، ربما يعني هذا أن لديها سلاحاً - بندقية ذات حربة أو بندقية قروش - رغم أن أياً منها لن يكون بمستوى بندقيته الآلية. واثقاً من سيطرته على الموقف، وجه سلاحه ونزل خطوة أخرى إلى الأسفل، راشيل سيكستون بمرمى نظر مناسب له الآن، رفع بندقيته.

خطوة واحدة أخرى.

جاءت الحركة المضطربة من أسفله، أسفل السلالم. كان دلتا ثلاثة مرتبكاً أكثر من كونه خائفاً وهو ينظر إلى الأسفل ويرى مايكل تولاند يقحم قطعة طويلة حادة من الألمنيوم باتجاه قدمه. رغم أنه قد تم خداع دلتا ثلاثة، كان يضحك تقريباً من هذه المحاولة الضعيفة للإيقاع به.

ثم شعر بأن رأس تلك العصا يدخل في كاحله.

انفجارٌ من الألم الساخن انطلق عبر جسده عندما انشقت قدمه من الأسفل بشيء حاد. اختل توازنه ثم سقط دلتا ثلاثة متعثراً أسفل السلالم. أصدرت بندقيته الآلية قعقعة وهي تسقط أسفل السلم ثم إلى المياه وهو ينهار على الممر الضيق. وبقلق شديد، انحنى ليمسك قدمه اليمنى، ولكنها لم تعد هناك.

كان تولاند يقف فوق مهاجمه مباشرة ويداه لا تزالان تقبضان على البندقية التي يصدر منها الدخان - إنه جهاز السيطرة على القروش 'بورهيد' الذي يبلغ خمسة أقدام (1.5 متر) طولاً. كان رأس الألمنيوم مزوداً برأس حساس للضغط يقيس اثني عشر، وقد صمم من أجل الدفاع عن النفس في حال التعرض لهجوم قرش. كان تولاند قد أعاد تلقيم البندقية تلك برأس آخر، يمسك الرأس الحاد الملتهب إلى حنجرة مهاجمه. كان الرجل ممدداً على ظهره غير قادر على الحركة ينظر إلى تولاند بتعابير من الغضب المذهول والألم الشديد.

قدمت راشيل راكضة من الممر. كانت الخطة أن تمسك ببندقية الرجل،

ولكن للأسف أنها سقطت فوق الحافة إلى المحيط.

فرقع جهاز الاتصالات على حزام الرجل. كان الصوت الصادر آلياً: "دلتا ثلاثة؟ حول، لقد سمعت صوت طلقة".

لم يقم الرجل بأي حركة للإجابة.

فرقع الجهاز مرة أخرى: "دلتا ثلاثة؟ أثبت، هل تحتاج إلى دعم؟".

على الفور تقريباً، فرقع صوت آخر على الخط. كان أيضاً آلياً ولكنه مميزٌ بصوت ضجيج الهيلكوبتر في الخلف. "هذا دلتا واحد"، قال الطيار: "أنا أطارد المركبة المغادرة. دلتا ثلاثة. أثبت. هل أنت في الأسفل؟ هل تحتاج إلى دعم؟".

ضغط تولاند على البندقية في حنجرة الرجل: "أخبر الهيلكوبتر أن تعود عن ملاحقة القارب. إذا قتلوا صديقي، فإني سأقتلك".

أجفل الجندي بألم وهو يرفع جهاز الاتصالات إلى شفته. نظر مباشرة إلى تولاند وهو يضغط الزر ويتحدث: "دلتا ثلاثة هنا. أنا في حالة جيدة. اقضوا على القارب المغادر".

115

عادت غابرييل آش إلى حمام سيكستون الخاص مستعدة للتسلق عائدة من مكتبه. تركتها مكالمة سيكستون قلقة. من المؤكد أنه تردد عندما أخبرته أني في مكتبي – وكأنه علم بأنها تكذب بطريقة ما. على أية حال، لقد أخفقت في الدخول إلى كمبيوتر سيكستون وهي غير واثقة الآن من تحركها التالي.

إن سيكستون ينتظر.

وبينما هي تصعد فوق المغسلة، تتجهز لدفع نفسها إلى الأعلى، سمعت شيئاً يسقط على الأرض الآجرية. نظرت إلى الأسفل، واستشاطت غضباً عند رؤيتها أنها أوقعت زوجاً من أزرار سيكستون التي كانت على حافة المغسلة.

أتركي الأشياء تماماً كما كانت.

نزلت وأعادت الأزرار إلى المغسلة. وعندما بدأت التسلق مرة أخرى، وقفت قليلاً محدقة مرة أخرى على الأزرار. في أي ليلة أخرى، كان لغابرييل

أن تتجاهلها، ولكن المونغرام[44] الخاص بها قد لفت انتباهها هذه الليلة. كما هو حال معظم أشياء سيكستون المونغرامية، فإنها تحتوي على الحرفين المتعلقين ببعضهما SS. تذكرت غابرييل كلمة السر السابقة لكمبيوتر سيكتسون – SSS. برز في عقلها التقويم الخاص به... POTUS... وشاشة حماية البيت الأبيض بعبارتها المتفائلة التي تزحف بشكل لا ينتهي حول الشاشة.

رئيس الولايات المتحدة سيدجويك سيكستون... رئيس الولايات المتحدة سيدجويك سيكستون... رئيس...

توقفت غابرييل للحظة ثم تساءلت. أيمكن أن يكون بهذه الدرجة من الثقة؟

وهي تعرف أن الأمر سيستغرق ثانية فقط لتكشف ذلك، أسرعت عائدة إلى مكتب سيكستون، ذهبت إلى جهاز الكمبيوتر، وطبعت كلمة سر من سبعة أحرف.

POTUSSS

تلاشت شاشة الحماية على الفور.

نظرت غير مصدقة.

لا تستخف بغرور سياسي على الإطلاق.

116

لم يعد كوركي مارلينسون يتحكم بمقود مركب كريست لاينر فانتوم وهو يسرع في الظلام. علم أن القارب سيشق طريقه بخط مستقيم سواء تحكم هو بالمقود أم لا. الطريق الأقل مقاومة...

كان كوركي في مؤخرة القارب المنطلق يحاول تقدير الأذى الذي أصاب ساقه. كانت رصاصة قد دخلت الجزء الأمامي من بطة ساقه، متجنبة الظنبوب. لم يكن هناك جرح نافذ خلفَ بطة ساقه، لذا علم أن الرصاصة لا تزال مستقرة في ساقه. باحثاً من حوله عن شيء لإيقاف النزيف، لم يجد شيئاً – بعض الزعانف، وأنبوب هواء وزوج من ستر النجاة. لم يكن هناك صندوق للإسعافات الأولية. وباهتياج، فتح كوركي علبة صغيرة متعددة الأغراض ووجد بعض المعدات، خرقاً، شريطاً للأنابيب، زيتاً وبعض أشياء الصيانة

44 مونغرام: علامة ترمز إلى شخص ما وتتألف من أحرف اسمه الأول.

الأخرى. نظر إلى ساقه الدامية وتساءل كم عليه الابتعاد ليصل خارج إقليم القروش.

أبعد من هذا بكثير.

أبقى دلتا واحد طائرة الكايوا منخفضة فوق المحيط وهو يتفحص الظلام بحثاً عن قارب كريست لاينر الهارب. مفترضاً أن القارب الهارب سيتوجه إلى الشاطئ ويحاول إبقاء أكبر مسافة ممكنة بينه وبين الغويا، تبع دلتا واحد المسار الجديد لكريست لاينر بعيداً عن الغويا.

كان يتوجب علي أن أكون قد أمسكت به في هذا الوقت.

من الطبيعي أن تكون ملاحقة قارب هارب أمراً سهلاً من خلال استخدام الرادار، ولكن بسبب نظام تشويش الكايوا الذي يرسل مظلة من الضجيج الحراري لعدة أميال، عندها يكون الرادار عديم الفائدة. وإطفاء نظام التشويش لن يكون خياره قبل أن يعلم بأن كل شخص على متن الغويا ميت. لن تغادر أية اتصالات طارئة سفينة الغويا هذا المساء.

إن سر الحجر النيزكي سيموت. هناك تماماً، وعلى الفور.

لحسن الحظ، أن دلتا واحد يمتلك طرقاً أخرى للتعقب. رغم الخلفية العربية للمحيط الساخن، فإن تحديد الأثر الحراري للقارب هو عملية بسيطة. أشعل فاحصه الحراري، فسجل المحيط من حوله خمساً وتسعين درجة حرارية. لحسن الحظ، الحرارة المنبعثة من المحرك ذي قوة 250 حصاناً كانت أكثر حرارة بمئات الدرجات.

شعر كوركي مارلينسون بأن قدمه ورجله قد تخدرتا.

غير عالم بما يفعله بعد ذلك، قام بتنظيف ساقة المجروحة بالخرقة وربط الجرح بطبقة فوق طبقة من شريط الأنابيب. وفي الوقت الذي فرغ فيه الشريط، كانت بطة ساقه بأكملها من الكاحل حتى الركبة ملفوفة بغلاف فضي ضيق. توقف النزيف ولكن ملابسه ويديه لا تزال مليئة بالدم.

جالساً على أرض كريست لاينر الهارب، أحس كوركي بالقلق لسبب أن الطائرة لم تجده بعد. نظر إلى الخارج الآن متفحصاً الأفق خلفه، متوقعاً أن يرى الغويا البعيدة والهيلكوبتر القادمة. على نحو غريب، لم يجد أياً منهما. كانت أضواء الغويا قد اختفت. من المؤكد أنه لم يصل إلى هذا البعد، أليس كذلك؟

شعر كوركي فجأة بالأمل أنه ربما قد نجا. ربما أضاعوه في الظلام، ربما يستطيع الوصول إلى الشاطئ!

لاحظ عندها أنّ أثر القارب خلفه ليس مستقيماً. بدا أنه ينحني بشكل تدريجي بعيداً من مؤخرة القارب، وكأنه يتحرك بمسار دائري أكثر من أن يكون مستقيماً. مضطرباً من هذا، وجّه رأسه ليتبع الأثر الدائري، مستنتجاً وجود قوس ضخم عبر المحيط. وبعد لحظة، رآها.

كانت الغويا على جانبه الأيسر مباشرة على بعد أقل من نصف ميل عنه. بذعر، أدرك كوركي خطأه بعد وقت متأخر جداً. من دون أي شخص أمام عجلة القيادة، عادت مقدمة كريست لاينر لترصف نفسها مع اتجاه التيار القوي – التدفق المائي الدائري للأعمدة الضخمة. أنا أقود في دائرة ضخمة!

كان يلتف حول نفسه.

عالماً بأنه لا يزال داخل الأعمدة المائية الضخمة المليئة بالقرش، تذكر كوركي كلمات تولاند المروعة. فصوص شمية متطورة في الدماغ... أبو مطرقة يستطيع شم رائحة قطرة الدم على بعد ميل. نظر كوركي إلى يديه وساقه الداميتين الملفوفتين بشريط الأنابيب.

ستجده الطائرة قريباً.

ممزقاً ملابسه المليئة بالدماء، اندفع كوركي عارياً إلى مؤخرة القارب. وهو يعلم أنه لن يلحق أي قرش بالقارب، غسل نفسه بأكثر ما يمكنه في التدفق القوي لأثر القارب.

قطرة دم وحيدة...

عندما نهض كوركي مواجهاً الظلام بشكل كامل، علم أن شيئاً واحداً تبقى أمامه ليفعله. علم مرة أن الحيوانات تميز إقليمها من خلال البول لأن حمض البول هو السائل الإنساني الأكثر فعاليةً في الرائحة.

أكثر فعالية من الدم، تمنى ذلك. متمنياً لو أنه شرب المزيد من المشروب المفضل هذا المساء. رفع كوركي قدمه المجروحة إلى الأعلى إلى الحافة العليا من القارب وحاول أن يبول على شريط الأنابيب. هيا! قال ذلك منتظراً. لا شيء مثل ضغط أن يتوجب عليك أن تبول على نفسك مع وجود هيلكوبتر تلاحقك.

وأخيراً، جاء. بوّل كوركي على كامل الشريط، ناقعاً إياه بشكل كامل. استخدم ما تبقى من القليل في مثانته لنقع خرقة ربطها بعد ذلك على كامل

جسده. أمر لطيف جداً!

في السماء المظلمة من فوقه، ظهر شعاع ليزر أحمر، منحدراً باتجاهه مثل نصلة وامضة لمقصلة ضخمة. ظهرت الطائرة من زاوية منحرفة حيث يبدو أن الطيار كان قلقاً من أن كوركي قد عاد باتجاه الغويا.

مرتدياً سترة نجاة عالية الطوف بسرعة، تحرك كوركي إلى مؤخرة القارب المسرع. على أرضية القارب الملطخة بالدماء، على بعد خمسة أقدام (1.5 متر) فقط من المكان الذي يقف عليه كوركي، ظهرت بقعة حمراء وامضة.

لقد حان الوقت.

على متن الغويا، لم يرَ مايكل تولاند قارب كريست لاينر فانتيوم 2100 ينفجر مطلقاً اللهب والحطام عبر الهواء بحركة بهلوانية من الدخان والنار.

ولكنه سمع الانفجار.

117

عادة ما يكون الجناح الغربي هادئاً في مثل هذه الساعة ولكن ظهور الرئيس غير المتوقع وهو يرتدي برنس الحمام وخفه قد أدى للتحرك السريع للمعاونين والطاقم المناوب خارج 'أسرّة النوم' وأقسام النوم.

"لا أستطيع إيجادها، سيدي الرئيس". قال مساعد شاب وهو يسرع خلفه في المكتب الرئاسي. لقد بحث في كل مكان: "آنسة تينش لا تجيب على البيجر أو على الهاتف الجوال".

بدا الرئيس غاضباً: "هل بحثت في –".

"لقد تركت المبنى، سيدي". قال مساعد آخر مسرعاً: "لقد وقعت على خروجها منذ حوالى ساعة. نظن أنها ربما قد ذهبت إلى مكتب الاستطلاع. قال أحد العاملين إنها كانت تتحدث مع بيكرينغ هذه الليلة".

"ويليام بيكرينغ؟" بدا على الرئيس الحيرة. إن تينش وبيكرينغ ليسا على علاقة اجتماعية ببعضهما بعضاً. "هل اتصلت به؟".

"إنه لا يجيب هو الآخر، سيدي. لوحة اتصال مكتب الاستطلاع لا تستطيع الوصول إليه. إنهم يقولون إن جهاز بيكرينغ الخليوي لا يرن حتى، وكأنه قد خرج من سطح كوكب الأرض".

حدق هيرني بمساعديه للحظة وبعدها مشى إلى مكان الشرب وصب

لنفسه شرابه المفضل. وبينما هو يرفع الكأس إلى شفاهه، أسرع ضابط أمن سري.

"سيدي الرئيس؟ لم أرغب في إيقاظك، ولكن يجب أن أتعلم بأن سيارة انفجرت أمام النصب التذكاري (إف دي آر) هذه الليلة".

"ماذا!" كاد هيرني يسقط شرابه: "متى؟".

"منذ ساعة مضت". كان وجهه شاحباً: "وقد حدد (إف بي آي) هوية الضحية للتو...".

118

صرخت قدم دلتا ثلاثة بالألم. أحس بنفسه يطوف عبر شعور مشوش. هل هذا هو الموت؟ حاول التحرك ولكنه أحس بالشلل وهو قادرٌ على التنفس بصعوبة بالغة. رأى أشكالاً شاحبة فقط. عاد عقله إلى الوراء متذكراً انفجار كريست لاينر في البحر ومشاهداً الغضب في عيني مايكل تولاند الذي وقف فوقه حاملاً الرأس الانفجاري باتجاه حنجرته.

لقد قتلني تولاند بالتأكيد...

ولكن الألم اللاذع في القدم اليمنى لدلتا ثلاثة أخبره أنه لا يزال على قيد الحياة. ثم تذكر ببطء. عند سماع انفجار كريست لاينر، أطلق تولاند صيحة من الغضب الشديد من أجل صديقه المفقود. بعدها، أدار عينيه الغاضبتين إلى دلتا ثلاثة، وقوس تولاند ظهره وكأنه يستعد لدك العصا في حنجرة دلتا ثلاثة. ولكن بينما يقوم بذلك، بدا أنه يتردد، وكأن أخلاقه كانت تمنعه. وبفشل موجع وغضب شديد، جذب تولاند العصا بقوة بعيداً ووضع حذاءه على قدم دلتا ثلاثة المتمزقة.

آخر شيء تذكره دلتا ثلاثة هو التقيؤ بألم عندما تحول عالمه بأكمله إلى هذيان أسود. استعاد وعيه الآن دون أن يعلم كم مضى عليه وهو فاقد ذلك. استطاع أن يشعر بساعديه مربوطتين خلفه بعقدة مشدودة جداً لا يمكن أن تكون من قبل أي شخص إلا بحار. كما كانت قدماه مقيدتين ومنحنيتين إلى الخلف ومربوطتين إلى معصميه، مما جعله متقوساً إلى الخلف دون أي قدرة على الحركة. حاول الصياح، ولكن لم يصدر منه أي صوت. كان فمه ممتلئاً بشيء ما.

لم يستطع دلتا ثلاثة تخيل ما الذي يجري. بعدها، أحس بالنسيم البارد ورأى الأضواء اللامعة. أدرك أنه على سطح الغويا الرئيسي. التوى ليبحث عن النجدة ولكنه شاهد المنظر الأكثر رعباً، انعكاسه هو – منتفخ ومشوه في

قبة البليكسي غلاس العاكسة لغواصة الغويا. كانت الغواصة معلقة أمامه مباشرة، وأدرك دلتا ثلاثة أنه ممدد على الباب الأفقي الضخم في سطح السفينة. هذا لم يقلقه كثيراً كما أقلقه السؤال الأكثر وضوحاً.

إذا كنت أنا على سطح السفينة... إذاً أين هو دلتا اثنان؟

كان قلق دلتا اثنين قد ازداد.

رغم أن إرسال زميله عبر الكريب توك أخبره بأنه في حالة جيدة، إلا أن تلك الطلقة الوحيدة لم تكن من بندقية آلية. من المؤكد أن تولاند أو راشيل قد أطلقها. تحرك دلتا اثنان لينظر عن قرب أسفل السلم حيث نزل زميله فرأى الدم.

رافعاً سلاحه، انحدر إلى الأسطح السفلية، حيث تبع أثر الدم على طول الممر إلى مقدمة السفينة. هناك، أوصله أثر الدم إلى سلم آخر يعود إلى سطح السفينة الرئيسي. كان فارغاً. وبقلق متزايد، تبع اللطخات القرمزية الطويلة على طول السطح الجانبي عائداً إلى مؤخرة السفينة، حيث مر بفتحة السلم الأولي الذي نزل منه.

ما الذي يحدث بحق الجحيم؟ بدا أن اللطخات تتحرك في دائرة كبيرة.

متحركاً بحذر، ومصوباً بندقيته أمامه، مر دلتا اثنان من مدخل قسم المختبر في السفينة. تابعت اللطخة طريقها إلى سطح المؤخرة. وبحذر، التف حول الزاوية. تعقبت عيناه الأثر.

رآه بعد ذلك.

يا إلهي!

كان دلتا ثلاثة ممدداً هناك – مربوطاً ومُسكتاً – ملقىً على نحو فظ مباشرة أمام غواصة الغويا الصغيرة. ورغم أن دلتا اثنين كان بعيداً، استطاع رؤية أن قسماً كبيراً من قدم زميله اليمنى قد فُقدت.

حذراً من الوقوع في الفخ، رفع دلتا اثنان بندقيته وتحرك إلى الأمام. دلتا ثلاثة يتلوى ألماً، محاولاً التحدث. وبشكل هزلي، فالطريقة التي رُبط فيها هذا الرجل – ركبتاه منحنيتان بشكل حاد خلفه، ربما هي الطريقة التي أنقذت حياته، حيث بدا أن النزف في قدمه قد تباطأ.

عندما اقترب دلتا اثنان من الغواصة، أُعجب بنعمة قدرته على النظر خلفه، فقد انعكس كامل سطح السفينة في قبة حجرة قيادة الغواصة الدائرية. وصل دلتا اثنان إلى صديقه المتألم، فرأى التحذير في عينيه بعد وقت متأخر جداً.

أحد مخالب غواصة التريتون قفزت إلى الأمام وتثبتت بفخذه الأيسر بقوة كبيرة. حاول التراجع إلى الخلف، ولكن المخالب ضغطت عليه. صاح من شدة الألم، وهو يشعر بانكسار العظمة. نظرت عيناه إلى حجرة قيادة الغواصة. محدقاً عبر انعكاس سطح السفينة، استطاع دلتا اثنان رؤيته، مختبئاً في ظلال القسم الداخلي للتريتون.

كان مايكل تولاند داخل الغواصة متولياً القيادة.

فكرة سيئة، قال دلتا اثنان مهتاجاً وهو يحجز ألمه بعيداً ويحمل بندقيته الآلية على كتفه. صوبها إلى الجهة اليسرى من صدر تولاند على بعد ثلاثة أقدام (90 سم) فقط من الجانب الآخر لقبة الغواصة المصنوعة من البليكسي غلاس. ضغط الزناد فزأرت البندقية. مليئاً بالغضب من كونه قد خُدع، ضغط دلتا اثنان على الزناد حتى ارتطمت آخر رصاصة بسطح السفينة وأطلقت بندقيته وهي فارغة. عاجزاً عن التنفس، أسقط البندقية وحدق إلى القبة المنشقة أمامه.

"ميت!" قال بهسيس وهو يشد قدمه من المخلب. عندما التوى، مزق المخلب المعدني جلده، فاتحاً فيه جرحاً عميقاً. "تباً!" مد يده ليصل إلى كريب توك على حزامه، ولكن عندما رفعه إلى شفتيه، انقذفت يد آلية أخرى مفتوحة وتحركت أمامه، قابضة على ساعده الأيمن. سقط كريب توك إلى سطح السفينة.

عندها رأى دلتا اثنان الشبح في الزجاج أمامه. مظهر شاحب ينحني إلى الجانب وينظر عبر حافة الزجاج التي لم تصب بأي أذى. مذهولاً، نظر دلتا اثنان إلى مركز القبة وأدرك أن الرصاص لم يقترب حتى ليخترق الصدفة السميكة. أصيبت القبة بحفر صغيرة.

بعد لحظة، فُتح الباب العلوي للغواصة، وظهر مايكل تولاند. بدا عليه الاضطراب ولكنه لم يصب بأي أذى. متسلقاً ممر الألمنيوم، خطى تولاند على سطح السفينة ونظر إلى نافذة قبة الغواصة المتحطم.

"تتحمل عشرة آلاف رطل لكل إنش مربع (6.5 $سم^2$)". قال تولاند: "يبدو وكأنك تحتاج إلى بندقية أكبر".

داخل المختبر المائي، علمت راشيل أن الوقت ينفد. لقد سمعت صوت إطلاق ناري على سطح السفينة وكانت تصلي لأن يكون كل شيء قد حدث تماماً كما خطط له تولاند. لم تعد تهتم من وراء خديعة الحجر النيزكي – مدير ناسا، مارجوري تينش أو الرئيس نفسه – لم يعد يهم أي شيء بعد الآن.

لن ينجوا بذلك. مهما كان الفاعل، فلا بد أن تُقال الحقيقة.

كان نزيف الجرح على يدها قد توقف، والإدرينالين الجائل في جسدها قد أوقف الألم وزاد في تركيزها. بعد أن وجدت قلماً وورقة، خربشت رسالة من سطرين. كانت الكلمات ضعيفة وخرقاء، ولكن الفصاحة لم تكن شيئاً مهماً تمتلك الوقت من أجله في هذه اللحظة. أضافت الملاحظة إلى أوراق الجريمة في يدها - الورقة المطبوعة عن (جي بي آر)، صور الكائن، وصور ومقالات تتعلق بالحبيبات المعدنية المحيطية وورقة مطبوعة من المجهر الإلكتروني. كان الحجر النيزكي مزيفاً، وهذا هو الدليل.

أدخلت راشيل كامل الأوراق إلى جهاز فاكس المختبر المائي. كان لديها خيارات قليلة لأنها لا تحفظ إلا القليل من أرقام الفاكس غيباً، ولكنها كانت قد قررت مسبقاً من الذي سيتلقى هذه الأوراق وملاحظتها. حابسة نفسها، طبعت بحذر رقم الفاكس الخاص بذلك الشخص.

ضغطت 'إرسال' وهي تصلي أن تكون قد اختارت المتلقي بشكل حكيم.

رنت آلة الفاكس.

خطأ: ليس هناك إشارة صوتية.

كانت راشيل قد توقعت ذلك فلا تزال اتصالات الغويا مشوشة. وقفت منتظرة تراقب الآلة، على أمل أن تعمل كتلك الموجودة في منزلها.

هيا!

بعد خمسة ثوانٍ، رنت الآلة مرة أخرى.

إعادة الاتصال...

نعم! رقبت راشيل الآلة وقد وقعت في حلقة لا تنتهي.

خطأ: ليس هناك إشارة صوتية.

إعادة الاتصال...

خطأ: ليس هناك إشارة صوتية.

إعادة الاتصال...

تاركة آلة الفاكس لتبحث عن الإشارة الصوتية، اندفعت راشيل خارج المختبر المائي عندما كانت مراوح الهيليكوبتر ترعد فوقها.

119

على بعد مئة وستين ميلاً عن الغويا، كانت غابرييل آش تحدق بشاشة كمبيوتر السيناتور سيكستون بذهول صامت. كانت شكوكاتها صحيحة.

ولكنها لم تكن تتخيل مدى صحتها.

كانت تنظر إلى صور ممسوحة رقمياً للعديد من 'شيكات' البنوك المكتوبة إلى سيكستون من قبل شركات الفضاء الخاصة وإيداعات بحسابات رقمية في جزر كايمان. كان أصغر شيك رأته غابرييل يُقدر بقيمة خمسة عشر ألف دولار، والكثير منهم يتجاوز قيمته النصف مليون دولار.

مبالغ صغيرة، كان سيكستون قد قال لها. جميع التبرعات لا تتجاوز ألفي دولار.

من الواضح أن سيكستون كان يكذب منذ البداية. كانت غابرييل تنظر إلى تمويل حملة غير شرعية بمبالغ ضخمة. إن آلام الخيانة وخيبة الأمل كانت قاسية جداً على قلبها الآن. لقد كذب.

شعرت بالغباء. شعرت بالقذارة. والأهم من ذلك، أنها شعرت بالغضب.

جلست غابرييل وحيدة في الظلام، مدركة أن ليس لديها أية فكرة عما تقوم به بعد ذلك.

120

فوق الغويا، بينما تتمايل الكايوا فوق مؤخرة السفينة، حدق دلتا واحد إلى الأسفل وعيناه مثبتتان على المنظر غير المتوقع على الإطلاق.

كان مايكل تولاند يقف على سطح السفينة جانب غواصة صغيرة. متدلياً من الساعدين الآليين للغواصة وكأنه في مخالب حشرة ضخمة، تعلق دلتا اثنان الذي يجاهد بألم ليحرر نفسه من المخلبين الضخمين.

ما هذا باسم الإله؟!

وبالدرجة التي كان فيها ذلك المنظر مرعباً، كان أيضاً منظر راشيل سيكستون التي وصلت للتو إلى سطح السفينة وهي تأخذ موقعها فوق رجل مقيد وينزف دماً أسفل الغواصة. لا بد أن يكون هذا الرجل هو دلتا ثلاثة. حملت راشيل أحد البنادق الآلية الخاصة بدلتا فورس موجهةً إليه ونظرت صوب الطائرة وكأنها تتحدى مهاجمتهم.

شعر دلتا واحد للحظة بالارتباك، غير قادر على فهم كيف يمكن لذلك أن يحدث. كانت أخطاء دلتا فورس التي حدثت مسبقاً على الرف الجليدي أمراً نادراً ولكنها أحداث يمكن تفسيرها. لكن هذا أمرٌ لا يمكن تفسيره.

إن الخزي الذي يشعر به دلتا واحد كان يعذبه وهو في الظروف العادية. ولكن خزيه هذه الليلة كان يكبر بوجود شخص آخر يركب معه داخل الطائرة، الشخص الذي يعتبر وجوده هنا أمراً غير اعتيادي على الإطلاق.

القائد.

بعد عملية القتل التي قام بها فريق دلتا في النصب التذكاري (إف دي آر)، أمرهم القائد أن يتوجهوا إلى حديقة عامة مهجورة لا تبعد كثيراً عن البيت الأبيض. وكما أمرهم القائد، حط دلتا واحد على هضبة عشبية بين مجموعة من الأشجار عندما رصف القائد سيارته في الجوار، ثم مشى في الظلام وصعد إلى الكايوا. كانوا جميعاً على الطريق مرة أخرى خلال بضع ثوانٍ.

رغم أن اشتراك القائد المباشر في عملية ما هو أمر نادر، لكن دلتا واحد أمكنه التذمر بصعوبة. فالقائد الذي كان غاضباً من الطريقة التي تدبر فيها دلتا فورس عملية القتل في الرف الجليدي في ميلني وخوفه من ازدياد الشبهات وتدقيق بعض الأشخاص، أعلم دلتا واحد أنه سيشهد الجزء الأخير من هذه العملية بنفسه.

يجلس القائد في المقعد الأمامي ويشاهد شخصياً الإخفاق الذي لم يحتمله أيضاً دلتا واحد على الإطلاق.

يجب أن ينتهي هذا. الآن.

نظر القائد من الكايوا إلى سطح الغويا وتساءل كيف حدث هذا. لم يحدث أي شيء بشكل ملائم – الشكوك حول الحجر النيزكي وإخفاق عملية قتل دلتا فورس على الرف الجليدي وضرورة القتل العلني في (إف دي آر).

"أيها القائد"، تمتم دلتا واحد ونبرة صوته واحدة من تلك المخزية والمصعوقة وهو ينظر إلى ما حدث على سطح سفينة الغويا. "لا أستطيع تخيل...".

ولا أنا أستطيع، فكر القائد. من الواضح أنهم استهانوا بفريستهم كثيراً.

نظر القائد إلى راشيل سيكستون التي كانت تحدق مشدوهةً إلى الزجاج العاكس للطائرة وترفع جهاز كريب توك إلى فمها. عندما فرقع صوتها المصطنع داخل الكايوا، توقع القائد منها أن تطلب من الطائرة الانسحاب أو إطفاء نظام التشويش ليتمكن تولاند من طلب النجدة. ولكن كلمات راشيل

سيكستون كانت أكثر إخافة من ذلك.

قالت له: "لقد تأخرتم كثيراً، لسنا نحن فقط من نعلم بالأمر".

أصدرت الكلمات صدى للحظة داخل الطائرة. رغم أن الإدعاء بدا غير مقنع، فإن الإمكانية الضعيفة لصحة قولها أصابت القائد بالصمت. فنجاح المهمة بأكملها يتطلب التخلص من جميع أولئك الذين يعرفون الحقيقة، وبدرجة الأهمية التي ينبغي فيها منع انتشار الحقيقة، كان يتوجب على القائد أن يتأكد من أن هذا هو القرار النهائي.

شخص آخر يعرف...

بالنظر إلى سمعة راشيل سيكستون من اتباعها لبروتوكول صارم من سرية المعلومات، وجد القائد أنه من الصعب تصديق أنها قررت مشاركة هذه المعلومات مع مصدر خارجي.

كانت راشيل تتحدث على الكريب توك ثانيةً: "انسحبوا وسنقوم بالإبقاء على رجالك. اقتربوا أكثر وسيموتون. على أية حال، إن الحقيقة قد كُشفت. انسحبوا فليس هناك فرصة للربح. انسحبوا".

"أنت تكذبين"، قال القائد وهو يعلم أن الصوت الذي تسمعه راشيل سيكستون هو نبرة آلية خنثوية. "أنت لم تخبري أحداً".

"هل أنت مستعد للمخاطرة بذلك؟" ردت عليه راشيل: "لم أستطع الوصول إلى ويليام بيكرينغ في وقت مبكر، فخفت كثيراً واتخذت بعض الضمانات".

عبس القائد. كان أمراً معقولاً.

"إنهم لا يصدقوننا". قالت راشيل وهي تنظر إلى تولاند.

تكلف الجندي المقبوض عليه بالمخالب بابتسامة ظهر فيها الألم: "إن بندقيتك فارغة، ستقوم الطائرة بنسفك إلى الجحيم. ستموتان أنتما الاثنان. إن أملكم الوحيد هو تركنا نذهب".

على الإطلاق، فكرت راشيل، وهي تحاول تحديد خطوتها الأخرى. نظرت إلى الرجل المقيد والمُسكت المتمدد أسفل قدمها مباشرة أمام الغواصة. بدا مصاباً بالهذيان من الدماء التي فقدها. انحنت أمامه وهي تنظر إلى عينيه البائستين: "سأنزع لك الكعام[45]، وأمسك لك الكريب توك. أنت ستقنع الهيليكوبتر بالانسحاب. هل هذا مفهوم؟".

45 الكعام: شيء يقحم داخل الفم لمنعه من الصراخ أو الكلام.

أومأ الرجل بجدية.

سحبت راشيل كعام الرجل، فبصق لعاباً دامياً في وجه راشيل.

"عاهرة"، قال وهو يسعل: "سأشاهدك وأنت تموتين. إنهم سيقتلونك مثل الخنزير، وأنا سأستمتع بكل لحظة".

مسحت راشيل اللعاب الساخن من على وجهها وهي تشعر بيدي تولاند تبعدها إلى الخلف، يهدئها وهو يأخذ البندقية الآلية منها. استطاعت أن تشعر من لمسته المرتجفة أن شيئاً ما داخله قد انفجر للتو. مشى تولاند إلى لوحة التحكم على بعد ياردات قليلة (أمتار) ووضع يديه على الرافعة ثم ثبت عينيه بذلك الرجل الممدد على سطح السفينة.

"تناضل مرة ثانية"، قال تولاند: "وعلى سفينتي. هذا كل ما ستحصل عليه".

وبغضب صارم، سحب تولاند الرافعة بحدة. عندها فُتح الباب الأفقي الضخم في سطح السفينة أسفل التريتون كأرضية المشنقة. أطلق الجندي المقيد صراخاً قصيراً ثم اختفى، هابطاً أسفل الحفرة. سقط ثلاثين قدماً (9 متر) إلى المحيط أسفله. كان الرشاش ذا لون قرمزي. قضت القروش عليه على الفور.

اهتزّ القائد غضباً، وهو ينظر من أسفل الكايوا إلى ما تبقى من جسد دلتا ثلاثة الذي انجرف من أسفل القارب بالتيار القوي. كانت المياه الوامضة قرنفلية اللون. تصارعت عدة أسماك على شيء ما بدا وكأنه ذراع.

يا إلهي!

نظر القائد مرة أخرى إلى سطح السفينة. كان دلتا اثنان لا يزال معلقاً بمخالب التريتون، ولكن الغواصة كانت معلقة الآن فوق حفرة مفتوحة في سطح السفينة. تدلت قدماه فوق الحفرة. كل ما على تولاند فعله هو تحرير المخالب، وسيكون دلتا اثنان هو التالي.

"حسناً"، صاح القائد في كريب توك: "انتظر. انتظر فقط!".

وقفت راشيل على السفينة وحدقت إلى الكايوا. رغم ذلك الارتفاع، أحس القائد بالتصميم في عينيها. رفعت راشيل كريب توك إلى فمها: "ألا تزال تعتقد أننا نكذب؟ اتصل بلوحة المفاتيح الأساسية في مكتب الاستطلاع واسأل عن جيم ساميلجان. إنه في المناوبة الليلية. لقد أخبرته كل شيء عن الحجر النيزكي. سيثبت لك صحة ذلك".

إنها تقدم إليّ اسماً محدداً؟ إن هذا لا ينبئ بخير. إن راشيل سيكستون

ليست غبية، وهذا كان خدعة يمكنه القائد أن يتأكد منها خلال ثوانٍ. رغم أن القائد لا يعلم بأي شخص باسم جيم ساميلجان في مكتب الاستطلاع إلا أن تلك المنظمة كانت ضخمة. من المحتمل أن تكون راشيل سيكستون تقول الحقيقة. قبل أن يأمر بالقتل النهائي، كان على القائد أن يثبت فيما إذا كانت تكذب – أم لا.

نظر دلتا واحد إليه: "أتريدني أن أعطل جهاز التشويش لتتمكن من الاتصال والتأكد من الأمر؟".

نظر القائد إلى كل من راشيل وتولاند وكلاهما في منظر واضح. لو حاول أي منهما التحرك من أجل هاتف جوال أو جهاز إرسال، فإن القائد يعلم بأن دلتا واحد يستطيع دائماً الرد ومنع ذلك. إن المخاطرة صغيرة جداً.

"اقطع جهاز التشويش". قال القائد ساحباً هاتفه الخلوي. "سأتأكد من صحة كذبة راشيل. ثم ستجد طريقة للحصول على دلتا اثنين وإنهاء هذا".

في فيرفاكس، كانت عاملة المقسم الرئيسي في مكتب الاستطلاع قد نفد صبرها: "كما قلت لك. لا أرى أحداً باسم جيم ساميلجان في قسم الخطط والتحليل".

كان المتصل ملحاً: "هل جربت عدة تهجئات أخرى؟ هل جربت أقساماً أخرى؟".

كانت العاملة قد فحصت ذلك مسبقاً، ولكنها قامت بالتأكد مرة أخرى. وبعد عدة ثوانٍ، قالت: "ليس هناك في أي مكان أحد من الطاقم اسمه جيم ساميلجان. وبأي تهجئة".

بدا أن المتصل مسرور لذلك على نحو مستغرب: "إذاً أنت متأكدة من أن مكتب الاستطلاع لا يوظف أحداً باسم جيم –".

اضطراب غريب ظهر على الخط. أحد ما صاح. لعن المتصل بصوت عالٍ وأغلق فجأةً.

على متن الكايوا، كان دلتا واحد يصرخ بغضب وهو يسرع في إعادة تشغيل جهاز التشويش. لقد أدرك بعد وقت متأخر جداً. ففي المجموعة الضخمة من أجهزة التحكم المضاءة في حجرة الطيار، أضاء مصباح إشارة صغير مشيراً إلى بيانات من (ساتكوم) قد تم إرسالها من الغويا. ولكن كيف؟ لم يغادر أحد سطح السفينة! قبل أن يتمكن دلتا واحد من تشغيل نظام التشويش، كان الاتصال قد انتهى من الغويا دون أي تدخل.

داخل المختبر المائي، رن جهاز الفاكس بالإيجاب.

تم إيجاد الطرف المتلقي... تم إرسال الفاكس.

121

اقتل أو يتم قتلك. كانت راشيل قد اكتشفت جزءاً من نفسها لم تعلم بوجوده على الإطلاق. طريقة البقاء – إصرار متوحش مملوء بالخوف.

"ماذا كان هناك في الفاكس المُرسل؟" سألها صوت في كريب توك.

كانت راشيل مرتاحة لسماعها تأكيداً أن الفاكس قد تم إرساله كما خُطط له. "غادر المنطقة"، طلبت وهي تتحدث في كريب توك وتنظر إلى الطائرة المحومة. "لقد انتهى الأمر. إن سركم قد انكشف". أعلمت راشيل مهاجميها بجميع المعلومات التي أرسلتها للتو. نصف دزينة من الصفحات المليئة بالصور والمقالات. دليل لا يمكن الشك فيه بأن الحجر النيزكي مزيف. "إن إيذاءنا سيزيد من سوء موقفك".

ساد صمت طويل: "لمن أرسلت الفاكس؟".

لم تكن راشيل تنوي الإجابة على ذلك السؤال. كانت هي وتولاند يحتاجان إلى أن تضيع أطول وقت ممكن. لقد أخذا لنفسهما مكاناً بجانب فتحة السفينة، في خط مباشر مع التريتون، وهذا يجعل من المستحيل للطائرة أن تصوب عليهم دون إصابة الجندي المتدلي من مخالب الغواصة.

"ويليام بيكرينغ"، اقترح الصوت ويبدو عليه الأمل بشكل غريب: "لقد أرسلت الفاكس إلى بيكرينغ".

خطأ، فكرت راشيل. كان لبيكرينغ أن يكون خيارها الأول، ولكنها كانت مجبرة على اختيار شخص آخر لخوفها أن المهاجمين قد قضوا على بيكرينغ مسبقاً – خطوة يكون وضوحها شهادة مخيفة لتصميم أعدائها. ففي لحظة من القرار اليائس، كانت راشيل قد أرسلت المعلومات إلى رقم الفاكس الوحيد الذي تحفظه غيباً.

مكتب والدها.

كان رقم فاكس مكتب السيناتور سيكستون قد حُفر في ذاكرة راشيل بشكل مؤلم بعد موت والدتها عندما اختار والدها التصرف بجميع أشياء الميراث دون أن يتعامل معها شخصياً. لم تتخيل راشيل أنها ستلتفت إلى والدها في وقت الحاجة، ولكن في هذه الليلة، يمتلك هذا الرجل خصوصيتين مهمتين – جميع الدوافع السياسية لنشر معلومات الحجر النيزكي من دون تردد، وسبباً كافياً للاتصال البيت الأبيض وابتزازهم لإيقاف عملية القتل هذه.

رغم أن والدها لن يكون بالتأكيد في مكتبه في مثل هذه الساعة إلا أن راشيل علمت بأنه يبقى مكتبه مقفولاً مثل السرداب. لقد أرسلت راشيل المعلومات حقيقة إلى مكان آمن في هدا الوقت. فلو علم المهاجمون بالمكان الذي أرسلت المعلومات إليه، فإن الفرص ستكون ضئيلة بالدخول إلى بناء مكاتب السيناتورية فيليب إي هارت الأكثر سرية والاقتحام إلى مكتب السيناتور دون أن يلاحظه أحد.

"مهما كان الذي أرسلت إليه الفاكس"، قال الصوت من الأعلى: "فإنك وضعت ذلك الشخص في خطر".

علمت راشيل أن عليها التحدث من مركز قوة بغض النظر عن الخوف الذي تشعر به. أشارت إلى الرجل المعلق في مخالب التريتون. وساقاه متدليتان فوق الهاوية، تسقط الدماء منها إلى بعد ثلاثين قدماً (9 متر) في المحيط. "الشخص الوحيد في خطر هو عميلكم". قالت في كريب توك: "لقد انتهى الأمر. انسحبوا. لقد انتشرت المعلومات. لقد خسرتم. غادروا المنطقة أو سيموت هذا الرجل".

ردّ عليها الصوت في كريب توك: "آنسة سيكستون، أنت لا تفهمين أهمية –".

"أفهم؟" انفجرت راشيل غضباً: "أفهم أنكم قتلتم أشخاصاً أبرياء! أفهم أنكم كذبتم حول الحجر النيزكي! وأفهم أنكم لن تنجون بهذا! ولو قمتم بقتلنا جميعاً، لقد انتهى الأمر!".

كان هناك صمت طويل، ثم قال ذلك الصوت أخيراً: "سأنزل إلى الأسفل".

شعرت راشيل بأن عضلاتها تتصلب، قادم إلى الأسفل؟

"أنا غير مسلح"، قال الصوت: "لا تقومي بعمل متهور. يجب أن أتحدث معك وجهاً لوجه".

قبل أن تتمكن راشيل من التصرف، هبطت الطائرة إلى سطح الغويا. فتح الباب في جسم الطائرة وخطا من هناك شخص ما. كان يبدو أنه رجل بسيط يرتدي معطفاً أسود وربطة عنق. وللحظة، كانت أفكار راشيل متجمدة بالكامل.

كانت تحدق إلى ويليام بيكرينغ.

وقف ويليام بيكرينغ على سطح الغويا ونظر بندم إلى راشيل سيكستون. لم يتخيل أنه سيصل اليوم إلى هذا الموقف. وبينما هو يتحرك نحوها، استدل رؤية مريج العواطف الخطيرة في عيني موظفته.

الصدمة، الخديعة، الارتباك، الغضب.

جميعها أمور قابلة للفهم، فكر بهذا. ولكن هناك الكثير من الأمور التي لا تفهمها.

للحظة، تذكر بيكرينغ ابنته، ديانا، متسائلاً ما هي العواطف التي أحست بها قبل موتها. كان كل من راشيل وديانا ثمناً لحرب واحدة، حرب أقسم بيكرينغ أن يقاتل فيها للأبد. في بعض الأحيان يكون الثمن قاسياً جداً.

"راشيل"، قال بيكرينغ: "لا يزال لديك الوقت لإنهاء هذا. هناك الكثير أريد شرحه لك".

بدا على راشيل سيكستون الذعر، وكأنها مصابة بالغثيان. كان تولاند يحمل البندقية الآلية الآن ويصوب إلى صدر بيكرينغ. بدا عليه الارتباك هو الآخر.

"ابقَ في مكانك!" صاح تولاند.

وقف بيكرينغ على بعد خمسة ياردات (4.5 متر) يركز نظره على راشيل: "إن والدك يقبل رشاوى، يا راشيل. رشاوى من شركات فضاء خاصة. إنه يخطط لتفكيك ناسا وفتح الفضاء أمام القطاع الخاص. يجب أن يتم إيقافه لصالح الأمن القومي".

كانت تعابير وجه راشيل مشدوهة.

تنهد بيكرينغ: "يجب أن تبقى ناسا رغم كل أخطائها وكالة حكومية". من المؤكد أنها تفهم خطر ذلك. فالخصخصة سترسل بأفضل عقول وأفكار ناسا إلى القطاع الخاص. ستتلاشى الثقة العقلية. وستفقد القوات العسكرية تدخلها. إن شركات الفضاء الخاصة تتطلع لزيادة أرباحها من خلال بيع امتيازات ناسا وأفكارها إلى المزايدين الأكبر في العالم!

كان صوت راشيل مرتجفاً: "لقد زيفت الحجر النيزكي وقتلت الأشخاص الأبرياء... تحت اسم الأمن القومي؟".

"لم يفترض أن يحدث الأمر كما هو أبداً"، قال بيكرينغ: "كانت الخطة هي إنقاذ وكالة حكومية مهمة. إن القتل لم يكن جزءاً منها".

علم بيكرينغ أن خدعة الحجر النيزكي هي نتاج للخوف مثل معظم الأفكار الاستخباراتية. فمنذ ثلاث سنوات، في عملية لتمديد سماعات مائية لمكتب الاستطلاع إلى مياه أعمق حيث لا يمكن كشفها من قبل المخربين الأعداء، ترأس بيكرينغ برنامجاً يستفيد من مادة طورتها ناسا حديثاً لكي يتم

منها، سرياً، تصميمُ غواصة مذهلة متينة يمكنها حمل الإنسان إلـــى المنـــاطق العميقة في المحيط – بما فيها أعماق منخفضات ماريانا.

مصنوعةً من الخزف الحديث، صُممت هذه الغواصة التي تتسع لشخصـــين من تصاميم مسروقة من جهاز كمبيوتر مهندس مـــن كاليفورنيـــا يـــدعى جـــرام هاوكس، وهو مصمم عبقري للغواصات كان حلم حياته هو بناء غواصة لأعمـــاق المياه السحيقة يُطلق عليها اسم 'ديب فلايت II'. كان هاوكس يجد مشكلة في إيجاد تمويل لبناء النموذج الأولي. ولكن بيكرينغ كان لديه الميزانية غير المحدودة.

من خلال استخدام غواصة الخزف السرية، أرسل بيكرينغ فريقـــاً ســـرياً تحت الماء لتثبيت سماعات مائية جديدة في جدران منخفضات ماريانا، أعمـــق مما يمكن لأي عدو أن ينظر. وفي أثناء عملية الثقـــب تلـــك، اكتشـــفت بنـــى جيولوجية لا تشبه أي شيء قد رآه العلماء من قبـــل. تضـــمنت الاكتشـــافات حبيبات معدنية ومستحاثات لعدد كبير مجهول من الكائنـــات. بـــالطبع، كانـــت مقدرة مكتب الاستطلاع للغوص إلى تلك الأعماق أمراً سرياً، وعندها لا يمكن الكشف عن هذه المعلومات على الإطلاق.

مؤخراً، ومرة أخرى بسبب الخوف، قرر بيكرينغ والفريق السري لعلماء مكتب الاستطلاع وضع معلوماتهم عن جيولوجيا ماريانا الفريدة للمساعدة فـــي إنقاذ ناسا. عندها ثبت أن تحويل صخرة من ماريانا إلى حجر نيزكي هي مهمة مخادعة بسيطة. فمن خلال استخدام محرك هيدروجين نصف سائل (إي ســـي إي)، قام فريق مكتب الاستطلاع بتفحيم الصـــخرة بقشـــرة انصـــهار مقنعـــة. وبعدها، من خلال استخدام غواصة حمولة صغيرة، نزلوا أسفل الرف الجليدي في ميلني وأدخلوا الصخرة المتفحمة إلى الأعلى عبر الجليد أسفله. حالما تجمد عمود الإدخال، بدت الصخرة وكأنها قد وضعت هناك منذ ثلاثمئة سنة.

للأسف، كما هو الحال غالباً في عالم العمليات السرية، فإن أروع الخطط يمكن تخريبها بأصغر الأخطاء الخفية. يوم أمس، تم الكشـــف عـــن الخدعـــة بأكملها بسبب القليل من العوالق المضيئة حيوياً...

من حجرة طيران الكايوا الواقفة دون عمل، راقب دلتـــا واحـــد الـــدراما تتفضح أمامه. بدا أن راشيل وتولاند يحكمان السيطرة، رغم أنه كان على دلتا واحد الضحك لأن خدعتهما جوفاء. كانت البندقية الآلية في يد تولاند دون أيـــة فائدة؛ رغم تلك المسافة استطاع دلتا واحد رؤية أن مجمع ديك البندقية قد ارتد إلى الخلف، مشيراً إلى أن مشط الذخيرة فارغ.

عندما نظر دلتا واحد إلى زميله الذي يجاهد في مخالب التريتون، علم أن عليه الإسراع. إن التركيز على سطح السفينة قد تحول بالكامل إلى بيكرينغ، ويمكن لدلتا واحد القيام بخطوته الآن. تاركاً الشفرات تدور ببطء، انزلق من مؤخرة باب الهيلكوبتر واستخدم الطائرة لتغطيته، ثم شق طريقه دون أن يراه أحد إلى الممر الأيمن. مع بندقيته الآلية في يده، توجه إلى مقدمة السفينة. لقد قام بيكرينغ بإعطائه أوامر محددة قبل أن يهبطا على السفينة، ولم يكن دلتا واحد ينوي الإخفاق في هذه المهمة البسيطة.

علم أن كل شيء سينتهي خلال دقائق.

122

لا يزال مرتدياً برنس الحمام، جلس زاك هيرني في المكتب الرئاسي، ورأسه ينبض بقوة. لقد تم الكشف عن الجزء الأحدث في ذلك اللغز للتو.

إن مارجوري تينش ميتة.

قال مساعدو هيرني أن لديهم معلومات تقترح أن تينش قد ذهبت إلى النصب التذكاري (إف دي آر) في اجتماع خاص مع ويليام بيكرينغ. وبسبب أن بيكرينغ مفقود الآن، أحس الطاقم بالخوف من أن يكون بيكرينغ ميتاً أيضاً.

لقد تحمل كلٌ من الرئيس وبيكرينغ معاركهما مؤخراً. منذ أشهر خلت، علم هيرني أن بيكرينغ يشترك بعمل غير شرعي باسم هيرني في محاولة لإنقاذ حملة هيرني المتفتتة.

من خلال توظيف أصول لمكتب الإستطلاع، حصل بيكرينغ بحذر على معلومات قذرة كافية لإغراق حملة السيناتور سيكستون - صور جنسية مخزية للسيناتور مع مساعدته غابرييل آش، تسجيلات مالية إجرامية تثبت أن سيكستون يتلقى رشاوى من شركات الفضاء الخاصة. وبشخصية مجهولة، أرسل بيكرينغ جميع هذه الدلائل إلى مارجوري تينش، مفترضاً أن البيت الأبيض سيستخدمها بحكمة. ولكن هيرني، عند رؤيته للمعلومات، منع تينش من استخدامها. فالفضائح الجنسية والرشاوى هي آفات مهلكة في واشنطن، والتلويح بأي منها أمام الجماهير لن يضيف إلا الارتياب تجاه الحكومة.

إن العقائد الساخرة تقتل هذا البلد.

رغم أن هيرني علم أن بإمكانه القضاء على سيكستون بهذه الفضيحة، إلا

أن الثمن سيكون هو تلطيخ كرامة مجلس الشيوخ الأميركي، وهذا شيء رفض هيرني القيام به.

لا مزيد من السلبيات. بإمكان هيرني سحق السيناتور سيكستون بهذه القضايا.

حاول بيكرينغ، وهو غاضب من رفض البيت الأبيض لاستخدام الأدلة التي قدمها، بإطلاق الفضائح من خلال تسريب إشاعة بأن سيكستون قد ضاجع غابرييل آش. للأسف، صرح سيكتسون عن براءته مع سخط مقنع لدرجة أن الرئيس وجب عليه الاعتذار عن هذا التسريب شخصياً. في النهاية، قام ويليام بيكرينغ بالإساءة أكثر من الإحسان. أخبر هيرني بيكرينغ بأنه لو تدخل مرة ثانية في الحملة، فستتم مقاضاته. إن الأمر الساخر الكبير، بالتأكيد، هو أن بيكرينغ لم يكن يحب الرئيس هيرني. فقد كانت محاولات مدير مكتب الاستطلاع لمساعدة حملة هيرني هي ببساطة الخوف على مصير ناسا. كان زاك هيرني هو أقل الشرّين.

الآن، هل قام شخص ما بقتل بيكرينغ؟

لم يستطع هيرني أن يتخيل.

"سيدي الرئيس"، قال المساعد: "كما طلبت، اتصلت بلورانس إيكستروم وأخبرته عن مارجوري تينش".

"شكراً لك".

"إنه يرغب التحدث معك، سيدي".

كان هيرني لا يزال غاضباً من إيكستروم لكذبه حول بودس: "أخبره أنني سأتحدث معه في الصباح".

"إن السيد إيكستروم يريد الحديث معك فوراً، سيدي". بدا على المساعد الارتباك: "إنه منزعج جداً".

إنه منزعج؟ استطاع هيرني أن يشعر بأن مزاجه ينفجر من الانفعال. وبينما مشى بغضب ليتلقى مكالمة إيكستروم، تساءل الرئيس ما الخطأ الآخر الذي يمكن أن يكون قد حدث الليلة.

123

على متن الغويا، شعرت راشيل بالدوار. إن الحيرة التي كانت قد استقرت حولها مثل الغيمة الثقيلة تغادر الآن. أما الحقيقة الصارمة التي استوعبتها تركتها تشعر بالعزلة والاشمئزاز. نظرت إلى الرجل الغريب أمامها

، استطاعت سماع صوته بصعوبة بالغة.

"احتجنا إلى أن نعيد بناء صورة ناسا". كان بيكرينغ يقول: "إن شعبيتها المتناقصة وتمويلها قد أصبحا شيئاً خطيراً على العديد من المستويات". صمت بيكرينغ وعيناه الكئيبتان تحدقان بها: "راشيل، كانت ناسا في أشد الحاجة إلى انتصار. وجب على شخص ما القيام به".

وجب القيام بشيء ما، فكر بيكرينغ.

كان الحجر النيزكي هو التصرف اليائس الأخير. لقد حاول بيكرينغ والآخرون إنقاذ ناسا من خلال الاجتماع لدمج وكالة الفضاء في المجتمع الاستخباراتي حيث يمكنها الاستمتاع بتمويل متزايد وأمن أفضل، ولكن البيت الأبيض رفض هذه الفكرة باستمرار على أنها اعتداء على العلم الصرف. المثالية قصيرة النظر. ومع شعبية سيكستون المتزايدة في خطبه ضد ناسا، علم بيكرينغ وجماعته من خارقي القوى العسكرية أن الوقت ينفد منهم. لذا قرروا أن الاستحواذ على خيال دافعي الضرائب والكونغرس هي الطريقة الوحيدة لاسترداد صورة ناسا وإنقاذها من ساحة المزاد العلني. إذا كان على وكالة الفضاء أن تنجو، فإنها تحتاج إلى العظمة – شيء يذكر دافعي الضرائب بأمجاد ناسا في أيام أبولو. وبما أن زاك هيرني يريد أن يهزم السيناتور سيكستون، فإنه سيحتاج إلى المساعدة.

حاولت مساعدته، قال بيكرينغ لنفسه، متذكراً جميع الأدلة المؤذية التي أرسلها لمارجوري تينش. لسوء الحظ، منع هيرني استعمالها، فلم يترك الخيار لبيكرينغ إلا باستخدام إجراءات عنيفة.

"راشيل"، قال بيكرينغ: "إن المعلومات التي أرسلتها للتو خارج هذه السفينة خطيرة جداً. يجب أن تفهمي ذلك. لو أن هذه المعلومات انتشرت، فإن البيت الأبيض وناسا سيبدوان مشتركين بالجريمة. إن آثارها ضد الرئيس وناسا ستكون هائلة. الرئيس وناسا لا يعلمان أي شيء يا راشيل. إنهم أبرياء. لقد صدقوا أن الحجر النيزكي أصلي".

لم يحاول بيكرينغ إعلام هيرني أو إيكستروم بعمله لأن كل منهما كان مثالياً جداً لا يوافق على أية خدعة، بغض النظر عن قدرتها على إنقاذ المنصب الرئاسي أو وكالة الفضاء. إن جريمة المدير إيكستروم الوحيدة كانت إقناع المشرف على مهمة بودس بالكذب حول برنامج الشذوذات، وهي حركة لا بد أن إيكستروم ندم عليها في اللحظة التي أدرك الأهمية التي سيصبح بها هذا الحجر النيزكي.

مارجوري تينش، بسبب غضبها من إصرار الرئيس على القتال في حملة نظيفة، تآمرت مع إيكستروم في كذبة بودس على أمل أن نجاحاً صغيراً لبودس ربما سيساعد الرئيس في النجاة من فيضان سيكستون المتزايد.

لو أن تينش استخدمت الصور ومعلومات الرشاوى التي أرسلتها إليها، ما كان ليحدث أي شيء من هذا!

جريمة قتل تينش، رغم الندم الكبير عليها، كانت قد تقررت منذ أن اتصلت راشيل بتينش واتهمتها بالخديعة. علم بيكرينغ أن تينش ستحقق بشكل لا يرحم إلى أن تصل إلى أعماق دوافع راشيل لهذه الادعاءات الغاضبة، وهذا كان تحقيقاً من المؤكد أن بيكرينغ لن يسمح بحدوثه. وبشكل ساخر، كانت تينش ستخدم رئيسها جيدا من خلال موتها. إن نهايتها العنيفة ستساعد في جلب صوت الاستعطاف للبيت الأبيض، وبنفس الوقت تلقي بشكوكات غامضة لخديعة قذرة من قبل حملة سيكستون اليائسة التي أخزتها مارجوري تينش علناً في مقابلة (سي إن إن).

وقفت راشيل مقابلة له، تحملق في مديرها.

"افهمي"، قال بيكرينغ: "لو أن أخبار خديعة الحجر النيزكي قد انتشرت، فإنك ستقضين على رئيس بريء ووكالة فضاء بريئة. وسوف تضعين رجلاً خطيراً جداً في المكتب الرئاسي. يجب أن أعلم إلى أين أرسلت الفاكس".

وبينما هو يتحدث تلك الكلمات، ظهرت نظرة غريبة على وجه راشيل. كان تعبير الرعب الواضح لشخص أدرك للتو أنه ربما قد ارتكب خطأً مُهلكاً.

وبعد أن دار حول مقدمة السفينة ووصل إلى الجانب الأيسر، وقف دلتا واحد الآن في المختبر المائي الذي ظهرت منه راشيل عند وصول الطائرة. عرض جهاز الكمبيوتر في المختبر صورة مُشوشة – صورة ذبذبات متعددة الألوان لدوامة في أعماق المياه على ما يبدو أنها كانت تحوم في قاع المحيط في مكان ما أسفل الغويا.

سبب آخر للخروج من هنا، فكر بذلك وهو يتحرك الآن باتجاه هدفه.

كان جهاز الفاكس موضوعاً على منضدة في الجانب البعيد من الحائط كان مليئاً بمجموعة من الأوراق، تماماً كما توقع بيكرينغ أن يكون. التقط دلتا واحد الأوراق، حيث كان هناك ملاحظة من راشيل في الأعلى. عبارة عن سطرين فقط، فقرأها.

إنها في صميم الموضوع، فكر بذلك.

وبينما مرر إصبعه بين الأوراق، كان مذهولاً وفزعاً في الوقت نفسه للدرجة التي تمكن فيها تولاند وراشيل من كشف خديعة الحجر النيزكي. مهما كان الشخص الذي سيرى هذه الأوراق المطبوعة، فسيعلم ما الذي تعنيه من دون شك. لحسن الحظ، لم يكن دلتا واحد بحاجة على ضغط 'إعادة الاتصال' ليعلم المكان الذي توجهت إليه هذه الأوراق. كان رقم الفاكس الأخير لا يزال معروضاً على الشاشة الضوئية.

بادأته هي: واشنطن دي سي.

نسخ رقم الفاكس بحذر وجمع كل الأوراق، وخرج من المختبر.

كانت يدا تولاند تتصببان عرقاً على البندقية الآلية وهو يحملها، موجهاً الفوهة إلى صدر ويليام بيكرينغ. كان مدير مكتب الاستطلاع لا يزال يضغط على راشيل لتخبره المكان الذي أرسلت إليه المعلومات، وقد بدأ تولاند يشعر بالإحساس المربك بأن بيكرينغ كان يحاول ببساطة إضاعة الوقت. لماذا؟

"إن البيت الأبيض وناسا أبرياء". أعاد بيكرينغ قوله: "اعملي معي، لا تجعلي أخطائي تدمر المصداقية القليلة التي تبقت لناسا. ستبدو ناسا هي المذنبة في حال انتشرت هذه المعلومات. يمكن أن أصل وإياك إلى اتفاق. إن البلد يحتاج إلى هذا الحجر النيزكي. أخبريني إلى أين أرسلت المعلومات قبل أن يتأخر الوقت".

"لتتمكن من قتل شخص آخر؟" قالت راشيل: "أنت تجعلني أشعر بالغثيان".

كان تولاند مندهشاً من ثبات راشيل. إنها تحتقر والدها، ولكنها بالتأكيد لا تنوي وضع السيناتور في أي خطر مهما كان. لسوء الحظ، كانت خطة راشيل لإرسال الفاكس إلى والدها للمساعدة قد أعطى عكس النتائج المرجوة. حتى ولو حضر السيناتور إلى مكتبه، ورأى الفاكس واتصل بالرئيس مع أخبار خديعة الحجر النيزكي وأخبره أن يلغي الهجوم، فليس هناك أي شخص في البيت الأبيض لديه فكرة عما يتحدث سيكستون أو عن مكان وجودهم.

"سأقول هذا مرة واحدة فقط"، قال بيكرينغ وهو ينظر إلى راشيل بحملقة مهددة: "إن الموقف معقد جداً لتفهميه بشكل كامل. لقد قمت بخطأ كبير في إرسالك المعلومات خارج السفينة. لقد وضعت بلدك في مأزق".

أدرك تولاند الآن أن بيكرينغ يضيع الوقت في الواقع. وكان السبب يمشي بهدوء باتجاههم في الجانب الأيمن للقارب. شعر تولاند بومضة من الخوف عندما

رأى الجندي يمشي باتجاههم وهو يحمل مجموعة من الأوراق والبندقية الآلية.

قام تولاند بردة فعل حاسمة كانت صدمته هو نفسه. قابضاً على البندقية الآلية، اندفع بسرعة ووجهها على الجندي وسحب الزناد.

أصدرت البندقية صوتاً بريئاً.

"لقد وجدت رقم الفاكس"، قال الجندي وهو يسلم بيكرينغ قطعة ورق صغيرة: "وإن السيد تولاند فارغ الذخيرة".

124

اندفع سيدجويك سيكستون كالعاصفة في مدخل بناء السيناتورية فيليب أي هارت. لم يكن لديه أية فكرة عن كيفية تمكن غابرييل من فعل ذلك، ولكنها بالتأكيد قد دخلت مكتبه. فبينما كانا يتحدثان على الهاتف، سمع سيكستون بوضوح الطقطقة الثلاثية المميزة لساعة جورديان في الخلف. كل ما استطاع تخيله هو أن استراق السمع الذي قامت به غابرييل على لقاء (إس إف إف) قد شوه ثقتها به وذهبت تبحث عن أدلة.

كيف تمكنت من الدخول إلى مكتبي بحق الجحيم!

كان سيكستون مسروراً أنه قد قام بتغيير كلمة سر كمبيوتره.

عندما وصل إلى مكتبه الخاص، أدخل سيكستون الشيفرة لتعطيل المنبه. وبعدها تحسس مفاتيحه، وفك الأقفال الضخمة ففتحت الأبواب، ثم اندفع إلى الداخل ناوياً إدراك غابرييل وهي تقوم بفعلتها.

ولكن المكتب كان فارغاً ومظلماً مضاءً فقط بأضواء شاشة توقف كمبيوتره. أشعل الأضواء، وتفحصت عيناه الغرفة، كل شيء يبدو في مكانه. صمت كامل باستثناء الطقطقة الثلاثية لساعته.

أين هي بحق الجحيم؟

سمع حفيف شيء ما في حمامه الخاص، فأسرع مشعلاً الضوء. كان الحمام فارغاً، نظر خلف الباب. لا يوجد شيء.

بحيرة، نظر سيكستون إلى نفسه في المرآة متسائلاً هل شرب كثيراً هذه الليلة. لقد سمعت شيئاً ما. وهو يشعر بعدم التوجه والاضطراب، مشى عائداً إلى مكتبه.

"غابرييل؟" صاح بأعلى صوته. ذهب إلى الردهة باتجاه مكتبها، لم تكن

هناك. كان مكتبها مظلماً.

تدفق الماء في مرحاض غرفة السيدات، فالتفت سيكستون مسرعاً باتجاه غرف الاستراحة. وصل في الوقت الذي خرجت فيه غابرييل، وهي تنشف يديها. فزعت عندما رأته.

"يا إلهي! لقد أخفتني!" قالت وهي تبدو خائفة حقاً. "ما الذي تفعله هنا؟".

"قلت إنك تحضرين وثائق ناسا من مكتبك". صرح وعيناه تنظران إلى يديها الفارغتين: "أين هي؟".

"لم أستطع العثور عليها. بحثت في كل مكان. وقد استغرق هذا وقتاً طويلاً".

حدق مباشرة في عينيها: "هل كنت في مكتبي؟".

أدين بحياتي إلى جهاز الفاكس الخاص به، فكرت غابرييل.

منذ دقائق فقط، كانت تجلس أمام كمبيوتر سيكستون، تحاول طباعة صور الشيكات غير الشرعية من جهاز كمبيوتره. كانت الملفات محمية بطريقة ما، وكانت تحتاج إلى وقت أطول لتعرف كيفية طباعتها. كان من المحتمل أنها لا تزال تحاول ذلك الآن لو أن جهاز فاكس سيكستون لم يرن منبهاً ومعيداً إياها إلى الواقع. اعتبرت غابرييل أن ذلك إشارة لخروجها. ودون أن تقضي المزيد من الوقت لتنتظر ما هو الفاكس القادم، أقفلت كمبيوتر سيكستون ورتبت كل شيء ثم توجهت من الطريق الذي قدمت منه. كانت تتسلق من الحمام في الوقت الذي سمعت فيه سيكستون يدخل.

الآن، مع وجود سيكستون واقفاً أمامها، ومحدقاً بها، أحست أنه يبحث في عينيها عن كذبة. يمكن لسيدجويك سيكستون أن يشم الكذب بقدرة لم ترها غابرييل على الإطلاق. لو أنها كذبت عليه، فإن سيكستون سيعرف.

"لقد كنت تشرب"، قالت غابرييل وهي تلتفت بعيداً. كيف يعلم أنني كنت في مكتبه؟

وضع سيكستون يديه على كتفيها وأدارها إلى الخلف: "هل كنت في مكتبي؟".

شعرت غابرييل بخوف متزايد. لقد كان سيكستون يشرب حقاً. كانت لمسته قاسية. "في مكتبك؟" سألته وهي تجبر نفسها على إطلاق ضحكة مرتبكة. "كيف؟ لماذا؟".

"لقد سمعت ساعة جوردين في الخلف عندما اتصلت بك".

انكمشت غابرييل بينها وبين نفسها. ساعته؟ لم يخطر ذلك على بالي. "أتعلم كم يبدو هذا سخيفاً؟".

"أقضي اليوم بأكمله في المكتب. أعلم كيف هو صوت ساعتي".

أحست غابرييل أن عليها إنهاء هذا فوراً. الدفاع الأفضل هو الهجوم الجيد. على الأقل هذا ما تقوله يولاندا كول دائماً. واضعة يديها على وركيها، مشت غابرييل بقوة وخطت باتجاهه، تنظر إلى وجهه محملقة: "دعني أفهمك هذا مباشرة، حضرة السيناتور. إنها الرابعة صباحاً وكنت ثملاً، سمعت الطقطقة على الهاتف، وهذا هو سبب مجيئك إلى هنا؟" أشارت بإصبعها بسخط باتجاه أسفل المدخل إلى بابه. "لنوضح الأمر، هل تتهمني بتعطيل نظام التنبيه الفيدرالي واختراق مجموعتين من الأقفال، لأقتحم مكتبك، وأكون غبية بدرجة كافية لأجيب على هاتفي الجوال وأنا أقترف الجرم، ومن ثم أعيد تشغيل نظام التنبيه في طريقي للخارج، وبهدوء استخدم غرفة السيدات قبل أن أهرب بدون أي دليل على ذلك؟ هل هذه هي القصة هنا؟".

طرفت عينا سيكستون المفتوحتان بشكل كبير.

"هناك سبب يمنع الأشخاص من الشرب وحدهم"، قالت غابرييل: "وهل تريد الآن التحدث عن ناسا أم لا؟".

شعر سيكستون بالارتباك وهو يمشي عائداً إلى مكتبه. ذهب مباشرة إلى طاولة الشرب وصب لنفسه البيبسي. هو متأكد من أنه لا يشعر بالسكر. هل يمكن أن يكون حقاً مخطئاً بذلك؟ عبْر الغرفة، طقطقت ساعة جوردين كعادتها. شرب سيكستون البيبسي وصب لنفسه واحدة أخرى، وواحدة لغابرييل.

"اشربي، يا غابرييل؟" قال وهو يعود إلى الغرفة. لم تتبعه غابرييل. كانت لا تزال تقف في المدخل غاضبة. "أوه، بحق الإله! هيا. أخبريني ما الذي وجدته في ناسا".

"أظن أنني حصلت على ما يكفيني لهذه الليلة". قالت ويبدو عليها الشحوب. "لنتحدث غداً".

لم يكن سيكستون في مزاج للمزاح. هو يحتاج إلى المعلومات الآن، ولم يرغب في أن يتوسلها لذلك. أطلق تنهدة متعبة. مدّ جسراً من الثقة، الأمر كله يتعلق بالثقة. قال لنفسه. "لقد أسأت التعبير"، قال هو: "عفواً، لقد كان يوماً قاسياً. لا أعلم ما الذي كنت أفكر به".

بقيت غابرييل في المدخل.

مشى سيكستون إلى مكتبه ووضع البيبسي الخاصة بغابرييل علـى ورق النشاف. أشار إلى كرسيه الجلدي – موقع القوة. "اجلسي. استمتعي بالبيبسـي. سأذهب لأغسل رأسي في المغسلة".

توجه إلى الحمام.

كانت غابرييل لا تزال لا تتحرك.

"أعتقد أنني رأيت فاكساً في الجهاز"، صاح سيكستون وهو يدخل الحمام اظهر لها أنك تثق بها. "هلا ألقيت عليه نظرة من أجلي؟".

أغلق سيكستون الباب وملأ المغسلة بالماء البارد. رش الماء على وجهه ولكنه لم يشعر بتحسن. هذا لم يحدث له من قبل على الإطـلاق – أن يكـون واثقاً جداً ومخطئاً جداً. كان سيكستون رجلاً يثق بحدسه، وحدسـه أخبـره أن غابرييل آش كانت في مكتبه.

ولكن كيف؟ إنه أمر مستحيل.

أخبر سيكستون نفسه أن ينسى هذا الأمر ويركز على القضية التي علـى وشك الحدوث. ناسا. إنه يحتاج إلى غابرييل الآن. هذا الوقت غيـر مناسـب للابتعاد عنها. يحتاج إلى أن يعرف ما الذي عرفته. انسَ حدسك. كنت مخطئاً.

وبينما يجفف سيكستون وجهه، رمى رأسه إلى الخلف وأخذ نفساً عميقـاً. استرخ، قال لنفسه، لا تسكر. أغلق عينيه وأخذ نفساً عميقاً مرة أخـرى وهـو يشعر بتحسن.

عندما خرج سيكستون من الحمام، كان مرتاحاً ليرى أن غابرييل قد قبلت ودخلت إلى مكتبه. جيد، الآن يمكننا أن نباشر العمل. كانت غابرييل تقف أمام آلة الفاكس تمرر يدها عبر بعض الأوراق التي أتت. لكـن سيكسـتون كـان مرتبكاً عندما رأى وجهها. كان قناعاً من الارتباك والخوف.

"ما الأمر؟" قال سيكستون متحركاً باتجاهها.

ترنحت غابرييل وكأنها على وشك أن تفقد وعيها.

"ماذا؟".

"الحجر النيزكي..." قالت بصوت مختنق ضعيف عنـدما كانـت يـداها المرتجفتان تمتدان إليه لتعطيه الأوراق. "وابنتك... إنها في خطر".

بحيرة، مشى سيكستون وأخذ الأوراق من غابرييـل. كانـت الصـفحة العلوية ملاحظة مكتوبة بخط اليد. عرف سيكستون على الفور ذلك الخط. كان

ذلك البلاغ أخرقَ وصادماً لبساطته.

الحجر النيزكي مزيف. ها هو الدليل.

ناسا/البيت الأبيض يحاولان قتلي. النجدة! – راشيل سيكستون.

من النادر أن يشعر السيناتور بعدم الفهم، ولكنه عندما أعاد قراءة كلمات راشيل، لم يعلم ما الذي عليه أن يفعله بها.

الحجر النيزكي مزيف؟ ناسا والبيت الأبيض يحاولان قتلها؟

وبغموض متعمق، بدأ سيكستون يبحث في مجموعة الأوراق. كانت الصفحة الأولى صورة محوسبة تقول ترويستها: "الرادار المخترق للأرض (جي بي آر)". بدا أن الصورة تشير إلى الجليد بطريقة ما. رأى سيكستون حفرة الاستخراج التي تحدثوا عنها في التلفاز. كانت عيناه مثبتتين على ما بدا وكأنه خط باهت لجسد يطفو في الحفرة. بعدها رأى شيئاً أكثر صدمة – الخط الواضح لعمود آخر مباشرة تحت المكان الذي كان فيه الحجر النيزكي – وكأن الصخرة قد أُدخلت من أسفل الجليد.

ما هذا؟

مقلّباً للصفحة التالية، كان سيكستون وجهاً لوجه مع صورة لنوع من كائنات المحيط الحية يدعى 'العميق العملاق'. حدق بها باندهاش كامل. هذا هو الحيوان الذي ظهر في مستحاثات الحجر النيزكي!

مقلباً بشكل أسرع الآن، رأى رسماً بيانياً يعرض محتويات الهيدروجين المتأين في قشرة الحجر النيزكي. كان هناك خربشة لخط يد في تلك الصفحة: احتراق بالهيدروجين نصف السائل؟ محرك موسع الذبذبات الخاص بناسا؟

لم يكن سيكستون قادراً على تصديق عينيه. عندما كانت الغرفة قد بدأت بالدوران حوله، قلب للصفحة الأخيرة – صورة لصخرة تحتوي فقاعات معدنية تبدو تماماً مثل الموجودة في الحجر النيزكي. وبصورة مذهلة، الوصف المتكامل قال إن الصخرة هي نتاج عن قوة بركانية في المحيط. صخرة من المحيط؟ تساءل سيكستون. ولكن ناسا قالت إن الحبيبات المعدنية هي من الفضاء فقط!

وضع سيكستون الأوراق على مكتبه وجلس على كرسيه. استغرق الأمر خمس عشرة ثانية لجمع كل شيء كان ينظر إليه. كانت تضمينات الصور على الأوراق واضحة تماماً. وأي شخص بنصف عقل يمكنه أن يرى ما الذي تتنبأ هذه الصور.

حجر ناسا النيزكي مزيف!

لم ينشغل أي يوم في حياة سيكستون المهنية بمثل هذا العلو والانخفاض الشديدين. لقد جمع هذا اليوم مواقف الأمل واليأس معاً. إن حيرة سيكستون تجاه كيفية كشف هذه الخدعة الكبيرة تلاشت عندما أدرك ما الذي تعنيه هذه الخدعة له من الناحية السياسية.

عندما أعلن هذه المعلومات، ستصبح الرئاسة من نصيبي!

في فرحته المتزايدة تلك، كان السيناتور سيدجويك سيكستون قد نسي للحظة ادعاء ابنته أنها في مأزق.

"إن راشيل في خطر"، قالت غابرييل: "إن ملاحظاتها تقول إن ناسا والبيت الأبيض يحاولان –".

بدأ جهاز الفاكس في مكتب سيكستون فجأة بالرنين مرة أخرى. التفتت غابرييل ونظرت إلى الجهاز. كما وجد سيكستون نفسه ينظر أيضاً. لم يستطع تخيل ما الأمر الآخر الذي سترسله راشيل له. المزيد من الدلائل؟ كم يمكن أن يكون هناك من المزيد؟ هذه كافية!

ولكن عندما أجاب جهاز الفاكس على المكالمة، لم تصدر أية صفحة منه. فإن الجهاز عندما لم يتلقَ إشارة إرسال، تحول إلى خاصية الإجابة الآلية.

"مرحباً"، طقطقت رسالة سيكستون المتحولة للمتصل. "هذا مكتب السيناتور سيدجويك سيكستون. إذا كنت تحاول إرسال فاكس، يمكنك إرساله في أي وقت. إذا لم يكن كذلك، اترك رسالة بعد سماع الصافرة".

قبل أن يتمكن سيكستون من الإجابة، رن الجهاز.

"سيناتور سيكستون؟" كان صوت الرجل مفعماً بالغضب الواضح: "أنا ويليام بيكرينغ، مدير مكتب الاستطلاع القومي. ربما لا تكون في مكتبك في مثل هذه الساعة، ولكن أحتاج إلى الحديث معك على الفور". صمت وكأنه ينتظر شخصاً ما ليجيب عليه.

مدّت غابرييل يدها لتلتقط السماعة.

قبض سيكستون على يدها وأبعدها بعنف.

نظرت غابرييل مشدوهة. "ولكن هذا مدير –".

"سيناتور"، أكمل بيكرينغ ويبدو عليه الارتياح تقريباً لأن أحداً لم يجب على المكالمة: "أخشى أنني أتصل لبعض الأخبار المزعجة. لقد تلقيت للتو

رسالة تقول إن راشيل في خطر كبير. لدي فريق يحاول المساعدة بينما نحن نتحدث. لا أستطيع الحديث بالتفاصيل عن الوضع على الهاتف، ولكن أعلمت للتو أنها ربما قد تكون أرسلت لك فاكساً يحتوي على بعض المعلومات المتعلقة بحجر ناسا النيزكي. إنني لم أر تلك المعلومات، ولا أعلم ما هي، ولكن أولئك الأشخاص الذين يهددون ابنتك قد حذروني للتو من أنك إذا قمت أنت أو أي شخص آخر بنشر هذه المعلومات فإن ابنتك سوف تموت. أنا متأسف لكوني صريحاً جداً، سيدي، ولكنني أقوم بذلك من أجل التوضيح. إن حياة ابنتك مهددة. لو أنها أرسلت لك فعلاً أي شيء فلا تخبره لأحد. ليس بعد. إن حياة ابنتك تعتمد على ذلك. ابقَ حيث أنت. سأصل إليك بعد وقت قصير". صمت ثم قال: "حظ موفق أيها السيناتور، سينتهي كل هذا في الوقت الذي تكون قد استيقظت فيه. ولو حدث مصادفة أن تلقيت هذه الرسالة قبل أن أصل إلى مكتبك، ابق حيث أنت ولا تتصل بأحد. سأفعل كل ما بوسعي لأعيد ابنتك سالمة".

أقفل بيكرينغ الخط.

كانت غابرييل ترتجف: "إن راشيل رهينة؟".

أحس سيكستون أنه رغم خيبة أملها به إلا أن غابرييل قد شعرت بتعاطف مؤلم عند تفكيرها بأن امرأة شابة لامعة في خطر. وبشكل مستغرب، كان سيكستون يواجه مشكلة في جمع تلك الأحاسيس نفسها. شعر بأن الجزء الأكبر منه كالطفل الذي أعطي للتو هدية عيد الميلاد التي يريدها، ورفض أن يدع أي شخص يبعدها عن يده.

يريد بيكرينغ مني أن أكون هادئاً حول هذا؟

وقف للحظة محاولاً أن يقرر ما الذي يعنيه هذا. في الجانب البارد الأناني من عقله، شعر سيكستون أن الآلة قد بدأت بالدوران – الكمبيوتر السياسي، يعرض كل المشاهد ثم يقدر ما هي النتيجة. نظر إلى كدسة أوراق الفاكس في يده وبدأ يشعر بالقوة الحقيقية لهذه الصور. لقد حطم حجر ناسا النيزكي هذا أحلامه بالرئاسة. ولكنه كان خديعة. مركّب. أما الآن، فأولئك الذين قاموا بهذا سيدفعون الثمن. الحجر النيزكي الذي ابتكره أعداؤه للقضاء عليه سيجعل منه قوياً بالمقدار الذي يفوق خيال أي شخص. لقد اعتنت ابنته بذلك.

علم أن هناك نتيجة واحدة مقبولة، سياسة واحدة فقط ينتهزها القائد الحقيقي.

وهو يشعر بالتنويم المغناطيسي لرؤيته صور انبعاثه اللامعة، كان

سيكستون يترنح عبر الضباب وهو يمشي في الغرفة. ذهب إلى آلة التصــوير وشغلّها. يتجهز لنسخ الصفحات التي أرسلتها له راشيل.

"ما الذي تفعله؟" سألت غابرييل ويبدو عليها الحيرة.

"إنهم لن يقتلوا راشيل"، صرح سيكستون. ولو حدث أي شيء كذلك، علم سيكستون بأن خسارة ابنته للأعداء ستجعله أقوى بكثير. على أية حــال فإنــه سينتصر. وهذه مخاطرة مقبولة.

"لمن هذه النسخ؟" سألت غابرييل: "قال ويليام بيكرينغ ألا تخبر أحداً!".

التفت سيكستون عن الآلة ونظر إلى غابرييل وهو مندهش من أنــه قــد وجدها غير جذابة فجأة. في تلك اللحظة، كان السيناتور سيكستون كــالجزيرة. لا يمكن لمسه. كل شيء يحتاج إليه لإنهاء أحلامه كان في يده الآن. لا شــيء يمكن أن يوقفه. لا ادعاءات عن الرشوة ولا إشاعات عن الجنس. لا شيء.

"اذهبي للمنزل، غابرييل. أنا لم أعد بحاجة إليك".

125

لقد انتهى الأمر، فكرت راشيل.

جلست هي وتولاند جنباً إلى جنب على سـطح السـفينة ينظـران إلـى ماسورة البندقية الآلية لجندي دلتا. لسوء الحظ، علم بيكرينغ الآن المكان الـذي أرسلت إليه راشيل الفاكس. مكتب السيناتور سيدجويك سيكستون.

شكت راشيل بأن والدها سيتلقى الرسالة الصوتية التي أرسـلها بيكرينـغ إليه للتو. وبإمكان بيكرينغ الوصول إلى مكتب سيكستون قبل أي شخص آخـر هذا الصباح. ولو تمكن بيكرينغ من الدخول ونـزع الفـاكس بهـدوء ومسـح الرسالة الصوتية قبل وصول سيكستون، فلن يكون هناك أيـة حاجـة لإيـذاء السيناتور. ويليام بيكرينغ هو واحد من القلة في واشنطن الذين يمكنهم الدخول بالحيلة إلى مكتب سيناتور الولايات المتحدة دون إثارة أي ضجة. كانت راشيل مذهولة دائماً بالذي يمكن القيام به 'تحت اسم الأمن القومي'.

وبالطبع، لو أخفق ذلك، فكرت راشيل، فبيكرينغ سيحوم عن قرب ويطلق صاروخاً نارياً عبر النافذة وينسف جهاز الفاكس. شيء ما أخبرها أنه لا حاجة لذلك.

تفاجأت بيده تداعبها بلطف، جالسة راشيل بقرب تولاند. كان للمسته قوة

لطيفة، التقت أصابعهما لتتشابك مع بعضها بعضاً بإلفة جعلتها تشعر وكأنهما يفعلان ذلك منذ بداية حياتهما. كل ما تريده هو النوم في أحضانه، لتحتمي من الضجيج المزعج للبحر المظلم الهائج حولهما.

وأدركت أن هذا لن يحدث، على الإطلاق.

شعر مايكل تولاند بأنه رجل قد وجد الأمل وهو في طريقه إلى المشنقة.

إن الحياة تسخر مني.

لسنوات منذ موت سيليا، عاش ليالي كان فيها يريد الموت، ساعات من الألم والوحدة بدا أن الخلاص منها هو إنهاؤها بالكامل. ولكنه اختار الحياة، قائلاً لنفسه إنه سيقضيها وحيداً. أما اليوم، فللمرة الأولى، بدأ يفهم ما الذي كان أصدقاؤه يخبرونه به دائماً.

مايك، لا يجب عليك ألا تقضيها وحدك. ستجد حباً آخر.

يد راشيل في يده جعلت من هذه السخرية أمراً صعب التحمل. إن للقدر توقيتاً قاسياً. شعر وكأن طبقات من الدروع تزحف بعيداً عن قلبه. للحظة، على السطوح البالية للغويا، أحس تولاند بشبح سيليا ينظر إليه كعادته. كان صوتها في المياه المتلاطمة... يتحدث آخر كلمات قالتها له في حياتها.

"أنت ستبقى على قيد الحياة". قالت سيليا: "عدني أنك ستجد حباً آخر".

"أنا لا أريد حباً آخر على الإطلاق". قال تولاند لها.

كانت ابتسامة سيليا مليئة بالحكمة: "عليك أن تتعلم".

الآن، على سطح الغويا، أدرك تولاند أنه يتعلم. فقد انفجر شعور عميق فجأة في روحه. أدرك أنه السعادة.

وبها أتى تصميم لا يقاوم للعيش.

شعر بيكرينغ بانعدام مشاعره على نحو غريب وهو يتحرك باتجاه الأسيرين. وقف أمام راشيل متفاجئاً بشكل غامض أن هذا لم يكن بالأمر الأصعب عليه.

"في بعض الأحيان"، قال: "تحدث الظروف قرارات مستحيلة".

كانت عينا راشيل صلبتين: "أنت أحدثت هذه الظروف".

"الحرب تتضمن الضحايا"، قالها بيكرينغ بصوت ثابت، اسألي ديانا بيكرينغ أو أياً من أولئك الذين يموتون كل عام للدفاع عن هذه الأمة. "أنت دون جميع الأشخاص يجب أن تفهمي ذلك يا راشيل". ثبت عينيه عليها: "ضح

بالقليل لتنقذ الكثير". قالها باللاتينية.

أدرك أنها فهمت تلك الكلمات – عبارة معروفة في دوائر الأمن القومي. ضحِّ بالقليل لتنقذ الكثير.

نظرت راشيل إليه باشمئزاز واضح: "والآن أصبحت أنا ومايكل جزءاً من أولئك القلة؟".

فكر بيكرينغ بهذا. ليس هناك حل آخر. التفت إلى دلتا واحد: "حرر زميلك وانهِ هذا".

أومأ دلتا واحد.

نظر بيكرينغ نظرة طويلة أخيرة إلى راشيل ومن ثم خطى إلى الدرابزين الموجود على الجانب الأيسر المجاور، ينظر إلى البحر الهائج. كان هذا شيئاً لا يفضل النظر إليه.

شعر دلتا واحد بالقوة وهو يقبض على سلاحه وينظر إلى زميله المتدلي من المخالب. كل ما تبقى هو إغلاق الأبواب الأفقية أسفل قدمي دلتا اثنين، وتحريره من المخالب، ثم القضاء على راشيل سيكستون ومايكل تولاند.

للأسف، رأى دلتا واحد تعقيد لوحة التحكم قرب الباب الأفقي – سلسلة من الرافعات والأرقام التي يبدو أنها تحكمت بالباب الأفقي، ومحرك الرافعة، وأزرار أخرى كثيرة. لم يكن ينوي أن يضغط على الرافعة الخاطئة ويخاطر بحياة زميله من خلال إسقاط الغواصة بشكل خاطئ إلى البحر.

تخلص من جميع المخاطر. لا تستعجل.

سوف يجبر تولاند على أداء التحرير الحقيقي. ولكن ليتأكد من أنه لن يقوم بخدعة أخرى، سيأخذ ضماناً يعرف في عمله باسم 'المصاحب البيولوجي'.

استخدم خصومك ضد بعضهم بعضاً.

وجه دلتا واحد ماسورة البندقية مباشرة إلى وجه راشيل، وأوقفها على بعد إنشات (سنتيمترات) فقط من جبهتها. أغلقت راشيل عينيها، وتمكن دلتا واحد من رؤية قبضة تولاند تتكمش بغضب وقائي.

"آنسة سيكستون، قفي". قال دلتا واحد.

فعلت ذلك.

وبوجود البندقية مثبتة بإحكام خلف ظهرها، قادها دلتا واحد إلى مجموعة

من السلالم المحمولة المصنوعة من الألمنيوم التي تؤدي إلى سطح غواصة التريتون من الخلف: "اصعدي وقفي على قمة الغواصة".

بدت راشيل خائفة ومرتبكة.

"افعلي ذلك وحسب!" قال دلتا واحد.

شعرت راشيل أنها تتحرك عبر كابوس وهي تصعد درج الألمنيوم خلف التريتون. توقفت في الأعلى غير ناوية أن تخطو فوق الهوة لتصعد على التريتون المعلقة.

"اصعدي على سطح الغواصة"، قال الجندي عائداً إلى تولاند ودافعاً البندقية إلى رأسه.

أمام راشيل كان الجندي المعلق في المخالب ينظر إليها، وهو يتلوى ألماً، ومن الواضح أنه يتطلع للخلاص من ذلك. نظرت راشيل إلى تولاند الذي توجهت إليه ماسورة البندقية. اصعدي على سطح الغواصة. لم يكن لها أي خيار آخر.

شعرت بأنها تتحرك فوق جرف يتدلى فوق الهاوية. خطت راشيل إلى علبة محرك التريتون، قسم منبسط صغير خلف زجاج القبة الدائري. تعلقت الغواصة بأكملها مثل ثقل الفادن[46] الكبير فوق الباب الأفقي. ورغم تعلقها على أسلاك الرافعة، لم تسجل الغواصة البالغة من الوزن تسعة أطنان وصول راشيل عليها تقريباً، فتأرجحت عدة ميليمترات بينما راشيل تثبت نفسها.

"حسناً، هيا نتحرك". قال الجندي لتولاند: "اذهب إلى أجهزة التحكم وأغلق الباب الأفقي".

تحت تهديد البندقية، بدأ تولاند بالتحرك إلى لوحة التحكم والجندي من خلفه. وقبل أن يقترب باتجاهها، كان يتحرك ببطء. تمكنت راشيل من رؤية عينيه المثبتتين عليها وكأنهما تحاولان إرسال رسالة لها. نظر مباشرة إليها ومن ثم إلى الباب الصغير المفتوح في أعلى التريتون.

نظرت راشيل إلى الأسفل. كان الباب عند قدمها مفتوحاً، يحيط به غطاء دائري مفتوح. استطاعت الرؤية إلى الأسفل إلى المقعد الوحيد الموجود في حجرة القيادة. يريدني أن أدخل؟ أحست أنها لا بد أن تكون مخطئة، نظرت

46 الفادن: أداة (مؤلفة من خيط في طرفه قطعة رصاص) يُسْبر بها غور المياه أو تمتحن استقامة الجدار.

راشيل إلى تولاند مرة أخرى. كان عند لوحة التحكم تقريباً، وعيناه مثبتتان عليها. في هذه المرة كان أقل رقة.

قالت شفتاه: "اقفزي للداخل! الآن!".

شاهد دلتا واحد تحرك راشيل خارج مرمى نظره فالتفت بسرعة مطلقاً النار بينما هي تسقط عبر باب الغواصة الصغير تحت وابل الرصاص. أصدر الغطاء المفتوح للباب الصغير صوتاً عالياً عندما ارتد الرصاص منه مرسلاً سيلاً من الشرارة ودافعاً الغطاء لينغلق من فوقها.

في اللحظة التي شعر فيها تولاند أن البندقية قد غادرت ظهره، قام بحركته. قفز بقوة إلى يساره بعيداً عن الباب الأفقي مرتطماً بسطح السفينة، ومن ثم مُتدحرجاً في الوقت الذي كان فيه الجندي قد التفت باتجاهه مع طلقات البندقية. انفجر الرصاص خلف تولاند وهو يزحف إلى مخبأ خلف بكرة خيوط المرساة القوية – أسطوانة ضخمة ذات محركات رُبط حولها عدة آلاف قدم (متر) من الأسلاك المعدنية الموصولة إلى مرساة السفينة.

كان تولاند يمتلك خطة وعليه تنفيذها بسرعة. في الوقت الذي اندفع فيه الجندي إلى تولاند بسرعة، مد تولاند يده وخطف قفل المرساة بكلتا يديه، جاذباً إياه إلى الأسفل. على الفور، بدأت بكرة خيوط المرساة بتقديم أسلاكها الطويلة، عندها تمايلت الغويا بحركة قوية مفاجئة، ما جعل كل شيء على سطحها يتمايل. وبينما ازدادت سرعة القارب معاكسة للتيار، أطلقت بكرة المرساة أسلاكها بشكل أسرع وأسرع.

هيا، يا صغيرتي، ألح عليها تولاند.

استعاد الجندي توازنه وذهب باتجاه تولاند. منتظراً آخر لحظة ممكنة، جهز تولاند نفسه ودفع الرافعة إلى الأعلى، مغلقاً بكرة المرساة. توترت السلسلة بإحكام موقفة السفينة لمدة قصيرة ومرسلة رعدة مخيفة عبر الغويا. تطاير كل شيء على سطح السفينة. ترنح الجندي بشدة بالقرب من تولاند. سقط بيكرينغ من الدرابزين على سطح السفينة. كما تأرجحت التريتون بقوة على سلكها.

صراخ مزعج من المعادن المتساقطة إلى أسفل السفينة كالزلزال عندما انهارت الدعائم المتلفة أخيراً. بدأت الزاوية اليمنى من الغويا بالانهيار من ثقلها. ترنحت السفينة متمايلة عند القطر مثل طاولة ضخمة فقدت إحدى أقدامها الأربع. كان الصوت في الأسفل مصمّاً للآذان – عويل المعادن القوية الملتوية والأمواج المتلاطمة.

خائفةً جداً داخل حجرة الترينون، تمسكت راشيل بينما تتأرجح الآلة البالغة من الوزن تسعة أطنان فوق الباب الأفقي في سطح السفينة المنحدر بشدة. عبر قاعدة القبة الزجاجية، استطاعت رؤية المحيط يتلاطم في الأسفل. وعندما نظرت تتفحص سطح السفينة بحثاً عن تولاند، شاهدت الدراما الغريبة على السطح تتطور بغضون ثوانٍ.

على بعد ياردة (90 سم) فقط، معلقاً في مخالب الترينون، كان جندي دلتا المثبت بإحكام يصرخ من الألم وهو يتمايل مثل دمية متحركة على العصا. أما ويليام بيكرينغ فقد زحف عبر مرمى نظر راشيل وأمسك بمربط على سطح السفينة. وعلى مقربة من رافعة المرساة، كان تولاند متمسكاً بقوة محاولاً ألا ينزلق من الحافة إلى الماء. عندما شاهدت راشيل الجندي مع البندقية الآلية يوازن نفسه على مقربة منه، صاحت من داخل الغواصة: "مايك، انتبه!".

لكن دلتا واحد تجاهل تولاند بالكامل. كان الجندي ينظر إلى الخلف باتجاه الحوامة المُدارة دون فائدة بفم مفتوح من الرعب. التفتت راشيل لتتبع نظرته. كانت الكايوا المسلحة، مع شفراتها الضخمة التي لا تزال تعمل، قد بدأت بالانزلاق ببطء إلى أسفل السفينة المتمايلة. كانت مزالق الطائرة المعدنية تعمل مثل مزالج على المنحدر. عندها أدركت راشيل أن الآلة الضخمة تنزلق مباشرة باتجاه الترينون.

زاحفاً إلى سطح السفينة المنحدر باتجاه الطائرة المنزلقة، تسلق دلتا واحد بجهد إلى حجرة الطيار. لم يكن ينوي أن يدع وسيلة نجاتهم الوحيدة تنزلق من السطح. وضع دلتا واحد يده على أجهزة تحكم الكايوا وسحبها إلى الخلف بواسطة عصا القيادة. أقلعي! وبصوت مصم للآذان، ازدادت سرعة الشفرات العلوية، تجاهد لرفع الطائرة المسلحة بأقصى قوتها عن السطح. تباً لك! كانت الطائرة تنزلق مباشرة باتجاه الترينون والتي عُلق دلتا اثنان في قبضتها.

مع انحراف مقدمتها نحو الأمام، كانت شفرات الكايوا تنحرف هي الأخرى، وعندما تجاوزت الطائرة سطح السفينة، كانت تتجه إلى الأمام أكثر من اتجاهها إلى الأعلى، وتزداد سرعتها باتجاه الترينون مثل منشار ضخم ذي أزيز. إلى الأعلى! سحب دلتا واحد عصا القيادة متمنياً لو أن باستطاعته إسقاط الرؤوس الحربية للصاروخ الناري البالغة من الوزن نصف طن والتي تسحبه إلى الأسفل. تجاوزت الشفرات أعلى رأس دلتا اثنان وأعلى قمة غواصة

التريتون بمقدار ضئيل، ولكنها كانت تتحرك بشكل أسرع. إنها لن تتجاوز أبداً سلك رافعة التريتون على الإطلاق.

عند ارتطام شفرات الكايوا المعدنية البالغ دورانها 300 دورة في الدقيقة مع سلك الرافعة المعدني المضفور المتحمل لوزن يبلغ خمسة عشر طناً، انفجر الظلام بصرخة لاصطدام المعدن مع المعدن. استحضرت تلك الأصوات صوراً لمعركة طويلة. على متن حجرة الطيار المدرعة، شاهد دلتا واحد شفراته تصيب بعنف سلك الغواصة كحصادة ضخمة تمر فوق سلسلة معدنية. انفجر رذاذ من الشرر في الأعلى، وانفجرت شفرات الكايوا. شعر دلتا واحد بأن الطائرة قد وصلت إلى نهاية الانحدار، وارتطمت دعائمها بسطح السفينة بقوة. حاول أن يتحكم بالطائرة، ولكن لم يكن لديه شيء يرفعه. ارتطمت الطائرة بأسفل سطح السفينة المنحدر مرتين ومن ثم انزلقت، مرتطمة بدرابزين الحماية الخاص بالسفينة.

للحظة، اعتقد أن الدرابزين سيوقفها.

وبعدها سمع دلتا واحد صوت الانهيار. انحنت الطائرة المحملة بشدة على الحافة، هابطة بشكل عمودي إلى البحر.

داخل التريتون، جلست راشيل سيكستون مشلولة، واندفع جسدها إلى الخلف إلى مقعد الغواصة. لقد اندفعت الغواصة الصغيرة بعنف عندما اصطدمت شفرات الطائرة بالسلك، ولكنها تدبرت أمر تشبثها بإحكام. فقد أخفقت الشفرات بطريقة ما الجسد الرئيسي للغواصة، ولكنها علمت أن هناك تلفاً كبيراً في الأسلاك. كل ما استطاعت راشيل التفكير فيه في تلك اللحظة هو الهرب من الغواصة بأسرع ما يمكنها. حدق بها الجندي المعلق في المخالب، مهتاجاً، مدمىً ومحترقاً من أثر الشظايا. من خلفه، رأت راشيل ويليام بيكرينغ لا يزال متمسكاً بحبل على السفينة المتمايلة.

أين مايكل؟ لم تره. استمر ذعرها للحظة واحدة فقط حيث استبدل بخوف جديد. من الأعلى، أطلق سلك الرافعة المتمزق ضجيجاً مشؤوماً عندما كانت الضفائر تتقطع. ثم فرقعة عالية، وشعرت راشيل أن السلك قد انقطع.

للحظة من انعدام الوزن، تأرجحت راشيل فوق مقعدها داخل حجرة القيادة عندما اندفعت الغواصة إلى الأسفل. اختفى سطح السفينة من الأعلى، وأسرعت الممرات أسفل الغويا بالمرور. الجندي المعلق في المخالب تحول

لونه إلى الأصفر من شدة الخوف، وهو ينظر إلى راشيل والغواصة تسرع باتجاه الأسفل.

بدا أن السقوط لانهائياً.

عندما ارتطمت الغواصة بالبحر أسفل الغويا، غطست بقوة أسفل السطح، دافعة راشيل بقوة إلى مقعدها. انضغط عمودها الفقري عندما اندفع المحيط المضيء فوق القبة. شعرت بضغط خانق عندما أبطأت الغواصة متوقفة تحت الماء ومن ثم اندفعت عائدة إلى الأعلى، متمايلة كقطعة الفلين.

هاجمت القروش على الفور. من مقعدها الجانبي، جلست متجمدة في المكان عندما اتضح المشهد على بعد بضعة أقدام (أمتار) فقط.

شعر دلتا اثنان برأس القرش مستطيل الشكل يرتطم به بقوة لا يمكن تخيلها. أطبقت ملزمة حادة كالشفرة في أعلى ذراعه، مشرحةً إياه حتى العظم ومتشبثةً به. انفجر شعاع من الألم الحار جداً عندما دوّر القرش جسده القوي وهزّ رأسه بعنف ساحباً ذراع دلتا اثنين من جسده. تحركت قروش أخرى إليه. سكاكين حادة طعنت ساقيه، جذعه، رقبته. لم يستطع دلتا اثنان الصراخ من الألم حيث لم يكن قادراً على التنفس عندما مزقت القروش قطعاً كبيرة من جسده بعيداً. آخر شيء رآه فماً هلالي الشكل، يتمايل من الجانب، وأسناناً ملتهمة تنقض على وجهه.

انقطع العالم عنه.

داخل التريتون، خمدت أخيراً ضربات الرؤوس الغضروفية المرتطمة بالقبة. فتحت راشيل عينيها. كان الرجل قد تلاشى، والمياه المرتطمة بالنافذة كانت قرمزية.

مذعورةً بشدة، جثمت راشيل في مقعدها، ساحبة قدميها إلى صدرها. شعرت بأن الغواصة تتحرك. كانت تنجرف مع التيار، تهجر امتداد الغويا في سطح الغوص السفلي. وشعرت بأنها تتحرك باتجاه آخر إلى الأسفل.

في الخارج، كان تدفق المياه المميز في خزانات الثقل يزداد علواً. بدا ارتفاع المحيط أعلى في الزجاج أمامها.

أنا أغرق!

ضربة من الذعر انطلقت عبر راشيل، فكانت فجأة تتسلق على قدميها. عندما وصلت إلى الأعلى، قبضت على آلية الباب العلوي. لو أنها تمكنت فقط

من الصعود إلى أعلى الغواصة، فلا يزال لديها الوقت الكافي لتقفز على سطح الغوص في الغويا. كان على بعد بضع أقدام (أمتار) فقط.

عليّ أن أخرج!

كانت الآلية معلمة بشكل واضح بالطريقة التي يمكن فتحها بها. دفعتها. لم يتزحزح الباب. حاولت مرة أخرى، لا شيء. كان المدخل مغلقاً بالضغط. منحنياً. عند اندفاع الخوف في دمها مثل البحر من حولها، دفعته راشيل مرة أخرى.

لم يتحرك الباب.

غرقت التريتون عدة إنشات (سنتيمترات) إلى الأسفل، مرتطمة بالغويا للمرة الأخيرة قبل أن تتجرف بعيداً أسفل السفينة المتحطمة... إلى البحر الواسع.

126

"لا تفعل هذا"، توسلت غابرييل للسيناتور عندما انتهى من آلة التصوير. "أنت تخاطر بحياة ابنتك!".

لم يستمع سيكستون لصوتها، وهو يتحرك إلى مكتبه الآن مع عشر نسخ لمجموعة من الأوراق المتشابهة. كل حزمة منها تحتوي على نسخ من الصفحات التي أرسلتها راشيل له، بما فيها ملاحظتها المكتوبة بخط اليد التي تزعم فيها أن الحجر النيزكي مزيف وتتهم ناسا والبيت الأبيض بمحاولة قتلها.

أفضل مجموعة إعلامية مذهلة قد جُمعت على الإطلاق. فكر سيكستون وقد بدأ بادخال كل حزمة داخل ظرفها الكبير من خيوط الكتان الأبيض. كل ظرف حمل اسمه وعنوان مكتبه والختم السيناتوري. لن يكون هناك أي شك في المكان الأصلي لهذه المعلومات التي لا تصدق. الفضيحة السياسية لهذا القرن، فكر سيكستون، وسأكون أنا من يكشفها!

غابرييل تناشده من أجل سلامة راشيل، ولكن سيكستون لم يسمع سوى الصمت. عندما كان يجمع الظروف، كان في عالمه الخاص به. في كل مهنة سياسية، هناك لحظة مميزة. هذه هي لحظتي.

كانت رسالة ويليام بيكرينغ الهاتفية قد حذرت من أنه لو قام سيكستون بنشر هذه المعلومات فإن حياة راشيل ستكون في خطر. لسوء حظ راشيل، علم سيكستون أيضاً لو أنه قام بنشر أدلة خديعة ناسا، فإن هذا التصرف الوحيد

سيضعه في البيت الأبيض بحسم أكبر ودراما سياسية لم يشهدها أحد من قبل في السياسة الأميركية.

إن الحياة مليئة بالقرارات الصعبة، فكر بذلك، والفائزون هم أولئك الذين يحسنون القيام بها.

لقد شاهدت غابرييل آش تلك النظرة في عيون سيكستون من قبل، الطموح الأعمى، خافت منها، وعلى الأرجح، أدركتها الآن. سيكستون مستعد للمخاطرة بحياة ابنته من أجل أن يكون الأول في إعلان خديعة ناسا.

"ألا تشاهد أنك قد انتصرت؟" طلبت غابرييل: "من المستحيل أن ينجو الرئيس وناسا بعد هذه الفضيحة. لا يهم من هو الذي سينشرها! لا يهم متى ستعلن! انتظر حتى تعلم أن راشيل بأمان. انتظر حتى تتحدث مع بيكرينغ!".

كان من الواضح أن سيكستون لم يعد يستمع إليها. فاتحاً درج المكتب، سحب رقاقة معدنية ثبت عليها العديد من الأختام الشمعية اللاصقة بحجم عملة الخمس سنتات وتحمل حروف اسمه الأولى. علمت غابرييل أنه يستخدمها عادة من أجل الدعوات الرسمية، ولكن يبدو أنه فكر بأن الختم الشمعي القرمزي سيعطي كل ظرف مسحة درامية إضافية. نازعاً الأختام الدائرية عن الرقاقة، ضغط سيكستون واحداً منها على ثنية كل ظرف، محكماً تثبيتها مثل رسالة مونغرامية.

ازدادت نبضات قلب غابرييل الآن بغضب جديد. فكرت في الصور المؤتمتة غير الشرعية على كمبيوتره. لو قالت أي شيء، علمت أنه سينهي الأدلة على الفور. "لا تفعل هذا"، قالت له: "أو أنني سأنشر أمر علاقتنا".

ضحك بصوت عالٍ وهو يثبت الأختام الشمعية: "حقاً؟ وتعتقدين أنهم سيصدقونك – مساعدة متعطشة للسلطة ترفض وظيفة في إدارتي وتبحث عن الثأر بأي ثمن؟ لقد أنكرت علاقتنا مرة، وصدقني العالم. سأنكرها ببساطة مرة أخرى".

"إن البيت الأبيض يمتلك صوراً لذلك". صرحت غابرييل.

لم يرفع رأسه. "ليس لديهم صور، ولو كان لديهم، فلا معنى لها". ثبت الختم الشمعي الأخير: "لدي الحصانة. هذه الظروف تدافع عن أي شيء ربما يقذفه أي شخص عليّ".

علمت غابرييل أنه على حق. شعرت بالضعف الكامل عندما كان

سيكستون معجب بصنع يديه. على مكتبه يتوضع عشرة ظروف أنيقة من الكتان الأبيض، كل واحد منها مزخرف باسمه وعنوانه ومختومة بختم شمعي قرمزي يحمل أحرف اسمه الأولية المطبوعة. بدت وكأنها رسائل ملكية. من المؤكد أن الملوك قد توّجوا من أجل معلومات أقل قوة من هذه.

التقط سيكستون الظروف وتجهز للمغادرة. وقفت قاطعة عليه الطريق. "أنت تقوم بعمل خاطئ. يمكن لهذا أن ينتظر".

تشبثت عيناه بها: "لقد صنعتك أنا يا غابرييل وأنا الآن أبعد القوة عنك".

"إن الفاكس الذي أرسلته راشيل سيعطيك المنصب الرئاسي. أنت تدين لها".

"لقد أعطيتها ما يكفي".

"ماذا لو حدث شيء لها!".

"عندها ستعزز الأصوات المتعاطفة!".

لم تستطع غابرييل التصديق بأنه قد فكر بهذا، وقاله بشفاهه أيضاً. مشمئزة، بحثت عن هاتفها: "سأتصل بالبيت الأبيض –"

التفت سيكستون وصفعها على وجهها.

ترنحت غابرييل إلى الخلف، وشعرت بشفتها قد جُرحت. أمسكت نفسها متشبثة على المكتب، ومحدقة بذهول إلى الرجل الذي كانت قد بجلته فيما مضى.

نظر إليها سيكستون بقوة ولفترة طويلة: "إذا كنت تفكرين في مقاطعتي عن ذلك، فسأجعلك تندمين طوال حياتك". نهض من دون تردد، ممسكاً مجموعة الظروف أسفل ساعده. اتقد خطر صارم في عينيه.

خرجت غابرييل إلى هواء الليل البارد، وشفتها تنزف. أوقفت سيارة أجرة، ثم، وللمرة الأولى منذ وصولها إلى واشنطن، انهارت وبكت.

127

سقطت التريتون...

تمايل مايكل تولاند بشدة على سطح السفينة المنحدر ونظر من فوق بكرة المرساة إلى سلك الرافعة المهترئ حيث كانت التريتون معلقة. ملتفتاً باتجاه مؤخرة السفينة، تفحص المياه. كانت التريتون تنبثق من أسفل الغويا على التيار. مستريحاً على الأقل لرؤية الغواصة سليمة. نظر إلى الباب العلوي، لا

يريد أي شيء سوى رؤيته مفتوحاً وراشيل تصعد منه سليمة. ولكن الباب بقي مغلقاً. تساءل إن كان قد أغمي عليها من ذلك السقوط العنيف.

من على سطح السفينة، رأى تولاند أن التريتون تطفو منخفضة بشكل استثنائي عن سطح الماء – أبعد من حدود الغوص الطبيعية. إنها تغرق. لم يتمكن تولاند تخيل السبب، ولكن السبب في هذه اللحظة غير مهم.

يجب أن أخرج راشيل. الآن.

عند وقوفه ليندفع من حافة السفينة، انفجر وابل من نار البندقية فوقه، مبدداً بكرة المرساة الثقيلة في الأعلى. سقط مرتداً على ركبتيه. تباً! نظر من حول البكرة فرأى بيكرينغ على السطح العلوي يصوب هدفه كالقناص. لقد أسقط جندي دلتا بندقيته الآلية عندما تسلق إلى الحوامة التي قدر لها الهلاك وعلى ما يبدو أن بيكرينغ قد التقطها، وزحف إلى الأرضية العلوية.

عالقاً خلف البكرة، نظر تولاند إلى الخلف باتجاه التريتون الغارقة. هيا، يا راشيل! أخرجي! انتظر لأن يُفتح الباب العلوي. لا شيء.

نظر إلى سطح الغويا، ثم قدرت عيناه المنطقة المفتوحة بين مكانه ودرابزين المؤخرة. عشرون قدماً (6 أمتار). طريق طويل من دون أي غطاء.

أخذ نفساً عميقاً وقرر ما سيفعله. ممزقاً قميصه، قذفه على يمينه إلى فتحة السفينة، فراح بيكرينغ يمزق القميص بالرصاص. في هذه الأثناء اندفع تولاند إلى اليسار، أسفل السفينة المنحدرة، متوجهاً نحو المؤخرة. وبقفزة كبيرة، دفع نفسه إلى درابزين المؤخرة. متحركاً على شكل قوس في الهواء، سمع تولاند الرصاص يأزّ من حوله وعلم أن جرحاً صغيراً سيجعله طعاماً للقرش في اللحظة التي يرتطم فيها بالماء.

شعرت راشيل وكأنها حيوان بري مسجون في القفص. لقد حاولت فتح الباب العلوي مرات ومرات ولكن دون فائدة. استطاعت سماع البرميل في مكان ما أسفلها يمتلئ بالماء، وأحست بوزن الغواصة يزداد، وظلام المحيط يزداد إلى الأعلى في القبة الشفافة، ستارة سوداء تنبثق باتجاه الخلف.

من خلال النصف السفلي للزجاج، تمكنت راشيل من رؤية فراغ المحيط مومئاً كالقبر. الاتساع الفارغ أسفلها هدد أنه سيبتلعها بالكامل. تمسكت بآلية الباب محاولة فتحه مرة أخرى، ولكنه لم يتزحزح. توترت رئتاها، فالروائح النتنة شديدة الرطوبة من ثاني أوكسيد الكربون الزائد قد لذعت ثقوب أنفها.

خلال كل هذا، انتابها تفكير متردد.

سأموت وحيدة تحت الماء.

تفحصت أجهزة تحكم التريتون والرافعات بحثاً عن شيء يمكنه المساعدة، ولكن جميع المؤشرات كانت سوداء. ليس هناك طاقة. علقت داخل تجويف معدني ميت يغرق باتجاه أسفل البحر.

أخذ التدفق في الخزانات يزداد سرعة، والمحيط ارتفع إلى عدة أقدام (أمتار) أعلى الزجاج. بعيداً، عبر الامتداد الواسع الذي لا ينتهي، حبل من اللون القرمزي كان يتحرك ببطء عبر الأفق. كان الصباح في طريقه. خافت راشيل أن يكون هذا هو آخر ضوء تراه في حياتها. مغلقة عينيها لتحجب القدر الذي على وشك الحدوث، شعرت بالصور المرعبة في طفولتها تتسارع في عقلها.

السقوط عبر الجليد. الانزلاق تحت الماء.

غير قادرة على التنفس. غير قادرة على رفع نفسها. تغرق.

أمها تناديها: "راشيل! راشيل!".

طرقٌ من خارج الغواصة أخرج راشيل من هذياناتها. فتحت عينيها.

"راشيل!" كان الصوت مكتوماً. ظهر وجه شبحي عبر الزجاج منقلباً رأساً على عقب، والشعر الأسود يتحرك كالدوامة. استطاعت معرفته بصعوبة بالغة في الظلام.

"مايكل!".

صعد تولاند إلى السطح، يتنفس بارتياح لرؤية راشيل تتحرك داخل الغواصة. إنها على قيد الحياة— سبح بأقوى ما يمكنه إلى نهاية التريتون وتسلق على منصة المحرك المنغمرة بالماء. أحس بتيارات المحيط الحارة والبطيئة من حوله وهو يثبت نفسه ليقبض على قفل الباب الدائري، وقد بقي منخفضاً ومتمنياً أن يكون خارج مدى بندقية بيكرينغ.

جسد التريتون تقريباً تحت الماء بأكمله، وعلم تولاند أنه إذا أراد أن يفتح الباب ويسحب راشيل إلى الخارج، فإن عليه الإسراع. أمامه عشرة إنشات (25 سم) للسحب وهي تتناقص بسرعة. وفي حال أصبح الباب مغموراً تحت الماء، فإن فتحه سيرسل سيلاً من مياه البحر مندفعة داخل التريتون، حاجزة راشيل في الداخل ومرسلة الغواصة في سقوط حر إلى الأسفل.

"الآن أو أبداً". تمتم وهو يقبض على عجلة الباب ويسحبها بعكس عقارب

الساعة. لم يحدث أي شيء. حاول مرة أخرى، مرسلاً كامل قوته إليها. مرة أخرى، رفض الباب الدوران.

سمع راشيل في الداخل، على الجانب الآخر من الباب. كان صوتها مُخمداً ولكنه أحس بخوفها. صاحت: "لقد حاولت!. لم أستطع تدويره!".

المياه تعبر فوق غطاء الباب. "لندوره معاً!" صاح لها: "حركي باتجاه عقارب الساعة!" علم أن الإشارة كانت واضحة: "حسناً، الآن!".

ثبت تولاند نفسه بمواجهة البراميل الهوائية وسحب بكامل قوته، وسمع راشيل أسفله تقوم بالشيء نفسه. التفت القرص مسافة نصف إنش (1.3 سم) ثم توقف بقوة.

أدرك تولاند أن الباب لم يكن موضوعاً باستواء في مكانه، مثل غطاء المرطبان الذي وضع بشكل ملتو ودفع إلى الأسفل، لقد كان عالقاً. رغم أن القفل المطاطي كان موضوعاً بشكل جيد، إلا أن مقابض الباب كانت ملتوية، وهذا يعني أن الطريقة الوحيدة لفتح هذا الباب هي بواسطة مشعل لحام.

عندما غرقت قمة الغواصة أسفل السطح، ذعر تولاند بشكل مربك ومفاجئ. لن تنجو راشيل سيكستون من التريتون.

على بعد ألفي قدم (600 متر) في الأسفل، كان جسد طائرة الكايوا المحملة بالقنبلة ينهار ويغرق بسرعة، أسيراً للجاذبية والسحب القوي لدوامة المياه. داخل حجرة الطيار، كان جسد دلتا واحد الميت، لم يعد مميزاً أو معروفاً بسبب الضغط المتلاطم من الأعماق.

الطائرة تهوي لولبياً إلى الأسفل، والصواريخ النارية لا تزال موصولة بها. انتظرت القبة المنصهرة المتوهجة على أرضية المحيط مثل منصة هبوط متقدة. أسفل قشرتها البالغة سماكتها ثلاثة أمتار، اهتاج رأس الحمم المشتعلة بحرارة ألف درجة مئوية، بركان ينتظر الانفجار.

128

وقف تولاند وعمق الماء قد وصل إلى ركبتيه على غطاء محرك التريتون الغارقة وأخذ يبحث في عقله عن طريقة ما لإنقاذ راشيل.

لا تدع الغواصة تغرق!

نظر باتجاه الغويا، متسائلاً فيما إذا كان هناك أية طريقة للحصول على رافعة موصولة إلى التريتون لإبقائها على السطح. مستحيل. إنها على بعد

خمسين باردة (45 متراً) الآن، وبيكرينغ يقف بشموخ على الحافة مثل الإمبراطور الروماني الجالس على المقعد الأول في حلبة روما الدامية.

فكر! لماذا تغرق الغواصة؟

إن ميكانيكية طوفان الغواصة بسيطة بشكل مزعج: تتدفق خزانات الغواصة لتمتلئ إما بالهواء أو الماء حسب طوفان الغواصة لتحركها إما إلى أعلى المياه أو إلى أسفلها.

من المؤكد، أن خزانات الموازنة كانت تمتلئ.

ولكن يجب ألا تكون كذلك.

كان كل خزان موازنة مزوداً بحفر من كلا الجانبين الأعلى والأسفل. الفتحات السفلية تدعى بـ 'فتحات الطوفان'، دائماً تبقى مفتوحة، بينما الفتحات في الأعلى 'الصمامات الهوائية' يمكن أن تفتح وتغلق لتدع الهواء يخرج وتتمكن المياه من التدفق للداخل.

ربما تكون الصمامات الهوائية مفتوحة لسبب ما؟ لم يتمكن تولاند تخيل السبب. تحرك بصعوبة عبر سطح المحرك المغمور بالماء، ويداه تتحسسان أحد خزانات الموازنة. كانت الصمامات الهوائية مغلقة. ولكن عند تحسسه للصمامات، وجدت أصابعه شيئاً آخر.

ثقوب الرصاص.

تباً! كانت التريتون مثقوبة بالرصاص عندما دخلت راشيل إليها. غطس تولاند على الفور إلى الأسفل وسبح أسفل الغواصة، ممرراً يده بحذر عبر خزان الموازنة الأكثر أهمية – الخزان السلبي. يدعوه البريطانيون باسم 'القطار السفلي'. أما الألمان فيدعونه باسم 'ارتداء الحذاء الرصاصي'. على أية حال، فالمعنى كان واضحاً. الخزان السلبي عندما يمتلئ يسحب الغواصة إلى الأسفل.

عندما تحسست يد تولاند جوانب الخزان، التقى مع عدد كبير من ثقوب الرصاص. وعرف أن المياه تتدفق إلى الداخل. كانت التريتون تتجهز للغوص، سواء أحب تولاند ذلك أم لا.

الغواصة الآن على بعد ثلاثة أقدام (90 سم) أسفل السطح. متحركاً إلى مقدمة الغواصة، ضغط تولاند وجهه أمام الزجاج ونظر عبر القبة. كانت راشيل تطرق على الزجاج وتصرخ. إن الخوف في صوتها جعله يشعر بانعدام القوة. للحظة عاد إلى المشفى البارد، يشاهد المرأة التي يحبها تموت وهو يعلم أنه ليس بإمكانه فعل شيء. حائماً تحت الماء أمام الغواصة الغارقة، لا يمكنه

تحمل هذا مرة أخرى. أنت ستبقى على قيد الحياة، قالت سيليا له، ولكن تولاند لم يرغب أن يبقى على قيد الحياة وحده... ليس مرة أخرى.

احتاجت رئتاه إلى الهواء بشكل كبير، ولكنه بقي هناك معها. في كل مرة تطرق راشيل على الزجاج، يسمع تولاند فقاعات الماء تفرقع إلى الأعلى والغواصة تغرق إلى الأسفل. كانت راشيل تصيح بشيء عن تدفق الماء إلى الداخل من حول النافذة.

كانت نافذة الرؤية تُسَرب.

ثقب لرصاصة في النافذة؟ بدا أمراً مشكوكاً به. كانت رئتاه قد بدأتا بالانفجار، تجهز تولاند للصعود للسطح. وبينما رفع نفسه براحة يديه إلى الأعلى عبر النافذة الضخمة الأكريليكية، ارتطمت أصابعه بقطعة من السدادات المطاطية المرنة. يبدو أن السدادة المحيطية قد فتحت جزئياً أثناء السقوط. هذا هو سبب تسريب حجرة القيادة. المزيد من الأخبار السيئة.

متسلقاً بجهد إلى السطح، استنشق تولاند ثلاثة أنفاس عميقة، محاولاً أن يوضح أفكاره. إن المياه المتدفقة داخل الحجرة ستقوم بزيادة سرعة هبوط التريتون فقط. كانت الغواصة مسبقاً على بعد خمسة أقدام (1.5 متر) تحت الماء، وبصعوبة بالغة تمكن تولاند من لمسها بقدمه. تمكن من سماع راشيل تطرق بيأس على جسد الغواصة.

خطر على باله لو أنه غطس إلى الأسفل إلى علبة محرك التريتون ووجد أسطوانة الهواء ذات الضغط العالي، فإنه يمكن أن يستخدمها لتفريغ خزان الموازنة السلبي. رغم أن تفريغ الخزان المهترئ عمل لا جدوى منه، إلا أنه ربما يحافظ على التريتون على مقربة من السطح لدقيقة أخرى أو أكثر قبل أن تمتلئ الخزانات المثقوبة مرة أخرى.

وبعدها ماذا؟

مع عدم وجود خيار عاجل آخر، تجهز تولاند للغطس. مستنشقاً نفساً عميقاً بشكل استثنائي، مدد رئتيه أكثر من حالتهما الطبيعية، تقريباً لدرجة الألم. مقدرة رئوية أكبر، أكسجين أكثر، غوص أطول. ولكن عندما شعر برئتيه تتوسع، ضاغطة على القفص الصدري، راوده تفكير غريب.

ماذا لو زاد الضغط داخل الغواصة؟ إن لقبة الرؤية سدادة مهترئة. ربما لو تمكن تولاند من زيادة الضغط داخل الحجرة، يمكنه تحطيم قبة الرؤية بعيداً عن الغواصة وإخراج راشيل.

أطلق زفيراً، مبقياً نفسه طافياً على السطح للحظة، محاولاً تخيل الإمكانية. بدت منطقية تماماً، أليس كذلك؟ على أية حال، لقد بنيت الغواصة لتكون قوية في اتجاه واحد فقط. عليها أن تتحمل ضغطاً كبيراً من الخارج وليس من الداخل على الإطلاق.

علاوة على ذلك، إن التريتون تستخدم صمامات منظمة متماثلة لإنقاص عدد الأجزاء الاحتياطية التي يجب أن تحملها الغويا. يمكن لتولاند ببساطة فتح خرطوم أسطوانة الضغط العالي وتغيير اتجاهها إلى منظم تزويد تهوية الطوارئ في الجانب الأيسر للغواصة! إن الضغط على الحجرة سيسبب ضغطاً جسدياً مؤلماً على راشيل، ولكنه ربما يتمكن من إخراجها.

استنشق الهواء ومن ثم غطس.

كانت الغواصة على بعد ثمانية أقدام (2.4 متر) الآن، وجعلته التيارات والظلام يوجه نفسه بصعوبة. حال عثوره على الخزان المكيّف للضغط، أعاد تولاند بسرعة توجيه الخرطوم وتجهز لدفع الهواء داخل الحجرة. وهو يقبض على المحبس، ذكره الدهان العاكس الأصفر على جانب الخزان بخطورة هذا التصرف: تحذير: هواء مضغوط – 3000 رطل (1500 كلغ) لكل إنش مربع (6.5 سم^2).

ثلاثة آلاف رطل لكل إنش مربع، فكر تولاند. كان الأمل أن تنفجر قبة الرؤية في التريتون بعيداً عن الغواصة قبل أن يحطم الضغط في الحجرة رئتي راشيل. كان تولاند يوجه خرطوماً نارياً ذا قوة عالية إلى بالون مائي متوسلاً أن ينفجر البالون بسرعة.

خطف المحبس وقرر ما سيفعله. معلقاً هناك في مؤخرة التريتون الغارقة، أدار تولاند المحبس فاتحاً الصمام. تصلب الخرطوم على الفور، وتمكن تولاند من سماع الهواء يتدفق إلى الحجرة بقوة هائلة.

داخل التريتون، شعرت راشيل بألم كبير يجري في رأسها. فتحت فمها لتصرخ، ولكن الهواء اندفع داخل رئتيها بضغط قوي مؤلم لدرجة اعتقدت فيها أن صدرها سينفجر. شعرت بعينيها وكأنهما قد دُكتا إلى الخلف داخل جمجمتها. دمدمة مصمّة شقت طريقها عبر طبلتي أذنيها، دافعة إياها إلى فقدان الوعي. وبالفطرة، أطبقت عينيها بإحكام وضغطت بيديها على أذنيها. كان الألم يزداد الآن.

سمعت راشيل طرقاً أمامها مباشرة. أجبرت عينيها على الفتح لمدة كافية لأن ترى الشكل الظلي المائي لمايكل تولاند في الظلام. كان وجهه مقابل

الزجاج، يشير إليها لتفعل شيئاً ما.

ولكن ما هو؟

استطاعت بصعوبة أن تراه في الظلام، فرؤيتها غير واضحة، وعيناها مشوشتان بسبب الضغط. رغم ذلك، أدركت أن الغواصة كانت تغرق أسفل الأشعة الأخيرة الوامضة لأضواء الغويا. من حولها كان هناك فراغ مظلم لا ينتهي.

مدّ تولاند جسده مواجه زجاج التريتون واستمر بالطرق. كان صدره يحترق من أجل الهواء، وعلم أن عليه العودة إلى السطح في غضون بضع ثوان.

ادفعي الزجاج! أوصاها بذلك. استطاع سماع الهواء المضغوط يتسرب عبر النافذة، مبقبقاً إلى الأعلى. في مكان ما، كان مانع التسرب رخواً. تلمست يدا تولاند بحثاً عن حافة، شيء ليدخل أصابعه إلى الأسفل. لا شيء.

عند نفاد أكسجينه، بدأت الرؤية الأنبوبية، فطرق على الزجاج للمرة الأخيرة. لم يتمكن من رؤيتها حتى. لقد كان الظلام دامساً. وبآخر ما تبقى من الهواء في رئتيه، صاح تحت الماء:

"راشيل... ادفعي... الـ... زجاج!".

ظهرت كلماته وكأنها غربلة صامتة مبقبقة.

129

داخل التريتون، شعرت راشيل برأسها وكأنه منضغط داخل نوع من ملازم العذاب في العصور الوسطى. نصف منتصبة، منحنية إلى جانب كرسي حجرة القيادة، استطاعت الإحساس بأن الموت يقترب من حولها. أمامها مباشرة، كانت قبة الرؤية النصف دائرية فارغة. مظلمة. لقد توقف الطرق.

كان تولاند قد ذهب. لقد تركها.

ذكرها هسيس الهواء المنضغط العاصف فوق رأسها بالرياح السفلية المصمة للآذان في ميلني. كانت أرضية الغواصة قد امتلأت بعلو قدم (30 سم) من المياه الآن. أخرجوني من هنا! بدأت آلاف الأفكار والذكريات تتدفق في عقلها كومضات لضوء بنفسجي.

في الظلام، بدأت الغواصة بالتمايل، فترنحت راشيل فاقدة توازنها. متعثرة فوق الكرسي، سقطت على وجهها مصطدمة بشدة مع القبة النصف دائرية الداخلية. انفجر ألم شديد في كتفها. سقطت مكومةً أمام النافذة، وعندما

فعلت ذلك، شعرت بإحساس غير متوقع - انخفاض مفاجئ في الضغط داخل الغواصة. غشاء الطبل المتوتر في أذنها ارتخى بشكل يمكن إحساسه، وسمعت قرقرة هواء يخرج من الغواصة حقاً.

استغرقت ثانية لتفهم ما الذي حدث للتو. عندما سقطت مواجه القبة، قام ثقلها بطريقة ما بدفع لوح الزجاج المنتفخ إلى الخارج لدرجة كانت كافية لتحرير بعض من الضغط الداخلي حول مانع التسرب. بشكل واضح، كان زجاج القبة غير متماسك! أدركت راشيل فجأة ما كان تولاند يحاول القيام به من خلال زيادة الضغط في الداخل.

إنه يحاول نسف النافذة إلى الخارج!

فوقها، تابعت أسطوانة ضغط التريتون تدفقها. حتى وهي جالسة هناك، شعرت بالضغط يزداد مرة أخرى. في هذه المرة كانت ترحب به تقريباً، رغم أنها شعرت بالقبضة الخانقة تدفعها بصورة خطرة قريبةٍ من فقدان الوعي. مندفعة بذعر، ضغطت راشيل بكامل قوتها على الزجاج من الداخل إلى الخارج.

في هذه المرة، لم يكن هناك قرقرة. تحرك الزجاج بصعوبة.

رمت بثقلها لدفع النافذة مرة أخرى. لم يحدث شيء. آلمها جرح كتفها، فنظرت إليه. كان الدم جافاً. تجهزت لتحاول مرة أخرى، ولكن لم يكن لديها الوقت لذلك. فدون أي تحذير، بدأت الغواصة المعطلة بالتمايل - إلى الخلف. فبينما تغلبت علبة المحرك الثقيلة على خزانات الموازنة المنغمرة، ترنحت التريتون على مؤخرتها ليغرق الجزء الأخير منها أولاً.

سقطت راشيل على ظهرها مواجه الجدار الخلفي لحجرة القيادة. نصف مغمورة في المياه المتدفقة، نظرت مباشرة إلى القبة المتسربة، تحوم فوقها كالمنور الضخم.

في الخارج، ساد الظلام فقط... وآلاف الأطنان من مياه المحيط الضاغطة إلى الأسفل.

أرادت راشيل النهوض، ولكن جسدها سقط خدراً وثقيلاً. مرة أخرى، عاد عقلها بالوقت إلى الوراء، إلى التشبث الجليدي في النهر المتجمد.

"قاومي، راشيل!" كانت أمها تصيح، وهي تمد يدها إلى الأسفل لتسحبها خارج الماء. "تمسكي!".

أغلقت راشيل عينيها. أنا أغرق. شعرت بزلاجاتها وكأنها أثقال من

الرصاص تشدها إلى تحت. استطاعت رؤية والدتها ممددة باسطة ذراعيها ورجليها على الجليد لتنشر وزنها، وهي تمد يدها.

"ادفعي، راشيل! ادفعي بقدميك!".

دفعت راشيل بأفضل ما أمكنها، فارتفع جسدها قليلاً في الحفرة الجليدية. ومضة من الأمل. أمسكت والدتها بيدها.

"نعم!" صاحت أمها. "ساعديني لأرفعك! ادفعي بقدميك!".

بوجود والدتها تسحبها من الأعلى، استخدمت راشيل آخر طاقتها لتدفع بواسطة زلاجاتها. كان ذلك كافياً، وسحبتها والدتها إلى الأمان. سحبت راشيل المبللة إلى المقعد المليء بالثلج قبل أن تنفجر بالبكاء.

الآن، داخل الرطوبة والحرارة المتزايدتين للغواصة، فتحت راشيل عينيها إلى السواد من حولها. سمعت صوت أمها يهمس من القبر، كان صوتها واضحاً حتى هنا في التريتون الغارقة.

ادفعي بقدميك.

نظرت راشيل إلى القبة فوقها. حاشدة شجاعتها الأخيرة، تسلقت راشيل بجهد كرسي حجرة القيادة، الذي كان موجهاً بشكل أفقي، مثل كرسي طبيب الأسنان. متمددة على ظهرها، حنت ركبتيها وسحبت رجليها إلى الخلف بأكثر ما يمكنها، ووجهت قدميها إلى الأعلى، وانفجرت إلى الأمام. بصيحة عالية من اليأس والقوة، دفعت قدميها إلى مركز القبة الأكريليكية. مسامير من الألم اندفعت في ساقيها، قاذفة بعقلها ليترنح. رعدت أذناها فجأة، وشعرت بالضغط يتساوى بدفعة عنيفة. تلاشى مانع التسرب في الجانب الأيسر، وانزاحت العدسة الضخمة جزئياً، تتأرجح مفتوحة كباب الحظيرة.

اندفع سيل من المياه إلى الغواصة سحب راشيل إلى الخلف إلى كرسيها. رعد المحيط من حولها، وهو يدور إلى الأعلى تحت ظهرها رافعاً إياها عن الكرسي وقاذفها لتنقلب مثل جورب قصير في الغسالة. تلمست راشيل على نحو أعمى عن شيء لتتمسك به، ولكنها كانت تدور بشكل كبير. عند امتلاء حجرة القيادة، شعرت بأن الغواصة قد بدأت بالسقوط الحر السريع نحو الأسفل. ارتفع جسدها إلى الأعلى في حجرة القيادة وشعرت بنفسها معلقة. اندفاع من الفقاعات انفجر من حولها، محركاً إياها دائرياً وساحباً إياها إلى اليسار والأعلى. تحطمت قطعة من الأكريليك القاسي بمرور وركها.

تحررت من الغواصة.

ملتوية ومتشقلبة في السواد المائي الدافئ اللامنتهي، شعرت راشيل بأن رئتيها تتوق إلى الهواء. اصعدي إلى السطح! بحثت عن الضوء ولكن لا يوجد شيء. بدا عالمها متماثلاً في جميع الاتجاهات. السواد. لا جاذبية. ولا إحساس بالأعلى والأسفل.

في تلك اللحظة المرعبة، أدركت راشيل أنها لا تعلم في أي اتجاه تسبح.

على بعد آلاف الأقدام (الأمتار) أسفلها، انهارت طائرة الكايوا الغارقة أسفل الضغط المتزايد بشكل كبير. كانت الصواريخ النارية الخمسة عشر (أي جي إم- 114) المضادة للدبابات عالية الانفجار لا تزال على متنها متوترة بسبب الضغط، وكانت رؤوسها المخروطية النحاسية وذات الانفجار النابضي تتحرض ببطء وبخطورة إلى الداخل.

على بعد مئة قدم (30 متراً) فوق أرضية المحيط، كان العمود المائي الضخم يمسك بما تبقى من الطائرة ويدفعها إلى الأسفل، يدفعها مقابل القشرة الملتهبة للقبة المنصهرة. مثل علبة من أعواد الثقاب تشتعل بتسلسل، انفجرت الصواريخ النارية ممزقة حفرة واسعة عبر قمة القبة المنصهرة.

بعد الصعود إلى الأعلى من أجل الهواء، ثم الغطس مرة أخرى بيأس، كان مايكل تولاند معلقاً على بعد خمسة عشر قدماً عن سطح الماء يتفحص الظلام عندما انفجرت الصواريخ النارية. تلاطم الضوء الأبيض إلى الأعلى، منيراً صورة مذهلة – لقطة رائعة سيتذكرها إلى الأبد.

تعلقت راشيل سيكستون على بعد عشرة أقدام (3 أمتار) أسفله مثل دمية متحركة متشابكة في المياه. أسفلها، سقطت غواصة التريتون بسرعة بعيداً، بقبة متدلية. تبعثرت القروش بعيداً إلى البحر الواسع، فقد أدركت بالتأكيد الخطر الذي على وشك الحدوث في تلك المنطقة.

إن ابتهاج تولاند برؤية راشيل خارج الغواصة تلاشى على الفور عند إدراكه ما الذي على وشك أن يحدث. حافظاً مكانها عندما اختفى الضوء، غطس تولاند بقوة، شاقاً طريقه باتجاهها.

على بعد آلاف الأقدام (الأمتار) في الأسفل، انفجرت القشرة المتحطمة للقبة المنصهرة، وانفجر البركان المائي، مطلقاً حمماً تبلغ حرارتها ألف ومئتي درجة مئوية إلى البحر. تلك الحمم الحارقة بخرت جميع المياه التي تلامسها، مرسلة عموداً ضخماً من البخار يتصاعد باتجاه السطح من أعلى المحور المركزي للأعمدة المائية الضخمة. مُساقاً بنفس الخصائص الحركية

لديناميكيات السوائل التي تشكل الأعاصير، فالنقل العمودي لطاقة البخار قد توازن بلولب دائري معاكس لأمواج الإعصار، وهو يدور في العمود حاملاً الطاقة في الاتجاه المعاكس.

دائرةً بحركة لولبية حول هذا العمود المتزايد من الغازات، بدأت تيارات المحيط بالاشتداد، ملتوية إلى الأسفل. خلق البخار المتلاشي فراغاً ضخماً يبتلع ملايين الغالونات من مياه البحر إلى الأسفل في اتصال مع المادة المنصهرة. عند ارتطام المياه الجديدة بالأسفل، تتحول بدورها إلى بخار وتحتاج إلى طريق لتنفذ منه فتنضم إلى العمود المتزايد من البخار المنطلق فتصعد إلى الأعلى ساحبة المزيد من الماء أسفلها. وعند تسارع المزيد من المياه للداخل لتأخذ مكانها، تزداد الدوامة شدة. ازداد امتداد عمود الماء الحراري وازدادت الدوامة الضخمة بالنمو مع مرور كل ثانية، تحركت حافتها العلوية بانتظام نحو السطح.

ثقب محيطي أسود قد أُحدث للتو.

شعرت راشيل وكأنها طفل في الرحم. انغمرت بالظلام الحار والرطب من حولها. تشوشت أفكارها في ذلك الدفء المظلم. تنفسي. قاومت ذلك المنعكس. لا يمكن للضوء الذي رأته إلا أن يكون قادماً من الأعلى ولكن بدا ذلك بعيداً. إنه وهم. اصعدي إلى السطح. بضعف، بدأت بالسباحة في الاتجاه الذي رأت منه الضوء. كانت ترى المزيد من الضوء الآن... وهج أحمر غريب بعيد. ضوء الفجر؟ سبحت بشكل أقوى.

أمسكتها يد من الكاحل.

صرخت راشيل تحت الماء، وكأنها تزفر آخر ما بقي من الهواء.

سحبتها اليد إلى الخلف، مسببة التواءها، موجهة إياها بالاتجاه المعاكس. شعرت بيد مألوفة تقبض على يدها. مايكل تولاند كان هناك، يسحبها معه في الاتجاه الآخر.

كان عقلها يقول إنه يأخذها إلى الأسفل، أما قلبها فقال لها إنه أعلم ما يفعله.

ادفعي بقدميك، همس صوت والدتها.

دفعت راشيل بأقوى ما أمكنها.

130

رغم صعود تولاند وراشيل إلى السطح، علم أن أمرهما قد انتهى. انفجرت القبة المنصهرة. حال وصول قمة الدوامة إلى السطح، فالإعصار الضخم أسفل الماء سيبدأ بسحب كل شيء إلى الأسفل. على نحو مستغرب، فالعالم فوق السطح لم يكن ذلك الفجر الهادئ الذي كان تولاند قد تركه منذ لحظات فقط. كان الضجيج مصماً للآذان. اندفعت الرياح بسرعة فوقه وكأن نوعاً من العواصف قد حدث عندما كان هو تحت الماء.

شعر تولاند بالهذيان بسبب نقص الأكسجين. حاول أن يدعم راشيل في المياه ولكنها كانت تنسحب من يديه. التيار! حاول تولاند الإمساك بها، ولكن القوة الغامضة سحبتها بشكل أقوى، مهددة أن تمزقها من بين يديه. فجأة، انزلقت قبضته، وانزلق جسد راشيل عبر سواعده – ولكن نحو الأعلى.

بذهول، شاهد تولاند جسد راشيل يخرج من الماء.

في الأعلى، حوامة خفر السواحل أوسبري ذات الشفرات المائلة حومت ورفعت راشيل داخلها. منذ عشرين دقيقة مضت، تلقى خفر السواحل تقريراً عن انفجار في البحر. وبعد فقدانهم أثر حوامة دولفين التي كان من المفترض وجودها في المنطقة، خافوا من وقوع حادث. طبعوا آخر الإحداثيات التي تلقيت من الطائرة في نظام القيادة وتمنوا الأفضل.

على بعد نصف ميل من الغويا المتلألئة، رأوا حقلاً من الركام المحترق ينجرف مع التيار. بدا وكأنه زورق سريع. في جواره، كان هناك رجل في الماء يلوح بيديه بشدة. رفعوه إلى الداخل. كان عارياً بالكامل – باستثناء ساق واحدة قام بتغطيتها بشريط الأنابيب.

منهكاً، نظر تولاند إلى الأعلى إلى السطح السفلي المنتفخ من الطائرة الراعدة ذات الشفرات المائلة. رياح عنيفة مصمة طرقت إلى الأسفل من مراوح الطائرة. عند ارتفاع راشيل على الأسلاك، سحبتها أيد كثيرة إلى الداخل. وعندما شاهد راشيل وهي تنسحب إلى الأمان، وقعت عيناه على رجل مألوف يجثم وهو نصف عارٍ عند الباب.

كوركي؟ ابتهج قلب تولاند. أنت على قيد الحياة!

على الفور، سقط الحزام من السماء مرة أخرى. حط على بعد عشر أقدام (3 أمتار). أراد تولاند السباحة نحوه، ولكنه كان يشعر بإحساس سحبه إلى

العمود. قبضة البحر القاسية طوقته من حوله، رافضة أن تدعه يذهب.

سحبه التيار إلى الأسفل. جاهد ليصعد نحو السطح، ولكن التعب الشديد كان مسيطراً. أنت ستبقى على قيد الحياة، شخص ما كان يقول ذلك. رفس بقدميه متجهاً إلى السطح. عندما اخترق الرياح العاصفة، كان الحزام لا يزال بعيداً. يحاول التيار سحبه إلى الأسفل. وهو ينظر إلى وابل رياح الدوامة والضجيج، رأى تولاند راشيل. كانت تنظر إليه، وعيناها تحثه للصعود إليها.

تطلب الأمر من تولاند أربع ضربات قوية ليصل إلى الحزام. ومع آخر قوة ضئيلة بقيت له، دفع ساعده ورأسه داخل الحلقة وانهار.

كان المحيط يسقط بعيداً أسفله على الفور.

نظر تولاند إلى الأسفل في الوقت الذي فتحت فيه الدوامة الواسعة. وصلت الأعمدة المائية الضخمة إلى السطح أخيراً.

وقف ويليام بيكرينغ على منصة الغويا وشاهد في ذعر صامت المشهد يُعرض من حوله. بعيداً عن الجانب الأيمن لمؤخرة السفينة، كان انخفاض كبير يشبه الحوض يتشكل على سطح البحر. دوامة تقيس مئات الباردات (الأمتار) وتتوسع بسرعة. كان المحيط يلتف لولبياً لداخلها، يتسارع بسهولة غريبة عند الحافة. في كل مكان حوله، تردد عويل بلعومي من الأعماق. كان عقل بيكرينغ مشدوهاً وهو ينظر إلى الحفرة المتوسعة باتجاهه كفم مفتوح لإله ضخم تواق إلى الفدية.

أنا أحلم، فكر بيكرينغ.

فجأة، بهسيس انفجاري حطم نوافذ منصة الغويا، انفجر عمود ضخم من البخار باتجاه السماء خارج الدوامة. نبع كبير من المياه الحارة ارتفع في الأعلى، وهو يرعد، كما اختفت قمته في السماء المظلمة.

على الفور، ازدادت شدة انحدار الجدران القمعية، واتسع محيطها بسرعة، وهي تقطع عبر المحيط باتجاهه. تمايلت مؤخرة السفينة بشدة باتجاه الفجوة المتوسعة. فقد بيكرينغ توازنه وسقط على ركبتيه. مثل طفل أمام الإله، نظر إلى الأسفل إلى الهاوية النامية.

كانت أفكاره الأخيرة عن ابنته، ديانا. توسل للإله أنها لم تكن قد شهدت خوفاً كهذا عندما توفيت.

موجة الارتجاج من البخار الهارب دفعت أوسبري جانباً. تمسك تولاند وراشيل ببعضهما بعضاً عندما استعاد الطيار توازنه متمايلاً بشكل منخفض فوق

الغويا الهالكة. عند النظر خارجاً، تمكنوا من رؤية ويليام بيكرينغ – المزلزل – جاثماً في معطفه وربطة عنقه الأسودين أمام الدرابزين العلوي للسفينة الهالكة.

عند تأرجح مؤخرة السفينة فوق حافة الإعصار الضخم، انقطع سلك المرساة أخيراً. بمقدمتها معلقة بفخر في الهواء، انزلقت الغويا إلى الخلف فوق السطح المائي، مُمتصة أسفل جدران دوامة المياه العميقة. كانت أضواؤها لا تزال تومض عندما اختفت أسفل البحر.

131

كان صباح واشنطن صافياً ومنعشاً.

أرسل النسيم دوامات صغيرة من الأوراق تتبعثر حول قاعدة النصب التذكاري لواشنطن. عادة ما يستيقظ النصب الأكبر في العالم على الصورة المسالمة له في البركة العاكسة، ولكن اليوم، أحضر الصباح معه ضجيجاً من الصحفيين المحتشدين، يتجمعون حول قاعدة النصب بشوق.

شعر السيناتور سيدجويك سيكستون بنفسه أكبر من واشنطن نفسها وهو يخطو من سيارته الليموزين ويمشي كالأسد باتجاه منطقة المؤتمر التي بانتظاره في قاعدة النصب. لقد دعا الشبكات الإعلامية العشر الأكبر في الولايات المتحدة إلى هنا ووعدهم بفضيحة هذا العقد.

لا شيء يجلب النسور كرائحة الموت، فكر سيكستون.

في يده، قبض سيكستون على حزمة من الظروف الكتانية البيضاء، كل واحد منها مزخرف بالشمع بشكل أنيق بخاتمه المونوغرامي. لو كانت المعلومات نوعاً من الطاقة، إذاً، لكان سيكستون يحمل رأساً نووياً.

شعر بأنه ثمل وهو يقترب إلى المنصة، مسروراً لرؤية منصته الارتجالية تتضمن اثنين من 'إطارات الشهرة' – حواجز كبيرة تنتصب حرة أحاطت بمنصته مثل ستائر البحرية الزرقاء – خدعة رونالد ريغان القديمة التي تؤكد أنه يقف مواجهاً لأية ستارة.

دخل سيكستون المنصة منتصباً، ويمشي بخطىً واسعة من خلف الحاجز مثل ممثل متجهز. أخذ الصحفيون مقاعدهم على الفور في عدة صفوف من الكراسي القابلة للطي تواجه منصته. إلى الشرق، كانت الشمس تشرق للتو فوق قبة مجلس الشيوخ، مرسلة أشعة من القرنفل والذهب على سيكستون وكأنها أشعة من الجنة.

يوم رائع لتصبح الرجل الأقوى في العالم، قال لنفسه.

"صباح الخير، سيداتي وسادتي"، قال سيكستون واضعاً الظروف على الطاولة أمامه. "سأقول هذا بأكثر ما أمكنني من الاختصار والرقة. إن المعلومات التي أنا على وشك إعلامكم بها، بصراحة، هي مزعجة بعض الشيء. تحتوي هذه الظروف على أدلة لخديعة في أعلى المستويات في الحكومة. أنا أخجل أن أقول إن الرئيس قد اتصل بي منذ نصف ساعة وتوسل إليّ – نعم، توسل إليّ – ألا أقوم بنشر هذه الأدلة"، هزّ رأسه بفزع: "ولكن، أنا الرجل الذي يؤمن بالحقيقة. مهما كانت مؤلمة".

صمت سيكستون حاملاً الظروف ومغرياً الحشد الجالس. تبعت عيون الصحفيين الظرف جيئة وذهاباً، مجموعة من الكلاب يسيل لعابها لوجبة شهية غير معروفة.

كان الرئيس قد اتصل بسيكستون منذ نصف ساعة وشرح له كل شيء. لقد تحدث هيرني مع راشيل التي كانت بأمان على متن الطائرة في مكان ما. بشكل لا يصدق، بدا أن البيت الأبيض وناسا متفرجون شرفاء في هذه العمل الشنيع، حبكة موجهة من قبل ويليام بيكرينغ.

لا يهم ذلك، فكر سيكستون، لا يزال زاك هيرني ينهار إلى الأسفل بشدة.

تمنى سيكستون لو كان ذبابة على جدار البيت الأبيض الآن مباشرة ليرى وجه الرئيس عندما يدرك أن سيكستون قد نشر الأمر. كان سيكستون قد وافق على ملاقاة الرئيس في البيت الأبيض مباشرة ليتناقشا عن الطريقة الأفضل لإخبار الأمة عن حقيقة الحجر النيزكي. ربما كان هيرني واقفاً أمام التلفاز في هذه اللحظة بذهول مشدوه، مدركاً أنه ليس بإمكان البيت الأبيض فعل أي شيء لإيقاف يد القدر.

"أصدقائي"، قال سيكستون، تاركاً عيناه تتصل مع الحشد: "لقد فكرت بهذا بشكل جيد. فكرت ملياً برغبة الرئيس الشريفة لإبقاء هذه المعلومات سرية، ولكن يجب عليّ أن أقوم بما هو في قلبي". تنهد سيكستون وهو يحني رأسه وكأنه رجل احتجزه التاريخ. "الحقيقة هي الحقيقة. لن أتجرأ على تحريف تفسير هذه الحقائق بأية طريقة. سأعطيكم المعلومات ببساطة كما هي".

بعيداً، سمع سيكستون أصوات محركات هيلكوبتر كبيرة. للحظة، تساءل لو أن الرئيس ربما كان يطير من البيت الأبيض مذعوراً، على أمل أن يوقف المؤتمر الصحفي. هذا سيزيد الكعكة لذة، فكر سيكستون بمرح. كم سيبدو

هيرني مذنباً عندها؟

"إنني لست مسروراً لقيامي بهذا"، تابع سيكستون مدركاً أن التوقيت رائع. "ولكن أشعر أنه من واجبي إعلام الشعب الأميركي أنه قد تم الكذب عليه".

رعدت الطائرة هناك تلمس الأرضية على يمينهم. عندما نظر سيكستون، كان متفاجئاً ليرى أنها لم تكن مروحية الرئيس على الإطلاق، بل كانت مروحية أوسبري الضخمة ذات الشفرات المائلة.

كُتب على جسدها: خفر سواحل الولايات المتحدة.

بارتباك، راقب سيكستون باب الطائرة ينفتح وتخرج منه امرأة. كانت ترتدي سترة خفر السواحل ذات اللون البرتقالي وبدت شعثاء، وكأنها كانت في حرب. مشت بسرعة باتجاه منطقة المؤتمر. للحظة، لم يعرفها سيكستون. ثم صدمه الأمر.

راشيل؟ فغر فاه بذهول، ما الذي تفعله هنا بحق الجحيم؟

دمدمة من الارتباك مرت عبر الحشد.

ملصقاً ابتسامة عريضة على وجهه، التفت سيكستون إلى المؤتمر ورفع إصبعه معتذراً. "لو منحتموني دقيقة فقط؟ أنا متأسف حقاً". أطلق تنهدة قلقة وديّة: "العائلة أولاً".

ضحك القليل من الصحفيين.

وبوجود ابنته مندفعة من يمينه، لم يكن سيكستون يشك في أن اجتماعاً شمل الأب مع ابنته من الأفضل أن يكون خاصاً. لسوء الحظ، كانت الخصوصية أمراً نادراً في هذه اللحظة. وقعت عينا سيكستون على الحاجز الكبير على يمينه.

لا يزال مبتسماً بهدوء. لوح سيكستون لابنته وخطى بعيداً عن الميكرفونات. متحركاً باتجاهها بزاوية، تدبر أمره بطريقة كان لا بد لراشيل أن تعبر خلف الحاجز لتصل إليه. التقى سيكستون بها في منتصف الطريق، مختبئاً عن عيون وآذان المؤتمر.

"حبيبتي؟" قال وهو يبتسم فاتحاً ذراعيه بينما راشيل تأتي إليه: "يا لها من مفاجأة!".

مشت راشيل باتجاهه وصفعت وجهه.

وحيدة مع والدها الآن، مخفية خلف الحاجز، حملقت راشيل باشمئزاز. لقد صفعته بقوة، ولكنه أجفل قليلاً. وبسيطرة باردة، تلاشت ابتسامته الزائفة،

متحولة إلى حملقة متوعدة.

تحول صوته إلى همس شيطاني: "يجب ألا تكوني هنا".

رأت راشيل الغضب الشديد في عينيه ولأول مرة في حياتها لم تكن خائفة. "لقد التفت إليك من أجل المساعدة، فقمت ببيعي! كدت أن أقتل!".

"من الواضح أنك بحالة جيدة". كانت نبرة صوته محبَطة تقريباً.

"إن ناسا بريئة!" قالت: "لقد أخبرك الرئيس بهذا! ما الذي تفعله هنا؟" كانت رحلة راشيل القصيرة إلى واشنطن على متن طائرة خفر السواحل مليئة بالاتصالات الهاتفية المهتاجة بينها وبين البيت الأبيض ووالدها وحتى غابرييل آش المضطربة. "لقد وعدت زاك هيرني أنك ستذهب إلى البيت الأبيض!".

"سأفعل". ابتسم بتكلف: "في يوم الانتخابات".

شعرت راشيل بالغثيان عند التفكير بأن هذا الرجل هو والدها. "ما أنت على وشك القيام به هو الجنون".

"أوه؟" ضحك سكيستون بخفوت. التفت وأشار من خلفه إلى المنصة، التي كانت مرئية عند نهاية الحاجز. على المنصة كان بانتظاره حزمة الظروف: "تحتوي هذه الظروف على معلومات أنت أرسلتها يا راشيل، أنت. إن دم الرئيس هو بيديك".

"لقد أرسلت لك تلك المعلومات عندما احتجت مساعدتك! عندما اعتقدت أن الرئيس وناسا مذنبان!".

"بالنظر إلى الأدلة، إن ناسا بالتأكيد تبدو مذنبة".

"ولكنهم ليسوا كذلك! يستحقون فرصة للاعتراف بخطأهم. لقد ربحت الانتخابات مسبقاً. انتهى أمر زاك هيرني! تعلم ذلك. دع الرجل يحتفظ ببعض الشرف".

همهم سيكستون ساخراً: "إنك بسيطة جداً. أنا على وشك الفوز بالانتخابات يا راشيل، إنها السلطة. إنه النصر الحاسم، مشاهد العظمة، المعارضة المتحطمة، والسيطرة على القوى في واشنطن لتتمكني من القيام بشيء".

"بأي ثمن؟".

"لا تعتقدي أنك أكثر صلاحاً. أنا ببساطة أقدم الأدلة. يستطيع الشعب صياغة استنتاجاته الخاصة عن المذنب".

"تعلم كيف يبدو هذا".

هزّ كتفيه مستهجناً: "ربما يكون زمن ناسا قد أتى".

أحس السيناتور سيكستون بأن المؤتمر اضطرب خلف الحاجز، ولم يكن ينوي الوقوف هنا طوال الصباح ليتم توبيخه من قبل ابنته. كانت لحظة انتصاره تنتظر".

"لقد انتهى هذا"، قال: "عليّ تقديم المؤتمر الصحفي".

"أنا أطلب منك بصفتي ابنتك". تلمسته منه: "لا تفعل هذا. فكر بما أنت على وشك القيام به. هناك طريقة أفضل".

"ليس لي".

علا صدى ضجيج من نظام الصوت الخطابي، التفت سيكستون ليرى صحفية وصلت متأخرة، جثمت على المنصة، تحاول إيصال ميكرفون شبكة إلى أحد الأجهزة القابضة الطويلة.

لماذا لا يمكن لهؤلاء الحمقى الوصول على الوقت؟ استشاط سيكستون غضباً.

بسبب التهور، أوقعت الصحفية مجموعة الظروف على الأرض.

اللعنة! أسرع سيكستون يلعن ابنته لصرف انتباهه. عندما وصل، كانت المرأة جاثمة تجمع الظروف عن الأرض. لم يتمكن سيكستون من رؤية وجهها، ولكنها كانت من الواضح صحفية لشبكة – ترتدي معطفاً كشميرياً طويلاً، تضع وشاحاً وقبعة من الموهير مثبت عليها شعار قناة (أي بي سي).

عاهرة غبية، فكر سيكستون. "سآخذ هذه"، قال ماداً يده ليأخذ الظروف.

جمعت المرآة آخر الظروف وأعطتها إلى سيكستون دون أن تنظر إليه: "متأسفة..." دمدمت وهي محرجة بشكل واضح. خافضة رأسها بأسف، انطلقت بسرعة إلى الحشد.

أحصى سيكستون الظروف على الفور. عشرة، جيد. لن يوقفه أحد اليوم. مستعيداً مكانه، عدّل الميكرفونات وقدم ابتسامة ضاحكة إلى الحشد: "من الأفضل أن أقدم هذه قبل أن يتأذى أحدهم!".

ضحك الحشد ويبدو عليهم الشوق.

أحس سيكستون بابنته في الجوار، تقف بعيداً عن المنصة خلف الحاجز تقريباً.

"لا تفعل هذا". قالت راشيل له: "ستندم على ذلك".

تجاهلها سيكستون.

"أنا أطلب منك الوثوق بي"، قالت راشيل وصوتها يزداد علوا. "إنه خطأ".

التقط سيكستون الظروف، مقوماً أطرافها.

"والدي"، قالت راشيل بحدة وهي تتوسل: "هذه هي آخر فرصة لك لتقوم بما هو صحيح".

أقوم بما هو صحيح؟ غطى سيكستون الميكروفون والتفت وكأنه يتنحنح. نظر ببرود تجاه ابنته: "أنت مثل والدتك – مثالية وصغيرة. إن النساء ببساطة لا يفهمن الطبيعة الحقيقية للسلطة".

كان سيدجويك سيكستون قد نسي أمر ابنته وهو يلتفت إلى الإعلام المحتشد. رافعاً رأسه، مشى حول المنصة وسلم الظروف إلى أيدي الإعلاميين المنتظرين. شاهد الظروف تنتشر بسرعة عبر الحشد. استطاع سماع فتح الأختام، والظروف تتمزق كهدايا عيد الميلاد.

سكون مفاجئ ساد على الحشد.

في ذلك الصمت، استطاع سيكستون سماع اللحظة اللامعة لمهنته.

إن الحجر النيزكي زائف، وأنا هو الرجل الذي كشف ذلك.

علم سيكستون أن الأمر سيستغرق من الإعلاميين لحظة لفهم حقيقة تضمينات ما ينظرون إليه: صور من (جي بي آر) لعمود الإدخال في الجليد، كائن محيطي على قيد الحياة مشابه تقريبا لمستحاثات ناسا، دلائل توضح حبيبات معدنية تشكلت على الأرض. كل هذا يؤدي إلى استنتاج واحد مذهل.

"سيدي؟" تمتم أحد الصحفيين، يبدو عليه الذهول وهو ينظر إلى الظرف: "هل هذا حقيقي؟".

أطلق سيكستون تنهدة كئيبة: "نعم، أخشى أنها حقيقة في الواقع".

دمدمات من الاضطراب انتشرت بين الحشد.

"سأمنح كلاً منكم لحظة لينظر عبر هذه الصحفات". قال سيكستون: "ومن ثم سأتلقى الأسئلة وأحاول تسليط الضوء على ما تنظرون إليه".

"سيناتور؟" سأل صحفي آخر، يبدو عليه الذهول تماماً: "هل هذه الصور أصلية؟... غير معدلة؟".

"مئة بالمئة". قالها بثبات: "لم أكن لأقدم هذه الأدلة لو لم تكن كذلك".

بدا الارتباك يتعمق في الحشد، حتى أن سيكستون اعتقد أنه قد سمع بعض

الضحك – ليس هذه هي ردة الفعل التي توقعها على الإطلاق. بدأ يخاف أنه قد بالغ في قدرة الإعلاميين على جمع الحقائق الواضحة.

"سيناتور؟" قال شخص يبدو عليه المرح بشكل غريب: "للعلم فقط، أنت هو وراء حقيقة هذه الصور؟".

كان سيكستون قد بدأ يغضب: "أصدقائي، سأقول هذه مرة واحدة أخيرة، إن الأدلة التي بين أيديكم هي حقيقية مئة بالمئة. ولو قام أي شخص بإثبات عكس ذلك، فسأقطع يدي!".

انتظر سيكستون ليسمع الضحك ولكنه لم يسمع شيء.

صمت كامل. نظرات شاحبة.

تقدم الصحفي الذي تحدث للتو باتجاه سيكستون، يقلب النسخ المصورة: "أنت محق، أيها السيناتور. هذه معلومات مخزية". صمت الصحفي، يحك رأسه: "إذاً، أعتقد أننا في حيرة بسبب أنك قررت إعلامنا هذا بمثل هذه الطريقة، خاصة بعد إنكارك الأمر بشدة مسبقاً".

لم يعلم سيكستون عم يتحدث ذلك الرجل. سلم الصحفي النسخ له. نظر سيكستون إلى الصور – وللحظة، توقف عقله بالكامل.

لم تصدر منه أية كلمة.

كان ينظر إلى صور غير معروفة. صور بالأبيض والأسود. شخصان. عاريان. أذرع وسيقان مشتبكة. للحظة، لم يعلم سيكستون ما الذي ينظر إليه. بعدها، ثبت الأمر. قنبلة في أحشائه.

بذعر، رفع سيكستون رأسه إلى الحشد. كانوا يضحكون الآن. كان نصفهم قد بدأ مسبقاً بإرسال القصة إلى مكاتبهم الإخبارية.

شعر سيكستون بضربة على كتفه.

بدوار، التفت.

كانت راشيل تقف هناك. "لقد حاولنا إيقافك"، قالت له: "لقد أعطيناك الفرصة". وقفت امرأة إلى جانبها.

كان سيكستون يرتجف عند انتقال عينيه إلى المرأة بجانب راشيل. كانت الصحفية المرتدية للمعطف الكشميري وقبعة الموهير – المرأة التي أسقطت الظروف. رأى سيكستون وجهها، فتجمد دمه.

بدت عينا غابرييل آش السوداوين تخترقه مباشرة عندما اقتربت وفتحت معطفها لتظهر مجموعة من الظروف البيضاء المثبتة بشكل أنيق أسفل ساعدها.

132

لم يكن المكتب الرئاسي مظلماً كلياً، بل مضاءً بنور لطيف نحاسي على مكتب الرئيس هيرني. رفعت غابرييل آش رأسها عالياً وهي تقف أمام الرئيس. خارج النافذة خلفه، كان الظلام يتجمع على المروج الغربية.

"سمعت أنك ستغادريننا"، قال هيرني ويبدو عليه الإحباط.

أومأت غابرييل. رغم أن الرئيس عرض عليها بلباقة ملجأ لفترة غير محددة في البيت الأبيض بعيداً عن الإعلام، فضلت غابرييل ألا تركب هذه العاصفة بالاختباء بعيداً عن الأعين. أرادت أن تكون بعيدة لأقصى ما يمكنها. لفترة على الأقل.

نظر هيرني من خلف مكتبه إليها، يبدو عليه التأثر: "إن الخيار الذي قمت به هذا الصباح، يا غابرييل..." صمت وكأنه عاجز عن الكلام. كانت عيناه بسيطتين وواضحتين – لا تقارن على الإطلاق بالأحواض العميقة الغامضة التي جذبت غابرييل مرة في سيدجويك سيكستون. ولكن، في خلفية هذا المكان القوي، رأت غابرييل اللطف الحقيقي في تلك النظرة، شرف وسمو لن تنساهما سريعاً.

"فعلت ذلك من أجلي أيضاً". قالت غابرييل في النهاية.

ردّ هيرني: "أدين لك بالشكر أيضاً". وقف مشيراً إليها أن تتبعه إلى الردهة. "كنت آمل حقيقة أن تنتظري بعض الوقت لأقدم لك منصباً في طاقم الميزانية".

نظرت إليه غابرييل بريبة: "لنوقف الإنفاق ونبدأ الإصلاح؟".

ضحك بخفوت: "شيء كهذا".

"أظن أن كلانا يعلم، سيدي، أنا أشكل عائقاً عليك في هذه اللحظة أكثر من كوني شيئاً نافعاً".

هزّ هيرني كتفيه مستهجناً: "يلزمك بعض الأشهر فقط. سينتهي كل شيء. تحمل الكثير من الرجال والنساء مواقف مشابهة ثم أكملوا طريقهم للعظمة". غمزها ثم قال: "القليل منهم أصبح أيضاً رئيساً للولايات المتحدة".

علمت غابرييل أنه على حق. عاطلة عن العمل لبعض الساعات فقط، تلقت غابرييل عرضي عمل اليوم – واحد من يولاندا كول في (أي بي سي) والآخر من وكالة سانت مارتين، الذي عرض عليها دفعة مقدماً فيما إذا نشرت قصتها كاملة. لا شكراً.

وبينما مشت غابرييل والرئيس أسفل المدخل، فكرت غابرييل بصورها

التي تعرض الآن على شاشات التلفاز.

إن الضرر الذي كان سيصيب البلد أسوأ، فكرت بذلك. أسوأ بكثير.

بعد أن ذهبت غابرييل إلى (أي بي سي) لتسترد الصور وتستعير إذن مرور يولاندا الصحفي، كانت قد تسللت إلى المكتب لتجمع الظروف المشابهة. بينما هي في الداخل، طبعت أيضاً نسخاً عن شيكات التبرعات من كمبيوتر سيكستون. فبعد اللقاء عند نصب واشنطن، سلمت غابرييل نسخاً عن الشيكات إلى السيناتور سيكستون المشدوه وسألته. أعطي الرئيس فرصة لإعلان خطأ الحجر النيزكي أو أنني سأنشر بقية المعلومات. نظر سيكستون مرة واحدة إلى الأدلة المالية، قفل على نفسه في الليموزين وانطلق. لم يسمع عنه أي شيء منذ ذلك الوقت.

الآن، عند وصول الرئيس وغابرييل إلى الباب السري لغرفة التقارير، استطاعت غابرييل سماع الحشد المنتظر خارجاً. للمرة الثانية خلال الأربع والعشرين ساعة، احتشد العالم ليسمع الخطاب الرئاسي الخاص.

"ما الذي ستقوله لهم؟" سألت غابرييل.

تنهد هيرني وتعابير وجهه هادئة بشكل ملحوظ: "خلال مرور السنين، تعلمت شيئاً واحداً فقط مرات كثيرة..." وضع يده على كتفها وابتسم: "ليس هناك بديلٌ عن الحقيقة".

كانت غابرييل تنتشي بفخر غير متوقع وهي تنظر إليه يخطو عبر المنصة. زاك هيرني في طريقه للاعتراف بالخطأ الأكبر لحياته، وبشكل مستغرب، لم يبدُ أكثر رئاسية من قبل على الإطلاق.

133

عندما استيقظت راشيل كانت الغرفة مظلمة.

أظهرت الساعة 10:14 مساءً. لم يكن السرير لها. لعدة لحظات، تمددت دون حراك، متسائلة أين هي. ببطء، تذكرت كل شيء... الأعمدة المائية الضخمة... هذا الصباح كانت عند نصب واشنطن... دعوة الرئيس للبقاء في البيت الأبيض.

أنا في البيت الأبيض، أدركت راشيل، نمت هنا طوال اليوم.

طائرة خفر السواحل، بأمر من الرئيس، نقلت مايكل تولاند وكوركي مارلينسون وراشيل سيكستون المرهقين من نصب واشنطن إلى البيت الأبيض حيث تم إطعامهم فطوراً فخماً وفحصهم من قبل الأطباء، وعرض عليهم

الاستراحة في أيٍّ من غرف النوم الأربع عشرة الموجودة في البناء.

جميعهم وافق على ذلك.

لم تصدق راشيل أنها نامت طوال هذه المدة. أشعلت التلفاز، فكانت مذهولة لرؤية زاك هيرني وقد أنهى مؤتمره الصحفي مسبقاً. كانت راشيل والآخرون قد عرضوا عليه الوقوف بجانبه عند إعلانه خيبة الأمل بالحجر النيزكي للعالم. لقد ارتكبنا ذلك الخطأ جميعاً. ولكن هيرني أصر على تحمل العبء وحده.

"بشكل محزن"، كان أحد المحللين السياسيين يقول على شاشة التلفاز: "بدا أن ناسا لم تكتشف أية إشارات إلى حياة خارج الأرض على الإطلاق. هذه هي المرة الثانية في هذا العقد التي تصنف فيها ناسا بشكل خاطئ حجراً نيزكياً على احتوائه أدلة لحياة خارج الأرض. لكن، في هذه المرة، كان بينهم مجموعة من العلماء المدنيين المشهورين الذين تم خداعهم أيضاً".

"بشكل طبيعي"، قال محلل ثاني: "عليّ القول إن خديعة بهذه الأهمية كان الرئيس قد وصفها هذا المساء ستكون مدمرة لمهنته... ولكن، بالنظر إلى التطورات التي حدثت هذا الصباح عند نصب واشنطن، عليّ القول إن فرص زاك هيرني لكسب الرئاسة تبدو أفضل مما كانت عليه على الإطلاق".

أشار المحلل الأول: "إذاً، لا حياة في الفضاء، ولا حياة في حملة سيكستون أيضاً. والآن، بظهور معلومات جديدة تظهر المشاكل المالية المهلكة للسيناتور –".

طرق على الباب صرف انتباه راشيل.

مايكل، تمنت ذلك، وبسرعة أطفأت التلفاز. إنها لم تره منذ الإفطار. عند وصولهم إلى البيت الأبيض، لم ترغب راشيل بأي شيء سوى النوم بين ذراعيه. رغم أنه بإمكانها القول إن مايكل شعر بالشيء نفسه، تدخل كوركي، واضعاً نفسه في سرير تولاند ومتحدثاً بحماسة مرات ومرات عن قصته حول التبول على نفسه وإنقاذ حياته. في النهاية، متعبين بالكامل، استسلم كل من راشيل وتولاند وتوجها إلى غرف نوم متفرقة ليناما.

في طريقها نحو الباب، نظرت راشيل إلى نفسها في المرآة، متفاجئة بالطريقة المضحكة التي كانت ترتدي بها. كل ما وجدت لترتديه في السرير هو قميص 'بين ستيت' لكرة القدم موجود في الخزانة. امتد حتى ركبتيها فبدا كقميص للنوم.

استمر الطرق.

فتحت الباب، فكانت محبطة لترى موظفة أمنية. كانت لبقة وجذابة،

ترتدي سترة زرقاء فضفاضة. "آنسة سيكستون، إن السيد في غرفة لينكولن سمع صوت تلفازك. طلب مني إخبارك، بما أنك قد استيقظت..." صمتت، مقوسة حاجبيها، من الواضح أنها لم تكن غريبة عن الألعاب المسائية في الطوابق العلوية للبيت الأبيض.

احمرّ وجه راشيل ووخزها جلدها: "شكراً".

قادت الموظفة راشيل في المدخل المزخرف بشكل مثالي إلى باب في الجوار يبدو بسيطاً.

"غرفة نوم لينكولن"، قالت الموظفة: "وكما أنه يفترض عليّ دائماً القول خارج هذا الباب، 'نامي جيداً واحذري من الأشباح'".

ردّت راشيل، إن أسطورة الأشباح في غرفة نوم لينكولن هي بقدم البيت الأبيض نفسه. كان يقال إن وينستون تشرشل قد رآى شبح لينكولن هنا، كالعديد من الأشخاص بمن فيهم، إيلينور روزفيلت، آمي كارتر، الممثل ريتشارد دريفوز، وعدد من الخادمات والخدم. كان يقال إن كلب الرئيس ريغان كان ينبح لساعات خارج هذا الباب في بعض الأحيان.

أفكار الأرواح التاريخية جعلت راشيل تدرك فجأة كم أن هذه الغرفة تستوجب الاحترام. شعرت بالإحراج فجأة وهي تقف مرتدية قميص كرة القدم الطويل، بساقين عاريتين مثل تلميذة جامعة تتسلل إلى غرفة شاب. "هل هذا مسموح؟" همست للموظفة: "أقصد هذه هي غرفة نوم لينكولن".

غمزت الموظفة: "إن سياستنا في هذا الطابق 'لا تسأل، ولا تقل'".

ابتسمت راشيل: "شكراً". مدت يدها إلى مقبض الباب، وهي تشعر بالاشتياق إلى ما يوجد في الداخل.

"راشيل!" قدم الصوت الأنفي من المدخل مثل المنشار الأزاز.

التفت راشيل والموظفة. كان كوركي مارلينسون يعرج باتجاههم على عكازات، فقدمه معصوبة الآن بشكل احترافي. "لم أستطع النوم أيضاً!".

انكمشت راشيل مدركة أن موعدها العاطفي على وشك الانهيار.

وقعت عينا كوركي على الموظفة الأمنية. أطلق ابتسامة عريضة: "أحب النساء في اللباس الرسمي".

أبعدت الموظفة سترتها جانباً لتظهر له سلاحاً جانبياً يبدو مميتاً.

تراجع كوركي إلى الخلف: "انسحبت". التفت إلى راشيل: "هل مايك

مستيقظ أيضاً؟ هل ستدخلين؟" بدا كوركي متشوقاً للمشاركة في الحفلة.

همهمت راشيل: "في الواقع، كوركي...".

"دكتور مارلينسون"، تدخلت الموظفة الأمنية، ساحبة ملاحظة من معطفها: "تبعاً لهذه الملاحظة، التي أعطيت إليّ من قبل السيد تولاند، لدي أوامر واضحة بمرافقتك إلى المطبخ، اطلب من الطباخ صنع أي شيء تريده، وأنا أطلب منك أن تشرح لي بالتفاصيل الحيّة كيف أنقذت حياتك من الموت المؤكد من خلال..." ترددت الموظفة، مكشرة وهي تقرأ الملاحظة مرة أخرى: "... من خلال التبول على نفسك؟".

يبدو أن الموظفة قد قالت الكلمات السحرية. وجه كوركي عكازاته ووضع ساعده حول كتفي المرأة لتسنده، وقال: "إلى المطبخ، حبيبتي!".

وبينما تساعده الموظفة المنزعجة ليعرج في الردهة، لم تشك راشيل بأن كوركي مارلينسون كان في الجنة: "التبول هو المفتاح"، سمعته يقول: "لأن هذه الفصوص الشمية الدماغية اللعينة تستطيع شم كل شيء!".

كانت غرفة نوم لينكولن مظلمة عندما دخلت راشيل. كانت تفاجأت عند رؤية السرير فارغاً ولم يلمسه أحد. لم ترَ مايكل تولاند في أي مكان.

كان ضوء زيتي قديم يومض بجانب السرير، وفي ذلك الإشعاع اللطيف، تمكنت بصعوبة من رؤية سجادة بروسيل... السرير المنحوت الشهير... صورة زوجة لينكولن، ماري تود... وأيضاً المكتب الذي وقع عليه لينكولن بيان إعتاق العبيد.

عند إغلاقها الباب خلفها، شعرت بهواء رطب على قدميها العاريتين. أين هو؟ عبر الغرفة، كانت النافذة مفتوحة، تتلاطم ستائر الأورغانزا. مشت إلى جانب النافذة، فدمدم همس غريب من الخزانة.

"مااااررررررررري...".

التفتت راشيل.

"مااااررررررررري؟" همس الصوت مرة أخرى: "هل هذه أنت؟... ماري تود لينننننكولن؟".

أغلقت راشيل النافذة بسرعة والتفتت إلى الخزانة. كانت نبضات قلبها تزداد، رغم أنها علمت بأن ذلك سخف: "مايك، أعلم أن هذا أنت".

"لاااااااا..." تابع الصوت. "أنا لست مايك... أنا... إبراهااااااام".

وضعت راشيل يديها على وركيها: "أوه، حقاً؟ إبراهام الصادق؟".

ضحكة مكتومة: "إبراهام الصادق قليلاً... نعم".

ضحكت راشيل أيضاً.

"كوني خااااااائفة"، صاح الصوت من الخزانة: "كوني خائفة جداااااااً".

"أنا لست خائفة".

"أرجوك كوني خائفة..." صاح الصوت. "في الكائنات البشرية، تكون مشاعر الخوف والإثارة الجنسية متصلة تماماً".

انفجرت راشيل بالضحك: "هل هذه هي فكرتك عن الإثارة الجنسية؟".

"سامحيييييني..." صاح الصوت: "لقد مضى سنواااااات منذ أن التقيت بامرأة".

"هذا واضح". قالت راشيل وهي تفتح الباب.

وقف مايكل تولاند أمامها بابتسامة خبيثة جانبية. بدا أنه لا يقاوم وهو يرتدي بيجامة زرقاء من الساتان. أجلت راشيل ردة فعلها عندما رأت الختم الرئاسي مزخرفاً على صدره.

"بيجامة رئاسية؟".

هزّ كتفيه: "كانت في درج الخزانة".

"وكل ما وجدته أنا هو قميص كرة قدم؟".

"كان يجب أن تختاري غرفة نوم لينكولن".

"كان يجب أن تعرض ذلك!".

"سمعت أن الفراش سيئ، شعر فرس قديم". غمز تولاند مشيراً إلى صندوق ملفوف بورق هدايا على طاولة ذات قمة رخامية. "هذا سيعوض لك ذلك".

كانت راشيل متأثرة: "لي؟".

"طلبت من إحدى المساعدات الرئاسية الذهاب وإحضار هذا لك. لقد وصلت للتو. لا تقومي بهزها".

فتحت الصندوق بحذر، وهي تستخلص المحتويات الثقيلة. في الداخل، كان حوض زجاجي ضخم يسبح في داخله سمكتان برتقاليتان قبيحتا الشكل. نظرت راشيل بارتباك وإحباط: "أنت تمزح، أليس كذلك؟".

"هيلوستوما تيمينكي"، قال تولاند بفخر.

"أحضرت لي أسماك؟".

"أسماك تقبيل صينية نادرة. عاطفية جداً".

"إن الأسماك ليست عاطفية يا مايك".

"قولي هذا لهؤلاء الفتية. وسيقبّلون لساعات".

"هل يفترض أن يكون هذا إثارة جنسية أخرى؟".

"لقد صدئت في الرومانسية. هل بإمكانك إعطائي علامة على اجتهادي؟".

"لإعلامك في المستقبل، مايك، إن الأسماك ليست مثيرة جنسياً على الإطلاق. حاول بالأزهار".

سحب تولاند باقة من الزنبق الأبيض من خلفه: "حاولت إحضار الزهور الحمراء، ولكن كنت لأموت عند التسلل إلى حديقة الأزهار".

عندما سحب تولاند جسد راشيل إليه واستنشق رائحة شعرها العطرية، شعر بسنوات العزلة تتلاشى داخله. قبلها بعمق، وهو يشعر بأن جسدها يشرق أمامه. سقط الزنبق الأبيض عند أقدامهما، والحواجز التي لم يعلم تولاند ببنائها كانت تتلاشى بعيداً فجأة.

ذهبت الأشباح.

شعر أن راشيل تدفعه باتجاه السرير الآن، تهمس بنعومة في أذنيه: "أنت حقاً لا تعتقد أن الأسماك عاطفية، أليس كذلك؟".

"أعتقد". قال وهو يقبلها مرة أخرى: "يجب أن تشاهدي طقوس تزاوج قناديل البحر. مثيرة للشهوة بشكل لا يصدق".

ناورته راشيل ليمتد على ظهره على الفرشة المصنوعة من شعر الحصان، باسطة جسدها النحيل فوقه.

"وحصان البحر..." قال تولاند غير قادر على التنفس وهو يستمتع بلمستها عبر قماش الساتان الرفيع لبجامته. "أداء حصان البحر... رقصة حب مثيرة بشكل لا يصدق".

"كفانا حديثاً عن الأسماك"، همست وهي تفك أزرار بيجامته: "ما الذي يمكنك إخباري به عن طقوس الزواج للرئيسات المتطورة؟".

تنهد تولاند: "أخشى أنني لا أقوم بالممارسة مع الرئيسات؟".

نزعت راشيل قميصها: "حسناً، يا صبي البيئة، أقترح عليك أن تتعلم بسرعة".

الخاتمة

ارتفعت طائرة النقل التابعة لناسا عالياً فوق المحيط الأطلسي.

على متنها، نظر المدير لورانس إيكستروم إلى الصخرة المتفحمة الضخمة في مخزن الحمولة للمرة الأخيرة. ارجعي إلى البحر، فكر بذلك، إلى حيث تمّ العثور عليك.

بأمر من إيكستروم، فتح الطيار أبواب الحمولة وحرر الصخرة. شاهدوا الصخرة الضخمة تسقط إلى الأسفل خلف الطائرة، مشكلةً قوساً عبر سماء المحيط المنار بضوء الشمس وتختفي أسفل الأمواج مطلقة عموداً من الرذاذ الفضي.

غرقت الصخرة الضخمة بسرعة.

تحت الماء، على بعد ثلاثمئة قدم (90 متراً)، بقي القليل من الضوء الكافي ليكشف صورتها الظلية وهي تنهار. بعد تجاوزها خمسمئة قدم (150 متراً)، انغمرت الصخرة في ظلام دامس.

مسرعة إلى الأسفل.

أعمق.

سقطت لاثنتي عشرة دقيقة تقريباً.

بعدها، كالنيزك الذي يضرب الجانب المظلم لسطح القمر، اصطدمت الصخرة بسهل واسع من الطين على أرضية المحيط، مطلقةً غيمة من الطمي. عند استقرار الغبار، سبح واحد من آلاف كائنات المحيط غير المعروفة لتفحص الزائر الغريب.

دون أي تأثر، استمر الكائن بالتحرك.





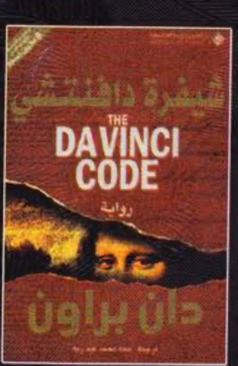
الدار العربية للعلوم
Arab Scientific Publishers

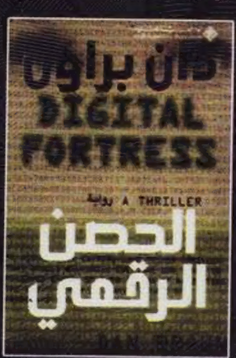
حقيقة الخديعة

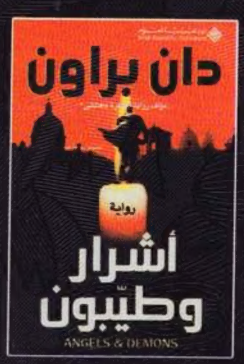
اكتشاف علمي مذهل، مؤامرة فائقة الذكاء، تشويق لم تختبره من قبل...

بعد أن اكتشف قمر اصطناعي جديد لناسا جسماً نادراً بصورة مذهلة مدفوناً في أعماق المتجمد الشمالي، أعلنت وكالة الفضاء المتخبطة نصراً كانت تحتاجه بشدة... نصرٌ ذو تضمينات عميقة بالنسبة لسياسة الفضاء الأمريكية والانتخابات الرئاسية القريبة. وفي هذا الوضع العصيب للمكتب الرئاسي، يرسل الرئيس محللة البيت الأبيض الاستخباراتية، راشيل سيكستون، إلى الحيد الجليدي في ميلني، وذلك للتأكد من مصداقية هذا الاكتشاف. مصحوبة بفريق من الخبراء، بما فيهم العالم الأكاديمي الساحر مايكل تولاند، تكتشف راشيل أمراً لا يمكن التفكير به: دليل قاطع على حيلة علمية بارعة – خديعة وقحة تهدّد بإقحام العالم في جدال فظيع.
ولكن قبل أن تتمكن راشيل من الاتصال بالرئيس، تتعرض هي ومايكل تولاند إلى هجوم من قبل فريق مميت من السفاحين يخضع لسلطة سياسية غامضة...

صدر أيضا للمؤلف دان براون:







ISBN 9953-29-907-2



ص. ب. 5574-13 شوران 2050-1102
بيروت – لبنان
هاتف: 785107/8 (1-961+)
فاكس: 786230 (1-961+)
البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb

الدار العربية للعلوم
www.asp.com.lb